

النص الكامل لكتاب

العَوَاضِلُ مِنَ الْقَوَاضِلِ

لِلْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْعَرَفِيِّ

بِمُحَقِّقِ
الدُّرُورِ هَمَّادِ طَالِبِي

مكتبة دار التراث

٢٢ شارع الجمهورية - القاهرة



تصدير

يعتبر كتاب «العواصم من القواصم» لأبي بكر بن العربي (٤٦٨هـ - ٥٤٣هـ) من التراث الفلسفي النادر الذي اتسم بنزعة نقدية للفلسفة اليونانية وروحها الوثنية النظرية المجردة، ويمكن القول بأن هذا الكتاب الأصل في روحه وأسلوبه، في مضمونه، وفي شكله يرى النور في صورته الكاملة المحققة لأول مرة، إذ سبق أن نشره^(١) شيخ النهضة الجزائرية عبد الحميد بن باديس (١٨٨٩ - ١٩٤٠ م) في جزئين معتمداً في ذلك على نسخة يتيمة مخطوطة بجامع الزيتونة، ثم جاء الشيخ الأديب الصدر محب الدين الخطيب (١٩٧٠ م) فنشر^(٢) جزءاً صغيراً منه، وهو مبحث الصحابة، وحسب الناس أن ذلك هو كتاب «العواصم من القواصم» وبهذا الاعتبار يمكن أن نقول إن هذه الرسالة الهامة مظلومة ظلمين: الظلم الأول: بترها والاقتصار منها على بحث واحد واعتباره هو الكل، والظلم الثاني: أن الشيخ محب الدين الخطيب لم يعتمد على أي مخطوط، وإنما رجع إلى طبعة الشيخ الجليل عبد الحميد بن باديس، وقدم وأخر بعض النصوص تبعاً لما رآه، وتذوقه، وإن لم يصب في ذلك المرمى، والعجيب أن بعض المتخصصين حسبوا أن ذلك هو «العواصم من القواصم» مع أن محب الدين ذكر في مقدمته^(٣) أنه مبحث واحد من مباحث الكتاب المذكور، أما هذه النشرة فقد اعتمدنا فيها على أربع مخطوطات، التي فصلنا القول فيها في القسم الأول من هذا الكتاب، وهو دراستنا لأراء أبي بكر بن العربي.

(١) قسنطينة ج ١. في سنة ١٣٤٧ هـ / (٢) القاهرة ١٣٧٥ هـ (ط ٢).

١٩٢٧ م. وج ٢. في سنة ١٣٤٨ هـ / (٣) المقدمة، ص ٨.

١٩٢٧ م.

إن هذا الكتاب قطعة حية من الذكاء، وصفحة ناصعة من صفحات
حضارتنا في مجال الفكر، ومجال الأسلوب العربي، والبيان الأدبي والنظر
العقلي الناقد الذي هو روح كل حضارة، يكتب لها البقاء والحياة أبد الدهر.

ابن عكنون الجزائر في
٥ / محرم / ١٣٩٤ هـ
٢٩ / جانفي / ١٩٧٤ م

عمار طالبي الأستاذ بكلية الآداب
جامعة الجزائر
ورئيس قسم الفلسفة

خطبة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم^(١) وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلم^(٢)

قال الشيخ الفقيه الإمام الأوحّد، الحافظ، العلامة الأجمد^(٣)، أبو بكر بن العربي^(٤)، رضي الله عنه^(٥)، ورحمه^(٦): الحمد لله رب العالمين، اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد^(٧)، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم إنا نستدعي^(٨) من رضاك^(٩) المنحة، كما نستدفع بك المنحة، ونسألك العصمة، كما نستوهب منك الرحمة، ربنا لا تزغ قلوبنا، بعد إذ هديتنا، وسر لنا العمل^(١٠) بما علمتنا، وأوزعنا شكر ما آتيتنا، وانهج لنا سبيلاً تهدي^(١١) إليك، وافتح بيننا وبينك باباً^(١٢) نقد منه عليك، فلك^(١٣) مقاليد السموات والأرض، وأنت على كل شيء قدير.

أما بعد، فإن الله ببالغ حكمته، وغالب قدرته، وإن كان واحداً في ذاته، واحداً في صفاته، واحداً في مخلوقاته، فإنه خلق الخلق نوعين، وأبدع من كل زوجين اثنين، لأن الوحدة له خالصة، حقيقة وبياناً، فتكون

(٦) ب، ج، ز: - رحمه.

(٧) ج: - محمد.

(٨) ب: نستمد.

(٩) ب: بك، ج، ز: منك.

(١٠) ج، ز: الحمد.

(١١) ب، ج، ز: يهدي.

(١٢) ج: وافتح لنا باباً.

(١٣) ب، ج، ز: لك.

(١) ز: - و.

(٢) ب: وصلى الله على محمد وآله، ز:

- وسلم.

(٣) ب، ج، ز: قال صالح بن

عبد الملك بن سعيد قرأت على

الإمام.

(٤) ب: + محمد، ج، ز: + الحافظ.

(٥) ب، ج، ز: + قال.

الأثينية^(١) عليه دليلاً وبرهاناً، وفطر الأدمي، فركب عليه وفيه، الازدواج ابتلاء، يختلف به الحال استفعالاً، واعتلاء، إشكالاً^(٢)، وجلاء، نعمة، وبلاء، قبولاً، وإباء^(٣)، ليرفعه^(٤) في عليين، أو يقذفه في سجين، قال سبحانه: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، ثم رددناه أسفل سافلين﴾ [التين: ٥] علّمه البيان، بين منزلتي الدليل والعيان، وجعل فيه حقائق [٢٠] تشترك مع صفاته العلى، وأسمائه الحسنى، في الحد، وينفرد^(٥) عنها بالتعالي والجد: ذلك ليستدل بها عليه، ويرجع في تحصيل العرفان^(٦) إليه.

وخلق له الملك، والشيطان، وأخبر الصادق واسطته^(٧) وسطته، أن العبد بين لمتين^(٨) منها يجتذبه^(٩)، كل^(١٠) واحد^(١١) إلى جهته، ويحاول^(١٢) وضعه في حصته، وتحصيله في زمرة.

والرب قد أحكم العقابة بحكمته، وأظهر هذا التدبير بقدرته، وأنشأ فيه العقل والهوى، وخلق له الضلالة والهدى، وشرح^(١٣) له النجدين استدراجاً ليرد، وشرع له الدين منهاجاً ليقارب ويسدد، وجعل^(١٤) على كل وأحد من الطريقتين علماً، ونصب عليه منادياً، فمنهم من تعرف فأجاب وعرف، ومنهم من صدف فأبى وحرف، والخير والشر مقرونان في قرن^(١٥)، والعقل والهوى معقودان في شطن^(١٦)، والدليل والشبهة يتجاذبان^(١٧) في

- | | |
|---------------------------------------|-----------------------------------|
| (١) جد: الأثنية. | (٩) ب: تجتذبه. |
| (٢) ب، ج، ز: امتحالاً، وأثبت | (١٠) جد: وكل. |
| الشيخ ابن باديس في المتن كلمة | (١١) ب: واحدة. |
| «اختفاء» بدل «امتحالاً» التي هي في | (١٢) ب: وتحاول. |
| متن المخطوط الذي اعتمد عليه. | (١٣) د: وشرع. |
| (٣) ب، ج، ز: - قبولاً، وإباء. | (١٤) ب، ج، ز: + له. |
| (٤) ج، ز: يرفعه. | (١٥) الحبل المفتول من لحاء الشجر. |
| (٥) ب، ج، ز: وتنفرد. | (١٦) الحبل الطويل. |
| (٦) ج: العرفان. | (١٧) ب، ج، ز: يتحاربان، وعلق |
| (٧) بواسطته. | ابن باديس في الهامش على ذلك |
| (٨) لمتين مثني لمة، وهي الشدة، والشمر | ب (أو يتجاريان). |
| المجاوز شحمة الأذن والمراد به هنا | |
| الخاطرة. | |

ميدان واحد، ويتسابقان إلى عطن^(١)، والتوفيق والخذلان يتباريان على سنن.

والعلم السابق، والكلام الأول^(٢)، والكتاب الثاني، يرم أعلاقتها، ويفتح أعلاقتها، ﴿ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة، وإن الله لسميع عليم﴾ [الأنفال: ٤٢]، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وهو العزيز الحكيم، ومن أجل هذا ومن جراه، جرى كل أحد^(٣) من الخلق مجراه، وتباينت المدارك، في المناجي والمهالك، فلئن أضاء نهار الأدلة، لقد أغطش ليل الشبهات، ولئن اتضحت^(٤) جادة التحقيق، لقد حقت^(٥) بها بنيات، حتى خفيت واضحة الطريق، فاهتدى فريق، وضل فريق وفريق^(٦).

و^(٧) أعلام الحق وإن كانت قد خفقت، فقد انتشرت ألوية الباطل واستشرفت، والناس أتباع كل ناعق، [و٣أ] لا يفرقون بين السابق واللاحق، وأبناء ساعتهم، لا آباء^(٨) عاقبتهم، أشقت عليهم القواصم السابقة، وحلقت فوقهم العواصم المتلاحقة، فإن أكبوا على ما هم فيه هلكوا، وإن لمحو علوا، اعتلقوا النجاة وأدركوا، ولكل سابقة من القواصم لاحقة من العواصم.

ونحن بتأييد الله ومعونته، نرتقي في هذا المعراج، إلى التمييز بين هذا الازدواج، وتبين^(٩) ما فيه من قواصم المكر والاستدراج، وعواصم الإنقاذ والإخراج، بفضل الله ورحمته، وهدايته وعصمته، لا رب غيره^(١٠).

ولو شاء الله سبحانه لجرد الدلالات عن الشبهات، ولم يقسم المعارف إلى الضروريات والنظريات، ولا خلق العبد مشحوناً بالشهوات، متقاعداً عن العبادات، مائلاً إلى الراحة، والكل^(١١) شاهد ودليل، بفعل أو قيل، كما

(١) مبرك الإبل حول الخوض أو

مريض الغنم.

(٢) جد: - والكلام الأول.

(٣) جد: واحد.

(٤) ب، جد، ز: أو اتضحت.

(٥) ب، جد، ز: خفيت.

(٦) ب، جد، ز: - فريق.

(٧) جد: - و.

(٨) جد، د: أبناء.

(٩) ب، جد، ز: وبين.

(١٠) ب، جد، ز: سواء.

(١١) جد: ولكل.

قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ [السجدة: ١٣]، فتعارضت أسباب المقادير عليه، مع توجه الوظائف إليه، وصار لا يدري على أي صدغيه^(١) يقع، ولا من أي جهة يستضر^(٢) أو ينتفع، إن أقامه الشرع إلى العبادة أقعدته الراحة، أو أراد العف^(٣) بالكف، جذبت^(٤) الاستباحة.

قاصمة:

وصار بهذا الارتباك جملة عظيمة، في يد الاشتباك، هاوٍ في دركات الهلاك، وتقطعت بهم الأسباب أيادي سبأ في الضلالات، وسلكوا من^(٥) الباطل في متاهات، تعطيل من غير تحصيل، وكيد سابق^(٦) في تضليل، التقى الكل في حيرة^(٧) النظر في أربعة مواقف.

(٦) ب: حائق. باجتهاد من الناشر الذي انطلمت هذه الكلمة في نسخته.

(٧) د: على حرف - وعلق الناسخ في الهامش على ذلك بقوله: اعرف المواقف.

(١) ج: صاغية، د: صرعية، ز: صاغية.

(٢) ب، ج، ز: يستبصر.

(٣) د: العب.

(٤) د: جربته.

(٥) د: في.

الموقف الأول

قالت طائفة: لا معلوم ولا مفهوم، وإنما المرء بوهة أو بوم^(١) وما تشبوا^(٢) به خيالات لا تحقيق لها، أي شيء يوثق به، له ثبات^(٣)، [و ٣ ب] وأنت ترى الظل يتحرك، وهو ساكن، والنبات ينمى وهو واقف، وتعاين الشمس في مساحة درقة، والقمر في قدر^(٤) المجن، والكواكب كهيئة الدنانير المثورة؟ وتقولون: إن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، وإنه معلوم بالخبر والأدلة، ويقولون^(٥) إن الدنيا خيالات، والحقائق في الآخرة، وإن الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا، وإذا كنت في نومك ترى أموراً، لا تشك^(٦) أنك^(٧) على رأس الحقائق فيها، فإذا جاءت اليقظة^(٨) ذهبت من يديك^(٩)، وأفلت عنك ما كنت تظن أنك آخذ بناصيته، قابض له بيد العرفان، تقوده بغاية البيان، فما يؤمنك أن تكون يقطتك كذلك، وأنت الآن على ما أنت عليه، من حقيقة في غير حقيقة، وعلى عدم من البيان في البيان^(١٠).

-
- | | |
|--|--|
| (١) ج: برهة أو يوم ز: يوم. وعلق الناسخ على ذلك بقوله: لعله برهة أو يوم. والبرهة هو الصقر الذي سقط ريشه ويطلق على الرجل الأحق أو الطائش، وعلى ذكر اليوم أيضاً (المحيط). | (٤) ب: قيد. |
| (٢) د: وما تقيسون. | (٥) ب: وتقولون. |
| (٣) ب: لثباته. | (٦) ج: - لا تشك. |
| | (٧) د: أنها. |
| | (٨) د: الحقائق. |
| | (٩) د: يدك. |
| | (١٠) ب: - وعلى عدم من البيان في البيان. وكتب على الهامش. |

عاصمة:

قال ابن^(١) العربي رضي الله عنه^(٢) وهذا^(٣) موقف أول لا تدخله^(٤) ليت، ولا أختها لعل، بل هو أحقر وأذل^(٥)، قال لي أبو علي الحضرمي^(٦)، بالشعر^(٧)، حرسه الله، وكتبه لي بخطه، ليس هذا مذهباً لأحد، ولا مقالة لبشر، وإنما قصدت الملحدة بذكر هذا التلاعب^(٨)، بالعالم، لتسترسب العامة، وهو محال في محال، يسمى^(٩) بالعربية هوساً وهذياناً، ويسمى^(١٠) باليونانية سفسطة، يعنون خذلاناً، وقال أبو حامد الغزالي: إن هذا الإشكال لا يتضح بالدليل، وإنما^(١١) يروى منه الغليل، ويشفي العليل، ما يفيض من نفحات رحمة الله على القلوب، ويشرق عليها من نوره، حتى إذا انشروحت الصدور، وصقلت القلوب، تجلت فيها^(١٢) الحقائق، مبادي وغايات، وسوابق ولواحق، قام الإمام الحافظ^(١٣): وهذه قاصمة أعظم من الأولى، فإنها صدرت عن اشتها في العلم، وهذا^(١٤) يحط عن المرتبة العليا^(١٥) إلى السفلى، ويخرج عن جملة^(١٦) العقلاء، [و ٤ أ] ولا ينجي منها^(١٧) إلا أن تفهموا^(١٨).

قاصمة:

إن هذه كلمات صدرت^(١٩) على مناحي صوفية، لأنها تعتقد أن المعقول فوق المحسوس، وأنا وإن كنا، في عالم الحس أبداناً، فنحن في عالم العقل

- | | |
|-------------------------------|-----------------------------------|
| (١) د: أبي. | (١١) ز: وأما. |
| (٢) د: - العربي رضي الله عنه. | (١٢) ج، ز: فيها. |
| (٣) ب، ج: وهذا. | (١٣) د: قال أبي رضي الله عنه. |
| (٤) ب: يدخله. | (١٤) ب: وقد. |
| (٥) ب: أحسن وأذل. | (١٥) ب: العلي. |
| (٦) د: الحضرمي. | (١٦) ج، ز: وتخرج عن زمرة. |
| (٧) ز: بياض بقدر كلمة، ج: | (١٧) د: منه. |
| - الشعر. | (١٨) د: الأعاصمة أن تفهموا، ج، ز: |
| (٨) ب: البلاغت. وكتب على هامش | يفهموا. |
| ز: (أصل: البلاغت). | (١٩) د: كلها تصدرت. |
| (٩) ، (١٠) ب: سمى. | |

قلوب^(١) والقلوب لا تزال تقطع بينها وبين الأبدان العلائق، ونحسم القواطع^(٢) حتى لا يبقى^(٣) بينها وبين البدن علاقة، ولا تزال^(٤) الروح كدرة^(٥) تترقى^(٦) من درجة إلى درجة في المعارف، وتتطلع من برج إلى برج حتى تنتهي إلى حيث خرجت، وترجع من حيث جاءت.

وهذا الكلام كله بناء منهم في الباطن^(٧) على عقائد اختيارية، ركبوها بزعمهم على قواعد عقلية، وأسكتوا^(٨) عنهم المعارضين، وسكتوا قلوب الشادين بما روه عن النبي ﷺ أنه قال: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»، وهذا الحديث ليس له أصل في الدين، ولا يدخل في منزلة من منازل السقيم، فكيف الصحيح من المسلمين، ولكنه جزء من خطبة عظم بها الخطب، وصار بها الناس^(٩) ألباً على ألب^(١٠)، وقد كنت فاضته في أمثالها، وأشرت بلمحة من الإمساك عن الحديث إلا ما صحَّ على قدر منزلي منه، ويقول^(١١) لي: بضاعتي في الحديث مزجاة، ولقد أخذ معي في الحديث^(١٢) أبو بكر الفهري عند انكفائي من العراق، فأعلمته بذلك من قوله، فلم يعذره كما لم أعذره، وليس يخفى على ذي لب، يتوقف^(١٣) هاهنا قليلاً بنفسه، ولا يعجل بالحوقة، فقد امتلأت من هذا الكلام كل حوصلة، ولينتعرض للدليل^(١٤)، و^(١٥) إن كان كان ليس بموضع دليل، ولكن هاهنا نكتة بديعة استفدناها في «نزهة المناظر وتحفة الخواطر» وهي أن الحقائق تارة تنكشف

- | | |
|------------------------------------|---------------------------------------|
| (١) ب، د: قلوباً. | عليه أي مجتمعون عليه بالظلم والعداوة. |
| (٢) ب، ج، ز: المقاطع. | (١١) ز: خرج على الهامش: أي الغزالي. |
| (٣) ب: تبقى. | (١٢) ب، ج، ز: في ذلك. |
| (٤) ب: ولا يزال. | (١٣) ز: علة: أن يتوقف. |
| (٥) ب: بكدة. قراءة الناشر. | (١٤) ب: ولتعرض، ز: ولا يتعرض. |
| (٦) ب: يترقى. | وكتب في الهامش: (أصل: ولتعرض). |
| (٧) ب: لأمر الباطن. | (١٥) ج: - و. |
| (٨) ج، ز: بياض في مكان «وأسكتوا» | (١٦) د: تحف. |
| د: أسكتوا. | |
| (٩) د: وصار الناس بها. | |
| (١٠) ج: ألفاً على ألف. يقال هم ألب | |

بالدليل، إذا كانت ^(١) في ^(٢) معرض ^(٣) الإشكال، وتارة تنكشف بالتفسير ^(٤)، إذا كان الإشكال في ^(٥) وجه دلالة ^(٦) الألفاظ، على المعاني، فإن الشيء قد [و ٤ ب] يكسى غير حليته ^(٧)، فليبادر بكشف غريبه، واتخذ هذا دستوراً في الجدل ^(٨)، إذا ناظرت، وفي الاسترشاد، إذا استرشدت ^(٩).

وبعد هذه المقدمة نقول: إن غلاة الصوفية، ودعاة الباطنية، يتشبهون بالمتدعة في تعلقهم بمشبهات الآيات والآثار على محكماتها، فيخترعون أحاديث ^(١٠) أو ^(١١) تخترع لهم على قالب أغراضهم، ينسبونها إلى النبي، ويتعلقون ^(١٢) بها علينا، فمنها حديث الناس نيام، وليس بخبر، وإنما هو مثل ضربه بعض الحكماء ^(١٣) ليظهروا بذلك ^(١٤) فضل الآخرة على الدنيا، فأما أولاء ^(١٥) فإنما انتحوا ^(١٦) به إلى ^(١٧) أن ما في الآخرة ليس على حقائق ما في الدنيا، وأن ما في الدنيا من أمر ^(١٨) الآخرة، أسماء لا معاني حتى نسبوا ذلك إلى ابن عباس، والصدر ^(١٩) الأول، ليرتبوا عليه أن أمور الآخرة إنما هي أسماء محضة ^(٢٠)، لا اشتراك بينها وبين معاني الدنيا في الوجود، نسبتها إلى ما ^(٢١) في الدنيا، نسبة البحر في المنام، والأسد والحمار ^(٢٢)، والدواني الذي ^(٢٣) يختم كتاب الملك، إلى الملك، والشجاع وملك الموت، والمؤذن قبل الفجر ^(٢٤) في رمضان

- | | |
|--|---|
| (١) ج، ز: كان. | (١٢) ج: يتعلقون. |
| (٢) ج، ب، ز: - في. | (١٣) ب: الحكيم. |
| (٣) ب: - إذا كانت في معرض، ج، ز: يتعرض. | (١٤) ب: - ليظهروا بذلك. |
| (٤) ب، ج: - بالتفسير، ز: - بالتفسير، وكتب على الهامش عليه: بالتفسير. | (١٥) ب: أولاً. |
| (٥) ب: - إذا كان الإشكال في وجه. | (١٦) ب: - انتحوا. |
| ج، ز: - الإشكال في. | (١٧) ب: على. |
| (٦) ج: الأدلة. | (١٨) ب: - أمر. |
| (٧) ب: يكسى غير حليته. | (١٩) ب: من الصدر. |
| (٨) ب: - دستوراً في الجدل. | (٢٠) ب: - محضة. |
| (٩) ب، ج، ز: أرشدت. | (٢١) ب: لما. |
| (١٠) ج، ز: أحاديثاً. | (٢٢) ب: الجزار، د: الجرار. |
| (١١) ج، ز: - أ. | (٢٣) ب: - والدواني الذي. ج، ز: والدواني التي. |
| | (٢٤) ب: - والمؤذن قبل. |

في الدنيا، بل هذان ^(١) أقرب من ذينك، وهذه الأمثال والأخبار، معاني صائبة، وفي ^(٢) منهج ^(٣) التحقيق سائرة.

صفة الجنة:

وذلك أن البنية في الدنيا مبتدأة بترتيب وتوليد، وهي ^(٤) في الآخرة منشأة دفعة في كرة، وهي في الدنيا تستحيل، وفي الآخرة تثبت، وفي الدنيا تفتى وفي الآخرة تدوم، وفي الدنيا منحصرة، وفي الآخرة لا تنحصر، وفي الدنيا نافعة من وجه، ضارة من آخر، محمودة من نوع، مذمومة من غيره، محبوبة في حال، مكروهة في ^(٥) أخرى، وفي ^(٦) الآخرة متحدة ^(٧) كل صفة عن ^(٨) مقابلتها، وهكذا أبداً ^(٩) حتى يكون الكل كاملاً، صدر عن كامل، لا نقص فيه ^(١٠) إلا عن [و ٥ أ] كمال وجب للإله الحق ^(١١) من الأولية، والتقدس عن الحدث، وجواز طرق الآفات والنقص، لا سيما وقد علم بالدليل كل عاقل، أن الدنيا حقيقة على ما هي عليه، والآخرة حقيقة على ما هي عليه، وليس ما يستغرب بينهما من التباين، وهما مخلوقتان ^(١٢) بأغرب من التفاوت الذي بين الخالق والمخلوق في الذات والصفات، ولكل واحد من هذين القسمين الأعلى الأشرف، والأسفل الأدنى، حقائق، وما ^(١٣) بينهما من التفاوت، ولم ^(١٤) تبطل حقيقة الأكمل حقيقة الأنقص، بل وجبت لكل واحد صفاته ^(١٥).

تمثيل من دليل:

وقد أرسل الله الرسل إلى الخلق على اختلاف أطوارهم في أزمانهم، فما

- | | |
|-------------------|--------------------------------------|
| (١) د: هذا. | (١٠) د: فيها. |
| (٢) د: هي. | (١١) ج: الحي. |
| (٣) ج: مناهج. | (١٢) د: مخلوقان. |
| (٤) ب: - هي. | (١٣) في هذا التركيب اضطراب وقد اقترح |
| (٥) ب: - في. | الشيخ ابن باديس أن يكون التعبير |
| (٦) ب، د: + هي. | هكذا: (ومع ما بينهما من التفاوت لم |
| (٧) ب: متجددة. | تبطل). |
| (٨) ب، ج، ز: على. | (١٤) ب، د: - و. |
| (٩) ب: - أبداً. | (١٥) د: صفته. |

قال أحد منهم: أنا في غير حقيقة، وإنما^(١) كانوا ينفون الحقائق عن أقوال^(٢) الرسل^(٣) في دعاويها التوسط، وهم متفقون على إقرار الحقائق^(٤) في نصابها، واتباعها من بابها، وإنما قبلوا أدلة الرسل بالشبهات، وجروا في ميدان النظر والدلالات، فعاند من عاند؛ وسدد من سدد.

توجيه:

ومحتمل أن يكون أبو حامد، قد بنى هذا على مذهب الصوفية، في أن العلم من ثمرات العمل، وهو وإن صح كان قلباً للقوس^(٥) ركوة^(٦)، فليس في أول رتوة^(٧)، وإنما يكون ذلك دعوى في النظريات، أو في الزيادة على مقتضى الأدلة، وربما شبهوا^(٨) في ذلك بقوله تعالى^(٩): ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. فأفاد هذا الظاهر أن العلم ثمرة التقوى التي هي أصل الأعمال، وترجمة^(١٠) جميعها أو كلها، وأثروا^(١١) ذلك عن مالك رضي الله عنه^(١٢)، إسكناً^(١٣) لنا، واعتضاداً بإمامته^(١٤) علينا، من قوله: ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما هو نور يضعه الله في قلب من يشاء، قال القاضي أبو بكر^(١٥): وهذا مقطع شريف ليس من غرضهم في شيء [و ٥ ب] وإنما له

- | | |
|--|---|
| (١) ب: ولا. | (٨) د: شبيوا. ويبدو أن صوابه: تشبوا. |
| (٢) ج، ز: أحوال. | (٩) ب، ج، ز: - تعالى. |
| (٣) ب، ج، ز: المرسل. | (١٠) ب: ومزجه. وعلق على ذلك ابن باديس بقوله: لعل الأصل: ومرجعها. |
| (٤) ج، ز: الفائق. | (١١) د: وأثروا. |
| (٥) ب: قلب القوس، ج، ز: فك القوس. | (١٢) د: - رضي الله عنه. وهو إمام دار الهجرة توفي سنة ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م. |
| (٦) ب: - ركوة، ج، ز: رمون. يقال صارت القوس ركوة وهو مثل يضرب في الإدبار وانقلاب حقائق الأشياء. | (١٣) ج، ز: إسكناً. |
| (٧) الرتوة: الخطوة، والسويعة من الزمان والدعوة. ورتاه: شده، وقواه وجذبه وأرخاه. | (١٤) ب، ج، ز: لإمامته، وعلق الشيخ ابن باديس عليه بقوله: لعل الأصل: بإمامته. |
| | (١٥) د: قال أبي. |

حقيقة معلومة، وهي أن العبد إذا واطب الطاعات، ونبذ المعاصي، لم يكن ذلك إلا باستمرار علمه، واستدامة نيته، فإن العمل بالقصد، والقصد يرتبط بالعلم فإنهما أخوان، فإذا دام العمل الصالح، دل على دوام العمل، وإذا علم ولم يعمل، أوشك أن يذهب العلم، ويكون نقصان العمل، علامة على نقصان العلم أو ذهابه.

فإن قيل: وكيف يذهب العلم بذهاب العمل، والعلم أصل، والعمل فرع عليه، والفرع هو الذي يذهب بذهاب الأصل؟ قلت^(١): عنه^(٢) جوابان، أحدهما: أنا نمثل^(٣) لكم ما بحقيقته، فنقول: إنك ترى الغصن في الشجرة الناضرة ذابلاً، فتستدل به على نقصان مادة الأصل، التي كانت تمده^(٤) بالري، ولولا نضوب المادة، وهي الأصل من الأصل لما ذوي الغصن^(٥)، في الشجرة الناضرة، فكان ذهاب الفرع لذهاب الأصل، وعلامة عليه.

الثاني: وهو التحقيق، أن التقوى والعلم جميعاً، من جملة الأعمال، وكلاهما من الأعمال القلبية، وتنفرد التقوى بقسم منها، و^(٦) هو من عمل الجوارح، وهي مأخوذة من الوقاية، وهي الحجاب الموضوع، دون المكروه، فإذا اتقيت الله بقلبك أولاً كما يجب، كان ذلك تعليماً منه لك، بوضع الحجب التي تقيك عذابه، ووقاية العلم به للعذاب، قبل وقاية العمل له للعذاب، فإذا نقص العمل، كان لنقصان العلم ضرورة، ولهذا قال ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»^(٧) أخبر به، أنه لا يقدم على الزنا إلا بعد فوات جزء من العلم وقد بيناه في «قانون التأويل»، و«شرح الصحيحين»^(٨)، وورد في^(٩) الحديث الصحيح: «تعرض^(١٠) الفتن على القلوب، كالحصير»^(١١)

-
- | | |
|--------------------|---|
| (١) ج: د، ز: قلنا. | (٧) أخرجه البخاري في صحيحه. |
| (٢) د: عن هذا. | (٨) ز: كتب على الهامش: تأليفان لابن العربي. |
| (٣) ج: نمثله. | (٩) ب: - في. |
| (٤) ب: عنده. | (١٠) ج: بعرض. |
| (٥) ج، و: الفص. | (١١) ب: كالحصن. |
| (٦) د: - و. | |

عمداً عوداً، فأبي قلب أشربها، نكتت فيه نكتة سوداء فيصير أسود [و ٦ أ] مرباداً^(١) كالكوز، مجحياً^(٢)، لا يعرف معروفاً، ولا ينكر إلا ما أشرب من هواه^(٣)، وهذا تنبيه بالغ، ونص فيما أردناه للخصم دافع.

مزيد تحقيق:

ولا ينكر أحد^(٤) من الإسلاميين، لا من الفقهاء، ولا من المتكلمين، أن صفاء القلب وطهارته، مقصود شرعي؛ وإنما^(٥) المستنكر^(٦) أن^(٧) صفاءه^(٨) يوجب تجلي العلوم فيه بذاته، إذ هو مقابل له في أصل الخلقة، وإنما الحق أن القلب بمداومة الطاعات، والفكرة^(٩) في ملكوت الأرض والسموات، يكون ذلك من إدامة المعرفة علماً على النجاة، ويكون عبارة للبدن بالطاعات، وقد قام الدليل العقلي على أن العلم هو^(١٠) من العمل قبل العمل، وكذلك^(١١) قام الدليل الشرعي، وشهدت له التجربة، على أنه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وكل من علم أن ملكوت الله في أرضه وسائه الذي فيها بدنه، وجملة، من مخلوقاته، لم يصرفه إلا في طاعته، فإن قصر ففوات علمهم^(١٢) بما قصر فيه، وعما قصر عنه، وعما قصر به، وهذا كاف في الغرض.

تكملة:

فترجع إلى المراجعة مع القول الأول، للقوم الأول، فنقول لهم هذا

- | | |
|--|--|
| (١) تريد: تغير، وتغير، وتعبس،
والمريد من كان ذا سواد وبياض،
والمريدة لون يميل إلى الغبرة. | (٦) ج، ز: المنكر. وكتب على هامش
ز: أصل: المستنكر. |
| (٢) ج، ز: مجحياً، د: طمس، كالكوز
مجحياً. ويقال الجحِب للأجوف
المنهوك ويقال للأحمق وللثقليل
للحيم جخابه. | (٧) ب، ج، ز: - أن. |
| (٣) د: مريات والنقل. | (٨) ب، ج، ز: صفاء. |
| (٤) د: قفه على ما هار. | (٩) ج، ز: الفكر. |
| (٥) ج، ز: وإنما. | (١٠) د: وهو. |
| | (١١) د: فكذلك. |
| | (١٢) ب، ج، ز: عمله. وعلق الشيخ
ابن باديس عليه بقوله: لعله:
علمه. |

التشكيك والخيلاق^(١) ألا تردونه إلى الشهوات في البطن، والفرج، والمعاش، في قوام آلات الحياة، فتدخلون فيها التشكيك، وتردون إليها الخيال والاختبال، ولا يكون عندكم فيها فرق بين النظر والإهمال، ولا بين الحلو والمر، والمستقذر والمستحب^(٢)؛ فإن لم ينقادوا إليه نبذناهم في يَمّ الاعتراض^(٣)، إن لم يكن بنا قدرة على القيام فيهم بالواجب والانتهاض.

فإن قيل: قد روي أن النبي ﷺ لما^(٤) سئل عن شرح الصدر، قال: «هو نور يقذفه الله في القلوب، قيل له: وما علامته؟ قال: التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار [و ٦ ب] الخلود، والاستعداد للموت»^(٥)، وقد قال ﷺ: «إن الله خلق الخلق من ظلمة، ثم رش عليهم من نوره»، فليركب عليهما قلنا: هذان حديثان موضوعان لا أصل لهما، يا ليتك لم تصل عليه، ولم^(٦) تنسب الكذب إليه^(٧)، وما أنت في ذلك إلا كمن يحلف بالله الذي لا إله إلا هو لقد كان كذا وهو كاذب، فيا ليت لم يعظمه ولم يكذب فيما يقرن بتعظيمه من حديث.

أما أن الحديث الأول له معنى صحيح في الدين، فإن هجر الدنيا يدل على خلو القلب من حبه، وأما الحديث الثاني ففاسد المعنى^(٨) لا أثر له في الشريعة، ولا مبنى، ونعوذ بالله من الغرور، والغرور، إنما خلق الإنسان من طين ثم نفخ^(٩) فيه من روحه، والذي يعقل هو الطين بإقران الروح، فإن قيل: فقد قال الله سبحانه^(١٠): «وغيرتهم الحياة الدنيا» [الأنعام: ٧٠] فإن كان لها حقيقة، فليس فيها غرور، قلنا: وليس عندكم قول ولا رب ولا دليل، ولا اعتراض، فما لكم تدخلون داراً لستم مقرين بأنكم فيها، ثم

- | | |
|--------------------------------------|-----------------------------------|
| (١) ج، ز: الخيالات. والخيلاق يراد به | (٥) ب، ج، ز: - والاستعداد للموت. |
| هنا الظن، خيل عليه اتهمه، وفيه: | (٦) ب، د، ز: ثم. |
| تفرس الخير. | (٧) ب: عليه. وعلق الشيخ ابن باديس |
| (٢) ج، ب، ز: المستحب. وفي | على ذلك بقوله: لعله: إليه. |
| هامش ز: عله: والمستطاب. | (٨) ج: - المعنى. |
| (٣) د: الإعراض. | (٩) د: + الله. |
| (٤) ب، د: - لما. | (١٠) د: تعالى. |

تطمعون أن تتصرفوا في منافعها، لا تكونون من ذلك انصرفوا صاعرين وانقلبوا^(١) خاسئين^(٢).

فإن قيل: أيها المرشد إن قال المرشد هذا^(٣): أخرجت من الدار من ليس منها، فما الجواب عن هذا السؤال^(٤) لمن هم من أهلها؟ قلنا له^(٥): الدنيا حقيقة بذاتها، غرارة بآلها، فإنها موجودة^(٦) حقيقة، فانية حقيقة، منقضية حقيقة، فهي إذا نظرها القاصر^(٧)، المغلوب بالشهوات، المنهمك في اللذات، ركن^(٨) إليها غروراً، وإذا نظرها العالم بفنائها، وأنها طريق لا مأوى اتخذها لذلك مسلماً، فنال من بغيته دركاً على ما بيناه آنفاً.

فإن قيل: أنكرتم الحديث المنور^(٩)، والشرعة مملوءة منه؟ قلنا [و ٧ أ]: نحن لم ننكر إلا على تركيب ألفاظ عربية أو شرعية، على معان صائبة^(١٠)، ونسبتها إلى النبي ﷺ وهذا هو الكذب متعمداً^(١١)، ولا سيما إذا أفرغت على قالب، تبني عليه أغراض مقصودة في نحل^(١٢) معروفة، فأما تنوير القلوب فهذا أمر شرعي.

قد كان من دعاء النبي ﷺ، في مظان الإجابة، من آخر الليل، وعند الخلوة على ما روي في الصحيح، أنه ﷺ كان يقول في دعائه حينئذ: «اللهم اجعل^(١٣) في قلبي نوراً، وفي نفسي نوراً، وفي لساني نوراً، وفي سمعي نوراً، وفي بصري نوراً، وفي شعري نوراً، وفي بشري نوراً، وفي خي نوراً، وفي عظمي نوراً، وفي لحمي نوراً، وفي^(١٤) عيني نوراً، وفي^(١٥) يساري نوراً، وفوقي نوراً، وتحتي نوراً، وأمامي نوراً، وخلفي نوراً، وفي قبري نوراً، وعند لقائك

(۱) ج: - وانقلبوا.

(۲) د: خائین.

(۳) ج: - هذا.

(٤) ب: - السؤال.

(۵) ب : ج - لہ

(۶) ج، ز: موجود.

(٧) ب : + السؤال .

(۸) ز: رکن.

(٩) د: أحاديث النور. وفي هامش ز:

أصل: أحاديث النور.

(١٠) ج: صاية.

(۱۱) ب: معتمداً، ج: تعمداً.

(۱۲) ب، ج، ز: محل.

(١٣) د: - اجعل وصحح في الهامش:

(١٤) ج، د: عن.

(١٥) د: عن و.

نوراً، وعلى الصراط نوراً، واجعلني نوراً، واجعل لي نوراً، وأعطني نوراً، وأعظم لي نوراً».

فهذه ثلاثة وعشرون منها في صحيح مسلم سبع عشرة دعوة، والباقي صحت من طرق سواء^(١)، والخير كله نور، والشر كله ظلمة، حقيقة لا مجازاً، وأخصه^(٢) أن العلم نور، والجهل ظلمة، والسرور نور، والغم ظلمة، والحديث الذي ذكرتم^(٣) رواه الترمذي^(٤) عن عبدالله بن عمرو^(٥) أن الله خلق الخلق في ظلمة فألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضل، فلذلك^(٦) أقول: جف القلم عن علم الله.

وهذا الحديث حسن الإسناد، لم يبلغ درجة الصحة ولكن يشهد له ظاهر القرآن، لقوله تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾ [النحل: ٧٨]، فالمراد بالحديث أنه خلقهم في ظلمة، لا من ظلمة، المعنى خلقهم جهالاً، وضرب للجهل مثلاً الظلمة، ثم ألقى عليهم من نوره، فاستنار به من هداه، وهو عبارة عن العلم الذي يخلق الله لمن يشاء [و٧ ب] والقبول الذي يهبه^(٧) لمن يريد^(٨).

تخييل:

قالوا: ليس عندنا معنى يوثق به، إذ الحس خائن، ألا ترى أنك لو أخذت قيساً من نار، ثم حركته بسرعة، حركة مستقيمة على وضع الخط المستقيم، لرأيتَه خطأً مستقيماً، ولو حركته دورية لصار كرة، وقد تأتي^(٩)

العاص توفي سنة ٦٥ هـ / ٦٨٤ م
وكان ديناً صالحاً، وكان يلوم أباه
على القيام في الفتنة (الذهبي،
العبر، ج ١ ص ٧٢).

(٦) ج: فبذلك.

(٧) د: + الله.

(٨) د: أراد.

(٩) ج، ز: تأتي.

(١) ب: - سواء.

(٢) ب: وأخص.

(٣) ب: ذكرتموه.

(٤) أبو عيسى محمد بن الحافظ أحد أئمة

الحديث وتلميذ البخاري، توفي سنة

٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م بقرية بوع بترمز

وله كتاب السنن أو الجامع والعلل.

(٥) ج، ز: عمر: عبدالله بن عمرو بن

بالحركة على صفة، تكون قوساً من دائرة، فتراه^(١) تختلف عليه المرائي، وهو^(٢) نقطة واحدة، ولو كانت له حقيقة ثابتة، لما اختلف^(٣) باختلاف الطوارئ، على الذات من خارج. قلنا: هذا إيراد للحقائق^(٤) بأنها خيالات، وبيانه أن القبس الذي ذكره، له حقيقة مشاهدة، وله إذا سكن صورة، وإذا تحرك صورة، فتختلف عليه الصور بالحركات، والسكون، وحقيقته واحدة، وهذه حقيقة الحقيقة، ألا ترى أن الإنسان له حقيقة، وتختلف^(٥) عليه الصور، فتارة يكون ناطقاً، وساكتاً، وقائماً، وقاعداً، إلى غير ذلك من حالاته، وتصرفاته، ولا تتغير^(٦) له حقيقة، باختلافها عليه، بل له حقيقة دائمة أبداً^(٧)، لا تتغير^(٨) وهذه الصفات حقائق في ذواتها^(٩)، على غيرها^(١٠)، معلومة محقة، وكل بذاته متحيز، وفي سبيل العرفان سائر، وكذلك الأجسام كلها^(١١)، والعالم بأسره.

(٧) د: أبداً. وكتب على الهامش.

(٨) جـ: تنقي.

(٩) د: ذاتها.

(١٠) ب، جـ، ز: تغييرها.

(١١) جـ: كلها.

(١) ب: - فتراه، جـ، ز: فتارة.

(٢) د: وهي.

(٣) د: اختلفت.

(٤) د: + باسم.

(٥) د: فتختلف.

(٦) جـ: تنقي.

الموقف الثاني

ذهبت طائفة إلى تحقيق العلوم في مواقعها، واعترفت بتعلقها بمعلوماتها، ولكنها ذهبت إلى أن الأدلة، وإن كان تفيدها، وتقتضيها، ولكن رحمة الله ولطفه، إذا فاض على العبد جاءه به من العرفان ما يستغرق مقتضى الأدلة، من البيان، وهذا نحو ما تقدم، ولكن تعلقت به طائفة جليلة، كالخارث بن أسد المحاسبي^(١) أولاً، وأبي القاسم عبدالكريم بن هوازن^(٢) القشيري^(٣) ثانياً، وبين الرجلين [و ٨ أ] طوائف^(٤) لا يحصون كثرة، من مشهور ومذكور، وهذان العالمان سلكا، طريقاً متوسطة^(٥) بين الغلو والتقصير، ونجمت في آثارهما^(٦) أسم، انتسبت إلى الصوفية^(٧)، وكان منها من غلا وطفف، وكاد الشريعة وحرّف، وقالوا كما تقدم لا ينال العلم إلا بطهارة النفس، وتركبة القلب، وقطع العلائق بينه وبين البدن^(٨)، وحسم مواد أسباب الدنيا، من الجاه والمال، والخلطة بالجنس، والإقبال على الله بالكلية، علماً دائماً، وعملاً مستمراً، حتى تنكشف له الغيوب، فيرى الملائكة، ويسمع أقوالها^(٩)، ويطلع

وأبي إسحاق الإسفراييني، وعن الحسين بن علي الدقاق المتصوف توفي سنة ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م بمدينة نيسابور (ابن خلكان، ج ٢٢ ص ٣٧٥).

(٤) د: + و.

(٥) د: متوسطاً.

(٦) د: أثناء زمانها.

(٧) د: التصوف.

(٨) د: البذر أو البزر.

(٩) ب، ج، ز: أقوالاً.

(١) أبو عبدالله الخارث بن أسد المحاسبي زاهد بصري ومات ببغداد. له مؤلفات في الزهد والأصول وأشهرها كتاب الرعاية، كرهه الإمام أحمد لنظره في علم الكلام وخوضه فيه توفي سنة ٢٤٣ هـ / ٨٥٧ م (ابن خلكان، ج ١ ص ٣٤٨).

(٢) د: هوازن.

(٣) القشيري متكلم أشعري، وفقه سافعي جمع بين التصوف والأصول والفقهاء أخذ عن أبي بكر بن فورك

على أرواح الأنبياء، ويسمع كلامهم وهذا^(١) ووراء هذا غلو ينتهي إلى القول بمشاهدة الله^(٢)، يدخلونه في باب الكرامات إذ^(٣) كان من المجوزات.

قاصصة:

ولقد فاوضت فيها أبا حامد الغزالي، حين لقائي له بمدينة^(٤) السلام، في جمادى الآخرة سنة تسعين وأربعمائة، وقد كان راض نفسه بالطريقة الصوفية، من سنة ست وثمانين، إلى ذلك الوقت نحواً من خمسة أعوام، وتجرد لها، واصطحب مع العزلة، وبذ كل فرقة، فتفرغ لي بسبب بيناه في كتاب ترتيب الرحلة، فقرأت عليه جملة من كتبه، وسمعت كتابه الذي سماه بالإحياء^(٥) لعلوم الدين، فسألته سؤال المسترشد عن عقيدته، المستكشف عن طريقته، لأقف من سر^(٦) تلك الرموز، التي أوما إليها في كتبه، على موقف تام المعرفة، ووفق مجاويني، مجاوية الناهج لطريق التسديد، للمريد، لعظيم مرتبته، وسمو منزلته، وما ثبت له في النفوس من تكرمه، فقال لي من لفظه، وكتبه لي بخطه: إن القلب إذا تطهر عن علاقة البدن المحسوس، وتجرد للمعقول انشكفت له الحقائق، وهذه أمور لا تدرك إلا بالتجربة لها عند [و ٨ ب] أربابها، بالكون معهم والصحبة لهم، ويرشد إليه طريق من النظر وهو أن القلب جوهر صقيل، مستعد لتجلي المعلومات فيه، عند مقابلتها عرياً عن الحجب كالمرأة في ترائي المحسوسات، عند زوال الحجب، من صدا لائط، أو ستر من ثوب أو حائط، لكنه بتراكم الآفات عليه^(٧)، يصدأ حتى لا يتجلي^(٨) فيه شيء، أو يتجلي^(٩) معلوم دون معلوم، بحسب موارد الحجاب له، من ازورار، أو كثافة، أو شفاف، فيتخيل^(١٠) فيها مخيلة، غير متجلية،

(١) د: - وهذا.

(٢) د: - وهذا.

(٣) ج: إذا.

(٤) ب: بمدرسة.

(٥) ب، ج، ز: الأحياء.

(٦) ب: متهى.

(٧) ج: - عليه.

(٨)، (٩) ب، ج، ز: ينجلي.

(١٠) ب، ج، ز: فتخيل.

كأنه ينظر من وراء شيف^(١)، ألا ترى إلى^(٢) النائم إذا أفلت^(٣) قلبه من يد الخواص، وانفك من أسرها، كيف يتجلى^(٤) له الحقائق، تارة بعينها، وأخرى بمثلها. قال لي: وقد تقوى النفس، ويصفو القلب حتى يؤثر في العوالم، فإن للنفس قوة تأثيرية موجدة^(٥)، ولكن كما قلنا، ما يتوارد عليها من شعوب البدن، وعلائق الشهوات، يحول بينها وبين تأثيرها، حتى لا يبقى لها تأثير إلا في محلها، وهو البدن خاصة^(٦)، كالرجل يمشي في الأرض، على عرض شبر، ولو علا جداراً مرتفعاً، عرضه ذراع، ما استطاع أن ييسط خطاه عليه فإنه^(٧) يتوهم سقوطه عنه، فإذا استشعرت ذلك النفس^(٨) واستقرت عليه، انفعل^(٩) البدن لها، وسقط مسرعاً، وقد تقوى على أكثر من ذلك، فيكون تأثيرها في غير محلها من جنسها، كما ينظر الرائي إلى جسم حسن، فيقع في قلبه استحسانه، فإذا نطق بذلك عليه، تأثر بذلك الجسم فليط^(١٠) به، أو هلك في ذاته، ومنه قوله ﷺ: «إن العين لتدخل الرجل القبر، والجمل القدر»^(١١) وقد

منوط بتلك اللطيفة الربانية، المودعة في جرم القلب، لأجل التعقل الموهوب، بفضل الله إلى نوع الإنسان، وأن هذه التقوى المودعة في حواسه الظاهرة، والباطنة لا يعلم حقيقتها سوى الله خالقها وياربها، وليس للمرء من معرفتها سوى ما يحس به، ويدركه من آثارها والله أعلم.

(٧) ب: - فإنه.

(٨) د: + صحة.

(٩) ج: انفصل.

(١٠) أي تعلق، لاط الشيء بقلبه يلوط،

ويليط، لوطاً، وليطاً حب إليه،

والصق، ولاط فلاناً بسهم أو عين

أصابه به (القاموس المحيط).

(١١) لم نقف له على ترجمة.

(١) ز: كتب على الهامش: قلت: هذا

كله من حجة الإسلام رضي الله عنه

تمثيل للأمور المعنوية، من أحوال

القلب، الناشئة عن التصرفات

الإلهية، فيه بالخير والشر، فكأنه

مرآة تعورها الصداة بارتكاب

المعاصي والمخالفات تارة، ويعتورها

الجلاء والصقالة بالتقوى والطاعات

تارة أخرى، وليس مراده بالصدأ

والصقالة المحسوسين، وإنما مراده

تقريب هاته المعاني للأفهام

والسلام.

(٢) ج: أن.

(٣) ج: ز: قلت.

(٤) ج: يتجلى.

(٥) ب، ج: ز: موجودة.

(٦) ز: كتب على الهامش: وهذا كله

تزيد^(١) قوتها بصفاتها^(٢). واستعدادها، فتعتقد إنزال الغيث، وإنبان النبات، ونحو ذلك من معجزات خارقات للعادة، فإذا نطقت به كان على نحوه، وهذه نفوس الأنبياء، وهي الآيات التي تأيدت بها أحوالهم.

[و ٩ أ] عاصمة:

قال القاضي أبو بكر^(٣) رضي الله عنه^(٤): فلما وعيت هذا سماعاً، وكتابة عنه، وقراءة، رجعت إليه متأملاً بصادق البصيرة، وعرضته على قواعد النظر، في المعقول والمنقول، ونظرت في أفرادها، ثم جمعتها^(٥)، فرأيت أنه لا يخفى على ناظر، أن النفس موجودة، والبدن موجود، والروح والنفس^(٦) والقلب والحياة، ألفاظ واردة في الشرع، منطلقة في لسان العرب، على معان قد عرفوها، إذ لا يصح أن يخاطبوا بما لم يفهموا ولا^(٧) أن يعبروا بما^(٨) لم يعلموا، وهي بيّنة عند الطوائف كلها، عاقلوها ومشروعوها.

فأما البدن فمحسوس، وأما القلب فمشاهد في بعض الأحوال ولكن عند التعطل من عمله، وعند الانفصال عن محله، وأما الروح فمعقولة، وأما النفس فاختلّفوا، فمنهم من جعلها الدم، فتكون جسماً محسوساً، ومنهم من جعلها معقولة بمنزلة الروح، وحين دارت هذه الألفاظ على ألسنة الأنبياء والحكماء المتلقين^(٩) عنهم، دارت على رسم التوارد، فقد يعبر بالروح عن القلب، والنفس، وعن القلب بهما وعن النفس بالروح، وعن الروح والحياة بهما، وقد يتعدى هذه الألفاظ إلى غير العقلاء، بل إلى غير الأحياء، فتجعل في كل شيء، فيقال لكل شيء قلب، ونفس، وروح، وحياة، استعارة، فمن لم يعقل وجه الاستعمال تاه^(١٠) في مجاهل لا عمارة بعدها، ومن أراد أن يلبس^(١١)

(١) د: تزيد.

(٢) ب: بصفاتها، وعلق على ذلك ابن

باديس بقوله: أو بصفاتها.

(٣) د: قال أبي.

(٤) ب، ج، ز: - رضي الله عنه.

(٥) د: جمعته، ب: علق ابن باديس

عليه بقوله: أو جمعتها.

(٦) ب، ج، ز: يلبس، وعلق ابن

باديس عليه بقوله: لعله يلبس.

بها وجد مجالاً مشكلاً للتلبس، لكثرة الاستعمال.

والمعلوم في الجملة أنه^(١) خلق آخر غير البدن، كما قال تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين^(٢)﴾ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة، فخلقنا المضغة عظاماً، فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن [و ٩ ب] الخالقين ﴿[المؤمنون: ١٤].﴾
فبين أن الجسم خلق، والذي وراءه^(٣) خلق آخر، مجاور له، مغاير، وأنت ترى في الجملة أن للبدن صفات، هي القدرة، والعلم، والكلام، والإرادة، والحياة، والسمع والبصر، فهذه الصفات السبع، هي عماد التقدير، والتفكير^(٤)، والإيجاد والتصرف، وليس يمكن أن يقال في الحياة، أكثر من أنها صفة بها يستعد المحل لقبول الصفات الست^(٥) وهي الروح، وهي النفس، وأرادت طائفة التشغيب، أن تفرد الروح ببيان، وتخصه بنوع من البرهان، حتى انتهى بهم القول، إلى أن يقولوا: وما الإنسان؟.

لقد أخبرني أبو سعيد الزنجاني بالمسجد الأقصى طهره الله، عن الأستاذ أبي المظفر شاهفور^(٦)، أن أعرابياً دخل البصرة، فرأى حلقة المتكلمين، فقصد إليها فظن أنها حلقة ذكر، فوجدهم يتكلمون في حقيقة الإنسان، وقد كان عند نفسه معلوماً، فلما رأى أهل تلك الحلقة، قد أدخلوه^(٧) في مبادأة^(٨) من يريد^(٩)، وأكثروا فيه من المراجعة والترديد، قام وهو ينشد:

إن كنت أدري فعليّ بدنه من كثرة التخليط في من أنه

واحتاج شيخ السنة، وصاحبه^(١٠) لسان الأمة، ومن دارت عليه من

(١) ز: كتب على الهامش: أي الروح.

(٢) ج: - من طين.

(٣) ب، ج، ز: فيه.

(٤) ج، ز: التفكير.

(٥) د: - الست.

(٦) طاهر بن محمد الإسفراييني صاحب

كتاب التبصير في الدين

٤٧١ هـ / ١٠٨٠ م وهو أشعري

الاعتقاد شافعي المذهب (طبقات

الشافعية الكبرى، ج ٣

ص ١٧٥).

(٧) ب، ج، ز: أدخلوا.

(٨) د: مناداة.

(٩) ب: بديد أو يزيد.

(١٠) ج، ز: صاحبه.

طبقاتهم الملة، وأعيان السنة الجلة إلى^(١) أن يعتقدوا^(٢) في ذلك أبواباً، ويجمعوه^(٣) كتاباً، فأحسنوا عن الحق مناباً^(٤)، فإن المصلحة أدخلت هذه الألفاظ في باب الإشكال، تشغيلاً وتليساً، والأمر فيها بشهادة الله قريب جداً.

فإن قيل: كيف تقرب البعيد، الذي شهد الله ببعده، ولم يجعل لأحد فيه سبيلاً من بعده، فقال: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ [الإسراء: ٨٥] قلنا: قد [و ١٠ أ] تكلمنا على هذه الآية في «أنوار الفجر»، و«شرح الصحيحين»، بما لباه، أن أحداً من المسلمين لم يسأل رسول الله ﷺ عن الروح^(٥) لعلمهم بها، وذكرهم لها، في كتابه الذي جاء به إليهم، وما كان ليأتيهم بمجهول، ولو جاء به، ما قبله الأعراب^(٦) منه، وقد كانوا يترصدون وجهاً من الطعن^(٧)، فكيف إذا وجدوه يأتي بما لا يعلم، ويتكلم بما لا يفهم، وإما جاءت اليهود بعنادها، إلى رسول الله ﷺ فسألتها عنها بطنة^(٨) وعادة، لم تزل تتظاهر بفسادها، مقصدها أن يقول لهم النبي ﷺ^(٩): «هي كذا»، فيراجعونه فيه، ويجادلونه عليها، فأمره الله أن يردعهم^(١٠) عنها صيانة له عن تشغييهم، بما لا يعلمونه، ولا يفتقرون إليه، ولا يحتاجونه^(١١) حتى قالت^(١٢) جماعة^(١٣): إنه كان من وصفه في التوراة، أنه لا يجب عن هذا السؤال، وهذا وإن لم يرد في الصحيح لم

(٨) بطنة: بالكسر: البطر والأشر وفي

د: بطية. وقد حكى سبويه بطية

وقال صاحب القاموس المحيط أنه لا

يعلمها إلا أن تكون لغة في أبطأت.

(٩) د: - صلى الله عليه وسلم.

(١٠) ج: يردعهم.

(١١) ج، ز: ولا يحتاجونه، د: يحاجونه.

وصحح في هامش ز.

(١٢) د: قال.

(١٣) ز: + إله.

(١) ب، ج، ز: - إلى.

(٢) ج، ز: يقيدوا.

(٣) ب: + في ذلك.

(٤) ج، ز: نقاباً.

(٥) ز: + (لعدم علمهم بها وعدم ذكرها

في كتابه) في الهامش.

(٦) ب، ج، ز: الأعداء.

(٧) ب: النقص أو الظن، ج، ز:

النقص. وعلق عليه في هامش ز:

أصل: الظن.

يبعد^(١)، لأنه من صفات العقلاء، فكيف بالأنبياء، أن لا يتكلموا في فضول^(٢)، ولا يخوضوا في غير تحصيل، ولا يجوز هذا مع من يقصد التثقيب، والتضليل، وأنت ترى، ما انتهى الفضول بعلمائنا في تعرضهم لحد العلم، أن بلغ^(٣) القول فيه مع الخصوم، إلى عشرين عبارة ليس منها حرف يصح، وإنما هي خيالات، والعلم لا يقتنص بشبكة الحد، وإذا لم يعلم العلم، فماذا يطلب، أو إلى أي شيء وراءه يتطلع؟^(٤) وإنما أنشأ هذا حثالة المعتزلة، وكلهم حثالة، لإضمارهم الإلحاد، قصد إيقاع التشكيك والإلباس على الخلق في الحقائق، ليتذرعوا^(٥) بهذه الطريقة إلى مقصدهم الفاسد، وجعلوا يفيضون في الاعتقاد والعلم حتى أنشأوا كلاماً يملأ الفضاء، حقه^(٦) أن يقابل بالإعراض وقد أشرنا إليه في التمهيص^(٧) وغيره.

قال القاضي أبو بكر^(٨): وإذا انتهى النظر إلى هذا المقام، فنقول إنك أيها المرء، بعد، لم [و ١٠ ب] تثبت لك معرفة النفس والروح، والقلب، على ما تزعم، ولا استقرت عندك^(٩) حقيقة لذلك، كله^(١٠) فكيف^(١١) تريد أن تركب عليه، أنه يعلم المخلوقات، ويؤثر في الأرضين والسموات، لقد أبعدت مرماك، حقيقه على ما يجب، وبعد فركب^(١٢) عليه ما تركب.

وأما^(١٣) الإشارة بتجرد النفس: أو القلب، عن علائق المحسوسات ليرتقى^(١٤) إلى المعقولات، فعسى أن يكون ذلك إذا مات، فأما مع الحياة فيبعد ذلك، أو يستحيل^(١٥) عادة، وقد كان النبي ﷺ يقول في الحديث

- | | |
|------------------------------------|-------------------------------|
| (١) ب: فليس يبعد، ج: ز: فليس يبعد. | (٨) د: قال أبي رضي الله عنه. |
| (٢) د: الفضول. | (٩) د: - عندك. |
| (٣) د: أن يبلغ. | (١٠) د: - كله. |
| (٤) ج: يطلع. | (١١) ب، ج: ز: - فكيف. |
| (٥) د: ليتذرعوا. | (١٢) د: - تركيب. |
| (٦) ج: منه. | (١٣) ب: وما. |
| (٧) ج: التمهيص. | (١٤) ب: ليرتقي، ج: ز: ليرتقي. |
| | (١٥) ب، ج: ز: ويستحيل. |

الصحيح^(١): «إنه ليغان على قلبي فأتوب مائة مرة»، فكيف يصح أن يدعي عاقل، فكيف عالم، قلباً لا يدركه غين، ولا تتطرق^(٢) إليه غفلة، حتى يترقى إلى حالة الفناء، حتى يفنى عن نفسه، فلا يرى أهلاً ولا حالاً^(٣)؟ وقد حف بالنبي الأزواج، وخالطهن بالوطء، وكيف يدعي أحد قطع علائق ربطها الله قبل، ولم يأذن^(٤) بحلها، وكان النبي^(٥) يشدها، ويحث على النكاح، وعلى انتقاء الأبكار، لا على انتفاء^(٦) الأفكار^(٧)، وأي نفس تكون ذلك أو أي قلب؟ و^(٨) النبي عليه السلام، لم يرد الصحابة إلى ما زعموا من الطريقة، وإنما ردهم إلى ألفاظ القرآن، وما كان معهم عليه، حتى استأثر الله به.

وأما قوله: إن ذلك ينال بالتجربة معهم، والصحبة لهم، فإن التعرض للتجربة إنما يكون في الممكن، فيحك ما يمكن في مدق^(٩) التجربة، فأما^(١٠) الذي لم يثبت بدليل، ولا سبقت به عادة، فكيف يتعرض له بتجربة، والصحابة لم يسلكوا طريقه، ولا نظروا تحقيقه، والذي يدل على بعده الحديث الصحيح، واللفظ لمسلم، أن حنظلة الأسدي^(١١) وكان من كتاب رسول الله ﷺ، قال: (كنا عند رسول الله صلى الله عليه [و ١٠ ب] وسلم فوعظنا فذكرنا بالنار، قال: فجئت إلى البيت فضاحكت الصبيان، ولاعبت المرأة، قال: فخرجت فلقيني أبو بكر^(١٢)، فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله! ما تقول؟ قال: نكون عند

(٩) ب: منلق، ج: صدق، د:

(١) د: - في الحديث الصحيح.

ميزن، ز: صدق.

(٢) ج، ز: يتطرق.

(١٠) ب، ج، ز: وأما.

(٣) ب: علق عليه ابن باديس بقوله:

(١١) حنظلة بن الربيع بن صفي التميمي

لعله: ملاً.

صحابي تخلف عن علي يوم الجمل

(٤) ب، د: قبل أن يأذن.

توفي سنة ٤٥ هـ / ٦٦٥ م (الكامل

(٥) ج: + عليه السلام، ب:

لابن الأثير حوادث سنة ١٠٠.

+ صلى الله عليه وسلم.

الزركلي، الأعلام، ج ٢

(٦) ز: كتبت على الهامش: انتقاد.

ص ٣٣٢.

(٧) ب: الإنكار.

(١٢) ب، ج، ز: + رضي الله عنه.

(٨) ج: - و.

رسول الله^(١)، يذكرنا بالنار، والجنة، كأننا رأي عين، فإذا خرجنا^(٢)، من عند رسول الله ﷺ^(٣)، عافسنا الأزواج، والأولاد، والضيعات، فنسينا^(٤) كثيراً قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر، فدخلنا على رسول الله^(٥)، قلت: نافع حنظلة يا رسول الله^(٦)، فقال رسول الله^(٧): «وما ذاك؟» قلت: يا رسول الله^(٨) نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة، كأننا رأي عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا^(٩) الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيراً، فقال رسول الله^(١٠): «والذي نفسي بيده، لو تدومون^(١١) على ما تكونون عندي^(١٢) وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم، وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة) فتفطن الصحابة لتغير القلب، عند مفارقة النبي ﷺ عن الحالة التي يكون^(١٣) معه عليها، وسألوا النبي عن ذلك، فأخبرهم أن تلك الحالة، لو دامت لصافحتهم الملائكة معانية، وذلك ممنوع من الله للخلق فما يفضي إليه ممنوع، وإلا فلم لم^(١٤) يحضهم عليه، وهل كان فوق منزلة^(١٥) الخلفاء منزلة، يرتقى إليها، وما كلمهم ملك، ولا صافحهم؟.

وأما قوله: إنه^(١٦) يتقدمه^(١٧) نوع من النظر، وهو النظر في حقيقة القلب، فليس له حقيقة، إلا التي لليد، وكلاهما وتيرة^(١٨) وهل هما إلا جسم مركب^(١٩) من لحم، أو من لحم وعظم، وعصب فإن قال: اكشف لي^(٢٠) عن

- | | |
|-------------------------------------|---|
| (١) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. | (١١) د: تدمون. |
| (٢) ج: أخرجنا. | (١٢) ب: - و. |
| (٣) د: - صلى الله عليه وسلم. | (١٣) د: تكون. |
| (٤) ج، ز: نسينا | (١٤) ج، ز: لا. |
| (٥) ب: والله. | (١٥) د: - منزلة. |
| (٦) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. | (١٦) ب، ج، ز: - إنه. |
| (٧) ب، ج، ز: - يا رسول الله. | (١٧) ب: بمقدمة، ج، ز: بتقدمة. |
| (٨) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. | (١٨) ب، ج، ز: وتيرة. والوتيرة هي الطريقة الواحدة، ويقال وتر القوم جعل شفعهم وترأ (القاسموس المحيط). |
| (٩) ز: نافع. | (١٩) د: تركب. |
| (١٠) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. | (٢٠) د: - لي. |

حقيقة القلب، [و ١١ ب] قيل له، واكشف عن حقيقة اليد، ولعلك تظنها هذه^(١) الجارحة المشاهدة، لقد قصر نظرك إن أوقفته^(٢) عليها، هيهات بل^(٣) هي معنى وراء ذلك، فإنك تشاهدها متصرفه^(٤) مقدرة، موجدة، منيلة معينة^(٥) ثم تارة^(٦) و^(٧) صاحبها قائم القناة^(٨) كالخرقة الملقاة، فلورمت أنت وصاحب الجيم^(٩) في طبه، والطائين^(١٠) في طبيعتهما^(١١)، والفاء في إلهيته، أن يذكر في ذلك حرفاً، يفيد علماً، لم تستطيعوه^(١٢) ولولا الطول^(١٣) لسردت عليكم^(١٤) في ذلك مناظرات، من «نزهة المناظر وتحفة^(١٥) الخواطر»، تعجبون منها، فانظروها فيها.

وأما قوله: إن القلب مستعد بذاته، لتعلم^(١٦) المعلومات، فهذا لا يجوز في صفة الإله، فكيف أن يجعل ذلك للقلب؟ لا يصح أن يكون شيء يعلم بذاته، لا من قديم ولا من محدث^(١٧)، وهذا شيء أصوله، ليركبوا عليه انكار الصفات، إنما القلب واليد^(١٨) موجودان خلقهما الله، ويخلق فيهما على الترتيب والتدرج،* ما شاء، ولكل واحد مجراه الذي جعل له، ليس لواحد منهما صفة، إلا أن يخلق الله^(١٩) فيهما ما شاء^(٢٠)، أو لا يخلق.

وأما المرأة، فلا يصح التمثيل^(٢١) بها، في هذه القضية، وأنا أعلم

-
- | | |
|-------------------------------|--------------------------------------|
| (١) ب، ج، ز: هذه. | (١٣) ب: يستطيعوه. |
| (٢) ج، ز: أوقفته. | (١٤) ب: التطويل. |
| (٣) ب: بك. | (١٥) ج: - في ذلك حرفاً يفيد علماً لم |
| (٤) ب، ج، ز: مصرفة. | تستطيعوه ولولا الطول لسردت |
| (٥) د: مفيته. | عليكم. |
| (٦) ب، ج، ز: - ثم. | (١٦) د: وتحف. |
| (٧) كذا في الأصول الأربعة. | (١٧) د: ليعلم. |
| (٨) ج: - و. | (١٨) د: حديث. |
| (٩) ب: ألفياه. | (١٩) ب، ج، ز: اليد والقلب. |
| (١٠) ج، ز: الخيم. | (٢٠) ب، ج، ز: الله يخلق. |
| (١١) ب: وطاين، ج، ز: والطاين. | (٢١) ب، ج، ز: ما يشاء. |
| (١٢) ب: صبيعتها. | (٢٢) ج، ز: التمسك. |

بسرهم^(١) فيها، واعتقادهم في حقيقتها، فإنهم بنوها على أن الإدراك فيها، وإنما يكون بانعكاس الأشعة على زوايا في مرايا، وذلك مذكور في كتب المناظر وخاصة النسوية إلى بني الهيثم، وإنما يذكرونها جبهة^(٢) للناس، وتشكيكاً^(٣) لهم، وسكوناً إلى أن علماءنا قد احتجوا بها، وعولوا في رؤية الباري عليها، وأنه مرئي في غير جهة، ونحن الآن لا نفتقر إليها، فلا نسلمها، ولا نخوض معهم فيها، وأنا أعلمكم أنهم إذا اجتمعوا مع إخوانهم المعتزلة، فتذاكروا^(٤) أنا نحتج في [و١٢ أ] مسألة رؤية الباري في غير جهة بمسألة المرأة، ضحكوا منا، وفككها بنا، وحكموا بالجهالة علينا.

ولقد مشيت يوماً بعسقلان، إلى محرس باب غزة^(٥) وقد كان القاضي حامد المعتزلي الحنفي^(٦) ورد علينا بها، فاجتمع عليه^(٧) الشيعة، والقدرية، وأهل السنة على طريقتهم، في قصد الواردين المتحلين^(٨) بالعلم، والمتسبين^(٩) إليه^(١٠) وكانت^(١١) بيني وبينه معرفة في المسجد الأقصى، فقال له أحد أصحابه: هل يحكم^(١٢) بكفر الأشعرية، في قولهم: إن الباري يرى؟ فقال^(١٣) له القاضي حامد: لا يحكم^(١٤) بكفرهم لأنهم يقولون: إنه يرى في غير جهة، فيذكرون^(١٥) ما لا يعقل، ومن قال ما^(١٦) لا يعقل لا يكفر، وفي هذا الكلام نظر يأتي بيانه^(١٧)، إن شاء الله تعالى، وإنما ذكرته لكم لتعلموا قدرنا^(١٨)

(١) ب، ج: قصدهم، ز: قصدهم.

وعلق عليه في الهامش مصححا من

الأصل المقابل عليه.

(٢) د: حساً.

(٣) ب: وتسكيناً.

(٤) ب، ج، ز: فذكروا.

(٥) د: غزة.

(٦) لم نعثر له على ترجمة بعد البحث

الطويل.

(٧) ج: إليه.

(٨) ج، ز: المتحلين.

(٩) ج: والمنسبين.

(١٠) د: - إليه.

(١١) ب: كان.

(١٢) ب: تحكم، ج، ز: نحكم.

(١٣) ب، ج، ز: قال.

(١٤) ب، ج، ز: نحكم.

(١٥) ب، ج، ز: ويذكرون.

(١٦) ج: - ما.

(١٧) د: + بعد هذا.

(١٨) ج، ز: قدر ما.

عندهم، ولولا أنكم لم تتمرنوا بالهندسة، لأريتكم^(١) من خطئهم في المرأة ما لا يخفى على من تعلق بشيء من الطريقة.

ولقد قلت يوماً لبعض حذاقهم وقد تفاوضنا في المناظر^(٢)، بسبب القول في رؤية الله عز وجل، على اتصال الأشعة، وانعكاسها بصقالة الأجسام فقلت له: فهذا الماء الصقيل إذا نظرت إليه، رأيت نفسك معكوساً فيه، وأنت مستقيم عليه، فإن كان الإدراك في الصقيل، لا يكون إلا بانعكاس الشعاع، فهذا أيضاً^(٣) انعكاس في انعكاس، فكيف التقيا على^(٤) خط، وانحرفا في زاوية؟ فبهت، وجرى من الكلام ما لا فائدة لكم في ذلك^(٥) لأنه ليس من ألبابه^(٦)، فأنزلوا معهم إلى أن^(٧) القلب محل العلم، فمن أين يقولون إنه صقيل، ولصقالته^(٨) تجلت المعلومات فيه؟ فلا يجدون^(٩) شيئاً يعولون عليه، إنما الباري يخلق في القلوب^(١٠)، إدراك العلوم، ابتداء ويركبه^(١١) فيجري التدبير فيها والتقدير [و ١٢ ب] والتفكير على نظام، فذلك النظام^(١٢) المستقيم الجاري على القوام^(١٣) والتقويم^(١٤)، سماه سبحانه شرحاً تارة، وتنويراً أخرى، تعليماً منه خلقه حين^(١٥) لم يتأت^(١٦) لهم نظام، في الأفعال المحسوسة إلا بأنوار الله^(١٧)، النور المحسوس، والنور المعقول، فاعرفه، واعترف، وأقدره قدره، وأنسبه إلى نسبته^(١٨)، وأنزله^(١٩) منزلته، ولا تعد به^(٢٠) عن محله.

- | | |
|--|--|
| (١) ج: ليتكلم. | (١٢) ج: - النظام. |
| (٢) ج: المناظرة. | (١٣) د: القيام. |
| (٣) د: إذا. | (١٤) ج، ز: - والتقويم. |
| (٤) ب، ج، ز: في. | (١٥) ب، ج، ز: حتى. وصحح في الهامش. |
| (٥) ج: ألك. | (١٦) ب، ج، ز: + منه. |
| (٦) ب: الباب. | (١٧) د: والله، وصحح في متن ب، ج، ز: وكتب على هامش ب: فله. |
| (٧) ب: - أن. | وعلى هامش ج، ز: والله. على أن ذلك كان في الأصل المقابل به. |
| (٨) ج: والصقالة، د: وبصقالاته. | (١٨) ج: نسبة، ب: نيه. |
| (٩) ب، د: تجدون. | (١٩) ب، ج، ز: + في. |
| (١٠) ب، ج، ز: القلب. | (٢٠) ب، ج، ز: لا تعديه. |
| (١١) ج، د، ز: ومرتبة. ولعله ويرتبه. وصحح في هامش ج، ز: يركبه، واختار ابن باديس: يرتبه. | |

وأما دعواهم رؤية الملائكة والأنبياء، وسماع كلامهم، فذلك ممكن للكافر والمؤمن، فأما رؤية الكافر له^(١)، فعقوبة، وحجة^(٢) وبلاء^(٣)، وفتنة، وأما رؤية المؤمن^(٤) فكرامة، ولو كان رؤيتهم للملائكة - كما يقولون - لصفاء القلب^(٥) فيتجلون فيه^(٦) لاقتصرت^(٧) رؤيتهم على القلب الصقيل، ولم يرههم قلب لصدأ^(٨)، قد تراكم بالرين، وهذا مما يمنعونه سرّاً، ولا يقدرّون عليه جهراً، لأنهم يتظاهرون بالإسلام، فأما الفلاسفة فيمنعونهم^(٩)، وسيأتي الكلام معهم في طريقتهم^(١٠)، في الأدلة، وعقيدتهم في الملة إن شاء الله تعالى^(١١). وقد سمعت الصحابة كلام الملائكة، وسمعها من لم يؤمن، ورأوها^(١٢) في صورة الأدمي، ورأوها^(١٣) في صورة النحل^(١٤)، ولم يكونوا من صفاء القلب، وقطع العلائق بحيث يشترطون في رؤيتهم، وإن كانوا من تقوى الإله، وفضل المعرفة، بأوفى مرتبة، فهذه^(١٥) دعاوى باطلة، لا أصل لها في منقول ولا معقول.

وأما قولهم: إن النفس تؤثر من^(١٦) ذاتها حتى تترقى إلى جنسها^(١٧)، حتى تترقى إلى العوالم^(١٨)، فيبعد أن يتخيل هذا غاقل، فكيف عالم، إنه ليس لشيء تأثير، ولا صنع^(١٩)، ولا توليد، لما^(٢٠) ثبت من الأدلة في موضعه، فإنه^(٢١) لا خالق إلا الله، ولا يخرج من العدم إلى الوجود شيء إلا بقدرته [و ١٣ أ] وقد دللنا على ذلك في موضعه، واعطف على شيخنا بالكلام، دون غيره من

- | | |
|----------------------------------|--------------------------------|
| (١) ب، ج، ز: - له. | (١١) ب، د: - تعالى. |
| (٢) ب: وحجه. | (١٢) ب، ج، ز: ورأها. |
| (٣) ب: وبلاء. | (١٣) ب، ج، ز: ورأها. |
| (٤) ب: + له. | (١٤) ب، د: النحل. |
| (٥) ب: + الصقيل. ويبدو أنه مشطوب | (١٥) ج، ز: فهذا. |
| كما أشار إلى ذلك ابن باديس. | (١٦) ب، ج، ز: في. |
| (٦) ب، ج، ز: فيها. | (١٧) ب: - حتى تترقى إلى جنسها. |
| (٧) ب، د: لاقتصرت. | (١٨) د: أبعد ألم. |
| (٨) د: يصدأ، ج، ز: بصدأ. | (١٩) ب، ج، ز: منع. |
| (٩) ب، ج، ز: فمنعوه. | (٢٠) د: بما. |
| (١٠) د: طريقتهم. | (٢١) ب، ج، ز: بأنه. |

الأنام، لما بيني وبينه من مجلس ومقام، فأقول له^(١) : سبحان الله هل أخذنا عنك في^(٢) كتاب، وقيدنا على كل باب، إلا^(٣) أن الله منفرد بالإيجاد، متوحد بالاستبداد وأن ما سواه لا ينسب إليه فعل، ولا يناط به حادث، وأين ما سردت في مناجاة النملة والقلم، حتى انتهيت إلى المنهج الأمم، وأين التبري من الوقوف على تلك المنازل، في النوازل، والترقي على تلك الدرجات في المدارج، حتى انتهيت إلى بحبوحة القدس، فالآن ترد التأثير إلى النفس، هيهات، إن ما يخلقه الله في بدن العائن، هو كما يخلقه^(٤) في بدن المسخور، كما يخلقه في بدن المضروب والمقتول، كما يخلق حركة الخاتم بحركة اليد، أين ما قيدت، بعد أن انفردت في «الاقتصاد» و«المستصفى» وما رويت عن إمام الحرمين في مدارك العقول، مما قيدناه في انفراد الباري بالإيجاد، وحده، وكل مخلوق محل لمجاري مقادير الله؟.

فإن قلت: إن النفس تؤثر ذلك، عند تعلق القصد منها إليه، قلنا: هذا فاسد من ثلاثة أوجه^(٥): الأول: إن هذا ما يجب أن يثبت أولاً، مشاهدة، أو بخبر^(٦) صدق، يوجب العلم، وحينئذ تنسبه^(٧) إلى الله إيجاداً بالقدرة الأولية^(٨) في الأصل، وتجعل النفس، وما تعلقت به محلاً^(٩) لمجازي مخلوقات الله. الثاني: إنه وإن كان^(١٠) انكشفت له المعلومات، واتضحت له المعقولات، واستبصر بالحقائق، والكائنات، فليس في قوة القلب، تأثير في الإيجاد، وإنما غاية الإدراك، والكشف، فأما تعديه إلى الإيجاد، فلا يصح بحال. الثالث: إنك إن^(١١) قلت: وجدناه^(١٢) بالتجربة، فهذا عمر قد قال: يا سارية الجبل، وهذا الأوزاعي قال لرجل يعظه [و ١٣ ب]: لو أطعت الله، وقلت لهذا الجبل ادن لجاءك، فتدكدك الجبل، وسعى حتى دنا من الأوزاعي،

(٧) ب، ج، ز: ينسب.

(٨) ج، ز: الأزلية.

(٩) د: مثلاً.

(١٠) د: - كان.

(١١) ب، ج، ز: قد.

(١٢) ب، ج، ز: وجدنا.

(١) ب، د: - له.

(٢) د: + كل.

(٣) ج: الأول.

(٤) ب، ز: + الله.

(٥) ب، ج، ز: لا يصح من أوجه.

(٦) ب: خبر.

فقال له: إليك عني إنما هو مثل ضربته لصاحبنا^(١) هذا، قلنا: هذا الآن قول في كرامات الأولياء، وهي أصل الدين وعمدة من عمد المسلمين، لا ينكرها إلا جاهل، اتفق عليها العلماء، واختلفوا هل هي^(٢) خرق عادة، أو إجابة دعوة، ونحن الآن لا^(٣) نخوض في النظر فيها^(٤) فإنها^(٥) تجوز بخرق العادة، على شروطها التي بينها في أمالينا، ولكنها إذا جرت، لا تجري بتأثير^(٦) نفس، وإنما يسأل العبد الصالح ربه فيجيب دعاءه في مطلبه^(٧)، ويكشف له بالمعرفة عن خفايا جهله، وهذا من الجائز القليل الوقوع، لكن الناس قد أكثروا فيه الرواية، وادعت^(٨) طوائف كثيرة هذه^(٩) المنزلة، فأحدث الإكثار من ذلك إنكاراً واستبعاداً، في نفوس أكثر الخلق.

وأما اضطراب الجبل للأوزاعي^(١٠)، فلا يلتفت إلى روايته، وإنما اضطربت الجبال^(١١) بمكة والمدينة لمحمد^(١٢) وأصحابه، وهذا باب آخر لا ينتفع به قائلة فيما نحن فيه بسبيله، فقد بيناه، في موضعه بدليله.

قال القاضي أبو بكر^(١٣) رحمه الله^(١٤): والذي قيدت عنه وعن غيره قبله، سماعاً ورواية، أن النبوة ليست بصفة ذاتية للنبي وإنما هي عبارة عن قول الله تعالى^(١٥) بلغ^(١٦) إلى خلقي كلامي، وهذا مما لا يصل إليه أحد بعمل، ولو كان أوفى^(١٧) من عمل الملائكة والأدميين، وإنما يأتي موهبة من الله، وهذه الموهبة التي ليس لأحد فيها حيلة^(١٨)، دليل من الله، وهي خرق العوائد وتأثيرات في

-
- | | |
|---------------------------|----------------------------|
| (١) ب، ج، ز: لصاحبي. | (١١) ب، ج، ز: اضطرب الجبل. |
| (٢) د: + في. | (١٢) د: بمحمد. ب، ج، ز: |
| (٣) د: - لا. | + صلى الله عليه وسلم. |
| (٤) د: - فيها. | (١٣) د: قال أبي. |
| (٥) د: بأنها. | (١٤) د: رضي الله عنه. |
| (٦) ب، ج، ز: بتأثر. | (١٥) د: - تعالى. |
| (٧) د: مصلبة. | (١٦) د: أبلغ. |
| (٨) ب: ودعت. | (١٧) ب، ج: أوفر. |
| (٩) ب، ج، ز: لهذه. | (١٨) ب، ج، ز: + عليه. |
| (١٠) ب، ج، ز: - للأوزاعي. | |

العالم، من فعل الله تشهد بصدق الرسول، فلا يصح أن تكون شهادة، فيوردها^(١) في غير محلها، ولا تكون من فعل أحد غير الفاعل [و ١٣ ب] المطلق بالحقيقة، وقد قيدنا عنه أن ذلك من قوى النفس، بالتأثير^(٢) في الأجسام العلوية، وأن ذلك مما لا ينكر أن يكون للأنبياء، قال: وإنما ينكر اقتصارهم عليه، ومنع قلب العصا ثعباناً، قال أبو بكر بن العربي^(٣): وأنا أقول: إني لا أنكره، ولكني^(٤)، أقول: إن^(٥) هذا التأثير ليس^(٦) للنفوس، وإنما هو مما يخلقه الله بقدرته، وإرادته، للنبي مع التحدي، ليكون معجزة، أو مع عدم^(٧) التحدي فيكون آية وكرامة، فأما أن يجري^(٨) على حكم النفوس مجرى^(٩) الأشياء المعتادة والتأثيرات^(١٠) المتعارفة فلا، وسترى ذلك في الإملاء على التهافت إن شاء الله.

وبعد النظر الطويل الذي هذه إشارته^(١١) خرجت عن هذه الغمرة التي أوجبها استرسال مثله، في هذه الألفاظ القلقة، التي لا يصح^(١٢) أن يكون فيها إذن لأحد ليذكرها، فضلاً عن أن يحققها، ويسطرها، وهي أخلاط غالبية على الفؤاد^(١٣)، ومعاني حائدة عن سنن السداد.

-
- | | |
|---------------------------------|-----------------------|
| (١) ب، ج، ز: فتوردها. | (٨) د: تحدي. |
| (٢) ب، ج، ز: بالتأثير. | (٩) د: تحري. |
| (٣) د: قال أبي. ب: - بن العربي. | (١٠) ب، ز: التأثيرات. |
| (٤) ب: ولكن. | (١١) د: هو إثارة له. |
| (٥) ب، ج، ز: - إن. | (١٢) ب، ج، ز: تصح. |
| (٦) ب: - ليس. | (١٣) ب: الفوائد. |
| (٧) ج: - عدم. وعلق على الهامش | |
| تصحيحاً له: غير. | |

الموقف الثالث

قالت طائفة لا معلوم إلا المحسوس المدرك من الخواس، أو^(١) ما يظهر في النفس ابتداء، مما لا ريبه فيه، كجواز الجائزات، واستحالة المستحيلات، فأما هذه المعارض التي تدعي، ويتعرض لها بالاكْتساب، والفكر، في تفاصيل طرقها، حتى تحصل، فليس وراءها طائل، لاختلاطها وتشابها وعدم الوصول إليها، ومتى رأيت نظارين^(٢) اتفقاً، أو دليلاً^(٣) وقف بك على منتهى؟ بل ترجع^(٤) عنه^(٥) تارة، وتشك أخرى، وهذا مما لا يوثق به، لا^(٦) سيما إذا تعارضت الطرق، أو حمل معنى على معنى، ألا ترى أن الحذاء لو حداً نعلًا على مثال، ثم حداً على ذلك الثاني، ثالثاً، وتمادى كذلك إلى سبعة أمثلة، مثلاً^(٧)، فإنك إذا ركب السابغ على الأول، [و ١٤ ب] لم تجده على مثاله، وهذا نظر في المحسوسات، ولكنه لما بعد اضطرب، فكيف فيما يخرج عن سبيل الحس.

عاصمة:

قال القاضي أبو بكر^(٨): قال لي أبو علي الحضرمي بالثغر: ليس هذا مذهباً لأحد، وإنما أوردته الملحدة، من^(٩) الخرمية^(١٠) والباطنية، تشكيكاً، وتشغيلاً، وإلا فهم مقطوعون في أول كرة، بالطريقة التي افتتح بها العلماء

- | | |
|---------------------------|------------------------------------|
| (١) ج: وما. | (٧) ب، ج، ز: - مثلاً. |
| (٢) ج: النظرين. ز: نظرين. | (٨) د: قال أبي رضي الله عنه. |
| (٣) ب، ج، ز: دليلاً. | (٩) ج: - من. |
| (٤) ب: ترجع. | (١٠) ب، ج، ز: الخرمية. د: الخدمية. |
| (٥) ب، ج، ز: - عنه. | وصوابه: الخرمية كما أثبتنا. |
| (٦) ب: ولا سيما. | |

تصانيفهم، ونقول لهم بعد ذلك: هذا الكلام، تطردونه في الأعمال والعقائد، أو تقصرونه؟^(١) فإن طردوه في الأعمال والتصرفات، وطلب المعاش^(٢)، فكلها نظري، لا ضرورة فيه قطعاً، أو قصروه^(٣) على الاعتقادات الباطنة، قيل لهم: الأعمال التي سلمتم^(٤) جريان النظر فيها، إنما ترتبط بالعقائد، لأنها تنعقد أولاً، ثم ترتب بالنظر، ثم يبرز العمل ما انعقد من ذلك واستقر، فدل ذلك على صحة النظر، فإذا^(٥) صح النظر فيها، لإفادته، دل على صحة النظر في الاعتقاد وحده.

فإن قيل: علمنا صحة النظر في الأعمال بالعثور على المقصود قطعاً، أو بالخطأ فيه قطعاً، قلنا: عنه جوابان: أحدهما^(٦): إن الذي قدم النظر في الاعتقاد أولاً، هو رجاء الحصول، كذلك في مسألتنا، ثم يكون بعد ذلك العثور على شيء أو عدمه^(٧)، نظراً^(٨) آخر^(٩).

الثاني: أنا كذلك نعثر على المطلوب، بالنظر في باب الاعتقاد، والسقوط عنه، وليس يلزم أن يستوي النظر^(١٠) في^(١١) العقائد، كما لم^(١٢) يلزم^(١٣) أن يستوي النظر في الأعمال، فإن منها ما يبدو قريباً، ومنها ما يبعد، ومنها ما يقع العثور فيه على المطلوب، ومنها ما يخطئ^(١٤)، ويعلم أنه من تقصير، ومنها^(١٥) ما يشكل عليه فيتوقف، ولا يعترض ذلك على أصل النظر، في

بقدر كلمة. وكتب في بياض ز: صح.

(١٠) د: النظران.

(١١) د: + الأعمال.

(١٢) د: - لم.

(١٣) ب: - أن يستوي النظر في العقائد

كما يلزم. وكتب على الهامش:

(والعقائد كما يلزم أن يستوي النظر

في الأعمال) ولعل الصواب: «في

العقائد» بدل «والعقائد». كما اقترح

ابن باديس.

(١٤) د: يخطئ.

(١٥) د: منه.

(١) ج: وتقصرونه.

(٢) د: المقائس.

(٣) ج: وقصروه.

(٤) د: سلمتم.

(٥) د: وإذا.

(٦) ج: بياض مكان «إحدهما».

(٧) ب، ج، ز: بياض بعد «عدمه»

بقدر كلمة. وكتب في بياض ز: صح.

(٨) ب، ج، ز: نظر، وبعده بياض

بقدر كلمة. وكتب في بياض ز:

صح.

(٩) ب، ج، ز: بياض بعد «آخر»

الأعمال بالإبطال [و ١٥ أ] وقد يقال: أنتم إنما مقصدكم ترك^(١) النظر، حتى لا يكون ابتلاء ولا وظيفة^(٢) ولا يقبل من نبي قول، لأنكم لم تقدروا على تحقيق ذلك، فبذتموه، فأنت - كما قلت لمن حظر^(٣) - إذا نظرت في الكيمياء عمرك وقد سمعت بعدها أو فقدها، فلم يقطعك ذلك عنها، وكذلك أنت الذي خرجت تطلب الكنوز في القبور، وفي المواضع التي ترجوها فيها، أو لا ترجوها، ويأتيك المنجم، فيقول لك ربيع هذه البقعة فاقتضت الطوالع أن فيها مالاً^(٤) فغدوت تعني^(٥) قلبك وبدنك فيها ومالك، بأي المحسوس أدركت ذلك؟ هل فعلته إلا بنظر أصله طمع؟ فكيف لم تنظر^(٦)، في^(٧) أوليتك ومن أولك و^(٨) وأخرك، ومن صورتك وقدرك؟.

وهذا الغرض^(٩) لا تحتقره^(١٠)، فإننا قد رددنا به عن الباطل، من^(١١) اعتقده، وافهموا أنكم إذا أردتم أن تيقنوا^(١٢) مشككاً، أو تدلوا^(١٣) حائراً، لم يكن فيه شيء أنجع، من أخذه من بابه، وهذه سيرة الله في أدلته مع أوليائه لأعدائه، وسنة أنبيائه في أنبيائه.

وأما مسألة الحذاء، فإنما وقع الخطأ فيها، بتقصير الحذاء، في ضبط المثال، وإلا^(١٤) فلو ارتبط لتحصيله، ولم يعجل في تحصيله، لكان السابع كالأول، وقد جربناه فوجدناه، ولكنه^(١٥) إذا حدا قصر، فلا يظهر التقصير الأول لخفائه، ولا الثاني حتى ائتلف الخطأ على المخطئ فيه، جاء محسوساً،

-
- | | |
|--|---------------------------------|
| (١) ب، ج، ز: - ترك. | (٦) ب: من ينظر، ج، ز: لمن ينظر. |
| (٢) ب، ج: وظيفة. والوظيفة في اللغة تطلق على العهد والشرط. | (٧) ب: - في. |
| (القاموس المحيط). | (٨) ب، ج، ز: أو. |
| (٣) ج، ز: حضر. د: خطر. والمقصود من يحرم النظر في الكيمياء. | (٩) ج، ز: الفرض. |
| (٤) ج: فيها أن مالا. وإشار الناسخ إلى أن في الجملة تقديماً وتأخيراً، فبوضع حرف (خ) على «فيها» وحرف (ق) على «أن». | (١٠) ب، د: لا تحقره. |
| (٥) ب، ج، ز: تفنى. | (١١) ج، ز: + قد. |
| | (١٢) ب، ج، ز: توقنوا. |
| | (١٣) ب، ج: وتدلوا. |
| | (١٤) ب، ج، ز: أولاً. |
| | (١٥) ج، ز: ولكن. |

كالجوهر، فإذا ائلف صار محسوساً، ولو فككت الجسم لانتهى إلى حد، يفوت الآلات، حتى ينتهي إلى حد، يفوت الحس، وهو معقول، حتى ينتهي إلى حد، تقف التجزية^(١) عنده عقلاً بالدليل حسبما بيناه في كتب^(٢) الأصول.

قال القاضي^(٣): وقد رأى هؤلاء المحرومون [و ١٥ ب] أن النظر في علم الكم، متفاوت في الجلاء والخفاء، حتى لقد بينت^(٤) لبعضهم، في طريق الجدال تارة والإرشاد أخرى، إذا قال الرجل: اثنان في اثنين كم يكون مجموعهما؟ فيقال أربعة. فيعيد السؤال عليه في الأربعة، فيقول له: ستة عشر، ثم يعيد حتى ينتهي إلى أعداد مركبة، يفترق فيها إلى أعمال الفكر، وربما لم يصب^(٥) فيها إلا بعد لأي، وكذلك لو قال: أربعة ونصف، ثم يقول له: أربعة^(٦) ونصف، ونصف^(٧) وثمان، ثم يقول له: أربعة ونصف، ونصف^(٨) وثمان، وربع ثلاثة أجزاء من ثمانية وتسعين، رأى نفسه في إشكال طويل فيضره ذلك^(٩)، ولكنه يبرز الوجه فيه^(١٠) بتفكير^(١١).

وإذا دخل في استخراج المجهول من المعلوم افتقر إلى نظر طويل، فيضجره ذلك، ويتركه^(١٢)، حتى إذا احتاج إلى قسمة حق، أو دار، على فرائض مختلفة، لجأ إلى سواه، واستغاث بغيره، وبذل له^(١٣) ما له فيه، ونزل الدنية من الجهل، والاستجداء^(١٤) إلى من هو دونه، فإن كان ذلك محتاجاً ظهر عليه بما له، واشترى منه علمه، وإن كان غنياً، ترفع^(١٥) عنه حتى يخضع له، فإن قال: هذا وإن كان كذلك فإنه^(١٦) يفضي إلى يقين، قلنا له:

- | | |
|------------------------------|----------------------------|
| (١) ب، ج، ز: التجربة. | (١٠) د: فيها. |
| (٢) د: كتاب. | (١١) ب، ج، ز: التفكير. |
| (٣) د: قال أبي رضي الله عنه. | (١٢) ج، ز: طول فيضجره ذلك. |
| (٤) د: بينت. | ونكره. ب: كتب على الهامش. |
| (٥) د: تصب. | وسقط في المتن. |
| (٦) ب: - ثم يقول له أربعة. | (١٣) د: - له. |
| (٧) د: - و. | (١٤) د: الاستجداء. |
| (٨) د: - و. | (١٥) ج، ز: يرفع. |
| (٩) ب، د: - فيضره ذلك. | (١٦) د: - فإنه. |

كذلك^(١) النظر في العقائد الدينية يفضي^(٢) إلى يقين.

فإن قال: فلم اختلف الخلق فيه؟ قلنا: ليس خلاف من خالف في الحق مطلقاً له، إنما علينا أن نعرض عليه الفصول في الأصول^(٣)، حتى يقف على فائدة الدليل، ونحن نقرر لكم، فنقول: إن معظم اختلاف النظار بالحقيقة، في العقائد، ليس^(٤) اختلافهم^(٥) في القواعد، وإنما ذلك لعسر الطريق^(٦)، وكثرة العوائق، وكلال الخاطر، وضعف الهمة^(٧)، وقلة الرغبة، واحتقار الفائدة، وإحدى هذه تبطل الأرض، وإن الله شاء ببالغ حكمته، ونافذ قدرته، أن يجعل الخلق فريقين، كما بينا [و ١٦ أ] ويقسمهم إلى الهدى والضلال، وقسم علمه فيهم إلى الجلي^(٨) الطريق والخفي^(٩) الطريق، ووضع درجات، ليظهر شرف علمه، ولينزل كل أحد منهم في درجة، حتى يتفاضل^(١٠) الخلق، كما كتبه لهم، وأرادهم منهم، وإلا فأى دليل لم يوصل إلى مدلول؟ ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ [النمل: ٦٤]. والنظر في التفصيل، يبين التحصيل، وهذا كله مجاهدة على الدين، وحيل^(١١) في هدم قواعد الشرائع، من الإباحية والتنطيلية^(١٢).

(١) ج، ز: - كذلك.

(٢) د: تفضي.

(٣) ب، د، ز: الوصول.

(٤) د: - ليس.

(٥) د: لاختلافهم.

(٦) د: النظر.

(٧) ب: المنة.

(٨) ج، ز: أجلى.

(٩) ج، ز: أخفى.

(١٠) ج، ز: تتفاضل.

(١١) ب: حيد.

(١٢) ج: والتعصيلية.

الموقف الرابع

قالت طائفة: العلم صحيح، ولا يخلق المرء به، بل يستفيده بالتعلم^(١)، والعلم لا يحصل إلا بالتعلم، وهو طالب العلم، ولا يصح أن يطلب إلا من أهله، وليس له أهل إلا المعصوم، الذي لا يجوز عليه الخطأ، ولا يشك فيما يليقه، وهو الإمام المعصوم^(٢) في كل وقت، يتناقلون العلم من معصوم إلى معصوم، ويتوارثونه من إمام إلى إمام.

قال الإمام أبو بكر^(٣): وهذه^(٤) أول بدعة لقيت في رحلتي، فإني خرجت من بلادي، حين^(٥) الفطرة، فلم ألق في طريقي إلا من كان على سنن الهدى، يعبطني تدني^(٦)، ويزيدني في يقيني، حتى بلغت بلاد هذه الطائفة وزرت بها قبر عمرو، ففجأني^(٧)، من أقوالهم، ما قاله في^(٨) عمارة^(٩) المذكور عمرو:

إذا المرء لم يترك طعاماً يحبه ولم ينه قلباً غاوياً حيث يما
فلا بد أن يلقي له الدهر سبة إذا ذكرت أمثالها تملأ الفسا

كلمات غرارة، خاتمتها نبد الحقيقة والعريضة، والاسترسال على الإباحة، فلو فجئتني بدعة مشبهة، كالقول بخلق القرآن، أو^(١٠) نفي

- | | |
|-------------------------------|----------------------------------|
| (١) د: بالتعليم. | (٨) ب: - في. وعلق ابن باديس عليه |
| (٢) د: - المعصوم و. | بقوله: في نسخة زيادة «في» قبل |
| (٣) د: قال أبي رضي الله عنه. | عمار وتامل التركيب. ولعل هذا |
| (٤) ج، ز: وهذا. | كتب على هامش النسخة التي اعتمد |
| (٥) ب، ج، ز: علي. | عليها، وإلا فإنه ليس له إلا نسخة |
| (٦) ج، د، ز: بديني. | وحيدة اعتمد عليها. |
| (٧) ب: فجئتني. أو فجأني، ج: . | (٩) ب: عمار. |
| ويعجيتني، ز: فجئتني. | (١٠) ب، ج، ز: و. |

الصفات، أو^(١) الإرجاء، لم^(٢) آمن بإغواء الشيطان، وانتدابه، أن يولجني من^(٣) بابيه، فلما رأيت هذه الحماقات أقمت على حذر.

عاصمة:

وقلت: الحمد لله الذي أعذر وأنذر، وثبت [و ١٦ ب] وبصر، هذه أرض ينبغي أن يشد إلى الاعتصام فيها الحزام، ويفض عن غرر^(٤) هذه العورات الختام، وترددت فيها على أقوام، لم يكن عندهم إلا العقائد السليمة، مع مقدمات من الأدلة، لتحصين العقائد عن سورة شبهة، فلبث فيهم^(٥) ثمانية أشهر، لم يبق باطل إلا سمعته، ولا كفر إلا شوفته به، ووعيته، تكاد^(٦) السموات يتفطرون منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدأ^(٧) [مريم: ٩٠] وهم لم يدعوا للرحمن ولداً، ولكنهم جاءوا بأعظم من ذلك كفراً، وعنداً، مع انتهاك^(٨) في الكفر، واستهتار، وانحلال عن ربة الديانة، والمروءة والحشمة، وخلع عذار، فسبحان المهمل لهم من ملك جبار، ثم خرجت عنهم إلى الشام، فوردت البيت المقدس، طهره الله، فألفت فيه ثمانين^(٩) وعشرين حلقة، ومدرستين^(١٠) إحداهما^(١١) للشافعية بباب الأسباط، والأخرى^(١٢) للحنفية، بإزاء قمامة تعرف بمدرسة أبي عقبة، وكان فيه من رؤوس^(١٣) العلماء، ورؤوس المبتدعة، على اختلاف طبقاتهم، كثير، ومن أبحار اليهود، والنصارى، والسمره جمل، لا تحصى، فأوفيت على المقصد، من طريقه، ووعيت العلم بتحقيقه، ونظرت إلى كل طائفة تناظر^(١٤)، وناظرتها بحضرة شيخنا أبي بكر الفهري رحمه الله، وغيره من مشيخة أهل السنة، ثم نزلت إلى الساحل لأغراض نصصتها في كتاب ترتيب الرحلة، وكان الساحل

- | | |
|------------------------------|-----------------------------------|
| (١) ب، ج، ز: و. | (٨) ب، ج، ز: ثمانية. |
| (٢) ج: ولم. | (٩) ب: ومدرستان. |
| (٣) ب: في. | (١٠) ج، ز: إحداهما. د: - إحداهما. |
| (٤) د: عرر. | (١١) د: وأخرى. |
| (٥) د: بينهم. | (١٢) ب، ج، ز: رؤساء. |
| (٦) د: يكاد. | (١٣) ب: + رأسها، في الهامش. ج، |
| (٧) ج، ز: ابتهاج، د: انتهاك. | ز: + رأسها، في المتن. |

المذكور مملوءاً من هذه النحل الملحدية، والمذاهب الباطنية، والإمامية، فطوفت في مدن الساحل، لأجل تلك الأغراض الدينية، نحواً من خمسة أشهر، ونزلت عكا منها، وكان رأس الإمامية بها حينئذ أبو الفتح العكي^(١)، وبها من أهل السنة شيخ، يقال له الفقيه الديبقي^(٢)، فاجتمعت بأبي الفتح في مجلسه، وأنا ابن العشرين فلما [و ١٧ أ] رأي صغير السن، كثير العلم، غزير القول، مصيب القصد^(٣)، منذلقاً^(٤) مدرباً، ولع بي، وفيهم لعمر الله، وإن كانوا على مذهب باطل، انطباع، وإنصاف، وإقرار للرجل بفضله، إذا ظهر، واعتراف، فكان لا يفارقني ويسارعني في السؤال والجدال، ولا يفاترني، فتكلمت على إبطال^(٥) مذهب الإمامية، والقول بالتعليم من الإمام^(٦) المعصوم، بما يطول ذكره في هذه^(٧) العصم.

ومن جملة^(٨) كلامنا فيها أنهم يقولون: إن الله في عبيده أسراراً وله فيهم^(٩) أحكاماً^(١٠)، والعقل لا يستقل^(١١) بدركها، ولا يقوى على نيل^(١٢) الحقيقة من رين ارتباك الشبه، فلا يعرف ذلك إلا من قبل إمام معصوم، وهذا عما ينبغي أن تعلموا^(١٣) أنه راجع إلى القول بالحلل^(١٤)، وإنما عرجوا عنه ليبعدوا منه، وهم عليه^(١٥) مخلقون، وإليه راجعون.

فقلت^(١٦) لهم بعد أن فهمت أمرهم، وتحققت مقصدهم ووعيت عن بعضهم أنه يورده بعبارة أخرى، فيقول: إن الله أمر بالحق، وعلم الصدق،

-
- | | |
|-------------------------------------|-----------------------|
| (١) لم نعثله في ترجمة. | (٨) د: جلته. |
| (٢) ج، ز: الديبقي. | (٩) ج: فيها. |
| (٣) ب، ج، ز: + منطفاً. | (١٠) ب، ج، ز: أحكام. |
| (٤) ج: منذلقاً، د: منذلقاً. وذل | (١١) ج: يشتغل. |
| اللسان صار بليغاً. أما اندلق فمعناه | (١٢) د: سل. |
| اندفع يقال: اندلق السيل. | (١٣) ب، ج، ز: يعلموا. |
| (٥) ج: بإبطال. | (١٤) د: الأول. |
| (٦) د: - الإمام. | (١٥) ج: - عليه. |
| (٧) ب، ج، ز: هذا. | (١٦) ب، ج، ز: قلت. |

على يدي^(١) مبلغ معصوم وهو النبي ﷺ^(٢)، وألا يكن الأمر على هذا فقد زلقنا^(٣) عن درج الحق إلى الباطل، وعن منزلة اليقين إلى الشك، وعن حالة^(٤) الثقة إلى الارتياب، فقلت^(٥): ألمات الإمام المبلغ عن الله لأول ما أمره بالتبليغ أم هو غلخ؟ فقال لي: مات، وليس هذا بمذهبه، ولكنه تستر^(٦) معي به، وإنما حقيقة مذهبه أن الله سبحانه يحل في كل معصوم، فيبلغ عنه، فالمبلغ هو الله، لكن بواسطة حلوله في آدمي، فقلت: هل خلفه أحد؟ فقال: خلفه وصيه علي، فقلت^(٧) له: فهل قضى بالحق، وأنفذه أم لا؟ قال: لم يتمكن لغلبة^(٨) المعاند، قلت له: فهل أنفذه حين قدر؟ قال: منعه التقية، ولم تفارقه من يوم العهد إلى يوم الموت، إلا أنها كانت تقوى تارة، وتضعف أخرى، فلما ولي، بقيت من التقية بقية، فلم يمكن إلا المداراة [و ١٧ ب] للأصحاب لئلا يفتح عليه، من الاختلال أبواب، قلت: وهذه المداراة هي حق أم لا؟ قال: باطل أباحته الضرورة^(٩)، قلت: فأين العصمة؟ قال: إنما تتعين^(١٠) العصمة مع القدرة، قلت: فمن بعده إلى الآن وجدوا القدرة أم لا؟ قال: لا، قلت: فالدين مهمل، والحق مجهول^(١١) مخمل^(١٢)، قال: سيظهر، قلت: بمن؟ قال: بالإمام المنتظر، قلت: لعله الدجال، قال: فما بقي أحد إلا ضحك، وقطعنا الكلام على غرض مني، لأنني خفت أن أفحمه فينتقم مني، في بلاده، قلت: ومن أعجب ما في هذا الكلام، أن الإمام إذا أوعز إلى من لا قدرة له، فقد ضيع، فلا عصمة له، وأعجب منه أن الباري على مذهبه، إذا علم أنه لا علم إلا بالمعلم، وأرسله عاجزاً مضعوفاً، لا يمكنه أن يقول ما علم، فكأنه ما علمه، وما بعثه، وهذا عجز منه وجور، لا سيما على مذهبهم، فرأوا من الكلام ما لم يمكنهم أن يقوموا معه بقائمة،

-
- | | |
|------------------------------------|-----------------------------------|
| (١) ب، ج، ز: يد. | (٧) ب، ج، ز: قلت. |
| (٢) ب، ج، ز: - صلى الله عليه وسلم. | (٨) د: يغلبة. |
| (٣) ج، د، ز: زهقنا. | (٩) ج: لضرورة. |
| (٤) ب، ج، ز: حال. | (١٠) د: تغني. |
| (٥) ب: - فقلت. | (١١) ج: - مجهول. |
| (٦) ب، ج، ز: يسير. | (١٢) د: محمول محل. ز: محمول مجمل. |

وخرج البحث^(١)، وشاع به الحديث، فأراد رئيس الباطنية المسمين^(٢) بالإسماعيلية^(٣)، أن يجتمع^(٤) معي فجاءني أبو الفتح إلى مجلس الفقيه الديلمي، وقال لي: إن رئيس الإسماعيلية، رغب في الكلام معك، فقلت: أنا مشغول، فقال: هاهنا موضع قريب^(٥) قد جاء إليه، وهو محرس^(٦) الطبرانيين، مسجد في قصر على البحر، شامخ البنا مشيد البناء، وتحامل عليّ فقمتم^(٧) ما بين حشمة وحسبة، وللمحرس^(٨) المذكور راحة طويلة فقطعتها، ودخلنا حشمة^(٩) قصر المحرس^(١٠)، وصعدنا إليه، فوجدتهم قد اجتمعوا في زاوية المحرس^(١١) الشرقية، فرأيت النكر في وجوههم، فسلمت، ثم قصدت جهة المحراب، فركعت عنده ركعتين، لا عمل لي فيه^(١٢) إلا تدبير القول معهم، والخلاص منهم، فلعمرو^(١٣) الذي قضى علي بالإقبال إلى أن أحدثكم أن كنت رجوت الخروج من^(١٤) ذلك المجلس أبداً، ولقد كنت أنظر إلى البحر يضرب في حجارة سود [و ١٨ أ] محدة تحت طاقات المحرس، فأقول هذا قبري الذي يقذفون بي^(١٥) فيه، وأنشد في سري:

ألا هل إلى الدنيا معا وهل لنا هوى البحر قبر أو سوى الماء أكفان

وهي كانت الشدة الرابعة من شدائد عمري، التي أنقذني الله منها. فلما سلمت، استقبلتهم، وسألتهم عن أحوالهم عادة، وقد اجتمعت إلى نفسي، وقلت: أهون ميتة، وأشرفها، في أكرم موطن أناضل فيه عن الدين، وأكون قيم المسلمين، فقال لي أبو الفتح، وأشار إلى فتى حسن الوجه: هذا سيد

- | | |
|---|-----------------------|
| (١٠) ج، ز: المحرس. | (١) د: الحيث. |
| (١١) ز: المحرس. | (٢) ب، ج، ز: المشهور. |
| (١٢) كذا في الأصول الأربعة، أي في الركوع. | (٣) ز: الإسماعيلي. |
| (١٣) ب، ج، ز: فلعمري. | (٤) ج: ويجتمع. |
| (١٤) د: عن. | (٥) د: مرتب. |
| (١٥) ب: يقذفوني، ج: يقذفوني، د: يذفوني. | (٦) ج، ز: محرس. |
| | (٧) د: - ما. |
| | (٨) ج، ز: للمحرس. |
| | (٩) ب، د: - حشمة. |

الطائفة، ومقدمها، فدعوت له، وسكت، فبدائي، ويدرني، وقال لي^(١): قد بلغتني^(٢) مجالسك، وانتهى إلى كلامك، وأنت تقول: قال الله، وفعل الله، فأني شيء هو^(٣) الله، الذي تدعو إليه، وتكثر من ذكره؟ أخبرني، وبين لي، واخرج عن هذه المخارقة التي جازت لك، على هذه الطائفة الضعيفة، وقد احتد^(٤) نفساً، واحتدم قلباً^(٥)، وامتلاً حنقاً وغيظاً، وجثا على ركبته^(٦)، كما عاث بقولته^(٧)، ولم أشك أنه لا يتم الكلام إلا وقد اختطفني أصحابه قبل الجواب، وعمدت بتوفيق الله إلى كنانتي، واستخرجت^(٨) منها سهماً صائباً، كان من عددي، فضربت به حبة قلبه، فسقط لليدين وللنفس، ولم تبق له كلمة تجري على القلم^(٩)، وشرح ذلك أن الإمام أبا بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي الجرجاني^(١٠) قال: كنت أبغض الناس في من يقرأ علم الكلام، وذلك لأنه كان مقدماً^(١١) في علم الحديث، عارفاً به^(١٢) قال^(١٣): فدخلت يوماً الري فعمدت إلى جامعها فدخلته واستقبلت سارية، أركع عندها، وإذا فيما يجاورني رجلان وهما يتذاكران^(١٤) علم الكلام، فتطيرت بهما، وقلت في نفسي^(١٥) أول ما دخلت هذا^(١٦) البلد سمعت فيه ما أكره، وجعلت أخفف الصلاة، حتى أبعد منها^(١٧) فعلق بي من قولها: إن [و ١٨ ب] هؤلاء الباطنية

(١٠) فقيه شافعي ومحدث وحافظ وكان ثقة
حجة توفي سنة ٣٧١ هـ / ٩٨٢ م
(الذهبي، العبر، ج ٢ ص ٣٥٨ - ٣٥٩).

(١١) ب: معرقاً أو مغرقاً، ج: ز: معرقاً، وكتب على هامش ج: ز: مقدماً.

(١٢) ب، ج، د، ز: عرفاً فيه. وعلق على هامش ج: ز: عارفاً به.

(١٣) د: - قال.

(١٤) د: وهم يتذاكرون.

(١٥) ب، ج، ز: - في نفسي.

(١٦) ب، ج، ز: هذه.

(١٧) د: عنهما.

(١) ب، ج، ز: - لي.

(٢) ج، ز: بلغني.

(٣) ج: هو.

(٤) ج: - احتد.

(٥) ب، ج، ز: جلدأ. والحب: يقال

حلب أي جلس على ركبته، والقوم

حلوباً أو حلباً أي اجتمعوا من كل

وجه.

(٦) د: ركبته.

(٧) ب، ز: علمت بقوله. وعلق على

هامشها ب: عاث بقولته. ج:

علمت بقوله. د: عاث بقوله.

(٨) ج: تكرر: استخرجت.

(٩) د: العلم.

أسخف خلق الله عقولاً، وينبغي للتحرير أن لا يتكلف لهم دليلاً، ولكن^(١) يطالبهم بلم؟ فلا قبل لهم بها، ولا معدل معهم عنها، وسلمت مسرعاً، وشاء الله بعد ذلك أن يكون رجل من الإسماعيلية، ولقهم القرامطة يلقون الأمر إلى معرفتهم^(٢)، فكشف القناع في الإلحاد وجعل يكتاب وشمكير الأمير، يدعوه إلى الإلحاد، ويقول: إني لا أقبل دين محمد إلا بالمعجزة، فإن أظهرتموها رجعنا إليكم، وانجرت الحال إلى أن اختاروا رجلاً جلدأً، منهم^(٣)، له دهاء ومنة، فورد على وشمكير رسولاً، فقال له: إنك أمير، ومن شأن الأمراء والملوك أن يتخصص^(٤) عن العوام، ولا تقلد^(٥) في عقيدتها، وإنما حقهم أن يفحصوا عن البراهين، فقال له وشمكير، اختر^(٦) رجلاً من أهل مملكتي، ولا أنتدب للمناظرة بنفسي، فيناظره^(٧) بين يدي فقال^(٨) له الملحد: اخترت أبا بكر الإسماعيلي لعلمه بأنه ليس من أهل التوحيد، وإنما كان إماماً في الحديث، ولكن كان وشمكير^(٩) يعتقد فيه، أنه أعلم أهل الأرض، بأنواع العلوم، فقال له وشمكير^(١٠): تيك مرد أي رجل جيد، فأرسل الملك إلى أبي بكر الإسماعيلي، بجرجان ليرحل إليه إلى غزنة، حتى يناظر الإسماعيلي، لما كان يسمع من ذكره، وإمامته في الحديث، والملك بعاميته يعتقد أنه قائم على كل علم وأنه ليس فوقه أحد، ولا وراءه مطلب، فلم يبق أحد من العلماء إلا يشس من الدين، وقال: سيهت الإسماعيلي، الكافر مذهباً، الإسماعيلي الحافظ نسباً، ولم يمكنهم أن يقولوا للملك: لا علم عنده لثلاثتهم بالحسد، فلجأوا إلى الله أن ينصر دينه وعولوا عليه. قال الإسماعيلي: فلما جاءني البريد، وأخذت في المسير، وتداننت^(١١) الدار [و ١٩ أ]، قلت: إنا لله، وكيف أناظر، فيما لا أدري، وأتكلم بما لا أعلم،

(٧) كذا في الأصول الأربعة.

(٨) ج، ز: - له.

(٩) د: + الأمير.

(١٠) ج، ز: نيك. والعبارة فارسية.

(١١) د: + بي.

(١) ج: ولكنهم.

(٢) د: معرفتهم.

(٣) ب، ج، ز: منهم جلدأ.

(٤) د: يتخصص.

(٥) د: يقلد.

(٦) ب، ج، ز: اختروا.

هل أتبرأ عند الملك أولاً، وأرشدته إلى من يحسن الجدل، ويعلم حجج الله في خلقه على صحة دينه، وندمت على ما سلف من عمري، ولم أنظر في شيء من علم الكلام، ثم أذكرني الله ما كنت سمعته من الرجلين بجامع الري، فقويت نفسي، وعولت على أن أجعل ذلك عمدي، وبلغت البلد، وتلقاني الملك، واستراح^(١)، ثم جمع الخلق، وحضر الإسماعيلي المذهب مع الإسماعيلي النسب، وقال الملك للإسماعيلي الباطني: اذكر قولك يسمعه الإمام، فلما أخذ في ذكره، واستوفاه قال له الإسماعيلي الحافظ: لم؟ فلما سمعها الملحد قال: هذا إمام قد عرف مقالتي، فبهت، فقال له الملك: (إذا ناشمند ورضين)^(٢) ورجع إلى أصحابه وهو يشير إلى الإسماعيلي ويقول: (أجور مردد أنشمند) وروي أنه قال: (يا كشنخان^(٣) خوستي كه بيك)^(٤) فرد^(٥) مناظره وطرده، قال الإسماعيلي: فخرجت^(٦) من ذلك، وأمرت بقراءة علم الكلام، وتحققت أنه عمدة من عمدة الإسلام، قال القاضي أبو بكر^(٧): وحين انتهى بي الأمر إلى المقام المتقدم، قلت: إن كان في الأجل نساء^(٨)، فهذا شبيه بيوم الإسماعيلي، فرددت وجهي إلى أبي الفتح الإمامي^(٩)، وقلت له: لقد كنت في لا شيء^(١٠)، ولو خرجت من عكا، قبل أن أجتمع بهذا العالم مارحلت إلى غربنا^(١١) عن نادرة الأيام، أنظر إلى حذقه بالكلام، ومعرفته، قال لي: أي شيء هو الله، ولا يسأل بمثل هذا^(١٢) إلا مثله^(١٣)، ولكن بقيت ها^(١٤) هنا نكتة لا بد من^(١٥) أن نأخذها اليوم عنه، وتكون ضيافتنا عنده، لم قلت أي شيء هو الله،

-
- (١) ج، ز: واستراح.
(٢) ب: ياسميس ورجيس. ب: إذ أنا شمنسد ورخين. وهي عبارة فارسية.
(٣) ب: باكشنخان.
(٤) ب، ج، ز: - بيك.
(٥) د: مرد.
(٦) ب، ج، ز: وخرجت.
(٧) د: قال أبي رضي الله عنه.
(٨) ب، ج، ز: شيء.
(٩) د: الإمام.
(١٠) ج: الأسر. وصحح في الهامش.
ز: كتب في الهامش عله: الأسى.
(١١) ج، ز: غزنا. د: خرجت إلا عريان.
(١٢) ج، ز: هذه.
(١٣) ج: الأمثلة.
(١٤) ج: - ها.
(١٥) ب، ج، ز: - من.

فاقتصرت من حروف الاستهغام على أي، وتركت الهمزة، وهل، وكيف، وأين، وكم، وما، وهي أيضاً من [و ١٩ ب] ثواني^(١) حروف الاستهغام، وعدلت من الام، عن حروفه فهذا سؤال ثان، عن حكمة ثانية، ولأي معنيين في الاستهغام، فأَي المعنيين قصدت بها؟^(٢) ولم سألت بحرف يحتمل، ولم تسأل بحرف مصرح بمعن واحد؟ هل ذلك وقع منك بغير علم ولا تحصيل ولا قصد لحكمة^(٣) أم لحكمة؟^(٤) فبينها لنا، فما هو إلا أن افتتحت هذا الكلام، واستخفرت^(٥) فيه، وهو يتغير حتى اصفر آخراً من الوجمل، كما اسودَّ أولاً، من الحقد، ومات قبل أن يموت، ورجع أحد أصحابه الذي كان على يمينه إلى آخر كان بجانبه، وقال له: ما هذا الصبي إلا بحر زاهر من العلم، ما رأينا مثله قط، وهم ما رأوا قط أحداً به^(٦) رفق لأن الدولة لهم، ولولا مكاننا من رفعة الدولة، ملك الشام وأن^(٧) والي عكا كان يحكمنا لأننا جلبنا إليه كتابه بأن يبالغ في برنا، وينتهي إلى الغاية في مكارمتنا^(٨)، ما خلصت منهم في العادة أبداً و^(٩) حين سمعت تلك الكلمة من إعظامي، طلبت ما أمامي وقلت: هذا مجلس عظيم، وكلام طويل، يبين أنه يفتقر إلى تفصيل، ولكن نتواعد إلى يوم آخر، وقمت وخرجت، فقاموا كلهم معي، وقالوا^(١٠): لا بد أن تبقى قليلاً، فقلت: لا، وأسرعت حافياً، فلما جئت الدرايزين^(١١) لم أنزل على الدرج، و^(١٢) وثبت في وسط القصر، وخرجت على الباب إلى الرائعة^(١٣) أعدو، حتى أشرفت على قارعة الطريق، وبقيت هنالك^(١٤)، مبشراً نفسي بالحياة، حتى خرجوا بعدي، وأخرجوا لي، لالكتي^(١٥)

-
- | | |
|-----------------------|------------------------------------|
| (١) د: إخواني. | (٩) ج: - و. |
| (٢) د: بها. | (١٠) ب، ج، ز: + لي. |
| (٣) د: حكمة. | (١١) ج: الدرايزين، ب: الطرايزين. |
| (٤) ب: بحكمة. | ولعله: الطبرانيين. |
| (٥) ب، ج، ز: استخفرت. | (١٢) ج: - و. |
| (٦) ج، ز: له. | (١٣) ب، ج، ز: الزائفة. د: الرائعة. |
| (٧) ب، ج، ز: فإن. | (١٤) د: هناك. |
| (٨) ب: محارمتنا. | (١٥) د: لا لكتي. وهي تشبه الخداء. |

فلبستها ومشيت معهم، متضحكاً، ووعدني^(١) بمجلس فلم أف لهم، إلى أن خرجت عنهم، وخفت وفاتي، في وفائي، وفي ترتيب الرحلة بقية الحديث.

قال القاضي أبو بكر^(٢): وقد كان قال لي [و ٢٠ أ] أصحابنا النصرية^(٣) بالمسجد الأقصى: إن شيخنا أبا الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي^(٤) اجتمع برئيس من الشيعة، فشكا^(٥) إليه فساد الخلق، وأن هذا الأمر لا يصح إلا بخروج الإمام المنتظر، فقال له نصر: هل لخروجه ميقات معلوم أم لا؟ قال الشيعي: نعم لخروجه ميقات، قال أبو الفتح نصر: و^(٦) معلوم هو أو مجهول؟ قال له^(٧) الشيعي: معلوم، قال نصر: و^(٨) متى يكون؟ قال الشيعي: إذا فسد الخلق، قال أبو الفتح نصر: فلم تحبسونه عن الخلق؟ و^(٩) قد فسد جميعهم إلا أنتم فلو فسدتم خرج، فأسرعوا به، وأطلقوه من سجنه، أو نحو هذا، وعجلوا بالرجوع إلى مذهبنا، فبهت، وأظن أنه سمعها من شيخه سليمان بن أيوب الرازي الإمام^(١٠) الزاهد.

تكملة:

وقولهم: إن العقول تقصر فلا بد من معلم صحيح، وقولهم: إن المعلم يكون معصوماً صحيح، ولكن هو^(١١) المعلم الأول الواسطة بين الله وبين الخلق، و^(١٢) يجوز أن يكون واحداً، ويجوز أن يكون ألفاً، وقد بعث الله

(١٠) د: الإمام. هو أبو الفتح سليم (لا

سليمان) بن أيوب بن سليم. وهو

شيخ نصر المقدسي كما ذكر، وفقهه

ومفسر ومحدث، كان مرابطاً بغير

صور بالشام توفي سنة

٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م (الذهبي،

العبر، ج ٣ ص ٢١٣. طبقات

الشافعية الكبرى، ج ٣

ص ١٦٨).

(١١) ب، ج، ز: هذا.

(١٢) ج، ز: - و.

(١) ج: ووعدني.

(٢) د: قال أبي رضي الله عنه.

(٣) ب، ج، ز: النصرية.

(٤) نصر بن إبراهيم بن نصر المقدسي

الناقلي زاهد شافعي رئيس شافعية

الشام توفي سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٧ م

(الذهبي، العبر، ج ٣ ص ٣٢٨).

(٥) ج: فشكر.

(٦) ب، ج، ز: - و.

(٧) ب، ج، ز: - له.

(٨) د: - و.

(٩) د: - و.

واحدًا، واثنين وثلاثًا^(١)، فأما من يأخذ عن هذه الوسائط، فلا يلزم أن يكون معصوماً، فما دليلكم عليه؟ ولا كلام له بعد هذا يحكى.

قال القاضي أبو بكر: وجرت^(٢) مجالس سوى هذا بيانها في موضعها، منها أنه لما شاع في البلدة المذكورة ذكري، واستفاض أمري، وتفاقم عليهم خطبي، وكان بها أمير من أمراء الشيعة، له باع في الجدل، وميل^(٣) مع التشيع^(٤) إلى مذهب الاعتزال، ودعاء إلى البدعة والضلال، فلما سمع بذكري، ترصد الاجتماع بي^(٥)، فلم يتفق^(٦) إلا يوم التبريز للخروج إلى طبرية، فنزل في رحلي، عليّ، في كبكبه، فجزعنا لعمر الله حين [و ٢٠ ب] حل بنا، لأن الأمر لهم، والدولة دولتهم، والبلاد بلادهم، فلما استوى به الدست، فاتحني^(٧) بالقول، وفي القوم^(٨) بشهادة الله - وإن خالفونا في العقيدة - برّ في اللقاء، وحلاوة في المنطق،^(٩) واحتمال كثير، فقال لي: بلغني أنك جادلت أصحابنا هاهنا، وسمعت بانفصالك، فأردت لقاءك، لأعلم ما عندك، فاطلع^(١٠) قدرك، فتراجعت إليّ نفسي، ووطنتها^(١١) على ما عسى أن تلقى^(١٢) من المكروه في ذات الله، وكان يكلمني بكلام عذب، والنكراء على وجناته بادية، فقلت له: قد كان بعض ما بلغ الأمير، وهو مشكور على اهتباله وبره، ومثله عرف لكل أحد، مبلغ قدره، ولو أرسل إليّ مشيت إليه، مبادراً متشرفاً^(١٣)، بلاقائه^(١٤)، مستعداً^(١٥) برويته^(١٦)، فقال لي^(١٧): ما دليلك على أن الله تعالى عالم بعلم؟ فقوي قلبي، وحضر لبي^(١٨)، واسخفرت^(١٩).

هامش ز: عله: (على) يقصد: على

قدرك.

(١١) ج: ووطنتها.

(١٢) ب: يلقا، د: تنقي.

(١٣) ج: مشرفاً.

(١٤) د: برويته.

(١٥) ج: مستعداً.

(١٦) د: بروائه.

(١٧) ب، ج، ز: - لي.

(١٨) ج، ز: لي.

(١٩) ب، د: واسخفرت.

(١) ج، ز: وثلاثة.

(٢) ب، د: وجدت.

(٣) ب، ج، ز: ميل.

(٤) ج، ز: التشيع.

(٥) ج: - بي.

(٦) ب، ج، ز: ييق.

(٧) ب، ج، ز: فاتحناه.

(٨) ج: - وفي القوم.

(٩) د: واجمال.

(١٠) ب، ج، ز: وأطلع. وعلق على

فقلت^(١): مثل الأمير في منصبه، وفهمه لا يرضى بهذا، فقال لي: وما هو؟ قلت: حكمت علي بأني أقول: إن الله تعالى^(٢) عالم بعلم، ولم تسمع^(٣) ذلك مني، ولا شهد^(٤) بذلك عندك علي، ولو سمعته^(٥)، فمن أدب الجدل السؤال أولاً عن المذهب، ثم بعد ذلك عن الدليل على صحته، فقال لي: قد علمت بالسماع المتواتر أنك أشعري، قلت: هذان وهما، أحدهما: أن الخبر المتواتر لا يوجب عندك شيئاً، وهو مذهب الإمامية، الثاني: أنك^(٦) إذا^(٧) سمعت أي أشعري، كيف حكمت بأني مقلد له في جميع قوله؟^(٨) وهل أنا إلا ناظر من النظار أدين بالاختيار، وأنصرف في الأصول بمقتضى الدليل؟ فبان سمعت أي ناظرت في مسائل على مذهب الأشعري حكمت فيها لم تسمع، بما سمعت، أي نوع هذا من النظر؟^(٩) مثلك لا يرضى به في جلالة منصبه، فصرف وجهه إلى أبي الفتح شيخ الإمامية بها وهو كان جليسي، ومناظري أيام [و ٢١] كوني بها، في كل وقت فسارره، فأخذت من تحريك شفتيه، أنه قال له: هذا صبي لا يطاق، فلما فهمتها، استزدت استرسالاً، وأفضت في الكلام إدلالاً^(١٠)، فقلت: وكان من حق الأمير أن يقبل على مسائله المختصة به، ولا يسألني أولاً عن مسألة ليست له، وإنما هي من مسائل المعتزلة، فأردت أن تجادلني بكلامهم، وأن تفاوضني^(١١) بحجاجهم، وتركت ما يختص بك دونهم كمسألة عصمة الإمام، وكونه المرجوع إليه، والمحكوم في الدين بقوله، فهلاً بدأت بها، وأظهرت علمك فيها، وفخرت على قومك بالكلام عليها^(١٢)، فلما رأى الشدة في الحدة، وقد تحلقت علينا الأجناد والعسكرية، وتشوفت^(١٣) القافلة، وخاف الظهور عليه، حل حبة الجدال، ولاطف في

(٨) د: - في جميع قوله. وصحح في

الهامش.

(٩) ج: - من النظر.

(١٠) ج: إدلالاً.

(١١) ب، ج، ز: تفاوضني.

(١٢) ج، ز: فيها.

(١٣) ج، ز: وتشوفت. ب: وستوفت.

(١) ب، ج، ز: قلت.

(٢) ب، ج، ز: - تعالى.

(٣) ب، ج، ز: يسمع.

(٤) ب، ج، ز: شهدت.

(٥) د: - ولو سمعته. وكتب على

الهامش.

(٦) ج، ز: - إنك.

(٧) ج، ز: إذ.

الكلام والاسترسال^(١)، ودعا مقدم القافلة فقال له: أنظر من معك، واقد قدر صاحبك، ولا تصل إلي إلا بكتابه شاكرًا، وإلا فلا ترجع إلى البلد، فشكرناه، وودعونا له، وقام، فخسر^(٢) ركابه، وحان^(٣) إيا به، وانصرف في كبكته، وقد عصمتنا الله من سطوته، وخرجت عن عكا إلى طبرية، على حوران، والبثينة^(٤)، وعدلت عن بصرى إلى دمشق، لوجوه بينها في كتاب ترتيب الرحلة، فمن هنالك^(٥) أشرق^(٦) الحق بنوره، واتصل المسير إلى دار السلام، فألفت بها^(٧) من رؤساء العلم، ورؤوسه، وأشياخ الملة، وأحبارها، ما يملأ الخافقين، فقلت: هذه ضالتي التي كنت أنشد^(٨)، وكان فيها قاضيان عظيمان دينا في الظاهر، أبو اليمن الحنفي^(٩)، وأبو سعد الهروي^(١٠) فجالستهما وسمعت كلامهما، وإذا بهما^(١١) على هذا المذهب وأحدهما وإن كان يلوّح فأبو سعد كان يصرح، ولم يكن يظن أن عندي من مذهب القوم، وأغراضهم علمًا^(١٢) وفشا ذلك في خراسان، من لذن موت أبي الفتح

المعتزلة وكان لهما مجلس للمناظرة

بدارهما ببغداد وتوفي أبو اليمن سنة

٤٩١ هـ / ١٠٩٧ م (القنبري،

الجواهر المضية، ج ٢ ص ١٧٠).

(١٠) محمد بن نصر بن منصور قتلته

الباطنية بهمدان وقد ولي القضاء

بعده أقاليم قيل حنفي وقيل شافعي

توفي في سنة ٥١٩ هـ / ١٢٢٥ م

(طبقات الشافعية الكبرى، ج ٤

ص ١٩٥) وهناك أبو سعيد الهروي

آخر توفي في حدود الخمسمائة

(طبقات الشافعية الكبرى، ج ٤

ص ٣١).

(١١) د: وآدابها.

(١٢) د: - علمًا.

(١) د: والاستزال.

(٢) ب: فحسن. ج: فحس.

(٣) ب، ج، ز: وخاب.

(٤) ب: والبثينة. ج، ز: والتبينة.

وفي القاموس المحيط: البثنة قرية

بدمشق. فصوله إذن: البثنة.

(٥) ب، ج، ز: هناك. ج، د:

+ عاينت.

(٦) ج، د، ز: شرق.

(٧) د: فيها.

(٨) ج، ز: اطلبها وصح في هامش،

ز: أنشد.

(٩) مسعود بن محمد بن أحمد البخاري

ورد مع أبيه إلى بغداد وكانا من

الملك العادل^(١) وقتل^(٢) الناجية^(٣) لخواج بزرک الملقب بنظام الملك^(٤)، وزير أبي الفتح، وكان تاج الملك ووزير خاتون باطنياً، وتحزبت الباطنية إلى قلعة أصبهان، وثارَت في الجبل^(٥) حتى بلغت همدان، ودعوا إلى الجدال، فأرسل الملك إلى الغزالي، فصف له كتاباً سماه «حجة الحق في الرد على الباطنية» بالعجمية، وكلفه الخليفة أن يضع له في ذلك شيئاً، فأرسل إليه^(٦) كتاباً سماه «فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية» في كشف أعوارهم وهتك أستارهم، وتبيين عوارهم، برع فيه، وإن كان القاضي^(٧) قد سبقه إليه، ولكن أجاد هذا في الترتيب، فنوظروا بذلك^(٨) ونزلوا إلا طائفة بددهم الجبل، حتى استزلوا بالخليل، وتفرقوا في البلاد أيادي سبا، ووقعت إلى العراق منهم طائفة، فللقطوا بها لقط الطائر حب السمسم، وعقد لهم مجلس، وقرروا فيه، فممنهم من أنكسر، وممنهم من اعترف واستمر، وممنهم من تاب واستغفر، فقال الشافعية تقبل توبتهم، وقال الحنفية: لا تقبل لهم توبة، وجرى في ذلك كلام بين أبي بكر الشاشي^(٩) الشافعي، وبين الشريف أبي طالب الزيني^(١٠)

- (٦) ج: له.
 (٧) أبو بكر الباقلاني.
 (٨) ب، ج، ز: في ذلك.
 (٩) محمد بن علي بن حامد الشافعي توفي بهراة سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م (الذهبي، العبر، ج ٣ ص ٣٠٨) وهناك أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين الشافعي الذي تولى التدريس بالنظامية توفي سنة ٥٠٧هـ/١١١٤م وأغلب الظن أنه الثاني (العبر، ج ٤ ص ١٣ - ١٤. طبقات الشافعية الكبرى، ج ٤ ص ٥٧ - ٦١) وذلك لأنه درس عليه، وأخذ عنه.
 (١٠) د: الربيعي: وهو أبو طالب نور المهدى الحسين بن محمد الزيني شيخ الحنفية بالعراق توفي سنة ٤١٢هـ/١١١٨م (العبر، ج ٤ ص ٢٧).

- (١) هو أبو الفتح جلال الدولة بن السلطان
 ألب أرسلان محمد بن داود السلجوقي
 التركي كان يلقب بالسلطان العادل
 مات بعده وزيره نظام الملك بشهر
 واحد سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢ م
 (العبر، ج ٣ ص ٣٠٩).
 (٢) ج، ز: وقيل.
 (٣) د: الناجية. وعله: الباطنية.
 (٤) أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي كان من جلة الوزراء وكان مجلسه عامراً بالفقهاء والقراء أنشأ المدارس، ودافع عن مذهب أهل السنة قتله شاب باطني سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م (الذهبي، العبر، ج ٣ ص ٣٠٧ - ٣٠٨).
 (٥) ج، ز: الخيل.

ودخل^(١) المنشور بصورة المجلس، إلى الخليفة أحمد المستظهر بالله^(٢) رحمه الله، فوقع يقتلون دون قبول توبتهم، حسبما رآه إمام دار الهجرة مالك^(٣) فإنهم أخبث الطوائف^(٤) مقالة، وأسخفها حجة ودلالة، أليس شاعرهم الذي يقول:

حل برقادة المسيح حل بها آدم ونوح
حل بها الله ذو البرايا فكل خلق سواء ريع

وهو القائل مخبراً عن صاحب مظلته [و٢٢ أ]:

أمديرها من حيث دار لطلما^(٥) زاحت^(٦) تحت ركابه جبريلاً

وماذا يستبقي من هؤلاء؟ فكانت أول مسألة حكم فيها بمذهب مالك بمدينة السلام، بعد أحوال وأعوام، وكانت بعدها أخرى نبينها^(٧) في موضعها.

وهذا الذي احتج به الخليفة عليهم، وهو الذي أشرت به عنهم^(٨) من قولهم: إن^(٩) الله يحل في كل رسول وإمام، ويشافه الخلق، وعيسى من محاله، ومحمد، وعلي، عندهم، وكل علوي مثلهم، يحل الإله فيهم، إلى سخافات وراءها، و^(١٠) تهتكات لا ينبغي ذكرها، ولولا أن الله سبحانه ذكر المقالة الفاسدة تحذيراً عنها، وإقامة للدلالة عليها، ما قلنا هذا أبداً ولا رضينا بذكره، وما ضل من اقتدى، ولا قصر من ناضل عن دين الله بالهدى^(١١)، ولقد أخبرني من أثقه غير واحد، أن قاضي همدان، كان باطنياً، وأنه كان إذا سمع عن سني، قال لباطني: ارفعه في الدعوة، فإذا رفعه إليه، ودخل داره،

(١) ب: رحل. (٤) ج: - الطوائف.

(٢) أبو العباس أحمد بن المعتدي بالله

عبدالله بن الأمير محمد بن القائم

العباسي توفي سنة

٥١٢ هـ / ١١١٨ م كان كريم

الأخلاق جيد الأب (الذهبي،

العبر، ج ٤ ص ٢٦).

(٣) مالك: توفي سنة ١٧٩ هـ / ٧٩٦ م.

(١١) د: للهدى.

أمر بقتله، ورماه^(١) في مغواة، فطلب ذلك الرجل فلم يوجد^(٢) له خبر أبداً، وفشت الغيلة^(٣) فيهم على المسلمين^(٤)، حتى قام شيخنا أبو المظفر حامد^(٥) بن رجاء المعراي^(٦) الشافعي خطيب أصفهان^(٧) على المنبر، وخطب مؤيداً للدين، ومحرضاً للموحدين، ومستنجداً لهم على ما يفعل بأهل السنة من المؤمنين، وقال في خطبته: ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون، وسل سيفه على المنبر، ونزل، فقتل^(٨) الباطنية، فما بقي منهم في ذلك اليوم بأصفهان إلا من خفي أمره، أو أخفى نفسه وطهرها الله منهم إلى انكفائي عن العراق.

قال القاضي أبو بكر^(٩): وكان قد ظهرت لهم في القرايطيس الملقاة عندهم جملة، ارتفع إلى الخليفة بعضها من مقالاتهم، قرطاس فيه: إن الحق مطلوب كل [و ٢٢ ب] عاقل، وطريق تحصيله أبداً معلوم، وهو أنه رفيق الوحدة، والباطل حيث الكثرة، وهذا ينقلب عليهم فيقال لهم^(١٠): الحق حيث الكثرة، والباطل حيث الوحدة، ويد الله مع الجماعة، والحق ما كثرت الشهود عليه، وبعد أن نقلبه^(١١) عليهم، لا يكون لهم كلام به احتفال أبداً. لأن أوله ليس له ثبات، فأخره شر من أوله.

جواب آخر:

يقال لهم: بم عرفتم أن الحق في الوحدة؟ أبقول^(١٢) الإمام أم^(١٣) بالتجربة، أو بالنظر؟ وليس لهم عن هذا جواب به احتفال، وكنا نورده، إلا أنا كرهنا التطويل، ورجونا علمكم به.

(٧) ب، ز: أصفهان.

(١) ب، ج، ز: ورمي.

(٨) د: بمقال.

(٢) ب: بياض مكان (فلم يوجد) وعلق

(٩) د: قال أبي رضي الله عنه.

عليه ابن باديس بقوله: لعله: (فلا

(١٠) د: - لهم.

يوجد). د: فلا يسمع.

(١١) ب، ج، ز: نقلبه.

(٣) ج، ز: القيلة.

(١٢) د: بقول.

(٤) ب، ج، ز: - على المسلمين.

(١٣) د: أو.

(٥) ب، ج، ز: - حامد.

(٦) ب: المعداني. د: المعراي، ج:

المعداني.

جواب آخر:

هذا يبطل كل حقيقة، فإن قائلًا لو قال: إن السموات سبع، وقال آخر^(١): إن السموات واحدة، لقلنا يلزمكم أن تقولوا إن السماء واحدة، لأن الحق في الوحدة، وكذلك لو قال قائل: الإمام واحد، هو الحق، فمن قال: إنهم أئمة فهو باطل، لأن الحق في الوحدة، وهذه مسكنة^(٢) لهم، وقد جربناها.

قرطاس:

قالوا: إنما ينتقل إلى البديل مع عدم الأصل، كالتيمن^(٣)، والنظر بديل الخبر، فإن كلام الله هو الأصل، فهو خلق الإنسان وعلمه البيان، والإمام هو^(٤) خليفته، ومع وجود الخليفة الذي يبين^(٥) بقوله لا^(٦) ينتقل إلى النظر. قال القاضي أبو بكر^(٧): هذه كلمات خبيثة ملفقة^(٨)، من جزء، عشر^(٩) العشر فيه طيب، لكنه قرن إلى باطل، خبيث مبطل للكل، كلام الله هو الكل، ولكن لا يبلغ إلى كلام الله إلا واسطته.

وقد قال الأستاذ أبو إسحق الإسفرائيني^(١٠): إن العاقل^(١١) لا يصح أن يدرك بذاته كل العلوم حتى يبعث الله من يرشده، وهو الرسول^(١٢)، وقولهم: إن خليفة الله هو الذي يبلغ عنه صحيح^(١٣)، ولكن الخليفة هو النبي الذي سن^(١٤) ثم استأثر^(١٥) الله به [و ٢٣ أ] ولا معصوم بعده، لكن العلم في ذاته

محمد توفي سنة ٤١٨ هـ / ١٠٢٧ م
(طبقات الشافعية الكبرى، ج ٣ ص ١١١ - ١١٤).

(١١) ج، ز: كتب على الهامش: عله العقل.

(١٢) د: وهم الرسل. ب: - الرسول وترك مكانه بياض.

(١٣) ب: بياض مكان: صحيح ولكن.

(١٤) د: - الذي سن. وكتب بدله:

ويبين.

(١٥) د: يستأثر.

(١) د: آخرون.

(٢) ج، ز: المسكنة.

(٣) د: كالتيمن.

(٤) د: - هو.

(٥) ج، ز: يلين.

(٦) ج: فلا.

(٧) د: قال أبي رضي الله عنه.

(٨) ج: - ملفقة.

(٩) د: عشر.

(١٠) ج، ز: الإسفرائيني، د: الإسفرائي،

ب: الإسفرائي. وهو إبراهيم بن

معصوم فإذا أخذ عن المعصوم قطعاً فحسن، وإن أخذته ^(١) عن غير معصوم وعيته ^(٢) وسبرته بالقانون الذي بينه ^(٣) المعصوم، وأفرغته في قالب العلم المعصوم، فهو ينيك عن قراره ^(٤)، ومثته بذلك ^(٥) على غراره ^(٦)، فلا يصح لهم هذا الكلام بحال، لا سيما وهم يقولون: إن المعصوم غائب ولكنه ^(٧) قد بث الدعاة.

يقال لهم: ومعلمنا محمد ^(٨)، قد بث الدعاة، فإن قيل: نحن إذا اختلفنا في شيء رددناه إلى إمامنا ^(٩) المعصوم. قلنا: ونحن إذا اختلفنا في شيء رددناه إلى إمامنا المعصوم، الذي أكمل لنا التعليم، وقال لنا عن مرسله العظيم: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ [المائدة: ٣]. ويقال لهم: ولعل معلمكم الغائب قد مات، وليس لهم بعد هذا إلا ^(١٠) ما يحكى.

قاصمة:

وكان هذا الداء في الإسلام لوجهين: أحدهما: أن المجوس الذين قاموا بين أظهر ^(١١) المسلمين ^(١٢) بالجزية، وعندهم ^(١٣) هذا العقد الخبيث فهم بالمصابقة ^(١٤) للمسلمين يثبونه فيهم فيتشككون ^(١٥) بتشكيكهم، ويرتدون ^(١٦) إليهم، كما أن لمقام ^(١٧) النصارى بين أظهرنا، ترددت نجلتهم ^(١٨) عندنا

- | | |
|--|-------------------------------------|
| (١) ب، ج: أخذ. | (١٢) ج، د: للمسلمين. |
| (٢) د: - وعيته. | (١٣) ج، ز: - وعندهم. |
| (٣) د: بينه. | (١٤) ب: بالمناقشة، ج: بالمصابقة. ر: |
| (٤) د: قراره. | بالمناقشة. ومعنى المصابقة التي أثبت |
| (٥) ب: مثته بذلك. | من د المجاورة وقرب السدار من |
| (٦) د: عواره. | صقب إذا دنت داره. |
| (٧) ب: بياض مكان: لكنه. | (١٥) ب، ج، ز: فيشككون. |
| (٨) د: + صلى الله عليه وسلم. | (١٦) ب: ويريدون. ج، ز: |
| (٩) د: الإمام. | ويريدون. |
| (١٠) كذا في جميع الأصول. | (١٧) ج: المقام، د: بمقام. |
| (١١) ب، ج، ز: أقاموا بين أظهر الإسلام. | (١٨) د: نجلتهم. |

وعلمناها، وكانوا مغمورين^(١) بالحق مقهورين، إلى أن أنشأ الله بني برمك: يحيى بن خالد^(٢)، ومحمد بن خالد، فملك الوالي أمر الدين إياهما، وجعل الخلافة بأيديهما، فكان محمد بن خالد حاجبها، ثم كان وزيرها، وصاحب أمرها كله يحيى بن خالد ثم ابنه جعفر بن يحيى^(٣)، وكانوا باطنية يعتقدون رأي الفلاسفة، فكادوا الدين، وأحيوا^(٤) المجوسية، واتخذوا البخور في المساجد، وإنما كانت تطيب بالخلوق، فزادوا التجمير ليعمروها [و ٢٣ ب] بالنار منقولة، حتى يجعلوها عند الإنس^(٥) بيخورها^(٦) ثابتة^(٧)، وتمكن العجم من إفساد دولة العرب، والملحدة من الملة، والعبيد من الأحرار، وقد كان يضمرون لها^(٨) حقداً، ويتظنون^(٩) لفسادها^(١٠) وقتاً، فانتقوا كل ضيق العطن، مخلوع الرسن، وأظهروا الآراء الفلسفية بعد خفائها، وجلبوا الناس إلى أنفسهم بعظيم العطاء، وسعة الإفضال، والتمكن من الملك، والإدناء من مقام العز، فنفتت بعد كسادها، وعادت بعد نفاذها، ولحظوا الخلق بعين التنفير^(١١)، ليأخذوا من يوافقهم على هذا النظر^(١٢)، فاعتاموا منهم من لا يهدي، ولا يهتدي وصح^(١٣):

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي^(١٤)

وعقدوا مجلساً للضلال باسم الهدى، ونصبوا على الإسلام لذلك موعداً، يحضر فيه من ينتحل علم الكلام من أصحابهم^(١٥) المتدينين للطعن على أهل الإسلام، أولى عقائد فاسدة ونحل مضلة، وكان من رؤوس

- | | |
|----------------------------------|-------------------------------|
| (١) د: مغمورين. وكتب على هامش ز: | (٦) بخورها. |
| وقد ذكر المقرئ في خطه ما | (٧) ج، ز: ثانية. |
| حاصله. | (٨) ب، ج، ز: لنا. |
| (٢) توفي سنة ١٩٠ هـ / ٨٠٥ م في | (٩) ب: ممتطرون. |
| سجن هارون الرشيد (العبر، ج ١ | (١٠) ب، ج، ز: إفسادها. |
| ص ٣٠٦). | (١١) ج: التعبير. |
| (٣) قتله هارون الرشيد سنة | (١٢) ب، ج، ز: كتب على الهامش: |
| هـ / ١٨٧ م ٨٠٢ م (العبر، ج ١ | النكير. د: النكير. |
| ص ٢٩٨). | (١٣) ب: - وصح. ج، ز: + شعر. |
| (٤) ج، ز: واحبوا. | (١٤) ج، د: - مقتدي. |
| (٥) ج، ز: الإنسان. | (١٥) ج: - من أصحابهم. |

مجلسهم، ومن اختاروا للعون على ضلالتهم أربعة عشر رجلاً^(١) ثمانية^(٢) من المعتزلة: أبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف^(٣)، وإبراهيم بن سيار النظام^(٤) البصريان، وبشر^(٥) بن المعتمر البغدادي^(٦)، وجعفر بن حرب^(٧)، وجعفر بن مبشر^(٨)، وثمامة بن أشرس^(٩)، ومنهم الصباح^(١٠) بن الوليد المرجي، شيخهم في زمانه، ومنهم أبو مالك الحضرمي^(١١) شيخ الشروية.

ومن الإمامية هشام بن الحكم الجزار^(١٢) الكوفي^(١٣)، وصاحبه السكاك، وصاحبه أيضاً^(١٤) علي بن مقسم، وعلي بن منصور^(١٥)، وإبراهيم بن مالك رجل من أهل البصرة، يتفقه في ظاهر أمره، ويصر في الباطن^(١٦) على أمر

الرافضة (مقالات الإسلاميين

للأشعري، ج ١ ص ٤٢).

(١٢) ب، د: الحارر.

(١٣) أبو محمد مولى كندة وكانت له صلة

وثيقة بيحيى بن خالد البرمكي وقد

رد على الزنادقة والمعتزلة. توفي سنة

١٩٩ هـ / ٨١٤ م وقيل سنة ١٧٩ هـ /

٧٩٥ م وذكر محمد جواد مشكوز أنه

توفي نحو ١٩٠ هـ / ٨٠٥ م (كتاب

المقالات والفرق للقمي، ص ٢٣١.

نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج ٢

ص ٢٢٢ - ٢٦٠).

(١٤) ب، ج، ز: أيضاً.

(١٥) أما السكاك وعلي بن منصور فقد

ذكرهما الأشعري في (المقالات، ج ١

ص ٦٣) باعتبارهما مؤلفي كتب الرافضة

واسم السكاك محمد بن خليل أبو

جعفر وذكرهما الشهرستاني أيضاً

باعتبارهما من مؤلفي الشيعة. إلا أنه

وجد تغيير في اسم السكاك حيث كتب

(الشكال) (الملل، ج ١ ص ١٩٠).

(١٦) ب، د: الباطل.

(١) ب، د: - رجلاً.

(٢) د: خمسة.

(٣) محمد بن الهذيل بن عبد الله البصري

توفي سنة ٢٣٥ هـ / ٨٤٩ م وقال

السعودي توفي سنة ٢٢٧ هـ / ٨٤١

م (العبر، ج ١ ص ٤٢٢).

(٤) توفي في حدود سنة ٢٣١ هـ / ٨٤٥ م

(الدكتور النشار، نشأة الفكر في

الإسلام، الإسكندرية، ١٩٦٦ م،

ج ١ ص ٥٧٨).

(٥) د: + معتمر.

(٦) توفي في حدود سنة ٢١٠ هـ / ٨٢٥ م

(ريتر، فهرست مقالات الإسلاميين).

(٧) توفي سنة ٢٣٦ هـ / ٨٥٠ م (ريتر،

فهرست مقالات الإسلاميين).

(٨) ب، ج، ز: بشر. توفي سنة

٢٣٤ هـ / ٨٤٨ م (ريتر، فهرست

مقالات الإسلاميين).

(٩) النميري توفي سنة ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م

(ريتر، فهرست مقالات الإسلاميين).

(١٠) ج: المصباح.

(١١) الضحاك الكوفي رئيس فرقة من فرق

عظيم، والموبدان قاضي المجوس، وكان هذا الموبدان المذكور خالصة القوم، وعيبتهم^(١) وشعارهم، ومن ذكرناه^(٢) [و ٢٤ أ] سواء دثارهم.

ولقد تكلموا في بعض مجالسهم في العشق، فقالوا ألفاظاً صاغوها على مناقضة الشريعة، حتى قال أبو الهذيل فيه: إنه^(٣) يَحْتَم على النواظر، ويطبع على الأفتدة، ويتعدى في الأجساد، ومشرعه^(٤) في الأكباد، وصاحبه متصرف^(٥) في^(٦) الظنون متفق^(٧) الأوهام^(٨)، وقال بقيتهم نحوه، وقال الموبدان: إنه نار تأجج في تامور^(٩) القلب، بين الجوانح واللب، فيوجد بوجود الأشخاص، والتحام الأجرام، لأن مشأه عن حركات^(١٠) حيوانية، وعلل هيولانية، ومصرفه^(١١) الاستقصات، لأنها تولده، والنجوم تنتجه، والأسرار العلوية تصوره، وهو من كرم العناصر، وتداعي الضائير، واتفاق الأهواء، ولا يكون إلا من اعتدال الصورة، وذكاء الفطنة، وصفاء المزاج، واستواء التركيب والتأليف.

عاصمة:

قال القاضي أبو بكر^(١٢): فيها أنتم أولاء ترون ما يأتون^(١٣) به^(١٤) من القحة والتهتك،^(١٥) ويقتحمون^(١٦) في البطالات من الزهات والانهماك في الضلالات. ويقال لهم، ما عارضهم به من قابل فاسداً بفساد وهو باب من الجدل، وطريق من طرق الحق في مقابلة الفاسد وهو باب من النظر قاطع بالخصم، قاصم لظهره: إنكم لم تعلموا للعشق حقيقة، إنما هو معنى يهوى

- | | |
|-----------------------------------|--|
| (١) د: وعيبتهم. ج: وعيبتهم. ومعنى | (٩) حبة القلب أودمعه (القاموس المحيط). |
| عيبتهم: موضع سرهم. | (١٠) د: حركة. |
| (٢) د: ذكرناه. | (١١) ب: وتصرفه. ج: متصرفه، د: |
| (٣) د: أن. | متصرف. |
| (٤) ب: يسرعه. | (١٢) د: قال أبي رضي الله عنه. |
| (٥) ب: متصرف. | (١٣) ج، ز: تاتون. |
| (٦) ب، د: - في. | (١٤) د: - به. |
| (٧) ب: متفق. ج، ز: متفق. | (١٥) ج: والتكتك. |
| (٨) د: الأفهام. | (١٦) ب، ج، ز: وتقتحمون. |

على مبهط^(١) الصب، من قيضب القرب^(٢)، فيزعج^(٣) بلاعج الحب من فيقب^(٤) القلب، فيذهل اللب، ويعظم الكرب فقربه البعد، وحياته القرب، ليس من مزاج الأسطقس، ولا من مملكته^(٥)، ولا من تأثير^(٦) الكواكب، ولا أفلاكها، وإنما هو علوي على العلويات بري من الهيولات، ومعنى إذا وقع خرق^(٧) أقطار السموات، فتزل على غير ميقات، لا يتعلق بالأشباح ولا يمتزج بالحركات، ولا يدرکه عالم الخواس، ولا يعد في تصرفات الأمزجة، ولا يلحقه [و ٢٤ ب] تأليف، لأنه^(٨) فرد عن فرد لفرد، يحرك الأفلاك، ولا تحركه:

أزمز^(٩) على البوق^(١٠) إن صاحوا بشبوط^(١١) وقابل^(١٢) القوم تخليطاً بتخليط صوت بصوت وخير الصوت أفهمه فاسمع فيها هو إفراط بتفريط وقد ذكر الأستاذ المعظم أبو المظفر طاهر بن محمد الإسفراييني شاهفور أن هذه المشيخة الركيكة، اجتمعوا مع نفر من أصحابهم^(١٣) في مجلس لهم للخوض في الباطل وتكلموا في مسألة ما يصح وصف الباري بالقدرة عليه^(١٤) فرعمت أن الظلم مقدور لله^(١٥)، لكنه لا يفعله، لأن وقوعه منه يدل على حدوثه، فقبل لهم ما دل على حدوثه لم يوصف بالقدرة عليه كالموت والحركات، فقال النظام: لا يقدر الله على ما لو وقع منه كان ظلماً وجوراً،

الراس. وشبوط أيضاً: حصن بأيدة من الأندلس (القاموس المحيط).

(١٢) ج، ز: مالك.

(١٣) ذكر ذلك أبو المظفر في كتابه التبصير.

في الدين، تحقيق الشيخ محمد زاهد

الكوثري، القاهرة

١٣٥٩ هـ/ ١٩٤٠ م، ص ٥٤ - ٥٥.

(١٤) ز: كتب على الهامش: قف على

كتاب التبصير لهذا الأستاذ وتلخيص

ما وقع من المناظرة في هذا المجلس

البرمكي.

(١٥) ج، ز: الله.

(١) د: مبهك.

(٢) ب: القرب.

(٣) ب: فيتزل. ج، ز: فيزل.

(٤) د: قيقب.

(٥) ب، د، ز: ملكته.

(٦) ب، ج، ز: تأثير.

(٧) ب: أحرقت. ج، ز: خرق.

(٨) د: فانه.

(٩) ج، ز: أوزير.

(١٠) ج: البوف. د: البرو.

(١١) شبوط: يطلق على نوع من السمك

دقيق الذنب عريض الوسط صغير

والمعنى فيه أنه لو قدر عليه لم يدر لعله قد جاز أو كذب فيما مضى أو يجوز ويكذب في المستقبل أو قد جاز الآن في بعض أطراف الأرض^(١) ولم يكن لنا من جوره وكذبه أمان، إلا من جهة حسن الظن به، فأما دليل يؤمننا من وقوع ذلك منه، فلا سبيل إليه، فقال له الأسواري^(٢): يلزمك على هذا الاعتلال أن لا يكون قادراً على ما علم أنه لا يفعله، وأخبر بأنه لا يفعله^(٣)، لأنه لو قدر على ذلك لم نأمن^(٤) وقوعه منه، فيما مضى أو^(٥) في المستقبل. قال له النظام: هذا لازم، فما قولك فيه؟ فقال: أنا أسوي بينهما، فأقول: إنه لا يقدر على فعل ما علم أنه لا يفعله، ولا على ما لو فعله لكان ظلماً منه. فقال النظام للأسواري: قولك هذا الحاد وكفر، فقال أبو الهذيل للأسواري: ما تقول في فرعون ومن علم الله سبحانه [و ٢٥] منهم أنهم لا يؤمنون؟ هل كانوا قادرين على الإيمان أم لا؟ فإن زعمت^(٦) أنهم كانوا قادرين عليه، فما يؤمنك من أن تكون^(٧) قد وقع من بعضهم ما علم الله أنه لا يفعله؟ أو^(٨) أخبر عنه بأنه لا يفعله على قود^(٩) اعتلالك، واعتلال النظام، وإنكاركما قدرة الله على الظلم والكذب، فقالا: هذا لازم لك^(١٠) فما جوابك عنه؟ فقال: أنا أقول: إن الله تعالى قادر على أن يظلم، ويكذب، وعلى أن يفعل^(١١) ما علم أنه لا يفعله، فقالا له: أرايت لو فعل الظلم والكذب كيف كان حال الدلائل التي دلت على أن الله لا يظلم ولا يكذب؟ فقال: هذا محال، فقالا له: كيف يكون المحال مقدوراً لله تعالى؟ ولم أحلت وقوع ذلك منه مع كونه

(٣) ب: أخبرنا به لا يفعله، ج: ز:

أخبرنا به أنه لا يفعله.

(٤) ج، ز: يأمن.

(٥) ج: وفي.

(٦) د: زعمتم.

(٧) د: - يكون.

(٨) ب، ج، ز: و.

(٩) ب، ج، ز: قول. وعلق ابن

باديس عليه بقوله: أو قود، لأن

الاعتلال يقود إلى ما ذكر.

(١٠) د: - لك.

(١١) ب: - أن يفعل.

(١) نص التبصير: إنه ليس بقادر على

ذلك إذ لو قدر عليه لم يأمن أن يقع

منه ظلم أو كذب فيما مضى، أو يقع

ذلك في المستقبل، أو وقع أو يقع

ذلك في طرف من أطراف الأرض

(التبصير، ص ٥٤).

(٢) علي الأسواري (ابن قتيبة، مختلف

الحديث، ص ٣٧) لا يعرف تاريخ

وفاته على ما نعلم. صحب أبا

الهذيل العلاف والنظام فهو من أهل

القرن الثالث.

مقدوراً له؟ فقال^(١): لأنه لا يقع إلا عن آفة تدخل عليه، ومحال دخول الآفات على الله تعالى، فقالوا له: ومحال أيضاً أن يكون قادراً على ما لا يقع منه^(٢) إلا عن آفة تدخل عليه، فبهت فقال لهم بشر بن المعتمر: كل ما أنتم فيه تخليط، فقالوا^(٣) له: فما تقول أنت؟ أقول بأن الله قادر على أن يعذب الطفل الذي لا ذنب له أم لا يقدر عليه؟ فقال أقول: بأنه^(٤) قادر على ذلك، فقالوا له: أرايت لو فعل ما قدر عليه من تعذيب الطفل، لا عن ذنب، ما كانت حال الدلائل التي دلت على أنه لا يظلم؟ فقال: لو عذب الطفل ظالماً له في تعذيبه لكان الطفل بالغاً عاقلاً عاصياً مستحقاً للعذاب^(٥) الذي أصابه، وكانت الدلائل بحالها في دلالتها على عدل الله تعالى، فقالوا: سخفت عينك كيف يكون عادلاً بفعل ما هو ظلم؟ فقال لهم المردار^(٦): إنكم أكثرتم على أستاذي بشر منكراً^(٧) عظيماً^(٨)، وقد يغلط الأستاذ، فقال له بشر: كيف^(٩) تقول أنت؟ قال: أقول: إن الله عز وجل^(١٠) [و ٢٥ ب] قادر على الظلم والكذب، ولو فعل ذلك لكان إلهاً ظالماً^(١١) كاذباً، فقالوا^(١٢) له: هل كان مستحقاً للعبادة أم لا؟ فإن استحقها فالعبادة شكر المعبود، والظالم يستحق الذم لا الشكر، وإن لم يستحق العبادة، فكيف يكون من لا يستحقها إلهاً؟ فقال لهم: إلا أنا نقول إنه قادر على أن يظلم ويكذب، ولو ظلم وكذب كان صادقاً عادلاً، فقال له^(١٣) الإسكافي^(١٤): كيف ينقلب الظلم عدلاً، والكذب صدقاً؟ فقالوا له: كيف تقول أنت في هذا؟ فقال: أقول: لو فعل هذا^(١٥)

- | | |
|--|---|
| (١) ج: + له. | (٧) ج: - منكراً. |
| (٢) ب، ز: عنه، د: - عنه. | (٨) ج، د، ز: - عظيماً. |
| (٣) د: قالوا. | (٩) د: فكيف. |
| (٤) د: إنه. | (١٠) د: تعالى. |
| (٥) ب: العقاب، ج، ز: للعقاب. | (١١) ب، ج، ز: عالماً. |
| (٦) ب: المردار، ج، ز: المزدان. د: المارد. | (١٢) د: فقال. |
| والصواب ما أثبت. والمردار هو أبو موسى عيسى بن صبيح تلميذ بشر بن المعتمر توفي في سنة ٢٢٦ هـ / ٨٤٠ م | (١٣) د: لهم. |
| والتصحيح من (التبصير، ص ٥٥). | (١٤) محمد بن عبد الله الإسكافي توفي سنة ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م. |
| | (١٥) ب، ج، ز: - هذا. |

الجور والكذب ما كان العقل موجوداً وما كان ذلك واقعاً للمجنون^(١) أو منقوص^(٢). فقال له جعفر بن حرب: إنك تقول: إن الله يقدر على ظلم المجانين، ولا يقدر على ظلم^(٣) العقلاء. فافترق يومئذ القوم على انقطاع كل واحد منهم^(٤) وعجزه عن الانفصال عما ألزم على مذهبه، فلما انتهت نوبة الاعتزال^(٥) إلى الجبائي^(٦) وابنه^(٧) أمسكا عن الجواب في هذه المسألة.

وذكر بعض أصحاب أبي هاشم^(٨) هذه المسألة في كتابه فقال: من قال^(٩): هل يصح وقوع ما يقدر الله عليه من الظلم والكذب؟ قلنا له: لا^(١٠) يصح وقوع ذلك منه ما كان قادراً عليه، لأن القدرة على المحال محال. فإن قال: أفيجوز وقوعه منه؟ قلنا: لا يجوز وقوعه منه لعلمه بقبحه وغناه عنه، فإن قال: أخبرونا لو وقع مقدوره من الظلم والكذب، كيف يكون حاله في نفسه؟ هل كان يدل وقوع الظلم والكذب منه على جهله أو حاجته؟ قلنا: ذلك محال، لأننا قد علمناه عالماً غنياً، فإن قال [و ٢٦ أ] لو وقع منه الظلم والكذب، هل يجوز أن يقال: أن ذلك لا يدل على جهله أو^(١١) حاجته؟ قلنا: لا يقال ذلك، لأننا قد علمنا دلالة الظلم على جهل فاعله أو حاجته. فإن قال: فإنكم^(١٢) لا تحييون على سؤال من سألكم، والكذب^(١٣) منه على جهل فاعله أو حاجته^(١٤) بإثبات ولا نفي، قلنا كذلك نقول.

- (١) د: مجنون.
(٢) ويبدو أن النص الأصلي الذي أورده شاهفور الإسفراييني أوضح وهو: فقال: أنا أقول إن ظلم أو كذب لم تكن عقول العقلاء موجودة في تلك الحالة فلا يتوجه عليه المذمة والملامة لعدم وجود عقل عاقل ينكره عليه. (التبصير في الدين، ص ٥٥).
(٣) ب، ز: - ظلم. وأثبت في هامشها.
(٤) ب: - منهم.
(٥) د: الاعتراض. وفي التبصير: زعامتهم.
(٦) محمد بن عبد الوهاب توفي سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م.
(٧) عبد السلام بن محمد توفي سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م.
(٨) ب، ج، ز: + في.
(٩) ب، ج، ز: + له.
(١٠) د: هل.
(١١) د: و.
(١٢) ب: ما بكم.
(١٣) في الكلام عدم اتساق ولعل هناك سقطاً كما قال ابن باديس.
(١٤) ج: - فإن قال فإنكم لا تحييون =

فهؤلاء دعاة قدرية عصرنا، وقد أقرؤا وعجز أسلافهم عن الجواب في هذه المسألة، ولو وفقوا للصواب فيها لرجعوا^(١) إلى قول أصحابنا فإن^(٢) الله تعالى^(٣) قادر على كل مقدور، ولو وقع كل مقدور له منه، لم يكن ظلماً منه، وأحالوا قدرته على كذب يصير به كاذباً، كما أحاله^(٤) أصحابنا، ولتخلصوا^(٥) عن الإلزام من الوجوه التي حكيناها.

واعتذر الجبائي في امتناعه عن الجواب في هذه المسألة بنعم أو بلا، فذكر مثل هذا السؤال في النبي^(٦)، فقال: أخبرونا عن قولكم في النبي لو فعل ظلماً أو^(٧) كذب^(٨)، كيف^(٩) يكون حاله؟ وزعم أن الجواب في ذلك غير ممكن^(١٠)، وهذا ظن منه. وجواب أصحابنا فيه أن النبي ﷺ كان معصوماً عن الكذب والظلم، ولم يكن قادراً عليهما، ولا يجوز^(١١) أن يقع منه ما لا يقدر عليه. والمعتزلة كلهم غير النظام والأسواري قد وصفوا الله تعالى بالقدرة على الظلم والكذب، ثم عجزوا عن إظهار حكمه أن لو فعل مقدوره منها.

قال القاضي أبو بكر^(١٢) رضي الله عنه: فقد بينت لك^(١٣) أحوال^(١٤) هذه الطائفة الركيكة، إذا هزلوا تساخفوا^(١٥) وتهتكوا، وإذا جدوا تحيروا وتحاذلوا، ثم أنشأت البرامكة^(١٦) طامة عظيمة بأن كلفوا الأخباث^(١٧) أيضاً ترجمة كتبهم، طباً [و ٢٦ ب] وطبيعة^(١٨) بالعربية فتولى ذلك يهودي أو نصراني أو

= عن سؤال من سألكم والكذب منه

- | | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| (١) ج: ز: رجعوا. | (١١) د: - يجوز. |
| (٢) د: بأن. | (١٢) د: قال أبي. |
| (٣) ج: تكرر «فإن الله تعالى». | (١٣) ج: ز: + من. |
| (٤) ب: أحال. | (١٤) ج: أصول. |
| (٥) ج: ز: ليخلصوا. | (١٥) د: فتساخنوا. |
| (٦) د: + صلى الله عليه وسلم. | (١٦) ج: ز: كتب على الماش: |
| (٧) ب: ج: ز: و. | اعرف: تسببت البرامكة في إدخال |
| (٨) د: كذباً. | علوم الأوائل على الملة قصداً |
| (٩) د: + كان. | لتوحيها. |
| (١٠) ج: محكي. | (١٧) ب: الأجناد. |
| | (١٨) ب: طبيعة. |

ملحد لا رأس مال له في الإسلام، فمزج ما نقل من الطب بالفاظ وعقائد تتعلق بالإلحاد، وتعارض الشريعة، في فروعها وأصولها ليتوهم من ترحمت له أن^(١) هذه الأمم الفاضلة التي تولت هذه العوم الغريبة^(٢)، كانت على هذه^(٣) النحل، فطمحت نفوسهم إلى معرفة تفاصيلها، فاجتمعوا، وجمعوا آراءهم، كما كانت أغراضهم، ولم يقدموا قاضياً في البلاد إلا أن يكون على هذه العقيدة، ولا أميراً ولا كاتباً، إلا وهو فيها، ولا ينظم في سلك الخاصة إلا من كان قائماً بها، ولا يتوسع في العطاء إلا لأمثالهم^(٤):

وقد فتن الناس في دينهم وخلى^(٥) ابن برم شراً طويلاً
فكادوا على الملك^(٦) في سعيهم وأعدوا على الدين داء دخيلاً^(٧)

وعم الباطل، وظهرت الزندقة، وثارت البدع، وتوجهت المطالبة على البرامكة^(٨) الذين كانوا يعضدون^(٩) القضاة والأمراء والعمال، والقائلين بذلك، فلما لم يمكن مطالبتهم بهذه المعاني عند الخلافة لتعذر الطريق إلى ذلك، من إقامة البيئة، وتحصيل الشهادة، على وصف العدالة، وعدم^(١٠) إمكانه تدرع الناس إلى المطالبة من جهة الدولة، والحريم، وكانت الملة على الذهاب، فإنهم كانوا قد بشوا^(١١) الدعاة في آفاق الأرض على وجه يطول شرحه،

- | | |
|--|--|
| (١) ب، ج، ز: - إن. وكتب على هامش ج، ز: إن هذه. | قتله جعفرًا ولما قدم عليه وكشف الطست المغطى بمنديل، وهاله رؤية رأس جعفر فيه قال له الرشيد: يا أصمعي لا تحزن فإن القوم كانوا يعبدون النجوم فأرخت لهم حتى استغرقوا في الأمل، ونسوا الأجل، فأخذتهم بغتة وهم لا يشعرون إلى آخره وهذا تأييد لما ذكره الإمام ابن العربي رضي الله عنه انتهى من خط الشيخ سيدي أحمد بن عبد الله السوسي. |
| (٢) ب: العربية. | (٩) ج: يقصدون. |
| (٣) ج، ز: هاته. | (١٠) ب: بياض مكان (وعدم). وعلني ابن باديس عليه بقوله: ولعدم أو نحوه. |
| (٤) ج: مثاهم. وصحح في الهامش. | (١١) ج: بث. |
| (٥) د: حل. | |
| (٦) د: الدين. | |
| (٧) ب، ج، ز: كتب البيتان على شكل نثر. | |
| (٨) ز: كتب على الهامش: وقد ذكر صاحب تحفة المجالس حكاية في سبب قتل البرامكة، لا حاجة لذكرها كلها، بل محل الحاجة منها: أن الرشيد أرسل إلى الأصمعي ليلة | |

فتدارك الله الملة بأن سخر الملك لهدمهم فتقطعوا أيادي سبأ، وتفرقوا شذر مذراً^(١)، وقد ملأوا الأرض من الباطل، واستخلفوا شياطين الإنسان على إضلال الخلق، من فيلسوف وأديب، حتى لم يبق بيت إلا وفيه من كتب الأباطيل، ما بين ناظر فيها حتى يعلم المراد منها، أو^(٢) مختار ما يصلح منها، وتارك ما سواه، أو راذاً^(٣) عليه، لثلاً يعلق^(٤) [و ٢٧ أ] بموحد فيختل^(٥) عقده، أو يتزلزل، واستمر ما أورثوه من تركتهم، وأرثوا^(٦) من نارهم، وصار^(٧) باطلهم^(٨) ينمى نحو الخضاب في اليد، ليتحقق الوعد الصادق في فساد الزمان، وذهاب الأديان.

عاصمة:

ولم يتعرض^(٩) لحماية الدين إلا آحاد اختارهم الله له، ونصبهم للذب عنه، فأولهم أبو الحسن الأشعري^(١٠) وعارضه ابن ورقاء أمير البصرة، فقام به، وجرت بينهما حروب جدال مذكورة، وتواتر بعده الأصحاب في الأحقاب، على الأعقاب، فحفظ الله دينه، على من أراد هدايته، فلم يبق وجه من البيان إلا أوضحوه، ولا سبيل من الأدلة إلا نهجوها، وانتدب أبو الحسن^(١١)

-
- (١) ز: كتب على الهامش: قف على هذا السبب الخفي لنكبة البرامكة، وما ذكره ابن خلدون هو السبب الظاهر المستور به هذا.
- (٢) ج: - أو.
- (٣) ج: زاد.
- (٤) ب: يتعلق، ج: ز: يعتلون وكبت على هامش ز: يتعلق بها موحد.
- د: يتعلق بها موحد.
- (٥) د: فيحيل.
- (٦) أي أوقدوا (القاموس المحيط).
- (٧) ز: تكرر: وصار.
- (٨) ج: باطل.
- (٩) د: يتحرك.
- (١٠) علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم أبو الحسن. ولد بالبصرة سنة ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م وبها نشأ ثم أقام ببغداد وتوفي سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٥ م (ابن عساكر، تبين كذب المفتي، ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٦ ص ٣٣٢ - ٣٣٣. طبقات الشافعية الكبرى، ج ٢ ص ٢٤٥ وما بعدها).
- (١١) ب، ج: ز: - أبو الحسن.

إلى كتاب الله فشرحه، في خمسمائة مجلد وسماه بالمختزن^(١) فمنه أخذ الناس كتبهم، ومنهم أخذ عبد الجبار الهمداني^(٢) كتابه في تفسير القرآن الذي سماه بالمحيط^(٣) في مائة سفر، قرأته^(٤) في خزانة المدرسة النظامية بمدينة السلام، وانتدب له الصاحب بن عباد^(٥)، فبذل فيه عشرة آلاف دينار للخازن في دار الخلافة، وألقى النار في الخوانة، واخترقت^(٦) الكتب وكانت تلك نسخة واحدة لم يكن غيرها^(٧)، ففقدت من أيدي الناس، إلا أني رأيت الأستاذ الزاهد الإمام أبا بكر بن فورك^(٨) يحكي عنه، فلا أدري وقع على بعضه أم أخذه من أفواه الرجال^(٩)، فعليكم بكتب القوم، فهي الشفاء من الداء العياء.

وكانت هذه الطائفة النائرة، في هذه الدولة الغوية^(١٠) المسماة بالبرمكية، قد سعت في كيد الإسلام، كما بينا، واصطنعت من ذكرنا، وتكاثرت، فربت في حجرها طوائف كابن المقفع^(١١)،

(٦) ج، ز: وأحرقت.
(٧) ز: كتب على الهامش: أعرف: أن الأشعري رضي الله عنه أول من انتصب للنضال عن الدين بحجاج مذاهب الكفرة، والملحدين وردها. قف على تفسير الإمام الأشعري. قف على ما فعل الصاحب بن عباد وكان معتزلياً كما ذكره السكوني.
(٨) محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني كان متكلماً زاهداً متعبداً ذكر الذهبي أنه توفي سنة ٤٠٦ هـ/١٠١٥ م (العبر، ج ٢ ص ٩٥).

(٩) ب: الرجل.
(١٠) ب، ج، ز: القوة.
(١١) عبدالله بن المقفع واسمه بالفارسية روزبه ومعناه المبارك كان من أخطر الزنادقة توفي سنة ١٤٢ هـ/٧٥٩ م.

(١) قال ابن عساكر: وكيف ألف في القرآن كتابه الملقب بالمختزن ذكر لي بعض أصحابنا أنه رأى منه طرفاً وكان بلغ سورة الكهف، وقد انتهى مائة كتاب. (تبيين كذب المفتري، ص ١١٧).

(٢) عبد الجبار بن أحمد أبو الحسن المعتزلي توفي سنة ٤١٥ هـ/١٠٢٤ م وقد عثر على كتابه المغني والأصول الخمسة وطبعت أغلب أجزاء المغني كما طبع كتاب الأصول الخمسة بالقاهرة.

(٣) د: المحيط.
(٤) ج، ز: قرأناه.
(٥) أبو القاسم إسماعيل بن عباد وزير مؤيد الدولة بن بويه بن ركن الدولة توفي سنة ٣٨٥ هـ/٩٩٥ م.

وابن الراوندي^(١)، والجاحظ المعتزلي^(٢)، وكثير من أمثالهم قد استسنوا^(٣) في البشر^(٤) أنه لا [و ٢٧ ب] مدرك إلا العقول، وأنها تنغي عن الرسل، ولا مدرك في عقد، أو قول، أو عمل، إلا والعقل مستقل به وقسموه لمدارك أربعة^(٥):

المدرك الأول:

معرفة الموجودات كالسواء وما اشتملت عليه^(٦) من أفلاك دائرات، وكواكب نيرات، والأرض وما كان فيها من معدن ونبات، وعدوا^(٧) مركبات، وبسائط مفردات، وهي الماء والهواء والتراب والنار، والمعادن واجتماعها مزاجاً، وافتراقها تعدداً وازدواجاً، على الجملة في كلها، وعلى التفصيل في النظر في الإنسان وتركيبه، وما يختلف عليه من أحواله، والمطر^(٨) وما يرتبط به^(٩).

الذي ذهب فيه إلى القول بقدم العالم (تيسين كذب المفتري، ص ١٢٩) وقد تلمذ ابن الراوندي على أبي عيسى السوراق ٢٤١ هـ / ٨٦١ م الزنديق المانوي العنيف (من تاريخ الإلحاد في الإسلام، ص ١٨٢).

(٢) د: المفترى - وهو عمرو بن بحر أبو عثمان البصري أخذ عن ثمامة بن أثرس، وأبي إسحاق النظام توفي سنة ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م.

(٣) د: أسوا. ز: كتب على الهامش: أعرف من ربي من الملحد في دولة البرامكة المفسدين.

(٤) ب: الست، د: السر.

(٥) ب، ج، ز: وقسموا المدارك أربعة.

(٦) ب، ج، ز: عليها.

(٧) ج، ز: وعند مركبات. ولعل صوابه: وحيوان.

(٨) د: والنظر.

(٩) ج: عليه.

(١) أحمد بن يحيى الراوندي نسبة إلى راوند قرية بناحي قاسان قرب أصبهان كان زنديقاً ملحداً معارضاً للقرآن ألف كتاب الزمردة، وكتاب نعت الحكمة، وكتاب قضيب الذهب، وكتاب الدماغ، ولد سنة ٢١٠ هـ / ٨٢٥ م وتوفي سنة ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م وقيل سنة ٢٤٥ هـ وقيل ٢٩٨ هـ وقيل ٢٤٣ هـ (ابن الجوزي، المنتظم، ج ٦ ص ٢٢ في وفيات سنة ٢٩٨ هـ. البير، ج ٢ ص ١١٦ في حدود ٣٠٠ هـ. المسعودي، مروج الذهب، ج ٧ ص ٢٣٧. ابن الجوزي، تليس إبليس، ص ١٠٨. عبدالرحمن بدوي من تاريخ الإلحاد في الإسلام، ص ٧٥ - ١٨٨). وقد رد عليه كثير من المتكلمين سواء في ذلك المعتزلة والأشاعرة ورد عليه أبو الحسن الأشعري نفسه كتابه المسمى بالتاج

المدرک الثاني:

سموه ما وراء الطبيعة، وهو النظر في الصانع ما هو؟ وما هو عليه؟ وكيف نشأت الموجودات عنه، وترتبت منه؟.

المدرک الثالث:

النظر في المصالح العامة التي تقوم بالقانون الإنساني في خلقه وخلقه، مما يتعلق بصفاته، وتكرماته^(١) ودنائه، وشهوته^(٢)، وسهواته^(٣)، وساقوا^(٤) ذلك كله على تدبير في نظر سموه سياسة وأدب^(٥) النفس وغير ذلك، ومهدوا قبل ذلك كله، طريقاً إلى تحصيل^(٦) هذه المدارك بالعقول سموه المنطق، مهدوا^(٧) فيه بزعمهم، أنواع الأدلة، وشروط النظر، مستوفى بتفهيم المفردات منه، ثم وجه التركيب عليه وقسموه ثمانية أقسام^(٨).

وكانت هذه أموراً^(٩) تكلمت فيها الأوائل^(١٠) عند دروس الشرائع وفترات الرسل، وتمكن الشيطان من الخلق في مزج الباطل بالحق، فأرسل فيهم جنود الضلالات، بهذه المقالات.

وعندما بعث الله محمداً صلى الله عليه [و ٢٨ أ] وسلم، على دروس^(١١) من الملل، وانطامس من السبل، وفترة من الرسل، فأظهر^(١٢) الآيات، وظهرت له^(١٣) ألف من المعجزات حسبما أمليناها^(١٤) في كتاب «أنوار الفجر من محاليس الذكر» فأنقذ الله به الخلائق من الهلكة؛ وأعلى به من الإسلام الكلمة، وأكمل

(١) د: وكراماته.

(٢) ب: - وشهوته. وأثبت في الهامش.

(٣) ب، ج، ز: - وشهوته.

(٤) ج: وماقوا.

(٥) د: وآداب.

(٦) ج: تحصيلاً.

(٧) ج: - مهدوا.

(٨) ج، ز: بياض بمقدار صفحتين

ولكن هذا البياض ليس علامة على

النقص وأغلب الظن أن الناسخ في

النسخة الأم أم جاء ز قد سها فترك

صفحة وزيادة، بياضاً ثم واصل

النسخ دون أن ينبه على ذلك، فترك

ذلك أيضاً من نقل من نسخته.

(٩) ج، ز: أمور.

(١٠) د: الأول.

(١١) ج، ز: درس.

(١٢) ب: باظهر.

(١٣) ج: - له، ز: كتب على الهامش

قف على عدد معجزات نبينا

صلى الله عليه وسلم.

(١٤) ج: مليناها.

به علينا النعمة، ثم استأثر به، وما زالت الحال تنقص، حسبما وعد^(١) به، حتى آلت الحال إلى ما آلت إليه ولا بد من نفوذ تمام الوعد الحق^(٢)، كما نفذ ابتداءه فصار عند الخلق بهذه المعاني.

قاصمة لم تبق لهم قائمة:

ومن أغرب ما دسوه إلينا على لحم الخنزير، وأنه يناسب لحم بني آدم، فصار لذلك^(٣) أعدل اللحوم.

عاصمة:

قال القاضي أبو بكر^(٤) رضي الله عنه: يا لله ولذهاب^(٥) العقول! إلى ذهاب الأديان! يترجم اليهودي والنصراني والملحد عن رجل يسمى جالينوس^(٦) لا ندري^(٧) من هو، ولا على أي ملة كان، إلا ما حكوا عنه من أنفسهم، أو^(٨) ترجموه^(٩) باختيارهم، فيجعل أصلاً، ما ترجموه، في الاعتقاد والعمل، وهبك^(١٠) أنا سمعنا ذلك من رأس الأطباء، يقال لهم: بم^(١١) علمتم^(١٢) أن لحم الخنزير، أعدل اللحوم؟ بشعره إذ^(١٣) مسخ، أو بلونه إذا سلخ، أو بطعمه إذا طبخ، أم بشحمه إذا سنخ^(١٤)؟ وأي مناسبة بينه وبين الإنسان؟ إلا من جهة الحيوانية، وذلك يشترك فيه معه^(١٥) الثور والقرد^(١٦)، هذا على رجلين، وذلك على أربع، وأنت ترى لحم ذوات الأربع

-
- | | |
|--|---|
| (١) ب: أوعز. ج: ز: أوعد. | (١٠) ج: ز: وهب. |
| (٢) ب، ج: ز: - الحق. | (١١) ج: - بم. |
| (٣) ب: بذلك. | (١٢) د: علمت. |
| (٤) د: قال أبي. | (١٣) ج: إذا. |
| (٥) ب، ج: ز: وذهاب. | (١٤) ب: سلخ. وسنخ وزنخ أي تغير،
والسناخة الريح المتنة (القاموس
المحيط). |
| (٦) طيب يوناني ولد نحو ١٣٠ م وتوفي
٢٠٠ ميلادية. | (١٥) ب، ز: معه فيه. ج: - فيه، ب: |
| (٧) د: لا يدري. | + مع. |
| (٨) ب: وترجموه. | (١٦) ج: + في. |
| (٩) د: ترجموا. | |

كيف تختلف^(١) مراتبها، وتباين^(٢) بعضها عن بعض في طبائعها، وكذلك ما يمشی على بطنه من الحيوان^(٣)، تختلف مرتبتهم، وتباين أكثر، من تباين ذوات الأربع، وتبعد عن ذوات الأربع أبعاداً عظيمة، وأن لحوم ذوات الأربع عندهم لتباين^(٤) في طبائعها ومنافعها ومضارها، على أنها^(٥) ذوات أوبار [و ٢٨ ب] وأشعار، فماذا^(٦) يقرب^(٧) الخنزير عن^(٨) يمشی على رجلين^(٩)؟ هل هو^(١٠) إلا إرادة منهم لا حياة دينهم، وعضد^(١١) لنجلتهم؟ وهلا قالوا: إن لحم القرد أشبه بلحم الإنسان لحدة ذهنه، وعظيم فهمه؟ وإن كل حيوان^(١٢) نسج^(١٣) بطبعه إلا الآدمي والقرد، أو لست تراه يصرف أنامله تصرف الإنسان؟ وهل الأخلاق عندهم إلا آثار الخلقة؟ والحركات إلا أمارات الطبيعة؟ فأين هم؟ عن هذا معرضون، قاتلهم الله أني يؤفكون، وبصر^(١٤) هذه الطائفة العمياء من أصحابنا، ومن^(١٥) أهل جلدتنا، فإنهم عن هذا غافلون.

مزید بیان:

إن الباري في مخلوقاته يفعل ما يريد، ويغايّر في مخلوقاته بين الأجناس، والأنواع، خلق الحيوان على أنواع، كما خلق النبات على أنواع^(١٦)، صارت بغيرها^(١٧) أجناساً، فمن الحيوان ماش على رجلين، ومنهم على أربع، ومنهم على بطنه، والأصل ماء، أو ليقل^(١٨) قاتلهم ما شاء، فيلزمه^(١٩) ذلك قرط

- | | |
|---|---------------------------|
| (١) ز: كتب على الهامش: قف على تباين الحيوانات. | (١٠) د: هذا. |
| (٢) ب: يتبين، د: تبين. | (١١) ج، ز: عضداً. د: عقد. |
| (٣) ز: كتب على الهامش: مبحث في تباين الحيوانات. | (١٢) د: إنسان. |
| (٤) ج، ز: تباين. | (١٣) ج، د، ز: يسبح. |
| (٥) ج: - أنها. | (١٤) ب، ج، ز: ونصر. |
| (٦) ب: فما. | (١٥) د: - ومن. |
| (٧) ب، ج، ز: + من. | (١٦) ج: - على أنواع. |
| (٨) ب، ج، ز: من. | (١٧) ب، ج، ز: بعدها. |
| (٩) ب، ج، ز: رجله. | (١٨) ب، د: وليقل. |
| | (١٩) ب، ز: فليلزمه. |

أذن، وطوق جيد، ووشاح خصر^(١)، وخدم^(٢) قدم، وسوار ساعد، وقد جعل تعالى كل الحيوان بلسان واحد، وجعل للحية لسانين، وكذلك كل حيوان، إذا قطعت له رجل اندرج^(٣) على الأخرى إلا النعام، وجميع الحيوان له كرش ورثة إلا الفرس، وكذلك الحوت ليست له^(٤) رثة، وجميع حوت الماء له لسان، وحوت البحر له لسانان، وجميع بني آدم^(٥) (ركبهم في أرجلهم والبهائم ركبها في أيديها، وقالوا: إن جميع بهائم الوحش كفوفها في أرجلها، إلا ابن آدم)^(٦) والقرد، فإنها في الأيدي، وجميع الحيوان إذا نام أغلق^(٧) عينيه إلا الأرنب، ومن أغرب ما قالوا عن الذئب أنه يغلق عينه الواحدة ينام بها، ويفتح الأخرى، يحترس^(٨) بها، فإذا مضى نصف الليل داول بينهما، وقالوا: إن الأسد يفترس كل شيء [و ٢٩] إلا المرأة الحائض إذا رميت إليه أعرض عنها، والنطف يختلف^(٩) بقاؤها في الأرحام مع اتحاد^(١٠) الحيوانية والتوليد، فأقله شهران وأكثره للفيل سبع سنين، إلى أشياء غريبة، هم نقلوها وما عقلوها، ولا ردوا إلى المشيئة والآثار أمرها، ولا جواب لهم عنها.

قال القاضي أبو بكر رضي الله عنه: وقد جاء الله كما قدمنا بطائفة عاصمة^(١١)، تجردت لهم وانتدبت بتسخير الله، وتأيدته، للرد عليهم، ممن^(١٢) قدمنا ذكره من أعيان الأئمة، إلا أنهم لم يكلموهم بلغتهم، ولا ردوا عليهم بطريقتهم، وإنما ردوا عليهم وعلى إخوانهم المبتدعة، بما ذكره الله في كتابه، وعلمه لنا على لسان رسوله، فلما لم يفهموا تلك الأغراض، بما استولى على قلوبهم من صدى الباطل، طفقوا يهزأون من تلك العبارات، ويطعنون في تلك الدلالات، وينسبون قائلها إلى الجهالات، ويضحكون مع أقرانهم في الخلوات، فانتدب للرد عليهم بلغتهم، ومكافحتهم بسلاحهم، والنقض

- | | |
|---|------------------------|
| (١) رباط السراويل عند أسفل رجل | (٦) ج، ز: غلق. |
| المرأة، وموضع الخلخال (القاموس المحيط). | (٧) ب، د: يحرس. |
| (٢) ز: حزم. | (٨) ب: يختلف. |
| (٣) ب: تدرج. | (٩) د: إيجاد. |
| (٤) د: - له. وصحح على الهامش. | (١٠) قال أبي. |
| (٥) ب: سقط ما بين قوسين. | (١١) ب، ج، ز: - عاصمة. |
| | (١٢) ج، ز: من. |

عليهم بأدلتهم، أبو حامد الغزالي، فأجاد فيما أفاد، وأبدع في ذلك ما أراد الله وأراد، وبلغ في فضيحتهم المراد، فأفسد قولهم من قولهم، وذبحهم بمداهم. فكان من جيد ما أتاه، وأحسن ما رواه، ورآه، وأفرد عليهم^(١) فيما يختصون به دون مشاركة أهل البدع لهم، كتاباً سماه «تهافت الفلاسفة» ظهرت^(٢) فيه منته، ووضحت في درج المعارف مرتبته^(٣)، وأبدع في استخراج الأدلة من القرآن، على رسم الترتيب في الوزن، الذي شرطوه على قوانين خمسة بديعة في كتاب سماه «القسطاس»^(٤) ما شاء. وأخذ في «معيار العلم» عليهم طريق المنطق فرتبه^(٥) [و ٢٩ ب] بالأمثلة الفقهية والكلامية، حتى محاً فيه رسم الفلاسفة، ولم يترك لهم مثلاً، ولا عملاً، وأخرجه خالصاً عن دسائسهم، بيد أنه أدخل فيه أغراضاً صوفية، فيها غلو وإفراط، وتدآل^(٦) على الشرع وانبساط.

وقد كان تعرض سخيّف من بادية بلدنا يعرف بابن حزم^(٧)، حين طالع شيئاً من كلام الكندي إلى أن يصنف^(٨) في المنطق، فجاء بما يشبه عقله، ويشاكل^(٩) قدره^(١٠)، وقد كان أبو حامد تاجاً في هامة الليالي، وعقداً في لبة المعالي، حتى أوغل في التصوف، وأكثر معهم التصرف، فخرج على

حزم بن غالب يقال إنه فارسي الأصل ظاهري المذهب، حصاد الذكاء له معرفة واسعة بالمذاهب والملل والنحل والآداب وقد وصل إلينا كتابه الذي ألفه في المنطق وهو: التقريب لحد المنطق يؤيد فيه منطق أرسطو ويدافع عنه ضد الفقهاء الذين عارضوه ولكنه لا يأخذ بالقياس فيه ويقول بالعلة الطبيعية وينفي العلة العقلية. (الذهبي، العبر، ج ٣ ص ٢٣٩).

(٨) ج، ز: يصنف.

(٩) د: ويشاركه.

(١٠) ب: قد.

(١) ب: - عليهم.

(٢) ب: ظهر، ج: وظهرت.

(٣) ب: وصحت في درجة العلم منزله.

(٤) ز: كتب على الهامش: قف على مدح كتاب التهافت لحجة الإسلام والقسطاس له أيضاً.

(٥) د: قريبه.

(٦) دآله: ختله، ودآل مشى مشية فيها ضعف، والمداءلة: المخاتلة.

(القاموس المحيط). ب: تولد. ز: تداؤل.

(٧) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن

الحقيقة، وحاد في أكثر أحواله عن الطريقة، وجاء بالفاظ لا تطاق، ومعان ليس لها مع الشريعة انتظام ولا اتساق^(١)، فكان علماء بغداد يقولون: لقد أصابت الإسلام فيه عين، فإذا ذكروه جعلوه في حيز العدم، وقرعوا عليه^(٢) السن من ندم، وقاموا في التأسف عليه على قدم، فإذا^(٣) لقيته رأيت^(٤) رجلاً قد علا في نفسه، ابن وقته، لا يبالي بغده ولا أمسه، فواحسرتي^(٥) عليه أي شخص أفسد من ذاته، وأي علم خلط^(٦)، وخلط فيه مفرداته^(٧)، ماذا ألام من المحامد، وكم حايده عنه وحامد^(٨)، وكان ممن^(٩) ترجم عن الفلاسفة، ترتيب الأدلة الذي سموه حد^(١٠) المنطق، قد ضرب فيه الأمثلة الهندسية، والطبائعية، والإلاهية، ليتدرب القارئ بذكرها، ويأنس بتكرارها، ويطمح إلى مطالعتها، ويتشوق^(١١) ويستعد لاعتقادها، حتى يعلمها، وهي في كل ذلك تسدك^(١٢) بقلبه، ويطمح إليه بطرفه، ويتعلق منها بأمنيته، فتزل^(١٣) به^(١٤) القدم.

فقد رفع الله من عيا بصيرته النقاب

وأبقى وقوفهم من وراء الحجاب،

وكل فريق على صواب، لكنه لا

ينبغي الاعتراض على الشيوخ لمن

هو في سن الشباب، والشاهد على

ذلك والدليل الواضح المبين، تمزيق

أهل المغرب لكتابه إحياء علوم

الدين حيث لم يفهموا أسلوبه، ولم

يفقهوا منحا ومطلوه.

(٩) ب، ج، ز: من. وكتب على

هاشم ز: مما.

(١٠) د: حظ.

(١١) ب: يتشرف، ج، د، ز: يتشرق

ويبدو أن الصواب ما أثبت ويمكن

أن يقرأ: يتشوف.

(١٢) سدك به أي لزمه.

(١٣) ج، ز: فزل.

(١٤) ب، ج، ز: بها وفي هامش ب:

به.

(١) ج، ز: اتساق.

(٢) ج: عليه.

(٣) ب: فإن.

(٤) ب، ج، ز: لقيت.

(٥) ب: فواحسرتاه.

(٦) د: خاط.

(٧) ز: كتب على الهامش: يغفر الله

لابن العربي (العالم الفاضل النحرير)

(مضافة بقلم آخر) في إكثاره من

الانتقاد على حجة الإسلام من جهة

علم التصوف ومن الرد على

الصوفية، رضي الله عنهم، وكل

ذلك منه رضي الله عنه عقد يشعر

بشدة ميله إلى مذهب الظاهرية

المحسوب من البدع.

(٨) ز: وكتب على الهامش أيضاً: قف

على تانيب أهل بغداد على حجة

الإسلام وذلك لعدم وصولهم لما

وصل إليه وكشفهم لما كوشف به

وعلى كل حال فالذي أراه لكم على الإطلاق، أن تقتصروا على كتب علمائنا الأشعرية، وعلى العبارات الإسلامية، والأدلة [و ٣٠ أ] القرآنية، وأنتم في غنى عن ذلك كله، وخذوا^(١) مني في ذلك نصيحة^(٢) مشحونة بنكت من الأدلة، وهي أن الله سبحانه، رد على الكفار، على اختلاف أصنافهم، من ملحدة، وعبد أوثان، وأهل كتاب، وطبيعة، وصابئة^(٣) وشركة^(٤) ويهودية، بكلامه^(٥)، وساق أفضل سياق أدلته، وجاء بها في أحكم نظام، وأبدع ترتيب، فعلى ذلك فعولوا، فإن أبا حامد وغيره، وإن كان لبس للحال معهم لبوسها، وأخذ نعيمها، ورفض بؤسها، وأحيا أرواحها ونفوسها، فليس كل قلب يحتمله، وقل وجود نفس تستقل به، فهو وإن كان سيئاً للعلم، ولكنه مشحون بالغرر^(٦)، والشرع^(٧) قد نهى عنه، والعقل يستحث على^(٨) الانكشاف والهروب منه.

أما أن الرجل إذا وجد من نفسه منة، أو تفرس فيه الشيخ المعلم له ذلك، فلا بد من توقيفه على جميع^(٩) مآخذ الأدلة، واتساعه في درجات العلم، وتمكنه من بحوث المعارف، حتى يكون مستقلاً بأعباء الشريعة، مطبقاً على حمل أثقالها، بصيراً بالنضال عنها، والذب عن حرمتها، إذا احتيج إليه فيها^(١٠).

(١٠) ز: كتب على الهامش: قلت: آلات

الدفاع والنضال في الحروب لا زالت

منذ مبدأ الخليقة في ترق وزيادة

وتفنن بحيث إن كل زمان وما

يناسبه وما يشاكل قوى أهله

وعقولهم من آلات الدفاع ومثل

ذلك المناضلة بالحجاج واللسان فإن

المراء لا يدافع عدوه إلا بمثل سلاحه

فصنيع حجة الإسلام رضي الله عنه

من هذا القبيل لأن مماثلة السلاح في

الدفاع مطلوبة شرعاً وعقلاً بلا

نزاع

(١) د: خذ.

(٢) ز: كتب على الهامش: قف على

هذه النصيحة ولا بد.

(٣) ب، ج، ز: صباه.

(٤) كذا في جميع النسخ ولعلها شركية

كما اقترح الشيخ ابن باديس.

(٥) د: بكلام.

(٦) ز: كتب على الهامش: قف على هذا

التحذير.

(٧) ج: وأسرع.

(٨) ب، ج، ز: عن.

(٩) ب، ج، ز: - جميع.

وأما أصحاب الطبيعة فقصصتهم بديعة، وذلك أن القدرية لما كانت تدين دينها، وتسّر^(١) عقيدتها، وكان الجاحظ المفتري^(٢) على جهالته، وثمامة بن أشرس على خساسته^(٣)، وابن المقفع على فهاسته^(٤)، وابن الراوندي على حماقته، ومن تابع كل واحد منهم في صفاته، تسترت بالإسلام ولبست جلده، لستر عورتها في مخالفته، وجعلت تغتال^(٥) الدين، بمعان^(٦) ترهب بها على العامة، وتأخذها من ظواهر الألفاظ، وتدس مذاهبها في عقائدها، كأنها تعضد^(٧) الإسلام وتتعلق في ذلك بآيات متشابهات، وأحاديث مشكلات، فتركت^(٨) المحكم وراء [و ٣٠ ب] ظهرها^(٩)، لأن^(١٠) أرباب الطبيعة يدعون أن النشء في هذا العالم على التركيب، إنما هو من تأثير البسائط في الأصل^(١١) و^(١٢) وينشأ مركب عن^(١٣) مركب، هكذا على الترتيب، وذلك أنهم^(١٤) رأوا تركيب الكون في الموجودات المشاهدات، واحداً بعد واحد، فنسبوا الثاني إلى الأول، وعلقوا اللاحق بالسابق، وألحقوا المتأخر بالمقدم^(١٥)، وجعلوه منه باقترانه به في الوجود، وارتباطه معه في التواصل، وذهلوا عن المنشئ الحقيقي، فكانت بصائرهم عبيداً لأبصارهم، وجدالهم أقوى من أبصارهم^(١٦)، وتحيلت^(١٧) المعتزلة ومن دان دينها من القدرية فقالوا: إن الثاني تكون^(١٨) عن الأول يرسم التولد.

- | | |
|----------------------------------|-------------------------------------|
| (١) ب، ج، ز: وتنشر. | تصحيحاً: في الأرض. |
| (٢) ج: المغربي، ز: المغربي. وكتب | (١٢) ج، ز: أو. |
| على الهامش: عله المفترى. | (١٣) د: على. |
| (٣) ج، ز: خساسة. | (١٤) ب، ج، ز: لأنهم. |
| (٤) الفهاة، والفه: العي. | (١٥) ب: المتقدم المتأخر. د: بالمقدم |
| (٥) ب، ج، ز: تعتال. | المتأخر. ونبه الناسخ إلى أن في |
| (٦) د: بمعاني. | العبارة تقدماً وتأخيراً بوضع حرفي |
| (٧) ج: تقصد. | الحاء والقاف أولهما على كلمة |
| (٨) د: وتركت. | (المقدم) وثانيهما على كلمة |
| (٩) ز: كتب على الهامش: قف على | (المتأخر). |
| الذين تسرّوا بالإسلام. | (١٦) د: وجدالهم أقوى من أنصارهم. |
| (١٠) د: إلا أن. | (١٧) ب: وتحليت. |
| (١١) ب، ج، ز: كتب على الهامش | (١٨) ب، د: يكون. |

قال القاضي أبو بكر^(١): هذه لفظة اخترعها لهم الجاحظ المفتري^(٢)، مستفادة من الولادة، وهي خروج الشيء^(٣) من الشيء^(٤)، وكان هذا لما نشأ عن هذا، ولم يقولوا أنشأه احترازاً من المشاركة مع المنيء المنفرد سبحانه، فقالوا: نشأ^(٥) عنه، وعبروا عنه^(٦) بالتولد^(٧)، تحسناً له، وإخراجاً له بزعمهم من حيز المجهول إلى حيز المعلوم.

فأما الفلاسفة فبنوه على أصلهم في أن الفاعل لا يفتقر في كونه فاعلاً، إلى حياة وقدرة وإرادة، بل يكون شيء عن شيء، بأمور باردة، ورتب فاسدة، حتى أن بعضهم يقول في تحقيقه، حين ظهر له، أن شيئاً من الكوائن لا بد له من مكون: إن الأفلاك تتحرك بعشق بعضها لبعض، إذ^(٨) المحرك^(٩) منها واحد للآخر، حتى تنتهي إلى قبل الأخير^(١٠)، فيقول لك^(١١): إنه يتحرك^(١٢) بعشقه للأخير الآخر^(١٣) فهي حركة عشقية^(١٤)، ففر هؤلاء من هذه المقالة، لأشنعوتها^(١٥) وقالوا: نشأ هذا عن هذا، وعبروا عنه بالتولد تحسناً له، كما قدمنا، وعلى قاعدة الفلسفة قعدوا، و^(١٦) حول دائرتهم دوروا، ولكن [و ٣١ أ] قاعدتهم أهوت بهم، و^(١٧) دائرتهم ضنت^(١٨) عليهم.

وقد تمهدت القواعد الشرعية والعقلية في إثبات الصانع، وأنا أمهد لكم^(١٩) طريقين:

-
- | | |
|---|----------------------|
| (١) د: قال أبي رضي الله عنه. | (١١) ب، ج، ز: - لك. |
| (٢) ز: كتب على الهامش: قف على اختراع الجاحظ لفظ التولد. | (١٢) ب: تحرك. |
| (٣)، (٤) د: شيء. | (١٣) ب، ج، ز: الآخر. |
| (٥) ب: أنشأ. | (١٤) ب: عشقه. |
| (٦) د: - وعبروا عنه. | (١٥) ج: لأشنعوتها. |
| (٧) د: بالتولد. | (١٦) ج: - و. |
| (٨) د: - إذ. | (١٧) ج: - و. |
| (٩) د: والمحرك. | (١٨) ب، ج، ز: ظنت. |
| (١٠) ب: إلى فلك الأخير. ج، ز: إلى فلك أخير. | (١٩) د: + في ذلكم. |

الطريق الأول^(١) :

إن الخاطر إذا جال فيه أن التكوينات، في عالم الكون والفساد، في^(٢) محاط فلك القمر، ترتب^(٣) في الوجود من ذواتها بطبعها أو من ذوات^(٤) أخرى^(٥) بطبعها فيها، وانطباع هذه لها حتى تنتهي^(٦) إلى^(٧) المراد.

فاحضر بذهنك، وردها إلى ما قبلها حتى تنتهي معهم إلى موقف أول، لا سابق له، فإن أراد أن يتبادى، قيل^(٨) له: قف يا سيار، فقد^(٩) سال بك التيار^(١٠)، و^(١١) إن كنت تمشي في معقول، فلا تتعده إلى تعطيل، وتنته في التضليل، وتقع في غير معقول، بالتسلسل إلى ما ليس بمحصول، وإذا وقف الخاطر أو المناظر، ولا بد له^(١٢) من ذلك، قيل^(١٣) لهما أو لأحدهما: هذا المنتهي في النظر، المبتدأ في الكون، كيف يكون هذا عنه صادراً؟ يكون على وجه صدور الفعل المفعول من الفاعل المعقول، ذي القدرة والحياة والعلم والإرادة والتدبير والتقدير؟ أو صدور حركة الخاتم عن حركة اليد؟^(١٤) فإن أوقفوه على فاعل بتلك الصفات، فقد وقفت دائرة النظر على قطب التوحيد، وإن هم قالوا: إنه يصدر عنه صدور حركة الخاتم عن حركة اليد فيلزمهم أن لا يصدر عن الأول إلا ثان يماثله، وهكذا إلى الآخر، فمن أين ينشأ التغير^(١٥)، ويأتي الضد عن الضد؟ والمختلف عن المتفق، والمعدد^(١٦) عن المنفرد^(١٧)؟ وعلى هذه القاعدة في دلالة الصانع. ثبته الله سبحانه بقوله: ﴿وفي الأرض قطع متجاورات، وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير

-
- (١) د: الطريقة الأول. ز: كتب على
 (٢) د: الطريق.
 (٣) د: وفي.
 (٤) د: بترتيب.
 (٥) د: ب: ذات.
 (٦) د: ب: ذات.
 (٧) د: ب: ذات.
 (٨) د: ب: ذات.
 (٩) د: ب: ذات.
 (١٠) د: ب: ذات.
 (١١) د: ب: ذات.
 (١٢) د: ب: ذات.
 (١٣) د: ب: ذات.
 (١٤) د: ب: ذات.
 (١٥) د: ب: ذات.
 (١٦) د: ب: ذات.
 (١٧) د: ب: ذات.

صنوان، تسقى بماء واحد، ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك
 لآيات لقوم [و ٣١ أ] يعقلون ﴿ [الرعد: ٤] ﴾، فنه هذه الآية، في الأحرف
 اليسيرة على المعاني العظيمة، بالأدلة المعدودة^(١)، فإنك^(٢) تنظر إلى الأرض، ما
 بين سهل وحزن، وحجر^(٣) وتراب لدن أنواع مختلفة، وأزواج^(٤) مفترقة،
 زرع^(٥) ونبات، وأشجار أشتات، أصل كل شيء منها واحد، حتى^(٦) تنظر^(٧)
 إلى الحبة^(٨) التي تنبت^(٩) عنها ذات أجزاء متساوية، فإذا تزايدت للنبات،
 تزايدت عن تلك الصفات، وانقسمت إلى عرق يعلوه قشر، يتراقى إلى غصن
 ينتهي إلى عذق، ينقسم إلى ورق، وزهر، وثمر، الأرض واحدة، والماء
 واحد، والحبة^(١٠) واحدة، وكل ما ينشأ عنها لا يماثلها، ولا يتماثل^(١١) في نفسه،
 بل لكل^(١٢) واحد^(١٣) هيئة مخصوصة، ولون مخصوص، وطعم مخصوص. والماء
 الذي من شأنه الرسوب يصعد إلى الجميع، ويجري فيه حتى يسيل على جميع
 جوانبه، ونواحيه، فيا أيها الحاضر والناظر^(١٤)، أين ألفاظك الرائقة، وحكمتك
 الفائقة، أين لي هذه الاختلافات كيف تتعدد^(١٥)، والطبع واحد، دون شرط^(١٦)
 الفاعل الواحد^(١٧)، المتصف بالصنع^(١٨) حقيقة؟ هيهات ها أنا معك دائر، فقل
 ما أنت قائل، أو^(١٩) صر إلى ما أنت صائر، وأبن لي كيف دارت عليك
 الدوائر، وخذلك الطباع، فما لك من قوة ولا ناصر؟ ودعني من نويغة إذا
 وقف على هذا، زوى حاجبه، وأدار قرنيه، وفرق - كالمبتسم - بين شفتيه،

- | | |
|----------------------|-----------------------------------|
| (١) ج: المعدودة. | (١٢) ج: كل. |
| (٢) ب: بأنك. | (١٣) ب: واحدة. |
| (٣) د: وبحر، + ورمل. | (١٤) ج: الخاطئ والمناظر، د: ز: |
| (٤) ب، ج، ز: وأرواح. | الخاطر أو المناظر. |
| (٥) د: وزرع. | (١٥) د: هذا الاختلاف كيف تعدد. ب: |
| (٦) ب، ج، ز: - حتى. | تعدد. |
| (٧) ب، ج، ز: ينظر. | (١٦) د: شرط. |
| (٨) ب، ج، ز: الجنة. | (١٧) ب، ج، ز: - الواحد. |
| (٩) ج، ز: نبت. | (١٨) ب، ج، ز: بالفعل. وكتب على |
| (١٠) ب، ج، ز: الجنة. | هامش ب، ز: بالصنع. |
| (١١) ب، ج، ز: يماثل. | (١٩) ب، ج، ز: و. |

فليخرج ما يصدر، وليذكر ما شاء أن يذكر، فهذه الطريقة لازمة له، فلا مبرح^(١) له عنها، ولا^(٢) محيص منها.

الطريقة الثانية:

لا خلاف بينهم أن النيرات السبعة في الأفلاك السبعة، هي الفاعلة المدبرة، ولكل واحد منها جزء ينفرد به، ولكنهم جعلوا الآدمي بينهم عضين، وقسموه عليهم، وأعطوا لكل واحد [و ٣٢ أ] منها جزءاً من الآدمي، وشهراً من أيام تربيته وحيئاً^(٣)، فيقال لهم: ليس هذا معلوماً^(٤) ضرورة، فيتفق العقلاء عليه، ولا وجدنا نظراً يوصل إليه، ولا رويماً خبراً يدل عليه، هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين، فكل^(٥) ما ذكروه فقد تقدم ذكر^(٦) إبطاله.

مضايقة:

إذا قلتم: إن الكون والفساد في مقعر فلك القمر^(٧) فمن أين يصل بينهما تأثير^(٨) ما فوقهما من باقي الصانعين؟ ولا يخلو أن يكون فلك القمر^(٩) محيطاً بهذا العالم، أو يكتنف^(١٠) بعضه، ويبقى البعض في خلاء عنه، وأيما^(١١) قلتم فلا مخرج لكم منه، و^(١٢) إن قلتم: إنه محيط به، وإن هذا العالم في محاطه، كالذرة^(١٣) في الدرج، فمن يجمع بينه وبين تأثير^(١٤) ما فوقه، وبينها حجابها، وحجب غيره، إن كانوا على مثاله، ومحال وصول التأثير عندكم من وراء حجاب (شفاف^(١٥)، فكيف من وراء حجاب^(١٦)) يملاً الفم

-
- | | |
|---------------------|--|
| (١) د: تبرح. | (٩) سقط ما بين قوسين من ج. |
| (٢) د: فلا. | (١٠) ج، ز: يكشف. وصحح في هامش ز: يكشف. |
| (٣) د: - حيناً. | (١١) ب، ج، ز: أيها. |
| (٤) ب، ج، ز: معلوم. | (١٢) ب، ج، ز: - و. |
| (٥) ب: وكل. | (١٣) د: كالذرة. |
| (٦) د: ركن. | (١٤) ب، ج، ز: تأثير. |
| (٧) ب: عنها. | (١٥) د: متفاف. |
| (٨) ب، ز: تأثير. | |

(١٦) سقط ما بين قوسين من ب.

ذكره، فكيف قدره؟ وإن قلتم: إنه لا يحيط فلك القمر بهذا العالم، فما يخرج عن محاذة فلك القمر؟ هل يحيط به خلاء، أو له محيط آخر سواه؟ فإن قلتم يحيط به خلاء، فالعدم ليس بمحيط، ولا يحاط به، ولا هو طريق لشيء، ولا عليه طريق لا^(١) محسوساً ولا معقولاً، وإن قلتم إن هناك محيطاً به، فعينوه. فإن^(٢) قلتم: إنه يحيط به الذي فوقه، قلنا لكم: وما حكم الفلك^(٣) الثاني؟ الإحاطة بجميع فلك القمر أو ببعضه^(٤)؟ فإن قلتم بجميعه، فما هذا التحكم؟ أو ما دلکم عليه، وإن^(٥) قلتم: إنه أكبر منه، قيل لكم: وقد يكون الشيطان عظيمين متقاربين^(٦) في حيزين مختلفين، وإن قلتم: إنه يحيط ببعضه، فهل يقابل المحيط منه للمحيط من فلك القمر؟ أو يقابل الخالي من^(٧) إحاطته به^(٨)؟ فإن قابل الخالي، فلم لا يصل تأثير الثاني أو الثالث إلى هذا [و ٣٢ ب] المؤثر دون ترتيب مع هذا المؤثر الأول حتى يتعارضاً فيما فعل كل واحد منها، فيفسد التدبير ويختل النظام؟.

و^(٩) قد جعلتك على هذا الأصل، فخذ به بكل فصل، وأرده بجميع وجوهه، فليس لهم عنه مناص^(١٠).

وقد قلت في هذا المعنى لبعض أصحابنا أبحاثاً توحيدية:

كن لئله كما كان لك	ولا تهتبل بمدار الفلك
فإن إلهك قد أحكمت	معاليه من عال أو من ملك
ومن ذل أو عز ^(١) في موطن	ومن عاش في نعمة أو هلك
فلا ترج ذلك من غيره	ودع عنك من شك أو خذلك ^(٢)
وخل المضلين في غيهم	وقل للكواكب من أصلك

(١) د: ولا.

(٢) د: وإن.

(٣) د: - الفلك.

(٤) ب، ج، ز: بعضه.

(٥) د: فإن.

(٦) ب، ز: متفاوتين، د: متفاوتين.

(٧) د: عن.

(٨) ب، ج، ز: - به.

(٩) د: - و.

(١٠) ب، ج، ز: محيص، وصحح في

هامشها جميعاً.

(١١) ج: عن.

(١٢) د: خذلك.

وَأَنْتَ تَغُورُ وَأَنْتَ تَمُورُ
وَلَوْ فَلَكَ دَارٌ مِنْ ذَاتِهِ
وَأَنْ لَمْ يَكُنْ ذَاكَ مِنْ طَوْقِهِ
فَلَيْسَ الْمَغِيرُ إِلَّا الَّذِي
فِيهَا أَيُّهَا النَّدْبُ^(٢) مَا أَعْقَلَكَ
أَمِنْ كَانَ عَنْ كَوْنِهِ^(٤) عَاجِزاً
تَنْبَهُ فَقَدْ بَانَ وَجْهَ الدَّلِيلِ

فَمَنْ عَاضَ^(١) مِنْكَ وَمَنْ بَدَلَكَ
أَقَامَ إِذَا شَاءَ أَوْ سَلَكَ
فَأَنْ يَقَالَ لَهُ ذَاكَ لَكَ؟
تَغَايِرُ عَنْكَ وَمَا شَاكَكَ
وَيَا أَيُّهَا الْفَدَمُ^(٣) مَا أَغْفَلَكَ!
أَتَرْجُوهُ لِلْغَيْرِ مَا أَجْهَلَكَ؟
وَقَدْ آتَى أَنْ تَعْرِفَ مِنْ دَلِّ لَكَ^(٥)

تنزيل:

لما تعلقت القدرية بذيل^(٦) الفلسفية في هذه المسألة، وألفيناها تحتها،
نزلنا في الكلام معها، وهتكنا سترها، وفصل القول معهم في التوليد معلوم،
قد طوله القاضي^(٧) والشيخ أبو الحسن^(٨) لكن بمناقضات لا بدلالات، فإن
أسخف من أن يدل على فساده، وإنما أراد هؤلاء العلماء أنهم لم يفوا^(٩) به،
وأهم تناقضوا^(١٠) فيه، فشأنكم وإياي. وأما نحن فنورد عليهم طريقة قريبة
المرام، ضابطة لشغب^(١١) الكلام، فتمول: قد حررناها [و٣٣أ] قبل هذا
بنصها في غير ما املأ، حتى تكون^(١٢) كالترار، لتوكيد^(١٣) الألفاظ والمعاني،

(باب الكلام في إبطال التولد.
التمهيد، تحقيق الأب رتشد يوسف
مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية،
بيروت، ١٩٥٧ م، ص ٢٩٦ وما
بعدها).

(٨) أي الأشعري.

(٩) ب، ج، ز: يوفوا.

(١٠) ب، ج، ز: يناقضوا.

(١١) يمكن أن تقرأ في د: شعب.

(١٢) ب، ج، ز: يكون.

(١٣) د: لتوحيد.

(١) ب، ج، ز: غاص.

(٢) الندب: الظريف، النجيب.

(٣) القدم: المعى في الكلام، الثقيل في
الفهم، الأحمق.

(٤) ب، ج، ز: صوته.

(٥) غير موزون، واقترح ابن باديس
إسقاط (أن) ليستقيم الوزن.

(٦) ب، ج، ز: بدليل.

(٧) أي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي

(٤٠٣ هـ / ١٠١٣ م) وقد كتب

باباً في كتابه التمهيد تحت عنوان

فذلك أضبط لها. وأول من يؤثر عنه هذا المذهب معمر^(١) القدرى، والجاحظ المفترى، وقد قام بحمد الله وتوفيقه الدليل على أن الله وحده خالق الأجسام، والأعراض، وتبين أن العبد مكتسب غير فاعل، فإذا ثبت استحالة الفعل من الحي العالم الذي يقبل الأمر والنهي فاستحالته من الأموات أثبت، ولأن الإحراق الكائن مع اتصال النار بالأجسام المحترقة فعل محكم، إن أضيف إليها، بطل الاستدلال بالفعل المحكم على الحياة والعلم، نعم وعلى الوجود^(٢)، وانقلبت الحقائق وبطلت الأدلة، ولأن النار إن^(٣) أحرقت بذاتها، وجب أن تحرق كل ما يتصل بها من حار^(٤) وبارد ورطب ويابس، فإن^(٥) كانت تحرق بصفة لها، وهي الحرارة، فلا يخلو أن تنتقل إلى المحترق وذلك باطل، لاستحالة بقاء العرض، فضلاً عن انتقاله، أو تحرق الحرارة وهي قائمة بالنار، ففي^(٦) ذلك محال شنيع، وهو^(٧) تجرد الأحكام للمحال، وللمعاني^(٨) القائمة، بمحال^(٩) آخر^(١٠)، فيبيض عمرو^(١١) بيباض^(١٢) زيد، ويسود بكر بسواد خالد، فإن قيل أفي المشاهدة تريد أن تشكك الخلق؟ قلنا: المشاهدة وجود الإحراق فأما نسبته إلى النار فدعوى، فإن قيل وجدنا النسبة عربية شرعية، قلنا أضاف الله تعالى المعاني إلى الأسباب عند وجودها على حكم اللغة العربية، والحقيقة وراء ذلك، والذي يكشف الغطاء معهم في ذلك أن يقال لهم: ليس لكم عمدة إلا اقتران الوجودين وهو اتصال النار بالأجسام، ووجود الإحراق حينئذ، فبجهلكم بحقيقة الفاعل القادر،

-
- (١) هو معمر بن عباد السلمى أبو عمرو من أهل الطبقة السادسة معاصر لأبي الهذيل العلاف والنظام، وله صلة وثيقة بالفلسفة (الدكتور النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام الطبعة الرابعة، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٦هـ/، ص ٦٠٧ وما بعدها).
- (٢) ب، ج، ز: الوجوب.
- (٣) ب، ج، ز: وإن.
- (٤) ب، ج، ز: حر.
- (٥) د: وإن.
- (٦) ب، ج، ز: وهي مع ذلك.
- (٧) ب، ج، ز: وهي.
- (٨) ب، ج، ز: والمعاني.
- (٩) ب، ج، ز: فمحال.
- (١٠) ب، ج، د، ز: آخر. وأغلب الظن أن صواب الكلمة «آخر» ليستقيم الكلام.
- (١١) ب: عمر، ج: عمرو.
- (١٢) ج: ويباض.

أضفتموه إلى الجهاد، ولم تراقبوا^(١) أن تقولوا^(٢): إن جهاداً فاعل، قوي محكم، فيلزمكم مثله في الاقترانات الموجودات في العالم كلها. [و ٣٣ أ] وأوقعها^(٣) حجة، وأوضحها محجة، الأب والأم^(٤) يتولد منها^(٥) الولد، فإذا أودع الأب النطفة في الرحم اقترن بذلك اختلاف الأوصاف على النطفة، وانسلاك الروح فيها، والقوى المحركة المدركة، ولا يقال إنها موجودة به، ولا مضافة إليه، وإن اقترن ذلك به، بل يحيلونها على الأول، بواسطة وبغير واسطة من أسماء يسمونها ملائكة^(٦)، وماذا يقولون فيها من البهتان، ويتفوهون^(٧) به من الطغيان، وذلك يلزمهم فيمن غمض عينيه، فلم ير شيئاً ففتح عينيه فأدرك الألوان، يقولون^(٨) إن فتح البصر ولد إدراك الألوان في العينين، وكذلك في نور الشمس مثله، وفي اقترانات لا تحصى كثرة^(٩)، فبطل هذا التعلق جملة، ولكنهم لما رأوها ألفاظاً اعتادوها فدكت بقلوبهم، حتى لم يستطيعوا أن ينزعوها عنها، وقد استوفينا ذلك في كتب الأصول وهذه نبذة منه.

ص ٢٤١. ونور الشمس،

ص ٢٤٢).

(٥) ب، د، ز: بيها.

(٦) ز: كتب على الهامش: قلت رأيت في كتاب الملل والنحل للشهرستاني أن جميع القوى الموجودة في المخلوقات كلها هي أرواح في غاية الدقة واللطافة مخلوقة من جملة الملائكة يودع الله منها ما شاء فيما شاء من مخلوقاته بحسب ذواتها وقوابلها ليظهر أثرها في العالم بمقتضى التدبير الإلهي والله أعلم بذلك ويسند نقله. هـ.

(٧) ب: ينصرون، ج: تنفرون، ز: يتفرون.

(٨) ب: فيقول. ج، ز: فنقول.

(٩) ب، ج، ز: كثيرة.

(١) ب: يراقبوا.

(٢) ب: يقولوا.

(٣) ب، ز: وأوقفها، ج: وأوقفها.

(٤) متأثر في هذا بالإمام الغزالي. وقد جاء بنفس المثال وهو الأب والأم. في كتابه (تهافت الفلاسفة تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦ م، ص ٢٣٩ - ٢٥١). بل يأتي أبو بكر في بعض الأحيان بنفس لفظ الإمام الغزالي: فقد أتى بمثال الاحتراق كما أتى بمثال الأب والأم وعبر عن ذلك بقوله: «انسلاك الروح» وهو نفس تعبير الغزالي (تهافت الفلاسفة، ص ٢٤٠ السطر الأخير من المتن. وكذلك مثال أبصار العين، ص ٢٤١ - ٢٤٢. والقوى المحركة والمدركة،

التفات:

ونعود إلى القول مع من انتدبنا إليه فنقول: وأما المتألجة منهم، فهم أعظم الطوائف فليقة^(١)، وأردأهم طريقة، لا يعقد معهم على قول، ولا يستقر معهم من التحقيق على منزل، ومآل الحاصل من تخليطهم إلى قدم العالم^(٢)، الذي ينبي على عدم الصانع، ويعتقدون^(٣) استحالة الفناء الذي بنوه على إنكار الحشر والنشر، والثواب والعقاب، ومنهم من يذكر الصانع والحشر والثواب أسماء لا مسميات لها، كما قال الشاعر:

أجر^(٤) ووزر^(٥) على نار مضرمة أو في نعيم أركب أو على قدم
أسماء منقبة في غير مرتبة كالشيء يخبر عنه وهو في العدم

وإذا نظرت إلى كلامهم في ذلك كان لك^(٦) معهم طريقان [و ٣٤ أ]، أحدهما التعلق بما لم يطرده على أصلهم، ولا وفوا بعهدة^(٧) المعقول^(٨) فيه، وهي مناقضة عائدة على أصل من أصولهم الضرورية بالبطلان، وذلك أنهم يقولون: هذه الهيئة لا نفاذ لها ولا انقضاء، ولا استحالة، ولا تغير بأفلاكها وصفاتها وحركاتها وأجسامها^(٩).

فيقال لهم: فإذا كانت حركة القمر في فلكه لا نهاية^(١٠) لها، وحركة زحل لا نهاية لها، فلا يصح أن تنسب إحداها إلى الأخرى، لأن ما لا يتناهى^(١١) لا ينسب مما لا يتناهى، فإن نسبوا فقد خرجوا عن المعقول، ولا بد لهم من ذلك، وإن لم ينسبوا، فقد أبطلوا مذهبهم، وتديرهم، نسبة شيء إلى شيء منها، أو بها.

- | | |
|--|--|
| (١) ج: فليقه، والفليقة، الأمر | (٦) د: لكم. |
| العجيب والداهية (القاموس المحيط). | (٧) ج: بعد، د: بعهدة. |
| (٢) ز: كتب على الهامش: أعرف القولة الشيعية بقدّم العالم والرد على ذلك. | (٨) ز: كتب على الهامش: المعلق. |
| (٣) د: ويعتقد. | (٩) ب، ج، ز: وأقسامها. |
| (٤) ب: اجتر. | (١٠) ز: كتب على الهامش: لعله، بل عوايه: لها نهاية. |
| (٥) ب، ج، ز: وزور. | (١١) ج، ز: ما يتناهى. |

الثاني: أن نقول^(١) لهم: كل ما كان له أول جاز^(٢) أن يكون له آخر، لأنه لا يصح أن يوجد لنفسه، وما أوجده غيره، جاز^(٣) أن يعدمه، ولما وقف النظر إلى هذا الموضع الذي لا بد منه أنكروا العدم في^(٤) الأول، و^(٥) أنكروا الإعدام، وجوزوا وجود شيء لا^(٦) من شيء، وأحالوا عدمه منه، أو من غيره، وكان في ذلك كلام طويل، ليس هذا موضعه. هذا القول يسكتهم عنه، ويجزيهم^(٧) معكم.

ومن الغرائب^(٨) أن صاحب الجيم^(٩) عندهم قال: لو كانت الشمس فانية لأدركها الذبول بطول البقاء^(١٠)، فيقال له: هذا فاسد على مذهبك، وعلى طريق الحق. أما فساد ذلك على مذهبك، فالذبول عندك إنما يكون بنضب المادة، ولعل مادة الشمس لم تنضب، وأما على مذهبنا، فلأن العدم إنما يكون عن قطع الأعراض وذلك مبين^(١١) على التحقيق في الأصول بجميع وجوهه.

وقد قال الشيخ أبو الحسن [و ٣٤ ب]: معرفة الصانع ضرورة^(١٢)، وتحقيقه أنه إن كان العالم صنعة فهي صادرة عن صانع قطعاً، ضرورة المعنى واللفظ، وأما الفناء الذي أحالوه فهو مشاهد في بعض العالم، وهو معلوم فيما لم يشاهد بالدليل المتقدم، حسبما سطر في كتب الأصول.

-
- (١) ب: يقال.
(٢) د: جائز، ز: علق في هامش:
قوله: جاز احتراز منه ليدخل في الحقيقة نعيم الجنة.
(٣) د: جائز.
(٤) ب: وفي، د: نعم وفي الأول.
(٥) د: - و.
(٦) ب، د، ز: - لا، وصحح في هامش
ز هكذا: صوابه لا من شيء.
(٧) د: يجزيهم.
(٨) ب، ج، ز: الغريب.
(٩) يقصد به جالينوس. ج: الحكم.
(١٠) ب، ج، ز: الفناء. وهذا النصف مأخوذ من: (كتاب تهافت الفلاسفة للغزالي تحقيق سليمان دنيا، ص ١٢٦)، ونصه: ما تمسك به جالينوس إذ قال: لو كانت الشمس مثلاً تقبل الانعدام لظهر فيها ذبول في مدة مديدة.
(١١) د: بين. يرى الأشاعرة أن فناء الجواهر يكون بأن لا يخلق الله تعالى فيها الأعراض من حركة وسكون (تهافت الفلاسفة، ص ١٣٠).
(١٢) ز: كتب على الهامش: قفا معرفة الصانع ضرورة.

وأما إنكار الحشر فشاهده^(١) في إعادة^(٢) النبات في الأرض بعد الاستحصاء، وهم يقولون، هذا في عالم الكون والفساد، (قلت لهم: والإنسان من ذلك العالم، فإن قيل إنما يقولون إنما ذلك بأسباب مرتبة من الكون والفساد)^(٣) قلنا عنه جوابان: أحدهما: أنه إذا ثبت وجود الإعادة للفاني كجريان^(٤) العادة فيه، على وجه لا يلزم أن تكون العادة واجبة، إلا على تقدير أن يكون^(٥) العقل^(٦) من تلك الأسباب، وقد بينا فساده، فلم يبق إلا أنه يعيده الفاعل متى شاء، كما أخبر، وقد قالوا: إن الصفة تعود على التفصيل والجملة^(٧) بعد الدورة العظمى، وذلك لاثنتين وسبعين ألفاً دورياً في نقطتي الحمل والجدى، فيقال لهم: فهل تعود بصفتها على الجملة والتفصيل، أو البعض؟ فإن قيل تعود بالكل، قلنا: فلم لا نذكر أنفسنا الآن^(٨) كما كنا قبل^(٩)؟ وإن^(١٠) قيل تعود البعض لأننا قد فاتنا ذكر ذلك فينا^(١١)، قلنا^(١٢): فالذي فوت الذكر لتلك الصفة، يفوت منها^(١٣) غيره^(١٤)، ويقدمها^(١٥)، ويؤخرها، ويغيرها، وبطل بهذا وجوب نسبة شيء من ذلك إلى حركات الفلك، أو إلى ما^(١٦) ينسب إليه، لأن اختلال دقيقة منها، يوجب اختلال الجميع، فإن قيل^(١٧): فقد رويتم أن الله لما خلق آدم استخرج منه نسم بنيه فقال لهم: «ألسن بربكم؟ قالوا: بلى» [الأعراف: ١٧٣]، ثم أوجدتهم [و ٣٥ أ] فلم يذكروا، قلنا: نحن نقول: إن الباري هو خالق الخلق، وصفاتهم، من حركة وسكون، وعلم، وذهول، وما شاء أوجد، وأعاد، وما

- | | |
|--------------------------------|---------------------------------|
| (١) ب: فشاهد، د: فمشاهد. | زعمهم في قدم العالم وعدم الفناء |
| (٢) ب: إشادة. | بهاته الكيفية. |
| (٣) ب، ج، ز: سقط ما بين قوسين. | (١٢) د: - قلنا. |
| (٤) د: يجريان. | (١٣) ج، ز: كتب على القاموس: |
| (٥) ز: - يكون. وصحح في الهامش. | منه. |
| (٦) ب، ج، ز: الفعل. | (١٤) كذا في الأصول الأربعة. |
| (٧) د: الجمل. | (١٥) ب: ويعدها، ج، ز: |
| (٨) ب، ج: - الآن. | - ويعدها، وكتب على الهامش: |
| (٩) ب، ج، ز: - قبل. | ويعدها. |
| (١٠) ب، ج، ز: فإن. | (١٦) د: أو لما. |
| (١١) ز: كتب على الهامش: قف على | (١٧) ب: قالوا. |

لم يشأ أخبر عنه فآمنّا به، وهذا لازم لكم، ساقط عنا، كما بيناه، وكذلك معرفة الثواب والعقاب، معلوم من جهة الخبر، وقد شبب^(١) بعض الفلاسفة بأنه مدرك بالعقل، في تخليط تكذب به القدريّة^(٢).

وهلّة:

وقد^(٣) كان أبو حامد الغزالي يميل إلى ذلك ويستطرفه، قلت له: ما معنى قول النبي ﷺ في صلاة الكسوف: «ورأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً، فلو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا»؟ كيف يكون صفة دوام أكله ووجوده هل كان كلما أكل منه جزء خلفه آخر، وإذا فנית حبة أينعت^(٤) أخرى؟ فقال، وكتب بخط يده^(٥): ثمار الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة، والمعنى في الحديث^(٦) أن ثمار الجنة إذا تعلقت بها آمال الناظرين، أو قابلتها أبصارهم، حدثت أمثالها في نفوسهم، حدوث أمثال المرائي^(٧) في المرأة، وأعيان المرائي لم تبدل ذواتها، ولا رامت مكانها.

قال القاضي أبو بكر^(٨) رضي الله عنه:

تذكرة:

ولم تتفق لي مراجعته^(٩)، وهذا مما لا نقول به اعتقاداً، ولا نرضاه ديناً، فإنه لا يشهد له عقل، ولم يرد به نقل. فإن قيل: فهذا النائم يأكل حتى يشبع، قلت له: يا نائم دعني من النائم، ولا تحمل الحقيقة على المجاز، ولا ترد^(١٠) التوم إلى اليقظة. وستكلم على الرؤيا في موضعها، وقد سبق منا أمثالها، ولا سيما في محاسن الإنسان^(١١).

(٦) ز: كتب على الهامش: قف على

كلام الغزالي في ثمار الجنة وما فيه.

(٧) ج، ز: المرائي.

(٨) د: قال أبي رحمه الله.

(٩) ب: مراجعة.

(١٠) ج، ز: يرد.

(١١) ب، ز: كتب على الهامش:

الإحسان.

(١) كذا في جميع الأصول وفي القاموس

المحيط المشبب المحسن. ولعله من

باب التحسين والتقيح العقليين، أو

لعله تثبت.

(٢) ب: تكدر بالقدريّة.

(٣) ج، د، ز: قد.

(٤) ب، د، ز: أينعت.

(٥) ب، ج، ز: بخطه.

ومن أعظم ما نسكتهم^(١) به، أن نقول لهم: إنا نرى الله في المنام [و ٣٥ ب] آدمياً، أكذلك^(٢) هو؟ فيهتوا^(٣) وهذا أمر^(٤) صحيح، وذلك أن الأمور المعقولة، إما أن تعلم مشاهدة، أو يهجم عليها العقل باتفاق^(٥)، أو تعلم^(٦) بالدليل، من تمثيل أو تنظير، وهو لا^(٧) يقول بقياس في العقليات، وإن قال به، فبمقدمتين تنتجان مطلوباً صحيحاً، وهذا مما لم يعمل فيه إلا على الدعوى، والتمثيل بالمرآة التي لا تقوم على ساق.
معاد^(٨):

وقد بينا أن قولهم الأصلي: إن كل شيء من ذاته بالابتداء، والانتها، وبالتفصيل، وبالتفصيل التفصيل، من ابتداء الوجود إلى منتهاه، بطبيعته، كل ذلك دائر^(٩) على الحركات، كائن عنها، على جبر وانطباع، فيتحرك المتحرك بتوابعه، وذلك موجود في^(١٠) المحرك الأول.
عاصمة:

قلنا: هذا فاسد من ثمانية أوجه، الأول: إن قولهم: إن كل شيء من ذاته، يريدون به طبيعة، كما صرحوا به^(١١) أو غير ذلك؟ فإن أرادوا غير ذلك، وليس عندهم فليبرزوه، وإن أرادوا بالطبع، فما معناه؟ إذ ليس يرجع إلا^(١٢) إلى العادة، أن هذا وجد بعد هذا، فقالوا: إنه وجد عنه وبه، ولا نسلم لهم ذلك، ولا يدلون عليه أبداً.

وإن قالوا به^(١٣)، فإننا نقول لهم: إن كان يفعل شيئاً بطبيعته فمع الإتصال فهو المشاهدة.

-
- | | |
|--------------------------------|---------------------|
| (١) ز: كتب على الهامش: نبكتهم. | (٧) ج: هؤلاء. |
| (٢) د: كذلك. | (٨) ب، ج، ز: معادة. |
| (٣) ب، ج، ز: فيهتوا. | (٩) د: جائز. |
| (٤) د: الأمر. | (١٠) د: على. |
| (٥) ب: بالتفاق. | (١١) ب، د: - به. |
| (٦) ب: يعلم. | (١٢) د: - إلا. |
| | (١٣) د: - به. |

وأما مع الانفصال فدعوى ، لا تثبت أبداً ، من حرك الثاني للأول وليس متصلاً به^(١)، وهكذا إلى آخر الصفقة، حتى اضطروا إلى أن يقولوا: إنه يتحرك الثاني بعشقه للأول فيحكيه، قلنا^(٢) له: فإذا^(٣) عشقه، فمن الفاعل ومن المفعول؟ ومن الواطىء ومن الموطوء؟ والعشق هو معنى^(٤) تطلع النفس إلى اللذة^(٥)، وليس من شرطها^(٦) تساوي الأفعال، بل ربما كان الاختلاف فيها شرطاً، فانظروا إلى [و ٣٦] هذا الخطاب الذي يذكر في معنى بيان الحقائق والأدلة.

الثالث^(٧): أن الفاعل إن كان يحرك فيحرك^(٨) الكل، وانتظم التدبير بالحركة، فمن أين جاء السكون؟ فإن قالوا^(٩): من قطب الدائرة، لم نسلم^(١٠) لهم أن فيها ساكناً، ولو سلم^(١١) فالحركة هي الفاعلة عندهم، فما للسكون والدخول فيه؟ والمعول على القطر^(١٢) من^(١٣) القطب، ونحن عندهم أهل القطب، فما بالناس^(١٤) في حركة دائمة ليس فيها^(١٥) من السكون شيء.

الرابع: إنه إن كان المحرك الأول يفعل بطبعه^(١٦)، فكيف نشأ عن الطبع الواحد أربع^(١٧) مختلفة، ولا ينشأ عن الشيء إلا مثله؟ فإن أشاروا إلى الامتزاج، قيل لهم: وليس في الأول امتزاج، وهو إنما يفعل^(١٨) بذاته، فمن أين جاء الامتزاج^(١٩)؟

-
- | | |
|--|---------------------------|
| (١) ب: - به. | (١٠) د: يسلم. |
| (٢) د: قلت. | (١١) ج: نسلم. |
| (٣) د: وإذا. | (١٢) ب، ج، ز: القطب. |
| (٤) د: والعشق معنى هو تطلع. | (١٣) ب، ج، ز: فمن. |
| (٥) ز: كتب على الهامش: قف على معنى العشق وهو تطلع النفس إلى اللذة. | (١٤) ب: فما لنا. |
| (٦) ج: شروطها. | (١٥) ب، ج، ز: فينا. |
| (٧) لم يذكر الثاني. | (١٦) ب: بطبيعة. |
| (٨) د: تحرك فتحرك. | (١٧) د: أربعة. |
| (٩) ب، ج، ز: قال. | (١٨) د: وإنما هو فعل. |
| | (١٩) ب: المزاج، د: المزج. |

الخامس: إن المحرك الأول إن كان لحركته ابتداء فاندفعت، فلم تفرقت الكوائن، ولم يكن عنها في حالة واحدة ما^(١) يقتضيه الطبع، وتوجيه الهيئة والتدبير في فعل تتركب^(٢) عليه أفعال؟ وإن^(٣) كان فعله على الترتيب، فلم كان^(٤) مختلفاً كما تقدم؟ ومن أين جاء التعارض، والتنازع، والتضاد بين الكوائن، والأصل واحد؟.

السادس: ويرجع إلى الأول، إذا كانت الحركة صدرت عنها الحركات فلم افترقت^(٥) في الأفلاك إلى مستقبله^(٦)، وراجعة، إلى مستقيمة ومعوجة^(٧)؟ إن كانت هذه الأسماء على الحقيقة، فهي خلاف فاعلها، وإن كانت مجازاً لا حقيقة لها^(٨) فلم ركبتم عليها الحوادث؟.

السابع: إن الإسلاميين من الفلاسفة قد حكموا على^(٩) أفلاطون^(١٠) وأرسطوطاليس^(١١) باستحالة الإيثار^(١٢)، وإن صانعاً مؤثراً لا يتصور، وهذا^(١٣) أحد أصول الإلحاد الأربعة، وهو الأول الآن معهم، فإننا نقول لهم: زعمتم أن صدور الأشياء عن ذاته، صدور العلة عن المعلول، والدليل القاطع على^(١٤) استحالة [و ٣٦ ب] ذلك^(١٥) أن العقل يقضي قطعاً أن الصفتين الجائز ورودهما على المحل على التعاقب، فورود^(١٦) إحدهما^(١٧) يستحيل أن

-
- | | |
|-------------------------------|---|
| (١) د: حسياً. | (١٠) فيلسوف يوناني عاش بين ٤٢٩ - |
| (٢) ج: تتركب. د: يتركب. | (١١) فيلسوف يوناني عاش بين ٣٨٤ - |
| (٣) ب، ج، ز: فإن. | (١٢) ٣٢٢ ق م. |
| (٤) د: يكون. | (١٣) كذا في جميع النسخ. ولعله: التأثير. |
| (٥) ج، ز: افترقت في، وصحح على | (١٤) ب: وهو. د: وهذه. |
| الهامش: افترقت. | (١٥) ب، ج، ز: عن. |
| (٦) ب، ج، ز: مستقلة. | (١٦) ج، ز: بياض بقدر كلمة، وهو |
| (٧) د: + و. | بياض لا يقابله شيء ناقص بالنسبة |
| (٨) ب، ج، ز: - لها. | للسنخ الأخرى. |
| (٩) ب، ج، ز: عن. وصحح في | (١٧) ج، ز: ورود. د: فرد. |
| هامش ج، ز: على. | (١٧) ج، ز: أحدهما. |

يكون بغير سبب، يعين أحد الجائزين، ولا يجوز أن يضاف ذلك إلى القدرة، لأن نسبتها إليها^(١) واحدة، وكذلك الحياة والعلم مثلها^(٢)، فلا بد من سبب معقول يضاف إليه^(٣) التخصيص، يجده المرء لا يفترق^(٤) إلى الحياة، وهم لا يبالون بذلك كله، وإنما يأخذون السبيل إلى الإلحاد، كيف اطردت لهم.

والعمدة في ذلك أن يقال: أجمع العقلاء على أن الميت لا يعقل لمواتيته^(٥)، وقد كان يعقل [و ٣٧ أ] في حال حياته ولا يصح أن يضاف إلى شرط، سوى الحياة، لأن كل صفة نضيفها^(٦) إليه، يستحيل أن نضيفها^(٧) إلى الميت، فكل صفة نذكرها^(٨) هي مساوية لهذه في اشتراط وجود الحياة لها.

وأما دعواهم أن الأفلاك حية، فلا يقام عليه دليل أبداً، وهو غير مشاهد^(٩)، وليس لهم إلا حركتها، وليس من شرط الحركة الحياة^(١٠)، فإن الميت يتحرك، والخطب معهم طويل بتخليطهم لمن لا يعلم مفاصل^(١١) الكلام^(١٢) ومن يعلمها^(١٣) يقطعهم في الحال. وقد اندرج الوجه الثامن في هذا الكلام^(١٤).

عاصمة:

وأعظم الخطب، إنكارهم العلم أصلاً، وهم لا يحتاجون إليه بزعمهم، فإن ما يصدر بالطبع لا بالوضع، لا يفترق إلى قدرة، ولا إلى علم،

-
- | | |
|-----------------------------------|-----------------------------------|
| (١) ج، ز: نسبتها إليها، د: نسبتها | (١٠) د: حياة. |
| إليها. | (١١) ب، ج، ز: تفاصيل. وترك بياض |
| (٢) ب، ج، ز: مثلها. | بقدر كلمة في ج، ز. ولا يقابله |
| (٣) ب: له. | شيء من بقية النسخ. |
| (٤) ج، ز: تفترق. | (١٢) ج، ز: بياض بعد كلمة «الكلام» |
| (٥) كذا في جميع النسخ. | بقدر كلمة. ولا يقابله شيء من بقية |
| (٦) د: تضيفها. | النسخ. |
| (٧) د: تضيفها. | (١٣) ب، ج، ز: يعلمه. |
| (٨) د: تذكرها. | (١٤) ز: كتب على الهامش: ليت شعري |
| (٩) د: - وهو غير مشاهد. | فأين اندرج الوجه الثامن؟ فراجع. |

والقول في القدرة أقرب منه في العلم، لأن الآفة في^(١) العجز معقولة مشاهدة، والعلم وإن كان أظهر، فهو خفي عن المشاهدة، ولكن إتقانه المتعلق به، يظهره قطعاً، وهذه الصفات الأربعة^(٢) ثابتة للصانع قطعاً، وهي القدرة، والعلم، والإرادة، والحياة، ومنهم من يقر بالعلم، لكن يدعون أنه على وجوه، منهم من يقول: إنه حادث، ويفتقر إلى علم يحدث به، ولا موجود يحدث أقوى احتياجاً إلى العلم من العلم.

ومنهم من يقول: إنه عالم بالجميل لا بالتفصيل، لأنه عندهم أحدث الأصول^(٣) بعلم، ثم رتب عليه الحوادث المتعلقة بعضها ببعض، الكائن بعضها عن بعض، فلا يخلقها ولا يعلمها.

قال القاضي أبو بكر^(٤) رضي الله عنه: وهذا من العجب ولولا أنه علمها على التفصيل، ما خلق لها من يعلمها على التفصيل، ويوجد لها على الإحكام والترتيب، فإذا أقروا بذلك، فقد^(٥) أقروا بأنه يعلمها على التفصيل، وإنما العجب كل العجب من كلمات صدرت عن أبي المعالي^(٦) [و ٣٧ ب] فادحة تحوم^(٧)، أو تشف^(٨) على أن علم الباري، لا يتعلق بالمعلومات على التفصيل^(٩)، ونصها، قال: (إذا تعلق علم الباري بجواهر لا تنهاى فمعنى

أشياء ثم رجع إلى مذهب السلف كما صرح به في عقيدته النظامية. وقد حقق أخيراً (١٩٦٩ م) الدكتور النشار وبعض تلامذته كتابه الشامل الذي رد فيه على المعتزلة والفلاسفة وبين وجهة نظر الأشاعرة. توفي سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م.

(٧) د: يحوم.

(٨) ج: تسب، د: يسف، ز: تفس.
(٩) ز: كتب على الهامش: قف على قول إمام الحرمين بالاسترسال، وبسط الكلام منه.

(١) د: من. وكتب على هامش ب، ز:

من تصحيحاً ل: في.

(٢) د: الأربع.

(٣) ز: كتب على الهامش: أي أصول العالم.

(٤) د: قال أبي.

(٥) ج، ز: - فقد.

(٦) عبد الملك بن أبي محمد بن عبد الله بن

يوسف شافعي المذهب، أشعري

الاعتقاد متأثراً بأراء الفلاسفة وهو

الذي وجه أنظار الغزالي إلى الاتجاه

الفلسفي. له مؤلفات ذهب فيها

مذهب الأشاعرة إلا أنه خالفهم في

تعلقه بها^(١) استرساله عليها، من غير فرض تفصيل الأحاد^(٢)، مع نفي النهاية فإن ما يحيل دخول ما لا يتناهى^(٣) في الوجود، يحيل وقوع تقديرات^(٤) غير متناهية في العلم، فإن قالوا: إن الباري تعالى عالم بما لا يتناهى^(٥) على التفصيل سفهنا^(٦) عقولهم^(٧).

(١) في ذلك. وكتب على هامش ج: قف على قول إمام الحرمين.

(٢) ج، ز: - بها.

ورد هذا النص في طبقات الشافعية الكبرى، ج ٣ ص ٢٦٦، وأثبتت هذه الجملة هكذا: (من غير تعرض لتفصيل الأحاد) وقد نسب الإمام المازري المغربي أيضاً إلى إمام الحرمين القول بأن الله يعلم الكليات دون الجزئيات في شرحه كتاب البرهان لإمام الحرمين. وحاول السبكي أن يدافع عنه ولكن النص صريح في ذلك. وهذا النص الذي ينسب إلى إمام الحرمين ثابت وموجود في كتابه (البرهان) المخطوط بدار الكتب المصرية، وبمكتبة الأزهر.

(٣) ج، ز: ينتهي.

(٤) ب، ز: تقديرات.

(٥) ج، ز: ينتهي.

(٦) ج: يسعها.

(٧) وردت هذه الجملة في الطبقات مقدمة على

كل النص المثبت هنا. (الطبقات، ج ٣

ص ٢٦٦). عثرت على نسخة من كتاب

البرهان لإمام الحرمين ووجدت نفس

النص مع شيء من التقديم والتأخير فيه.

وقد أضفت إليه ما سبقه حتى يفهم

الغرض وهو هكذا:

تردد المتكلمون في انحصار الأجناس

كالألوان، فقطع قاطعون بأنها متناهية في الإمكان كأحاد كل جنس، وزعم آخرون أنها منحصرة، وقال المقتصدون لا ندرى أنها منحصرة أم لا، ولم يبنوا مذهبهم على بصيرة وتحقيق، والذي أراه قطعاً أنها منحصرة، فإنها لو كانت غير منحصرة لتعلق العلم منها بأحاد (صحح في الهامش: «بأجناس» بدل «لأحاد» لا تتناهى على التفصيل، وذلك مستحيل، وإن استكرر الجهلة ذلك، وشمخوا بأنافهم، وقالوا: الباري سبحانه وتعالى عالم بما لا يتناهى على التفصيل سفهنا عقولهم، وأحلنا تقرير هذا الفن على أحكام الصفات، وبالجملة علم الباري سبحانه وتعالى إذا تعلق بجواهر لا تتناهى، فمعنى تعلقه بها استرساله عليها من غير فرض تفصيل الأحاد، مع نفي النهاية، فإن ما يحيل دخول ما لا يتناهى في الوجود يحيل وقوع تقديرات غير متناهية في العلم، والأجناس المختلفة التي فيها الكلام، يستحيل استرسال العلم عليها، فإنها متباينة بالخواص، فتعلق العلم بها على التفصيل مع نفي النهاية محال. وإذا لاحظ الحقائق، فليقل الآخر بعدها ما شاء، والله المستعان. (البرهان، مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٢٥٨٧ ب ورقة ١٨).

وقد بسطنا القول على هذا الكلام في كتاب «التمحيص»^(١) بما فيه
بلاغ، فليُنظر هنالك بمقدماته ولواحقه، والمقدار الذي يعرفك^(٢) الآن بكنهه،
ويعطيك فائدة ما سطرنا^(٣) هنالك منه على الاختصار، إيراد بعض ما استطر
هنالك^(٤) من الفصول بلفظه الذي وقع الإملاء به.

اعلموا وفقكم الله أنه المعلومات من جهة الكون تنقسم إلى واجب
وجائز ومستحيل^(٥)، والواجب على قسمين: واجب مطلق، وهو الله وحده،
وصفاته. وواجب من وجه، وهو ما خلقه الله تعالى من أصول العالم،
كالجواهر والأجسام، والأعراض. فهذه مما يجب كونها على هذه الصفة^(٦)، فلا
يتصور خروج الجوهر عن كونه جوهرًا، ولا العرض عن كونه عرضًا، ولا
خروج الجسم عن كونه جسمًا. ومن أصول هذه الأصول: أن الجوهر لا يخلو
عن عرض، وأن العرض لا يضح وجوده دون ما يقوم به من جوهر، أو
جسم. وهذا كله متفق عليه بين العقلاء، و^(٧) معلوم عندهم قطعاً قبل
النظر، ومنه ما هو معلوم بنظر، ويتركب عليه وجود الأكوان، والألوان
بالجواهر والأجسام، على البدل والانفراد، حسب نسبة كل واحد منها^(٨) إلى
الآخر، من ضد أو خلاف [و ٣٨] ويتركب عليه بعد ذلك النظر في أحكام
جميعه، بالنسبة إلى سبب^(٩) نشأت عنه، أو^(١٠) إلى كيفية هي عليه، أو^(١١) إلى
تركيب في وجود أو عدم، أو صفة فناء أو بقاء، أو إلى حال تركيب
واستحالة، يكون بعده^(١٢) نظر في انحصار الأعراض إلى ألوان^(١٣)، وأكوان.
وانحصار الأكوان إلى حركة، وسكون. وانحصار الألوان إلى أحمر، وأسود،

(١) ز: كتب على الهامش: قف على

كتاب التمهيد لابن العربي.

(٧) د: - و.

(٨) ب، ج، ز: منها.

(٩) ب، ج، ز: نسب.

(١٠) ب، ج: - أ.

(١١) ب، ج، ز: - أ.

(١٢) ج: بعد.

(١٣) ب: الألوان. ز: كتب على

الهامش: قف على الخلاف في

الألوان هل هي منحصرة أم لا.

(٢) ز: نعرفك.

(٣) ب، ج، ز: سطرناه.

(٤) ج: استظهرنا لك. د: استطير.

(٥) د: محال.

(٦) ج، ز: بياض بعد (الصفة) لا يوجد

ما يمكن أن يسد مسده في النسختين

الأخريين فهو بياض لا معنى له.

وما بينهما من واسطة، ترجع إليهما، أو تقف بينهما، وأعظم من ذلك القول في انحصار العالم إلى الموجودات على ترتيبها، وتديرها، ما بين وجود، وعدم، وبقاء، وفناء، وتكليف، وإعفاء، وتعجيل، وإمهال، ودنيا، وآخرة، وثواب وعقاب، في عموم ذلك. ومن هذا المتقدم أصل متفق عليه بين منزلتي النفي والإثبات وهو^(١) الوجود، والعدم، والحركة، والسكون فرعاً عليه^(٢)، ومنه متفق عليه بين أهل الملل، ومنه متفق عليه بين أهل السنة. ومن جملة المتفق عليه مما تقدم، أن الجوهر لا يخلو عن حركة، أو سكون. وعجباً لبعض علمائنا فإنه استدل عليه، ولئن احتاج إلى دليل، لم يثبت لنا شيء بعده.

ومن المختلف فيه، القول في وجود لون خلاف ما شاهدناه، فمن قائل إن الألوان منحصرة، ومن قائل إنها غير منحصرة، ومن واقف. وفي حديث المعراج (حتى بلغت سدره المنتهى فغشيتها^(٣) ألوان لا أدري ما هي) وقد تكلمنا عليه في شرح الحديث.

ومسألة الانحصار^(٤)، هذه، مسألة مشككة، فإن العلم الذي به أدرك^(٥) المرء^(٦) انقسام الموجودات إلى جواهر وأعراض، به أدرك أن موجوداً ليس بجوهر ولا عرض^(٧)، ولا نعلمه^(٨)، وأن جهات المخلوق ستة لا سابع لها، وأن الكون من حركة وسكون لا ثالث لهما، وأن السواد والحمرة [و ٣٨ ب] لا غاية وراءهما، وإن كان بينهما وسائط، وأن العلم لا تعلق له بالعدم المحض، وإنما يتعلق بمعدوم مقدر^(٩). فإن قدرت^(١٠) عالماً آخر، وأمکننا فهمه، فقدر موجوداً ليس بجوهر ولا عرض، وكوناً ليس بحركة ولا سكون^(١١)، ولوناً ما^(١٢) ليس بحمرة ولا سواد، وجهة سابعة^(١٣) لمخلوق. فإن

(١) ب: - هو.

(٨) ج: ز: يعلمه.

(٢) د: فرعى علته.

(٩) ج: مقدور. ز: كتب على الهامش

(٣) ب، ج: ز: فغشيتها.

مقدور.

(٤) ج، د: ز: + و.

(١٠) ز: كتب على الهامش: مبحث

(٥) د: أدركنا.

نقيس.

(٦) د: - المرء: ج: الذي أدرك به المرء.

(١١) ج: سكوناً.

(٧) ج: ز: بياض وصح في ز: على أنه

(١٢) ب، ج: ز: - ما.

بياض لا معنى له، فلا يدل على نقص.

(١٣) ج: سابقة.

وجب أن ينحصر ذلك في المعلوم، فلا تسأل عما وراءه بنفي أو إثبات، وقد بسطناه في موضعه.

قال القاضي أبو بكر^(١): قال ابن الجويني: (والدليل على أنها منحصرة، أنها لو كانت غير منحصرة لتعلق العلم منها^(٢)، بأحاد لا^(٣)، تنتهي على التفصيل وذلك محال^(٤)).

قال القاضي أبو بكر^(٥) رضي الله عنه: هذا كلام محذوف لأن قوله: (لو كانت غير منحصرة) مقدمة واحدة لا تنتج شيئاً باتفاق من العقلاء، فلا يصح أن يرتب^(٦) عليها قوله: (لتعلق العلم منها^(٧) بأحاد لا تنتهي على التفصيل) حتى يقول: هي منحصرة ولا بد أن تكون معلومة، فإن الحكم على المجهول بحصره أو عدمه محال. وإذا كانت معلومة، فلا بد أن يتعلق بها العلم^(٨) على التفصيل، والتفصيل هو الحصر^(٩)، قال نفي الحصر إلى إثباته، فبطل في نفسه، وهذا هو برهان الخلف. قال ابن الجويني: (فإن قالت الجهلة الباري عالم بما لا يتناهى^(١٠) على التفصيل سفهنا عقولهم)^(١١). قال القاضي أبو بكر^(١٢) رضي الله عنه: يريد أن التفصيل كما قدمنا، يقتضي الحصر والنهاية، فكيف يضاف إليه، ما لا يقتضي النهاية والحصر، فإن كان للتفصيل عند أحد معنى غير الحصر والتناهي فليركب عليه ما يليق به، وقدمنا أن^(١٣) لفظ الجملة والتفصيل ليس شرعياً. قال ابن الجويني: (إذا تعلق علم الله بجواهر

(١) د: - قال القاضي أبو بكر.

(٢) ب، ج، ز: بها.

(٣) ج: فلا.

(٤) البرهان: مستحيل. المخطوط

السابق الذكر ورقة ١٨.

(٥) د: قال أبي.

(٦) د: يترتب. وهذا اتباع للمنطق

اليوناني وقد ذكر ابن تيمية أن

المقدمة الواحدة متجة.

(٧) ب، ج، ز: بها.

(٨) د: يتعلق العلم بها.

(٩) د: قال أبي.

(١٠) ج: - أن.

[و ٣٩ أ] لا تنهاى فمعنى تعلقه بها استرساله عليها في غير فرض تفصيل^(١) الأحاد مع نفي النهاية، فإن ما يحيل دخول ما لا يتناهى في الوجود يحيل وقوع تقديرات^(٢) غير متناهية في العلم). قال القاضي أبو بكر^(٣) رضي الله عنه^(٤): أما قول الجويني^(٥) أيضاً: (وإن قالوا: إن الباري عالم بما لا يتناهى على التفضيل سفهنا عقولهم)، فهو عبارة عن أنه كلام متناقض غير معقول^(٦)، لما بينا من أن التفصيل عنده يقتضي الحصر، وما لا يتناهى ينفيه^(٧)، فتناقضاً، فالجمع^(٨) بينهما في الأخبار سفه في العقل. وكذلك كل^(٩) من جمع بين متناقضين، ولذلك سفهنا عقل أبي هاشم، وسلبناه دينه، في تصويره عن الجملة الجامعة بين^(١٠) المتناقضين، قول القائل: محمد ومسيلمة صادقان أو كاذبان، فإنه لا يصح الإخبار عنه بكل واحد من الخبرين، لأنه جمع في المخبر عنه بين متناقضين، كما لو قلت: الإنسان والحجر حيوانان أو^(١١) مواتان^(١٢).

وأما قوله: (إن ما يحيل دخول ما لا يتناهى في الوجود يحيل وقوع تقديرات^(١٣) غير متناهية في العلم) فإنه كلام ناقص أيضاً، مفتقر إلى تتميم، وحيثنذا يصلح للتعليم والتعلیم^(١٤)، لأن قوله: (ما يحيل دخول ما لا يتناهى في الوجود) يعني به في زمن متناه وإلا فدورات^(١٥) الأفلاك عند الفلاسفة لا نهاية لها، ونعيم الجنة عند الموحدين، لا نهاية له، وكل واحد منهما يوجد متبادياً عند من يرى الأول، و^(١٦) على الحقيقة في^(١٧) الثاني. ولكن ذلك كله،

-
- | | |
|----------------------------------|------------------------------|
| (١) الطبقات: من غير تعرض لتفصيل. | (١٠) ج، ز: من. |
| (٢) الطبقات، ز: تقريرات. | (١١) ب: أم. |
| (٣) د: قال أبي. | (١٢) ج: أمواتان. |
| (٤) د: - رضي الله عنه. | (١٣) الطبقات: تقريرات. |
| (٥) ب: الجويني. | (١٤) د: أو للتعليم. ب، ج، ز: |
| (٦) ز: كتب على الهامش: قف للرد | + فإنه كلام ناقص. |
| على إمام الحرمين للإسترسال. | (١٥) ب، ج، ز: دوران. |
| (٧) ج: ينفيه. | (١٦) ب، ج، ز: - و. |
| (٨) ب: والجمع. | (١٧) ب: من. |
| (٩) ج: - كل. | |

إنما يحال الموجود^(١) فيه على أزمنته الآتية، فيكون لكل موجود زمانه. وقوله: (يحيل وقوع تقديرات^(٢) غير متناهية في العلم) يعني بقوله: (وقوع): وجود، وقوله: (تقديرات) يريد تصوير موجودات^(٣)، (غير متناهية)، يعني في زمان^(٤) متناه، وذلك مما لا يتعلق به علم، لأنه لا يتصور له ثبات، وقوله: (تعلق علم بها على التفصيل مع نفي النهاية محال) [و ٣٩ ب]، لأنه يريد بالتفصيل، الحصر والانتهاء.

(٥) ثم قال: و^(٦) هذه الأجناس المختلفة التي فيها الكلام يستحيل^(٧) استرسال العلم عليها لتباينها بالخواص، وهذا كلام مفهوم^(٨).
[٩] وقوله: (تعلق بالعلم بها مع النهاية محال) مبني على أصله في أن التفصيل هو الحصر والانتهاء^(٩).

قال القاضي أبو بكر^(١٠) رضي الله عنه: فتتخل^(١١) من هذا كله، أن هذه الألفاظ من الجملة والتفصيل والحصر، ألفاظ مولدة، ركبت عليها المبتدعة علومها، وخاض فيها علماءنا معهم، ولكل واحد، فيها اصطلاح، تركيب معناه على ما^(١٢) اصطلاح عليه فيها، ويختلف الاثنان في الوجه المصطلح عليه فيتبايران ويتعارضان، ونحن إذا تكلمنا^(١٣) على ذلك قلنا: دعونا من العبارات المحدثه الفاسدة، الباري تعالى، عالم بعلم، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يعلم ما كان وما يكون، ولا يقدر شيء إلا وهو عالم به، نعم

-
- | | |
|---|---|
| (١) ب، د: الوجود. | (٦) ب، ج، ز: - و. |
| (٢) الطبقات: تقديرات. | (٧) د: فيتحيل. |
| (٣) ب: وجودات. | (٨) ز: صحح على الهامش: مفهوم. |
| (٤) د: زمن. | (٩) ج، ز: سقط ما بين القوسين. |
| (٥) د: بداية سقوط نحو ورقة. وكتب على الهامش: في هذا الموضع توجد زيادة في النسخة المطبوعة وهو يوازي نحو ورقة من هذا الكتاب. انظر (صفحتي ١١٧ - ١١٨ من المطبوع). محمد عبدالرسول. | (١٠) د: قال أبي. |
| | (١١) ب، د: - فننتخل. ج، ز: فننتحل. وصوابه بالخاء المعجمة. |
| | (١٢) ب: - ما. |
| | (١٣) ج: تضمننا. |

وقد كتبه، فهذا عقد^(١) صحيح، مدلول عليه.

فإن قلتم على التفصيل^(٢) يعلم، أو على الجملة؟ قلنا: لا ندرك ما تريدون، فإن أردتم بقولكم: على التفصيل، أنه لا يخفى عليه شيء، فذلك صحيح، وإن أردتم بالجملة، أنه يعلم شيئاً، ويخفى عليه آخر، فلا يصح، لأن الدليل قد قام على^(٣) أنه لا يخفى عليه شيء، فإنما نتكلم^(٤) معكم، في عموم علمه وخصوصه، والجملة والتفصيل عبارات باردة، لا نلتفت لكم إليها، ولا نبني عليها حكماً، ولا نصف الباري بشيء منها، لا نفيّاً ولا^(٥) إثباتاً، وإنما نصفه بما وصف به نفسه، ودل الدليل عليه من سعة علمه، وتقديس ذاته وصفاته، وأنه لا يخفى عليه شيء، كان أو لم يكن، تقدم أو تأخر، فعلى هذا عولوا، ودعوا بنيات الطرق، والألفاظ المحدثه، وخذوا^(٦) ذات اليمين، وهو ما كان عليه السلف المتقدمون من الصحابة والتابعين، وقد بينا ذلك كله، في كتب الأصول، وهذه إشارة إلى جملة نكته^(٧)، عاصمة لكم في هذا الباب، قاصمة لظهورهم، وذلك أنا نقول: إن^(٨) الفلاسفة على قسمين^(٩): منهم من يقول: إن الباري لا يعلم إلا نفسه^(١٠)، ومنهم من يقول: يعلم غيره^(١١)، ويلزمهم أن يقولوا: إنه لا يعلم شيئاً. وقد رأيت منهم من يقوله، فأما من يقول: إنه يعلم نفسه ولا يعلم غيره، فيقال لهم: قولكم: إنه لا يعلم غيره، ما تعنون به؟ أتريدون لاستحالة ذلك^(١٢)، أو لأنه لم يتفق؟ فإن كان لا يعلم غيره، لاستحالة ذلك، فهو باطل قطعاً، لأن من يعلم نفسه يعلم غيره، وإن كان لأنه لم يتفق ذلك، فالذي يوجبه^(١٣) ذلك للبعد، عدم ارتباط كل واحد منها بصاحبه، والموجودات كلها مرتبطة

(٩) ز: كتب على الهامش: قف انقسام

الفلاسفة إلى قسمين في علم الله.

(١٠) مثل أرسطو وأتباعه.

(١١) كتابين سينا. (الغزالي، نهافت

الفلاسفة، ص ١٨٠ - ١٨٢).

(١٢) ب: + فهو باطل.

(١٣) ج: تكرر: يوجبه.

(١) ج: عندي.

(٢) ج: تكرر على التفصيل.

(٣) ج: - على.

(٤) ب: يتكلم.

(٥) ج، ز: - لا نفيّاً ولا.

(٦) ج، ز: وجدوا.

(٧) ج، ز: جل نكتية.

(٨) ج: - إن.

بالأول، فكيف يعلم منها واحداً غيره؟ هذا محال قطعاً. وإن قالوا: إنه لا يعلم شيئاً فذلك من أفسد دعوى، فإنها إذا كانت عنه أو بعضها، فكيف يكون عنه ومنه وبه، أو منه أو به أو عنه، وهو لا يعلم ذلك؟ وتصوره غير معقول.

وإن قالوا: إنه يعلمها جملة، ولا يعلمها تفصيلاً، قلنا: إن كان لا يعلمها تفصيلاً، فلا يعلمها أيضاً جملة، لأن كل جملة لها تفصيل، يكون عنها مرتباً، أو فيها محكماً، أو بها مولداً، فكيف^(١) كانت عنه كذلك، ولا يعلم بها؟ و^(٢) كيف كان عنه ما لم يعلم به، على وجهه؟ هذا لا يتصور.

فإن قيل: الإحاطة^(٣) بها على التفصيل وهي لا تنتهي^(٤) ولا يمكن تحصيلها، قلنا: [هذا الكلام بإطلاقه تلبیس، لأنه يقال لهم: قولكم: لا يمكن تحصيلها لمن]^(٥)؟ أللذي كانت عنه أو لغيره؟ فإن قلتم لغيره قلنا صدقتم، فإن الإنسان لا يدرك الأشياء كلها على التفصيل، لأنه^(٦) ليس شيء منها عنه، وإنما يعلم منها ما علم، وكانت عنه، فمن ضرورة العلم، أن يعلم^(٧) ما يكون عنه، ولا يستعظم علم ما لا يتناهي، كما لا يستعظم وجوده، وقدّر الوجود مقروناً بالعلم، وقدره من غير تعلم، وبغير آفة نظراً^(٨) عليه، وبغير عدم يلحقه، أو يسبقه، ولم تجد له نظيراً، فلم يلف^(٩) منك^(١٠) نكيراً^(١١). والإنسان على قصوره، يعلم ما كان، وما هو فيه، وما يكون باطراد العادة، كما^(١٢) أخبر الصادق، أنها^(١٣) لا تتغير وهو لم يجد^(١٤) ذلك، ولا

-
- | | |
|---------------------------------|------------------------------------|
| (١) ج، ز: وكيف. | (٨) ب: نظراً. |
| (٢) ب: - و. | (٩) ب، ج، ز: يلق وصحح في |
| (٣) ب: للإحاطة. | هامش ز: يلف. |
| (٤) كذا في ب، ج، ز: ولعل الصواب | (١٠) ج، ز: مثل. |
| إسقاط الواو. | (١١) ج: تكبير. ز: تكبيراً. |
| (٥) ما بين الوقسين ساقط من ج. | (١٢) ب: لكني. |
| (٦) ب: أنه. | (١٣) ب: - أنها. |
| (٧) ب: يعلمها. | (١٤) ز: كتب على الهامش: عله: يوجد. |

كان عنه. فقدّر في الخالق المكون، قل بواسطة أو بغير واسطة، علم ذلك كله على الكمال، والقوم في قصور من المعرفة عظيم، وتخليط كثير.

وقد فاوضتهم في الأقطار والأمصار بنفسي^(١)، و^(٢) حضرت ذلك في مجالس الأئمة والجهابذة بالشام والعراق، فما أثبت الله لهم قدماً، ولا رفع لهم قط علماً. ولم يتكلموا على تقية إلا بغاية الحمية، وقوة الاعتقاد والنية، والله يعيذنا^(٣) من حالهم، ويريمهم وبأل أمر مآلهم، بعزته^(٤).

قال القاضي أبو بكر^(٥) رضي الله عنه: وقد تقدم من ذكرنا لقولهم في المفردات والبسائط إشارة، أنبهكم فيها، على نكتة، فأوضت فيها عظماءهم، فاضطرت أكثرهم في النظر إلى أن يقول^(٦): إن البسيط المطلق لا يتحقق إلا في القول. وذلك أني قلت له: الاسطقصات^(٧) التي كان ينبغي أن يسكتوا عنها ما هي؟ فذكرها، قلت له: الماء بسيط أو مركب؟ ففكر وقدر وعلم ما ألزمته^(٨)، فقال: مركب، قلت له: من الرطوبة والبرودة، قال: نعم، قلت: فالرطب المطلق مجرداً، والبارد المطلق مجرداً لا ينضاف إليهما شيء، ما هو؟ وحينئذ يتحقق لك البسط، قال لي: ذلك يكون في العدم، قلت له الله أكبر! العدم ليست له ذات، تخبر عنها بما يعقل فيها، وكذلك لو وضعت يدك معه في الأفلاك فلهاً فلهاً، اضطرتهم الأدلة إلى أن يقولوا: إن أحاد جميعها بسط^(٩) في العدم، فزحل إلههم الأعظم، بارد يابس، فقد كان كل واحد منها بسيطاً، فمن جمع فيه الضدين؟ ومن ركب^(١٠) المتناقضين؟ فيالله! وللعقول التي ذهبت في تضليل!

قال القاضي أبو بكر^(١١) رضي الله عنه: وأما النظر معهم في الآيالة

(١) ز: كتب على الهامش: قف على

مفاوضة الشيخ للفلاسفة.

(٢) ج: - و.

(٣) ج: يقيدنا.

(٤) نهاية ما سقط من د وهو نحو ورقة.

(٥) د: قال أبي.

(٦) ب، ج، ز: يقولوا.

(٧) د: الاستقصات.

(٨) د: ألزمه.

(٩) د: بسيط.

(١٠) ج + فيه، ب، ز: + عليه.

(١١) د: قال أبي.

العائدة لمصلحة^(١) العالم الخاص، من البدن، والعالم العام، الخلق، فهو قانون علقوه من الشرائع السالفة^(٢) مبدلاً، [و ٤٠] ورتبوه مشحوناً سخافة وخللاً، إذا قرأت لهم منه مسطوراً، رأيت متهافتاً منكوراً، أخبرني الفقيه الطرطوشي^(٣)، أخبرني الباجي^(٤) أنه كان يوماً في باجة^(٥) أحمد بن هود^(٦) ينتظر إذنه فجالسه ابنه الملقب بالمؤمن^(٧)، وكان يتفلسف وجاذبه ذيل الحديث، فقال له: هل قرأت أدب النفس لأفلاطون؟ قال له الباجي: إنما قرأت أدب النفس لمحمد بن عبد الله رحمه الله. قال القاضي أبو بكر^(٨) رضي الله عنه^(٩): الذي رأيت لأفلاطون زجر^(١٠) النفس، وعني الباجي بقوله: أدب النفس لمحمد، ما تضمنت الشريعة من قرآن وسنة، في هداية السنن، وإيضاح السنن، والقوم كما ذكرنا لكم، إنما رتبوها مسارقة^(١١) لقوانين الشرائع، مركبة على الشهوات

بعد وفاة أبيه وكان مولعاً بالعلوم الرياضية وصنف كتاباً سماه الاستكمال والمنظور ويبدو أنه هو الذي اختصره موسى بن ميمون في كتابه: تهذيب الاستكمال. توفي سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م (الأعلام للزركلي، ج ٩ ص ٣٨٤).

- (٨) د: قال أبي.
(٩) د: - رضي الله عنه.
(١٠) ج، ز: رجز: - ويسمى الكتاب أيضاً معاذلة النفس نسب إلى أفلاطون ونحل إليه، وأغلب الظن فيما يرى الباحثون أن هذه الرسالة ترجع إلى أثر من آثار الهرمسية، وكتبها ذو اطلاع على الأفلاطونية المحدثة والغنوصية. وقد نشر هذه الرسالة الدكتور عبد الرحمن بدوي (الأفلاطونية المحدثة عند العرب، القاهرة، ١٩٥٥م، ص ٥٣).
(١١) ب: مشاركة. ز: كتب على الهامش: عله مساوقة.

- (١) د: بمصلحة.
(٢) د: السابقة.
(٣) الطرطوشي: من أعظم الفقهاء المالكية الذين أقاموا بالإسكندرية تتلمذ على أبي الوليد الباجي الأندلسي وأبي بكر الشاشي، عرف بالزهد والتدين والمعارضة للفاطميين بمصر وألف كتاب «سراج الملوك» لأحد أمرائهم. توفي سنة ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م (العبر، ج ٤ ص ٤٨).
(٤) الباجي: سليمان بن خلف أبو الوليد التجيبي القرطبي أصولي فقيه متلكم أخذ عن أبي جعفر السماني، وأبي ذر الهروي. توفي سنة ٤٧٤هـ/ ١٠٨٢م (العبر، ج ٣ ص ٢٨٠).
(٥) ج، ز: ناخة.
(٦) أحمد بن سليمان بن محمد بن هود من ملوك الطوائف توفي سنة ٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م.
(٧) المؤمن يتوسف بن أحمد تولى الملك

واللذات، مقرونة بمكارم حسياً تقتضيه الأهواء^(١) وتميل إليه النفوس، من غير نظر في العواقب الصحيحة المفيدة، ولو كان على ما زعموا، لكان الخلق عبثاً، ولما^(٢) كانت الخلقة حكمة، بما رتب عليها في الحشر من العقابة.

قاصمة:

وتبعته^(٣) طائفة كادت الدين، وبهرجت على المسلمين، وأرادت التلفيق بين الفلسفة والملة، وحاولت الجمع بين الشرع المنقول، وقضايا العقول القاصرة، عن غاية الدليل بذواتها، وجزمت القول بأنه لم يأت رسول^(٤) إلا بها، ولا دار إلا حولها، ورتب نظامه في سلكها، ودار كلامه وعلمه عليها، وجعلت تتبع ذلك فصلاً فصلاً، حتى عقدت أبواباً في شرح هذه المقاصد، ومن أعظم من انتدب لذلك^(٥) القضاة الأربعة الذين لقبوا أنفسهم إخوان الصفاء فجمعوا الخمسين رسالة، في كل علم رسالة، ولم يبقوا من رسوم^(٦) الإسلام أصلاً إلا عقدوا فيه فصلاً، وكانوا في علومهم مقدمين، وعلى [و ٤٠ ب] الفصاحة مقتدرين، ويدرك المدرك عارفين، وبالدولة معتضدين، ومن تمكن من تصريف لسانه وبنانه، لا ينبغي أن يستغرب ما جاء من بيانه، فكم قائل من الحكماء:

في فمي ماء وهل ينطق من في فيه ماء^(٧)

وإنما يقصر بالقلوب الأصمعية^(٨)، والألسنة اللوذية، والنفوس الأحودية، ما وراءها^(٩) من انتقاد الحساد، وتشنيع الأعادي^(١٠)، فترى العالم صامتاً وما به عي، متواتراً وإنه لحي، ولما تمكنت هذه الطائفة كما قلنا، لم يبق فن^(١١) من الحكم النبوية، والأغراض الفلسفية والأدلة الجلية والخفية،

(١) ب، ج، ز: الأهوية. قف واحذر. وتحت ذلك: قف على

(٢) د: وإنما. رسائل إخوان الصفاء.

(٣) ج، ز: نبعت. (٧) ج، د، ز: كتب في صورة نثر.

(٤) ب، ج، ز: + الله صلى الله عليه وسلم. (٨) ب، ج، ز: الأسمعية.

(٩) ب: فأرواها. ج، ز: ما رواها. (١٠) كتب على هامش ب، ز: الأحاد.

(٥) د: إلى ذلك. (١١) ب، ج، ز: - فن.

(٦) د: رسم. ز: كتب على الهامش:

والإشارات بعبارات غلاة الصوفية، إلا وقد رصدت عليه^(١) أبنية^(٢)، ودست فيه^(٣) بلايا، دع^(٤) بلية فإذا قرأها^(٥) من ليس من أهلها هلك فيها، وإذا قرأها عالم جردها عن فاسدها، وأقامها من مائدها، وعدلها عن حائدها، وردّها إلى مالكةا، وواحدّها.

عاصمة:

قال القاضي أبو بكر^(٦) رضي الله عنه: إن الله تعالى وله الحمد، أنزل كتابه على نبيه نوراً محكماً، هدى تبياناً، لم يكن رموزاً ولا كناية عما لا يتوصل به^(٧) إليه سامعه، ولا يعلمه مخاطبه، وأقام عشرة أعوام، أو ثلاثة عشر عاماً^(٨)، أو خمسة عشر عاماً، يجادل بالحجة جميع الكفرة، بألف^(٩) من أي القرآن حسماً بيناه في «أنوار الفجر» فما بقي نوع من الأدلة، ولا وجه من وجوه الحجج، إلا وجاء بها على أوضح منهج، وتناولت كل حجة طائفة من الملحدة، وأصحاب الطوائع والصابئة بقدرها، واليهود والنصارى، والزائغين بقسطها، على نحو ما قالت كل طائفة من الشرك، ولو شاء ربنا لكفهم عن هذه المقالات، وإذا أطلقها على ألسنتهم، فقد نص كيف تنقض أقوالهم، حسماً تقرر من الأدلة، ومن كيفية استعمالها، في كتابه، وعلى لسان رسوله، وذلك [و٤١ أ] كله بسابقة من المشيئة، ووجوه من الحكمة، ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾ [هود: ١١٩] فأبان أنه خلقهم للاختلاف، وليرحم من شاء منهم فيخلصه عن شائبة الخلاف، وما استأثر الله برسوله ﷺ، إلا والدليل قد اتسق، والدين بالعلم قد استوسق، والحرس ميثوث^(١٠) على جوانب الملة، لا يستطيع أحد خرقها^(١١)، لا في السماء بسلم، ولا في الأرض بتفوق، وإن

(١) ب، ج، ز: عليها.

(٧) د: - به.

(٢) ب: بلية. ج، ز: بنية.

(٨) ج، د، ز: - أو ثلاثة عشر عاماً.

(٣) ب، ج، ز: فيها. ج: عليها.

(٩) ب، ج، ز: بالآيات.

(٤) ب، ج، ز: نوع.

(١٠) ج: ميثوث.

(٥) ج: أقرأها.

(١١) د: خرمها.

(٦) د: قال أبي.

أشتجر^(١) الخلق اشتجار^(٢) أطباق الرأس، عقائد وأعمالاً، وتفرقوا تعصباً واختلالاً، فمدت البدع أعناقها، وأطلقت المبطلة^(٣) ألسنتها، فإذا^(٤) كانت الأمة على حمايتها، والولاية على حمايتها، خلع العذار الخلق في المعاصي، وأخذوا في طرف من البدعة.

فلما جاء الوعد الصدق بأن الدين بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، ولج في الدين لصوص، من غير باب، وتعلقوا^(٥) بإهابه، ومشوا له الضراء، وأسروا حسواً في ارتقاء^(٦)، وخاطبك كل واحد منهم بلسان القراية، وهو من البعداء، وعاملتك بالخلّة وهو من الأعداء، وأتاك بالداء في صفة الدواء، ولم يخل الله قط أمته، ولا ضيّع شريعته، عن ذاب^(٧) عن حرمة، وحامل على مستقيهما، كما أخبرنا أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين^(٨)، بالمعلق من مدينة السلام، تجاه دار الخلافة ثنا^(٩) أبو بكر أحمد بن علي الحافظ^(١٠) ثنا^(١١) أبو بكر أحمد بن عمر الدلال^(١٢) ثنا^(١٣) جعفر بن محمد بن نصير الخلدي^(١٤)، نا^(١٥) خلف بن عمرو العسكري^(١٦) حدثنا سعيد بن منصور^(١٧)، نا عبد الرحمن بن

- (١) ج، ز: اشتجر.
(٢) ج، ز: اشتجار.
(٣) ب: المبطلات.
(٤) ب، ج، ز: - فإذا.
(٥) د: تلفقوا.
(٦) ج، د، ز: ارتقاء.
(٧) د: دأب.
(٨) هو السراج البغدادي صاحب مصارع العشاق توفي سنة ٥٠٠ هـ/١١٠٦ م وكان من الحفاظ، وعالماً بالقراءات (العبر، ج ٣ ص ٣٥٥، ابن خلكان، ج ١ ص ٣٥٩).
(٩) ج، ز: بنا. د: أنا.
(١٠) ب: الحافظي. وهو أبو بكر أحمد بن علي ابن سعيد المروزي من حفاظ الحديث له مسانيد توفي قاضياً بدمشق سنة ٢٢٧ هـ/٨٤٢ م.
(١١) ج، ز: بنا. د: أنا.
(١٢) ب: الدلال. لم نعث له على ترجمة.
(١٣) ج، ز: بنا. د: أنا.
(١٤) الخلدي: جعفر بن محمد بن نصير البغدادي الزاهد. نسب إلى حلة الخلد على شاطئ دجلة. وهو شيخ الصوفية ومحدثهم. توفي سنة ٣٤٨ هـ/٩٥٩ م (العبر، ج ٢ ص ٢٧٩).
(١٥) د: أنا.
(١٦) د: العسكري: الصواب أنه العسكري خلف بن عمرو محدث ثقة توفي سنة ٢٩٦ هـ/٩٠٨ م (العبر، ج ٣ ص ١٠٦).
(١٧) أبو عثمان سعيد بن منصور الخراساني الحافظ توفي سنة ٢٢٧ هـ/٨٤٢ م.

زياد^(١)، نا شعبة^(٢) عن معاوية بن قرة^(٣) عن أبيه، عن النبي ﷺ، قال: «لا يزال^(٤) ناس من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة»^(٥) قال القاضي أبو بكر^(٦) رضي الله عنه^(٧): وبعد هذا فليس يخفى على ذي لب، أن العقل والشرع صنوان.

منزلة الشرع من العقل^(٨):

وقد قال بعضهم: إن العقل مزكي الشرع، ولا يصح أن يأتي الشاهد، بتجريح المزكي، ولا بتكذيبه، فإن ذلك إبطال له. وتحقيقه^(٩) أن المعقول^(١٠) على ثلاثة أقسام: واجب، وجائز، ومستحيل. فأما الواجب والمستحيل فلا يتعرض الشرع إلى بيان حقيقتهما، وأما قسم الجواز فإن الشرع هو الذي يتصرف فيه بأن يعين أحدهما، لأنه هو^(١١) الذي أوعز به، عالم الغيب والشهادة، أما أنه يذكر الواجب، والمستحيل في معرض الأدلة، إذا كانا نظريين، ويذكرهما إذا كانا ضروريين، تمهيداً^(١٢) لتوطيد القسمين النظريين عليهما، وإذا لم يتناقضا، و^(١٣) لم^(١٤) يتنافيا فعلى أي وجه يجمع بينهما؟ أما أنه جاءت ظواهر ضعفت بعض قدر الخلق عنها، فوجد السبيل من كان له حرص على الزيف عن الشريعة بها.

عاصمة^(١٥):

وقد نزل القرآن بها، وتكلم رسول الله ﷺ عليها، وأبلغ رسالة ربه

- | | |
|---|--|
| (١) المعافري البرقي مولد احدث ثقة توفي في القيروان سنة ١٥٦ هـ / ٧٧٢ م. | (٦) د: قال أبي. |
| (٢) شعبة بن الحجاج أمير المؤمنين في الحديث، بصري توفي سنة ١٦٠ هـ / ٧٧٦ م. | (٧) د: - رضي الله عنه. |
| (٣) أبو لباس المدني البصري لقي ثلاثين صحابياً توفي سنة ١١٣ هـ / ٧٣١ م. | (٨) ز: كتب على الهامش: قف على أن العقل والشرع صنوان. |
| (٤) ج: ز: تزال. | (٩) ب: والحقيقة. |
| (٥) أخرجه البخاري في صحيحه مع اختلاف يسير في اللفظ، وبإسناد آخر. | (١٠) ب، ج، ز: المعقول. |
| | (١١) د: - هو. |
| | (١٢) ب: تبين. ج، ز: تميزاً. |
| | (١٣) ج، د: - و. |
| | (١٤) ب: لن. |
| | (١٥) ز: كتب على الهامش: قد واستفد. |

فيها، فلو كان عند من تقدم من السلف الصالح والطالح، والكريم
واللئيم^(١)، والمؤمن والكافر، منهم أجمعين من يشك فيها، أو يرى^(٢) إشكالها،
لما وقف مؤمن في شك، ولا سكت كافر عن طعن^(٣)، ولبادر إلى
الاعتراض^(٤)، مع ما كان في نفسه من عداوة الشرك، بل سلم جميعهم تسليم
العالم بها، على حالته من كفر أو إيمان، وما اعترض كافر^(٥) على الرسول^(٦) إلا
في آحاد يسيرة من الألفاظ، لم تكن^(٧) من باب الأخبار عن الله، ولو كان
عندهم فيها شبهة، أو للملحد بها متعلق، لقام صاحبها يشدو بها،
ويشهرها، أو لصاحب طبيعة لقال له^(٨): أنت تنسب^(٩) الكل إلى الله، وهو
قد رد الكل إلى الطبيعة، وأحال على الأسباب والمسببات، وربط الحوادث
بحركات الأفلاك، أو لليهودي أو لنصراني [و٤٢ أ] ليتبادروا^(١٠) من قريب،
وتناوشوا^(١١) من بعيد، متألبين عليه في كلامه، وقد جاوزوه من الأطراف
القاصية، فناظرهم به، أو لصاحب صنم، لثاروا إليه يقولون له: ربك بعين
ويد ورجل، وكف، وأصبع، وساعد، وجنب، وبأني، ويحي، ويضحك،
ويطأ برجله^(١٢)، ويمشي، ويهرول، وينزل، ويخاصر^(١٣)، وعمل مع من يمل،
ويعطي بيدين، وآدم مخلوق على صورته، باطنه بباطنه^(١٤)، وظاهره بظاهره^(١٥)،
فما ينكر من عبادة من تكتنفه الآفات؟ ويأخذ كل واحد^(١٦) منهم في طريقه،
على مذهبه، ويجادلونه^(١٧) بذلك كله، أو يدعيه كل واحد إلى نفسه، ولكنهم
علموا^(١٨) خلافه لهم أجمعين في المقاصد، ومباينته لهم في الموارد^(١٩)، راداً^(٢٠) على

(١) ج، د، ز: - و.

(٢) ج، ز: فيرى وصحح في هامش

(١١) د: وتناوشوا.

ز: أو يرى.

(٣) د: الاعتراض.

(١٣) ب، ج، ز: يخاصر.

(٤) د: - ولبادر إلى الاعتراض.

(١٤) ج، ز: بباطنه.

(٥) د: كافرهم.

(١٥) ج، ز: يظاھرہ.

(٦) د: + صلى الله عليه وسلم.

(١٦) د: أخذ.

(٧) ب، ج، ز: يكن.

(١٧) ب، ج، ز: يجالوه.

(٨) ب، ج، ز: - له.

(١٨) ج، ز: عملوا.

(٩) د: نسبت.

(١٩) د: + وأنه.

(٢٠) د: راد.

جميعهم، وأنه لم يأثم بمهم، ولا كلمهم بتخليط ولا^(١) محال، وأن معجزته ظاهرة، ودليله على صدقه بين، فلبجأوا إلى الحرب، والاحتساء بالطعن والضرب، والانحياز إلى دار غير داره، أو تمسك كل واحد ببلاده، والإسلام يعلو ولا يعلى، وكلمة الله لا بد أن تبلغ المنتهى.

فلما درست الملة، ونقصت الشريعة، صارت هذه الطوائف عليه عزيز، ما بين مدعين وطاعين، وملبسين. ومنهم من يأتي بهيئة الناصر، ومذهبه التخذيل، ويتدب هادياً، ومقصده التضليل، والحق قليل. ولم يلف^(٢) أحد في كتاب الله، ولا حديث النبي ﷺ كلمة^(٣) يردها العقل، نعم، ولا يخالفه، في شق الأئمة^(٤)، حتى يفتقر إلى التمييز بينها، والفصل بحج^(٥) اختلافهما، فأبت هذه الطائفة الركيكة إلا أن يكون^(٦) يبرز^(٧) فيها^(٨) النزاع، وتنزل بزعمها في الفصل بينها منزلة الانتفاع، في دين^(٩) قاصمة، وهدم^(١٠) قاعدة قائمة، وليس الأمر كما زعموا، والحمد لله. وسترى ذلك في أثناء الكلام، عياناً، وتحققه برهاناً، إن شاء الله. ومنهم [و ٤٢ ب] من حملته القحة، وعظيم التهتك، مع التمكن من الهزء واللعب، على التغفل في الباطن^(١١)، فقالت^(١٢): إن نزول القرآن ليس على وضع تأويله^(١٣) تنزيله^(١٤)، بل وراءه بحار علوم، وكتابات عن أغراض^(١٥)، كما قدمنا عنهم، فيقولون: إن البقرة لها معنى على^(١٦) غير ما يظهر^(١٧) من التنزيل، وإن العجل

- | | |
|--|---|
| (١) ب: د - لا. | (١١) د: - على التغفل في الباطن. |
| (٢) ب، ج، ز: يأت. وكتب على هامش ب، ز: يلق. | (١٢) ز: كتب على الهامش: قف على مذهب الباطنية في القرآن. |
| (٣) ب، ج، ز: بكلمة. | (١٣) ز: كتب فوق (تأويله): خير مقدم. |
| (٤) ب: إلا بلمة. | (١٤) ز: كتب فوق كلمة (تنزيله): مبتدأ مؤخر. د: بتنزيله. |
| (٥) ب، ج، ز: لمجرد. | (١٥) ب: أغراض. |
| (٦) ج، ز: تكون. | (١٦) ب: - على. |
| (٧) ج، ز: تبرز. | (١٧) ب، ج، ز: ظاهر. وكتب على هامش ز: بينها. |
| (٨) ب، د: بينها. وكتب على هامش ز: بينها. | (٩) ب: ذين. |
| (٩) ب: ذين. | (١٠) ب، ج، ز: وهي. |

أيضاً^(١) له معنى أيضاً، خلاف تنزيله، إذ لا يصح أن يكون على تنزيله، فإن أحداً من أصحاب موسى، ما كان ليتخذ العجل المصاغ^(٢) من الفضة إلهاً، من دون الله، يخور بحليته وجوهه، إذ لا يخفى ذلك على من له أدنى مسكة من نظر، فلذلك^(٣) وجب أن يحال^(٤) على معنى، يمكن أن يقع فيه الاشتباه، ويحصل معه الإشكال، فيرتبك فيه من يرتبك به.

وهذا مما فاوضتهم^(٥) في أنحائه مراراً، ووجه الرد عليهم بشاهد^(٦)، فإن جد^(٧) هذا لمعترض لي، والمتكلم معي^(٨)، كان يعبد حجراً يأتي به من الطريق، كما قال أبو رجاء العطاردي^(٩) في صحيح البخاري قال: (كنا نعبد حجراً^(١٠)) فإذا وجدنا حجراً هو خير منه ألقيناه، وأخذنا الآخر^(١١)، فإذا لم نجد حجراً جمعنا حثوة^(١٢) من تراب، ثم جئنا بالشاة^(١٣) فحلبنا عليه، ثم طفنا به، فإذا دخل شهر رجب قلعنا^(١٤) منصل الأسنة، فلا ندع رجماً فيه جليلة^(١٥)، ولا سهماً فيه حديدة، إلا نزعناه وألقيناه، وكان يقول: كنت يوم بعث رسول الله ﷺ، غلاماً، أرعى الإبل على أهلي، فلما سمعنا بخروجه، فررنا إلى النار، إلى مسيلمة الكذاب، وقد وقف على ذلك بعض الصحابة، فاعتذر بأنها كانت عقولاً كادها^(١٦) باريها، وليس عبادتهم العجل، وقلوبهم له إلهاً، بأعرب من قلبكم^(١٧) أنتم ما نزل^(١٨) قرآناً إلى^(١٩) ما تدعونه علماً وبياناً.

- | | |
|----------------------------------|--------------------------------|
| (١) ب: - أيضاً. | (١٠) د: الحجر. |
| (٢) ب: - المصاغ. | (١١) د: الذي هو خير. |
| (٣) ب: ولذلك. | (١٢) د: حثوة. |
| (٤) د: + به. | (١٣) د: الشاة. |
| (٥) ج، د، ز: فاوضناهم. | (١٤) د: قلنا. وكتب على هامش ز: |
| (٦) ب، ج، ز: مشاهد. | قلنا. |
| (٧) ج، ز: جراً. | (١٥) ب، د: حديدة. |
| (٨) ب، ج، ز: معنا. | (١٦) ج: كادها. |
| (٩) أبو رجاء، عمران بن ملحان | (١٧) ب، ج، ز: قولكم. |
| العطاردي ويقال له: عمران بن ثيم، | (١٨) ب، ج، ز: + الله. |
| الصحيح أنه توفي سنة ١٠٥ هـ/ | (١٩) ج، ز: إلا. |
| ٧٢٣ م (العبر، ج ١ ص ١٢٩. صفة | |
| الصفوة، ج ٣ ص ١٤٢ - ١٤٣). | |

ولولا أنكم لا تحملون ما أذكركم عنهم، ولا ينبغي أن يهاج به أهل هذه الأقطار، لأنهم لم يسمعوهم، لذكرت لكم من ذلك غريباً، تفنون الدهر منه [و٤٣] عجباً. وجملة أنهم لا يذكرون في تأويل أي من القرآن، ولا حديث عن الرسول معنى يرده إلى غرضه، إلا قلبته له في معنى آخر، حتى إن من أراد من الباطنية أن يرد جميع القرآن في علي، فترده^(١) إلى العباس العباسية وترده^(٢) إلى أبي بكر البكرية، وإلى عثمان العثمانية، ومن أراد من الإخوانية^(٣) أن يرد الآيات، والآثار إلى أفعال الكواكب وتأثيراتها، وأن ذلك عبارة عنها ردّت^(٤) له^(٥) إلى غير ذلك.

فإن قال المبتدع أو الملحد: قد صح لي غرضي من أن الشرع لا تحصيل فيه، قلنا له: لا يخلو^(٦) أن تتشرع به وتقبله، فما تدعي فيه، نبطله عليك، حتى إذا ما انتفيت منه، وقلت: ليس بشيء، رجعت صاغراً بالدليل إلى قيد آخر من النظر يفيدك^(٧) بأنه حق، وهكذا هي حقيقة الملة، من أراد أن يدخل فيها داخلة، ردّ عنها إليها بأدلتها، في غرائب من النظر، كلها قرآنية سنية، حسبما بيّنها الله في كتابه، لأوليائه، وحاج بها عن نفسه على أعدائه. و^(٨) في أثناء هذه العواصم سترون دستور ذلك، وتبينونه، إذا لحظتموه بقلب شاهد، ونظر جاهد، والله أعلم.

استدراج:

إن المطلوب علمه ينقسم إلى معدوم وموجود، وفي ذلك كلام طويل، بيننا وبينهم، ولكننا^(٩) نبني معهم، على أنا قد وقفنا، ها هنا، فنقول: [الكلام معكم على وجهين: أحدهما: بما^(١٠) يعترض في أثناء النظر، وترديد

(٦) ج، ز: - لا يخلو. وصحح في

هامش ز.

(٧) د: يفيدك.

(٨) ج: - و.

(٩) ج، د، ز: لكننا.

(١٠) ز: - بما.

(١) ب، ج، ز: فبرده.

(٢) ب، ج، ز: ويرده.

(٣) أي إخوان الصفاء، كما شرحه ابن باديس.

(٤) ب: وردت.

(٥) ب: به. ج، ز: - وردت له.

القول، وقد قدمنا منه جزءاً مما جرى بيننا وبينهم على صفته، من مجازة وحقيقته.

الثاني: أن نتكلم معهم بلغة حبرهم الأول صاحب الطاء والفاء، ومن عبّر عنه من سين أو راء. فنقول^(١): لا خلاف أن الوجود ينقسم إلى واحد وإلى كثير، والواحد الذي لا كثرة فيه هو ذات الباري، فإنه لا ينقسم بالفعل^(٢) ولا يقبله، فهو واحد بالإمكان وبالوجود، والقوة والفعل، ولهذا لم يقبل^(٣) لواحق الكثرة، من [و٤٣ ب] الغيرية والتخالف، والتقابل، ونحوه من التساوي والتشابه، ونحوه من^(٤) التساوي والتماثل، وعدم التناهي بكل وجه، ووجوب الوجود له، و^(٥) لازم فيه باتفاق، التقدم لا بالزمان، ويبقى النظر بيننا وبينهم في بقية مراتب التقدم الأربعة وهو^(٦) الشرف والطبع والذات، الذي ينقسم إلى قسمين: أحدهما: أن تكون به، أو لا به، نعم! وهل يقال فيه: إنه موجود بالقوة؟ فيه نظر طويل، وهذا كله لا يوصل إليه إلا بنظر طويل، وتفصيل لا يتأتى^(٧) عنه إلا إزالة^(٨) الحال معهم إلى الإمكان، على موافقة المطلوب، لكن يبقى النظر الأعظم، في أن حقيقة موجود بلا ماهية لا يقبل الكثرة كذا، كذا، كذا، كما ساقوه يصح أم لا؟ فإنكم إذا قلتم: علمنا الله، قيل لكم: موجود بلا، ولا، ولا^(٩) كما وصفتم، علم بماذا؟ ولا^(١٠) بد لكم أن تعلقوه^(١١) بمفهوم تظمن به العقول ويدخل في

بقية المراتب غير مرتبة التقدم بالزمان الذي تحدث عنه وفرغ من الكلام عليه.

(٧) ب: يتأى. د: يبالي.

(٨) ب: إلا أن آلت. د: الآن إن آلت.

(٩) د: + ولا. ويقصد بذلك نفي الصفات أو السلوب.

(١٠) ج: تكرر: ولا.

(١١) ز: كتب على الهامش: تعلقوه.

(١) ج: سقط ما بين القوسين. أما صاحب الطاء والفاء فهو أفلاطون وصاحب السين والراء هو أرسطو.

(٢) ب، ج، ز: بالعقل.

(٣) د: تقبل.

(٤) د: - من. قارن (المقاصد، ص ١٨٣).

(٥) د: - و.

(٦) ز: كتب على الهامش: عله: وهو

الزمان والشرف إلخ. وليس صحيحاً لأن المؤلف يتحدث عن

سلك العلوم، وليس لهم عن هذا جواب ينفع^(١)، وإلا فهذا كلامي، وأنا حي أو ميت فاحشروه^(٢) وانشروه ففي قوة كل ما أوردت عليكم معشر الموحدين أن^(٣) تبطلوه^(٤)، بيد أننا نحن بفضل الله الذي أتانا على لسان رسوله من العلم المثبوت ببركته^(٥)، نقول: من أراد أن يعلم الله، فسيل ذلك لائحة، وهو أن تتحقق أنه ليس مثلك، فكل ما علمت نفسك عليها، وقدرتها فليس هو عليها^(٦)، فإن قلت: فهذا نفي محض، قلنا هو نفي لمثلك، وليس نفياً لصانعك وموجدك، لأنه قد ثبت بك ومعك ومنك.

وانظروا رحمكم الله إلى^(٧) النبي كيف أنبأ عنه، بأن طريق معرفته أفعاله، فأما هو سبحانه، فلا يستطيعه أحد، قد قال النبي ﷺ: «أنت كما أثبتت على نفسك»^(٨) معناه: لا أقدر على صفتك إلا بما علمتني من صفة نفسك، فإن أردت أن تنكره لم تقدر، وإن أردت أن تمثله [و٤٤ أ] لم تستطع، فإن أردت دركه كما وصف نفسه، ودل عليه فعله، أمكنت. وهذه ثلاثة أقسام ضرورية فأنت العالم به حقاً على قدرك، وهو العالم بنفسه، كما ينبغي، وإذا أردت الصراط المستقيم، المبلغك إليه كما أمر، من الاستدلال بأفعاله عليه، فأقرب شيء إليك من أفعاله، أنت، فمنها فارق إليه، وأخرج^(٩) في درج^(١٠) المعارف تقف^(١١) بك عنده بين يديه فتعلم إذا سلكت هذه السبيل الميثاء^(١٢)، أنه^(١٣) قد جعل^(١٤) الروح فيك آية عليه، فإنك إذا

(٨) (الغزالي، مقصاد الفلاسفة، ص ٢٥٢).

(٩) ب، ج، ز: وأخرج. وكتب على هامش ز في درج المعارف.

(١٠) ب، ز: دوح.

(١١) ب، ج، ز: يقف.

(١٢) ج، ز: الميثاء، د: المينا. ومعنى الميثاء: السهلة.

(١٣) د: أن الله، ج: - أنه.

(١٤) د: حقل.

(١) علق ابن باديس على هذا بقوله: بين هذا الفصل أن طريقة الفلاسفة

لا توصل إلى معرفة الله.

(٢) أي اجمعه.

(٣) ب، ج، ز: - أن.

(٤) ب، ج، ز: يبطلوه.

(٥) ب، ج، ز: بركته.

(٦) ز: كتب على هامش: قف ولا بد،

لتعرف الوصول إلى معرفة الله.

(٧) ب، ج، ز: أن.

أردت إنكارها وجوداً، لم تقدر عليه، وإن أردت له مثلاً لم يمكنك، وإن أقررت بها لدلالة آثارها عليها أصبت. وتحقيقه^(١): أن الفعل لا يصدر إلا عن قادر، وهو عبارة عن إذا شاء فعل، وإذا شاء لم يفعل^(٢)، وأنه عالم بنفسه، وبكل معلوم، إذ أنت عالم بنفسك ولم توجد^(٣)، فضلاً عنه، وهو عالم بغيره، كما تعلم أنت غيرك، وإن توقفت في أنه علم واحد، أو علوم، فلا تبال به، فإنها مسألة نظر، والأصح أنه واحد، وأنه يريد لما يفعله، إذ الفعل عن الفاعل يصدر طبعاً أو عن إرادة، والطبع عند طأ، وصحبه، وهما: الفأان والسين، هو الفعل المنفك عن العلم بالمعقول^(٤). وقد اتفقنا^(٥) على أن يعلم ويفعل من غير طبع وذلك هو الإيثار^(٦)، والقول في العلم قد تقدم.

وإن نظرت في غيرك من أفعاله، فهو من الصراط المستقيم، لكنه محتوش^(٧) بثنيات، يخاف على السالك أن يعرج^(٨) عليها^(٩)، فيتيه بعدها.

ومن ذلك الغير: عقل، ونفس، وجسم، والعقل عندهم جوهر لا ينقسم، ولا يتركب^(١٠)، ولا يشاهد. والنفس تقبل التأثير من العقل، وتؤثر^(١١) في الجسم. والجسم يتأثر بالنفس ولا يؤثر، والعقل عندهم ينقسم^(١٢) إلى بسيط ومركب، إمكاناً عقلياً ووجودياً^(١٣)، والبسيط في الأكثر

بالمفعول، وبالفعل، ص (٢٣٥).

(٥) د: اتفقنا.

(٦) كذا في جميع النسخ ولعله: التأثير.

(٧) أي اجتمعت بجوانبه طرق صغيرة ومسالك ثانوية. يقال: حشش القوم أي اجتمعوا.

(٨) ج: يفرج، د: يعوج.

(٩) د: عنها.

(١٠) ب، ج، ز: يركب.

(١١) ج، ز: يؤثر. قارن (الغزالي،

مقاصد الفلاسفة، ص ٢٥٣).

(١٢) د: ينقسم عندهم.

(١٣) ب، ج، ز: وجوداً.

(١) ز: كتب على الهامش: اعرف هذا

التحقيق والتدقيق وهو أن خلق

الروح في بدن الإنسان من أعظم

الأدلة التي يتوصل بها الإنسان إلى

معرفة الله وأنها على مثال يقرب

الفهم ويحقق المعرفة، من عرف

نفسه فقد عرف ربه.

(٢) د: - وإذا شاء لم يفعل. وكتب

مصححاً على الهامش.

(٣) د: ولم تر حدها.

(٤) كذا في جميع النسخ ولعله: بالمفعول وهو

نفس ماورد في المقاصد: (والطبع،

المحض هو الفعل المنفك عن العلم

عندهم^(١)، هو الذي له طبيعة واحدة، كالهواء، والماء، والمركب الذي يجمع طبيعتين [و٤٤ ب] كالطين^(٢). ولا خلاف عندهم، في أن البسيط أصل المركب، كالخبر^(٣) لا وجود له في العفص والزاج^(٤). ومن البسيط ما لا يتركب، وهو بالعمل ببساطته^(٥) ولي فيه معهم كلام.

ومن أعظم ما ينظر فيه، الأجسام السماوية، فيقولون: إنها متحركة بالإرادة، لغرض هو شوق إلى العلوي، للتشبه به، لعلاقة بينها^(٦) وبين الأجسام يسمى عقلاً، قالوا: أو ملكاً، ويدل عليه عدم التناهي في هذه الحركة، أزلاً^(٧) وأبداً، فلا بد لها من الاستمداد من قوة محركة، ويستحيل أن يكون في الجسم قوة لا نهاية لها، لأن^(٨) له نهاية، فلا بد من^(٩) محرك مجرد عن المواد. وذلك قسمان: كتحرك المعشوق والعاشق وكما يحرك الروح البدن، والثقل الجسم إلى أسفل. فالأول ما لأجله الحركة، والثاني ما منه الحركة. والحركة الدورية تفتقر إلى فاعل مباشر، تكون^(١٠) منه الحركة، وذلك لا يكون إلا نفساً متغيراً، لأن العقل المجرد الذي^(١١) لا يتغير لا تصدر^(١٢) منه الحركة المتغيرة^(١٣)، فتكون^(١٤) النفس الفاعل للحركة، متناهي القوة، لكونه جسمانياً، و^(١٥) لكنه يمدّه موجود ليس بجسم، بقوته التي لا تنتهى، ويكون^(١٦) عرياناً^(١٧) عن المادة، حتى تكون^(١٨) قوته تخرج عن النهاية، ولا يكون فاعلاً للحركة،

- | | |
|--|--|
| (١) ج، ز: عندهم في الأكثر. | (٩) ب، ج، ز: متحرك. |
| (٢) قارن (الغزالي، مقاصد الفلاسفة، ص ٢٥٥) فإنه يكاد ينقل عنه حرفياً. | (١٠) ب: يكون. |
| (٣) ب، ج، ز: ولا. | (١١) ج: - الذي. |
| (٤) قارن (الغزالي، مقاصد الفلاسفة، ص ٢٥٥). | (١٢) ب: يصدر. المقاصد: يصدر (ص ٢٨٠). |
| (٥) ب، ج، ز: ببساطته. | (١٣) المقاصد: المتغيرة. المتغير (ص ٢٨٠). |
| (٦) في المقاصد: لا علاقة بينه (المقاصد، ص ٢٧١). | (١٤) ج، ز: فيكون المقاصد: + كما سبق ذلك. |
| (٧) ب، ج، ز: أولاً (المقاصد، ص ٢٧٩ يكاد ينقل بالحرف). | (١٥) ج، ز: - و، المقاصد: ولكن (ص ٢٨٠). |
| (٨) د: + ما. | (١٦) ب: تكون. |
| | (١٧) د: برياً. المقاصد: بريئاً (ص ٢٨٠). |
| | (١٨) المقاصد: - تكون. |

فتكون^(١) لأجله الحركة، من حيث كونه معشوقاً^(٢)، لا من حيث^(٣) كونه مباشراً للحركة، ولا يتصور محرك^(٤) لا يتحرك بنفسه^(٥) إلا بطريق العشق، فإذا^(٦) نظروا في الإدراك للأشياء، فقال أكثرهم: إنه لا يكون إلا للحس، بإرادة حسية، وحركية^(٧)، خلاف النبات، إذا حركته طبع، تميز^(٨) به الحيوان، وهي حركة شوقية، وحركة اختيارية، فالشوقية إلى المشتبه والمكروه، والإرادية هي الحركة في الأعضاء للتصرف^(٩). والمدركة نوعان: نوع يدرك [٤٥ أ] الصورة المتكونة^(١٠) بانطباعها في الهواء، ويستمر الانطباع حتى ينتهي إلى رطوبة العين، وكذلك السمع، وسائر الحواس، لهم فيه تخطيط.

وإذا مشوا في إدراك المعقولات، دخلوا في مجهلة تيه، لا علم لهم^(١١) بها^(١٢)، أصلها عندهم أن الحواس كلها تنقل المتلقي لها إلى سابقة^(١٣) الدماغ، من قدام، وليس للقلب في ذلك أثر، وهي أن قبلتها، ففي لحظة ليس لها ثبات معها، بل تذهب عنها، لكن ربما ألفتها إلى قوة في آخر الدماغ، تسمى خيالية، ثم عندهم قوة أخرى في محل من الدماغ آخر، له تركيب يسمى^(١٤) الفكرية، ولهم بعدها أخرى وهمية، يسمونها الحاكية^(١٥)، وهي في الحيوانات كلها. وهذه الكلمات شاركهم فيها الأطباء، وبنوا علاجهم عليها^(١٦).

-
- | | |
|---|---|
| (١) ب: فيكون. | (٩) ج، ز: المتصرف. |
| (٢) المقاصد: + ومقصوداً. | (١٠) د: التلونة. قارن (المقاصد، ص ٢٤٧ - ٣٥٣). |
| (٣) ب: - حيث. | (١١) د: - لهم. |
| (٤) ب، ج، ز: متحرك. وكتب على هامش ز: عله: محرك. | (١٢) د: لها. |
| (٥) ج، ز: في نفسه. المقاصد في نفسه (ص ٢٨٠). | (١٣) ب: سألقة. |
| (٦) د: وإذا. | (١٤) ج، ز: تسمى. |
| (٧) ب: حركة. ج، ز: وفي حركية. | (١٥) د: الحاكمة. |
| (٨) ج، ز: يميز. | (١٦) المقاصد، ص ٣٥٦ - ٣٥٧. |

قال القاضي أبو بكر^(١) رضي الله عنه: قولهم: إن الذات الواحدة لا تنقسم بالفعل، يقال لهم^(٢): نعم ولا بالقوة، فذكرهم^(٣) الفعل وحده، تقصير أو تلبيس، وأما قولهم: إنه واحد بالإمكان، فجهل محض، وإنما^(٤) ينبغي أن يقولوا: إنه واحد بالوجوب، واحد بالوجود، لأن الإمكان، ما جاز سواه، وهاهنا يمتنع هذا، وقولهم: إنه واحد بالعقل، محال، لأنه العقل لا ينظر إليه^(٥)، وأما قولهم: لم يقبل لواحق^(٦) الكثرة من الغيرة إلى آخر الفصل، فهو باطل، بل الباري تعالى غير لخلقهم، خلاف لهم. وقولهم: التقابل، فإنه يقبله على رأيهم، وهذا إذا كان معنوياً، فإنه سبحانه لا أول له، والخلق له أول، ولا يعدم، والخلق يعدمون، وهكذا يتقابل معهم في صفات الجلال، هي له والكمال^(٧)، والنقص للخلق، ولا يصح سوى هذا.

وأما التقابل بمعنى التوازي، فمحال عليه، وكذلك التساوي والتشابه، والتماثل، محال عليه، وكذلك عدم التناهي. وقولهم: ووجوب الوجود ينقض ما سبق من قولهم: إمكان الوجود^(٨)، كما بيناه، وأما [و٤٥ ب] فضل^(٩) التقدم، فإنه بمعنى الشرف، واجب للباري، ولا يقال: إن ذاته قبل الذوات، لأنه لا يتطرق إليها القبل الزمني، ولا قبل الطبع، ولا شك في أن^(١٠) كل شيء به، ومنه، على معنى أنه الفاعل له بقدرته، ولا إشكال على مذهب الجميع، لأنه لا يكون موجوداً بالقوة، وأقوى ما فيه عليهم، أن من ضرورته^(١١) خروجه إلى الفعل، أو جواز خروجه له^(١٢)، وذلك محال ها هنا.

- (١) د: قال أبي.
(٢) د، ز: - لهم. نص المقاصد: فإنه ليس منقسماً بالفعل ولا هو قابل له، فهو خال عن الكثرة بالوجود والإمكان والقوة والفعل، فهو الواحد الحق (ص ١٨٣).
(٣) د: فذكرهم.
(٤) ب، ج، ز: - وإنما.
(٥) د: وقولهم إنه واحد بالفعل، محال،
(٦) ج: تكرر: لواحق. قارن (المقاصد، ص ١٨٥).
(٧) د: - والكمال.
(٨) ج، ز: الوجودات.
(٩) ب، ج، ز: فصل.
(١٠) د: أنه.
(١١) ج، ز: ضرورياته.
(١٢) د: - له.

باتفاق، وثبت^(١) أن الإله هو الذي ليس على حال من أحوال الموجودات^(٢) كلها، وهذا ما لا خلاف فيه بين العقلاء منهم ومنا، بيد أنهم لا يفون هذا الأصل حقه في التوابع. وأما العقل فإنه معلوم به، لا إشكال فيه عند أحد، بيد أن الملحدة، والشيعية^(٣) أدخلته سوق الاشتباه قصد الالتباس، أو جهالة فطرية، وطرأ عليه أيضاً^(٤) استعمال العرب له في ثمراته وفائده، في^(٥) بعض مقدماته، فصار لذلك مشكلاً على من هو دخيل في لسان العرب، وبهذا كله وجدت الملحدة السبيل إلى دخيلتها. وأهل الفلسفة يطلقونه في^(٦) معان كثيرة، منه عملي، وهي قوة تنشأ عنها قوة أخرى، منطلقة إلى ما يختار^(٧) من الجزئيات، وهذا فيما لا يخلو أن يكون علماً أو نظراً أو إرادة. ومنها عقل هيولاني، وهذا تهويل، يعبرون به عن قوة في النفس صالحة لقبول ماهيات الأشياء مطلقة معراة عن موادها، بها^(٨) فارق الكامل الصبي، والبهيمة، وهذا إنما يرجع إلى علوم مركبة على غيرها، فالصبي يعلم، والدابة تعلم، لكن^(٩) علماً مقصوراً، والكامل يعلم عليه زيادة، ومنها عندهم عقل فعال، وهي القوة التي تعلم^(١٠) متى شاء عقلها، وأحضرها بالفعل^(١١)، وهذا هو عبارة عن تجريد^(١٢) النظر في الخفي باستخراجه من المعلوم الحاضر، مع الذكر له، وليس في^(١٣) شيء [و ٤٦ أ] من ذلك إشكال، إلا من عباراتهم، وإلا فهي علوم كلها مرتبط بعضها ببعض^(١٤)، ويتركب على^(١٥) البعض، وكلها تترتب^(١٦) على العلوم الضرورية، وتزيد وتنقص، وتنسى وتذكر، وقد بينا في

-
- | | |
|--|------------------------------|
| (١) ز: كتب على هامش: عله. فثبت. | (٩) د: ولكن. |
| (٢) د: الوجودات. | (١٠) ب، ج، ز: - تعلم. |
| (٣) د: المشغبة. | (١١) د: - بالفعل. |
| (٤) ج، د، ز: أيضاً عليه. | (١٢) ب، د، ز: تجديد. |
| (٥) د: وفي. | (١٣) ج، ز: - في. |
| (٦) د: على. | (١٤) ج، ز: بعضها مرتبط ببعض. |
| (٧) د: تختار. | وكتب على هامش ب نفس النص. |
| (٨) ب: - بها، ج: به. وكتب الناسخ فوقها: عله. ز: بياض مكانها. | (١٥) د: عن. |
| وكتب على هامش: عله: به. | (١٦) ب: يترتب. |

غير كتاب أن العقل هو العلم بنفسه، لا زيادة عليه، كيفما تصرفت أحواله، وانتظمت^(١)، لا تختلف^(٢) في ذلك. وأما إذا ذكروا العقل الفعال، فتنتفخ أوداجهم، وتغشى وجوههم قتره، ويقولون: هو كل ماهية مجردة عن المادة، ويقولون: إنه فعال، إذ من شأنه أنه يخرج الفعل الهولاني من القوة إلى الفعل، بإشراقه^(٣) عليه، وهذا كله تركيب فاسد، ونسبة فعل إلى غير فاعل، ولا يصح أن يكون إخراج، ولا إدخال إلا في الأجسام، وما يستفاد من علم عن علم، لا يقال فيه شيء من ذلك، والمادة والصورة ها هنا عبارتان فاسدتان على حالهما من المجاز.

العلم المرتب ليفيد علماً مادة، وحصوله عنه صورة، والتهويل بهذه الأباطيل لا معنى له، وقد قدمنا القول في البسيط والمركب، ولا فائدة له في اللغة العربية، إلا أن يناء: ب س ط للاتساع، وبناء: ر ك ب للاجتماع المرتب، فيصح لهم هذا المعنى في المركب لغة ولا يصح لهم ذلك في البسيط، لأن معناه عندهم مفرد يتضاف عليه حتى يصير مركباً.

وأما قولهم: إن نفوس السموات تتحرك بالإرادة^(٤) والسموات والأفلاك، فيا سبحان الله، أكثرهم^(٥) ينكرون^(٦) الإيثار^(٧) والإرادة للأول، وينسبونها للثاني^(٨)، والثاني أغني عنها من الأول، وأما تفسيرهم الحركة، أنها من^(٩) شوق، فذلك خذلان، لم يرضه إخوانهم من القدرية. وهل ينبعث الشوق إلا عن نفس حية، رطبة، مع بلة وبنية؟ فإن ركبوه على غيرها، كان ذلك دعوى لا تثبت أبداً، وما ذكروه دعوى محال، سموها عقلاً، وزعموا أنا نحن نسميها ملكاً، فهذا كذب [و ٤٦ ب] علينا، ولغو منهم^(١٠). فلم يصيبوا

(١) ب، ج، ز: أبطت.

(٦) د: ينكر.

(٢) د: يختلف.

(٧) كذا في جميع النسخ. ولعله: التأثير.

(٣) د: بإشراقه. قارن (المقاصد،

ويمكن أن يقصد بالإيثار الاختيار.

ص ٣٧٣).

(٨) د: + لأن.

(٤) قارن (المقاصد، ص ٢٧١).

(٩) د: عن.

(١٠) د: - منهم.

في وجهه، ودسوا^(١) ذلك، ليخرجوا ألفاظ الشرع إلى أغراضهم الفاسدة، وأما قولهم: إنه يدل عليه^(٢) [عدم التناهي، فإن الله^(٣) على تجويز المحال، أي مناسبة بين^(٤) عدم التناهي لو ثبت، وبين ما ادعوه؟ فكيف ولا مناسبة بينهما بحال؟ وهي في نفسها محال، على ما أصلوه، وما جرى في^(٥) جوارهم^(٦) هذا، فإنه هذه الحركات الدورية، فإن كانت لا آخر لها عندهم، فلا بد أن يكون لها أول، فقولهم: عدم التناهي أزلاً^(٧) وأبداً، باطل في باطل، وقولهم: لا بد لها من استمداد^(٨) من قوة محركة، لا يصح لأن ذلك يؤدي إلى طلب ما لا ينتهي^(٩) فيها، وذلك محال. فقولهم^(١٠): يستحيل أن تكون^(١١) قوة لا تنتهي^(١٢) في جسم متناه باطل، فإن ذلك إنما ينبي^(١٣) على نسبتهم الأفعال إلى الأجسام، وهي عندنا محال لأفعال الله، فيخلق الله قوى لا تنتهي في جسم متناه، على التوارد، وقولهم: لا بد من محرك مجرد عن المواد^(١٤)، قلنا: قولهم لا بد من محرك صحيح، وقولهم: مجرد عن المواد، لا ندري ما هو، وإن دريناه لم نفسره^(١٥) لكم، ولا معكم، ولكننا نقول: لا بد من محرك لم يتحرك، ولا يتحرك، وحيثئذ، يصح أن يكون أصلاً للمحركات^(١٦) المتحركات، وأما قولهم: إن ذلك كحركة المعشوق، فيا سبحان الله! يصعدون إلى العلو، ثم ينزلون إلى الهاوية بخذلانهم، أي عشقها هنا؟ وما يتجرد عن المواد، لا يعشق ولا يعشق، ولا يتزع ولا يقلق، وقولهم: كما يحرك الروح^(١٧) البدن، من أفسد شيء عندهم وعندنا، ونحن لا نسلم أن الروح يحرك البدن، ولا

-
- (١) ب: محو. ج: ز: وينوا. وكتب على هامش ز: وحسوا أو رتبوا.
(٢) ج: على.
(٣) ب: محو. وقرأه الشيخ عبد الحميد: فإنه يدل.
(٤) ج: سقط ما بين القوسين.
(٥) د: - في.
(٦) ب: حوارهم. د: جوارحهم.
(٧) ب، ج: ز: أولاً.
(٨) د: الاستمداد.
(٩) د: ينتهي.
(١٠) ج، ز: وقولهم. د: وقوله.
(١١) ب: يكون.
(١٢) ب، ز: تنتهي. ج: ولا تنتهي.
(١٣) ج: يتهي.
(١٤) ب، ج، ز: - عن المواد.
(١٥) ج، ز: بياض مكان (نفسه).
(١٦) ب، ج، ز: للحركات.
(١٧) د: - الروح.

يجوز ذلك عندنا عقلاً، وأفسد منه، وأبعد قولهم: كما يحرك الثقل الجسم، فإن ذلك لا يجوز بحال، وليس شيء^(١) من ذلك لأجله، بل^(٢) إنه قد يكون الشيء من الشيء، وبالشئ، على معنى بقدرته، والله قد خلق ما في السموات [و٤٧ أ] وما في الأرض جميعاً صادراً منه بالقدر، والعلم، والإرادة. كان لبعض ملوك^(٣) خراسان صاحب ذمي^(٤) فقال له: إن عيسى أفضل من نبيكم محمد، بشهادة نبيكم له بذلك، فقال له الملك: وأين؟ قال^(٥): إن عمداً أخبر عن ربه بأن عيسى روح الله، وكلمته منه، فجعله من نفسه، ولم يجعل ذلك^(٦) لمحمد، فأرسل الملك إلى بعض خواصه، وقال: دلني على عالم خراسان، فقال له: ما أعلمه إلا أبا الطيب سهل بن محمد بن سليمان بن محمد بن سليم^(٧) الصعلوكي الحنفي^(٨)، تفقه بأبيه، وحاز رئاسة الدنيا، والدين. فأرسل إليه، وأعلمه بذلك فقال: لا بد أن يكون جواب هذا السؤال في القرآن، ولكن يفرد لي منزل، أكون فيه، لا يدل علي فيه أحد، ففعل ذلك به، فلما كان بعد ثلاث، قال: أخرجوني فأخرجوه، فقال: قد قال الله^(٩): ﴿وسخر لكم ما في السموات، وما في الأرض جميعاً منه﴾ [الجن: ١٣] فليس في^(١٠) ذلك اختصاص لعيسى، وقد رأيت رأساً من الملحدة كان يجهل بمسألة من الأعراب على الطلبة، وهو أن يقول قوله: ﴿وسخر^(١١) لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً﴾ على من تعود^(١٢) الهاء؟ فإذا رأى من بلغ معه الغاية السابقة قال له: إن كل موجود، فهو من الوجود^(١٣) الأول، الثاني فاض عنه^(١٤)، فيضان النور من الشمس، على

ج ٢ ص ١٥٤.

(١) ب، ج، ز: بشيء.

(٩) د: + تعالى.

(٢) ب، ج، ز: بل.

(١٠) ب، ج، ز: - في.

(٣) د: - ملوك. وصح في هامش.

(١١) ب، ج، ز: خلق. وهو خطأ.

(٤) ج: ذمير.

(١٢) ب، ج، ز: يمود.

(٥) د: قال.

(١٣) ب، ج، ز: الوجود. وكتب على

(٦) ج: لذلك.

هامش ز الموجود وهو الصواب.

(٧) د: سليمان.

(١٤) د: عليه. وكتب في هامش ز:

(٨) د: وقع شطب لكلمة الحنفي. وهو

عليه.

مفتي نيسابور. توفي سنة

٤٥٥ هـ / ١٠١٤ م (ابن خلكان،

سطوح الأجسام، بالترتيب المذكور عندهم، وإن رأى عامياً سلك معه مسلك الحق الذي يعده^(١) مسلك العوام، وإن رأى نبياً لم يثق به، حقق عليه السؤال، وشككه في المقام، ولم يبرم معه عقدة البيان، ولا هتك له قناع الإشكال.

قال القاضي أبو بكر^(٢) رضي الله عنه: قد^(٣) قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]. فأخبره بثلاثة أخبار لثلاثة معان: الأول: أنه جعل الكل من عنده، الثاني: قال: ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ﴾، الثالث: قال عيسى: ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٤٥]. فالأول عام [و٤٧ ب]، والثاني خاص، والثالث خاص من الخاص، وقد قيل: الأول في العموم قوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ﴾^(٤) ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه، والثاني: قوله: في الفوائد، والمصائب: ﴿قُلْ﴾^(٥) كل من عند الله، والثالث^(٦): قوله في عيسى: ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾، وتحقيق القول في ذلك، أن حرف «من»^(٧) أصله للغاية كما بينا في «التمحيص» و«الملحظة» ويرد له ثلاث^(٨) عبارات: قد يكون للجنس، وللتسبب^(٩)، وللבעضية. والثالث محال على الباري تعالى باتفاق منا ومنهم. والأول محال عليه باتفاق من الكل. فلم يبق إلا الثاني، وذلك جائز في كل شيء، بل واجب ذلك له فيه، وقد حققنا ذلك كله في موضوعه بما لبابه:

إن الله^(١٠) خلق لنا ما في السموات والأرض جميعاً، فالسمااء سقوف، والأرض مهاد^(١١) والشمس ضياء، والقمر حساب^(١٢) والماء حياة، و^(١٣)النبات

-
- | | |
|------------------------------------|--------------------|
| (١) د: يعتده. | (٧) د: بن. |
| (٢) د: قال أبي. | (٨) ب: بلا. |
| (٣) د: وقد. | (٩) د: للتسبب. |
| (٤) ب، ج، ز: هو الذي خلق. وهو خطأ. | (١٠) ج: والله. |
| (٥) ج: قال. وهو خطأ. | (١١) ب: - مهاد. |
| (٦) د: ثالث. | (١٢) ج، ز: حساب. |
| | (١٣) ج، د، ز: - و. |

والشجر أقوات^(١)، فكل له وجه من الانتفاع لنا بجميع ذلك، هذه صفته على الجملة والتفصيل، وكل ذلك عند أهل الستة من الله لا شريك له، في خلق ذلك، ولا في شيء منه، بل كل ذلك خلقه، فأخلصوا له^(٢) العبادة، وعاد الضمير إلى الله تعالى مقروناً بحرف «من» كما قدمنا على معنى التسبب، للابتداء^(٣) المبين لافتح الشيء، المقتضي لغايته^(٤)، وقد^(٥) قال قوم: يعود إلى البحر، فالصوفية^(٦) يقولون: يعود الضمير على الله ويكون معناه أنه - سبحانه عما يقولون - نبه به على أن ذاته مبدأ لكل شيء، عنه كان كل شيء، على ترتيب^(٧) العلل والمعلولات^(٨)، والتوليد والمولدات، والنشوء^(٩)، حالاً بعد حال، في المنشآت، فكانت الواحدة مبدأ للكثرة، وقد بينا قولهم في ذلك، وأوضحنا سخافته، وفساده^(١٠)، فيما تقدم، وسنكرر^(١١) ذلك فيما بعد.

وأما الطبايعية فيقولون: إن الهاء تعود على البحر، ومعناه عندهم: أن الله نبه عليه فقال: ﴿الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك [و ٤٨ أ] فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾^(١٢) وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ﴿يعني من سحاب ومطر، ونبات وشجر، فإن المطر يصعد من البحر بتدبيرهم الذي رتبوه، ويتصعد من^(١٣) طريق السحاب، وينزل بترتيب إلى الأرض، فتقبله، ويتولد النبات، فيكون ولداً من ازدواج

في نسخته بأن الصواب (فالفلاسفة،

فإن ما ذكره هو مذهبهم).

(٧) ب، ج، ز: تركيب.

(٨) ب، ج، ز: فالمعلومات.

(٩) ج، ز: والنشوء. د: انتشاحاً.

(١٠) ب: - وفساده على الهامش.

مصححاً.

(١١) د: وسنكرر.

(١٢) ب، ج، ز: - ولعلكم تشكرون.

وهو خطأ.

(١٣) د: في.

(١) ج: قرات.

(٢) د: لله.

(٣) ب، ج، ز: لا ابتداء.

(٤) ب، ج، ز: للغاية.

(٥) ج، ز: - قد.

(٦) ب، ج، ز: فالصوفية. ولكن

نسخة د أصح لأن هذا الرأي رأي

الفلاسفة، ويقصد بذلك إخوان

الصفاء فالصوفية نسبة إلى الصفاء،

وهذا ما جعل ابن باديس يعلق على

هذه الكلمة (الصوفية) التي وردت

الماء والأرض، فلما أب، والأرض أم، والبحر معدن، والتصعيد كيفية^(١)،
في^(٢) سخافة^(٣) لا ترضاه^(٤) الأنعام^(٥). قد نبهنا على فساد هذا الترتيب كله،
وحققنا بطلانه، وسنكرر ذلك، ويتأكد، إن شاء الله.

فكان هذا البائس يسر^(٦) هذه^(٧) المعاني^(٨)، في هذه الآية، ويلطخ
بها وجوه الطلبة، ولا يصرح لهم^(٩) بمذهب السنة، ليوهمهم أن في بيانها معنى
غريباً، ويطوي كشحه على هذه المستكنة^(١٠)، فقد كشفها الله لكم، وله الحمد
والمنة. فإن قيل: فقد قال ﷺ: «إذا نشأت^(١١) بحرية ثم تشامت^(١٢)، فتلك
عين غديقة» وقال الشاعر الجاهلي في صفة السحاب: شربن بماء البحر. قلنا:
«سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً» [الإسراء: ١٠٨] «يضل به كثيراً،
ويهدي به كثيراً» [البقرة: ٢٦] إذا جاءنا حديث صحيح كقوله: (لولا بنو
إسرائيل لم يخنز اللحم)^(١٣) وقوله^(١٤): (أول من رأى الشيب إبراهيم) وأمثاله،
قلتم: هذا باطل، فإذا جاء حديث مقطوع ليست له رواية، ولا يعرف له
صاحب، يوافقكم، صادمتمونا^(١٥) به، لا تقربونا^(١٦) في حجة لكم، نحن
أعلم بمقاصد رسولنا، وكلام نبينا، ولغة قومنا منكم، معشر اليونانية
والمأنوية.

أما قول الجاهلي فجعل محض، و^(١٧) أما الحديث فمقطوع السند،

- | | |
|-------------------------------|-------------------------------------|
| (١) ب: كبقية. | (١١) د: أنشأت. والحديث رواه مالك في |
| (٢) ب، ج، ز: من. وكتب على | الموطأ في كتاب الاستسقاء. |
| هامش ب، ز: في. | (١٢) ب، د: تشامت.. |
| (٣) ب، ج، ز: سخام. | (١٣) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد في |
| (٤) ج، د، ز: ترضاه. | مسنده عن ابن هريرة وقال |
| (٥) ب، ج، ز: الأفهام. | السيوطي: (حديث صحيح). |
| (٦) ب: سير. | (١٤) د: + صل الله عليه وسلم. |
| (٧) ب، ج، ز: هذا. | (١٥) د: صامتمونا. ج: صادمتمونا. |
| (٨) ب، ج، ز: المعنى. وكتب على | (١٦) ب: ولا تعدونا، ج: ولا تعدلونا، |
| هامش ز: المعاني. | ز: ولا تقربونا. |
| (٩) د: + فيه. | (١٧) ج: - و. |
| (١٠) ج، ز: المستكنة. | |

صحيح المعنى، أذن به النبي ﷺ، في الاستدلال^(١) بالعوائد، فإن من البلاد، ما علامة مطره نشوء السحاب [هكذا، ومنها ما يكون علامة مطره نشوء السحاب^(٢)] بخلافه، وكل بلدة بريحتها [و٤٨ ب] منها بلاد تمطر بالدبور، ومنها بلاد تمطر بالصبا، سنة^(٣) الله، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، وصار معنى الآية: خلق لنا ما في السموات وما في الأرض للانتفاع، وخلق الأفعال الحسنة^(٤) والسيئة^(٥) للابتلاء، وخلق عيسى آية في الأنبياء، وهذا يحقق في «التفسير» و«المشكلين» على الاستيفاء، إن شاء الله^(٦).

وقولهم: إن الحركة الدورية تفتقر^(٧) إلى فاعل مباشر. كلام باطل وضعيف، أما ضعفه فقولهم^(٨): كل حركة دورية. فيقال لهم: لا يصح اختصاص الدورية بذلك، فإن غيرها فيها كذلك. وأما كون الحركة تفتقر إلى محرك مباشر، فباطل قطعاً، دليلاً، وباطل منهم، فقد قال: إن حركة الفلك تشوق^(٩)، ولا مباشرة فيها، وأنتم ترون هذا التفاوت في التهافت، وقولهم: إن ذلك لا يكون إلا نفساً متغيراً. محال دليلاً، ودعوى نظراً^(١٠). وقولهم: إن العقل المجرد الذي لا يتغير، لا^(١١) تصدر منه الحركة المتغيرة. باطل، لا يصدر التغير^(١٢) إلا من^(١٣) لا يتغير، ولا يفعل شيء مثله أبداً، فإن ذلك محال قطعاً يقيناً، وما ركبه من واسطة^(١٤) العشق، حتى يكون الفعل عنده، كلام غث، ما أخذهم! بينما يكونون بزعمهم في برهان إذا^(١٥) هم قد خرجوا إلى خطبة، ومثل، وشعر، وخلع عذار، وذلك عندهم بعيد من البرهان. وأما النفس فهو عندهم بعيد^(١٦) من الألفاظ الإلهية، وهو عندهم عبارة

- | | |
|--|-----------------------|
| (١) ب، ج، ز: + في. | (٨) د: قولهم. |
| (٢) ب، ج، ز: سقط ما بين القوسين. | (٩) ج، ز: للشوق. |
| (٣) ج، ز: سنة. | (١٠) ب، ج، ز: بطراً. |
| (٤) ب، د، ز: الحسنة. وكتب في هامش ج، ز: عليه الحسنة. | (١١) ب، ج، ز: ولا. |
| (٥) ي: السيئة. د: السيئة، ز: السية. | (١٢) د: المتغير. |
| (٦) ج، ز: + تعالى. | (١٣) ج: عما. |
| (٧) د: تستقل. | (١٤) د: واسطة. |
| | (١٥) ب، ج، ز: إذ. |
| | (١٦) ب، ج، ز: - بعيد. |

عن معنى يشترك فيه الإنسان، والحيوان، والنبات بمعنى، ^(١) الإنسان والملائكة المساوية بمعنى، وهو بالمعنى الأول جسم، وهو عندنا ^(٢) عبارة عن ذات كل شيء موجود، وعن الروح الذي تميز ^(٣) به ^(٤) الحيوان عن الموات. وما ركبوه لأنفسهم من المعاني على الأسماء فهي دعاوي، لأنهم دخلوا في اللغة فاستعاروا لأغراضهم أسماء، فلا [و ٤٩ أ] نبالي ^(٥) بهم ولا نمنعهم ^(٦) إلا عما يتعلق من ^(٧) ذلك بالشرع.

وأما الجسم، فهو عندهم عبارة عن معان، منها المصوح بالأبعاد ^(٨) الثلاثة ^(٩)، إما قوة، وإما فعل، في تفصيل بارد، وهو عندنا عبارة عن كل شيء مؤلف من موجودين فصاعداً ^(١٠) لا تأليف فيهما ^(١١).

قاصمة:

لو سمعتم ترتيب صدور ^(١٢) الموجودات عن الإله، لسمعتم أحاديث أم عمرو، لا ^(١٣) حديث خرافة، فإنه ليس لما ^(١٤) تعتقده ^(١٥) الكافة، أمر دون أمر، قال رأؤهم وسينهم ^(١٦): غاية التحقيق في ذلك أن الثابت ^(١٧)، كون الأول [واحداً من كل جهة ^(١٨)، ولا يمكن أن يوجد ^(١٩) من الواحد، إلا واحد ^(٢٠)]، فيصدر عن الأول الواحد شيء واحد، يلزمه لا من جهة الأول ^(٢١).

- | | |
|--------------------------------|----------------------------------|
| (١) ج: - و. | عندهم وعندنا. |
| (٢) ج: - عندنا. | (١٢) د: صدر ترتيب. |
| (٣) ج: ز: يميز. | (١٣) ب، ج: ولا. |
| (٤) ز: - به. وكتب على الهامش. | (١٤) ب، ج: ز: كما. |
| (٥) ب: يبالي. د: نبالي. | (١٥) د: يعتقده. |
| (٦) ب: بمنعهم. د: تمنعهم. | (١٦) ز: سينهم. |
| (٧) ب، ج: ز: - من. | (١٧) د: الثالث. |
| (٨) د: بأبعاد. | (١٨) د: وجه. |
| (٩) ج، د: ز: ثلاثة. قارن | (١٩) د: يوجد. |
| (المقاصد، ص ١٤٤). | (٢٠) ج: سقط ما بين القوسين. قارن |
| (١٠) ب: فصاعداً. | (المقاصد، ص ٢٨٨ - ٢٨٩). |
| (١١) ب، ج: ز: فيها. ز: كتب على | (٢١) ب: الأزل. |
| الهامش: قف: حقيقة الجسم | |

حكم^(١)، فيكون فيه^(٢) كغيره^(٣) كثرة^(٤)، ويكون ذلك مبدأ للكثير^(٥)، ووجه ذلك أن الأول واجب الوجود، وغيره ممكن الوجود، فهو^(٦) بحكم^(٧) ما هو^(٨)، ممكن، وهو بقياس السبب، واجب، فيكون له حكمان فتكون الكثرة.

عاصمة:

قال القاضي أبو بكر^(٩) رضي الله عنه: قلنا لهم: إن كان هذا طريق الكثرة، فهو طريق السخافة والخذلان، وهما أخوان، وإن قيل لهم: لا سبيل أن يكون الأول واحداً، فإن الوجود له، لا يتجرد عن علم، فإنه يعلم، ولا عن معان أخر، أمهاتها عندكم^(١٠)، ألا يكون وجود لسواه، إلا^(١١) منه، فائضاً عن وجوده بواسطة أو بغير واسطة، لا يتكثر بغيره^(١٢)، ولا يتجزأ، فكما كان الوجود الثاني كثرة، لأنه ممكن لغيره، كذلك يكون الأول كثرة، لأن غيره ممكن به، والإمكان مضاف إليهما معاً، وهذا لا^(١٣) جواب عنه.

وإذا قلت: إنه سبب لغيره، فأي واحد ها هنا؟ وإنما الوحدة المحضة، ما قاله أمثالهم، من أنه ليس هنالك شيء يذكر، ولا يقال، ولا يضاف إليه شيء، ولا يكون عنه^(١٤) شيء، فهذا^(١٥) على^(١٦) حاله^(١٧)، ربما كان وحدة^(١٨)،

- | | |
|-------------------------------------|-----------------------------|
| (١) ز: كتب فوق كلمة «حكم»: | (٧) ب، ج، ز: محكم. |
| فاعل يلزم. وأدخلها الناسخ في ج | (٨) ب، ز: - ما هو، وكتب على |
| في المتن، هكذا: (حكم فيكون | الهامش في ب أما ز فقد أدخله |
| فاعل ما يلزم كثرة) فأفسد الكلام | الناسخ في المتن ونبه عليه. |
| بصنيعه ذلك. | (٩) د: قال أبي. |
| (٢) ز: - فيه. وكتب على الهامش. | (١٠) ب، ج، ز: عندهم. |
| ج: - فيه. | (١١) ج، ز: لا. |
| (٣) ب: - فيه كغيره. وكتب ذلك على | (١٢) ج: لغيره. |
| الهامش. ج، ز: - كغيره. | (١٣) ج: - لا. |
| (٤) د: - كثرة. | (١٤) ب، ج، ز: عنده. |
| (٥) د: لكثير. | (١٥) ب، ز: فهذه. |
| (٦) أي غير الأول وهو الثاني هنا، أي | (١٦) ب، ج، ز: - على. |
| العقل الأول أو المبدع الأول. | (١٧) ب، ج، ز: حالة. |

(١٨) ب، ج، ز: وحده.

ولا يقول^(١) أحد منا به^(٢). وأما ما ذكرتموه فلا أعلم في الكثرة شيئاً أكثر منه [و ٤٩ ب].

قاصمة:

قالوا: صدر عن الأول عقل مجرد، وفيه تعديد^(٣) بالثني^(٤) كما يجب فيما قلنا، فكان فلکاً وملكاً.

عاصمة:

قلنا^(٥): وهلا كان ماء، وناراً، ورطوبة، ويبوسة؟ وبأي دليل عيتم هذا؟ ومن أي طريق عرفتموه؟ فلا سبيل لهم إلى^(٦) معرفة ذلك أبداً. قالوا: ونعني بالملك، العقل المجرد، وينبغي أن يحصل للأشرف^(٧)، من الوصف، الأشرف، والعقل أشرف، والوصف الذي له من الأول، هو الوجوب، أشرف، ويلزم عن العقل الأول، ثان، ومن الثاني ثالث وفلك البروج، ومن الثالث، رابع وفلك زحل، ومن الرابع، خامس وفلك المشتري، ومن الخامس، سادس وفلك الشمس، ومن السادس، سابع وفلك المريخ، ومن السابع، ثامن وفلك الزهرة، ومن الثامن، تاسع وفلك عطارد، ومن التاسع، عاشر وفلك القمر، وحصلت الموجودات الشريفة تسعة عشر، عشرة عقول، وتسعة أفلاك، قلنا^(٨) عما^(٩) زاد في هذا التخليط، ضيق المارستان، حتى صار في كل إنسان. «ما أشهدتهم خلق^(١٠) السموات والأرض ولا خلق أنفسهم،

(٥) ب: - قلنا.

(٦) ب: إلا.

(٧) د: الأشرف. المقاصد: الأشرف.

(٨) ب: - قلنا. قارن (المقاصد،

ص ٢٩٠ - ٢٩١) نقل بالحرف

وكذلك (تهافت الفلاسفة،

ص ١٤٥).

(٩) ب، ج، ز: فما.

(١٠) ب: - خلق. وهو خطأ.

(١) ب، ج، ز: يقوم.

(٢) ز: كتب على الهامش: قف:

الواحدة المحضة.

(٣) ج: تقدير. قارن (المقاصد،

ص ٢٨٩).

(٤) ب، ج، ز: بالثني. ولا معنى له

وأقرب ما يقرأ من د: الثني. أي

كل عقل له ثان وهو الفلك. قارن

(المقاصد، ص ٢٩٠).

وما كنت متخذ المضلين عضداً [الكهف: ٥١] ^(١) ما هذا التبجح ^(٢) في الدعوى؟ امتلأت رؤوسكم هوساً، وتمكنتم من الدولة والخلاء، فجتتم بما حقه أن يقذف في الخلاء.

يا لك من قنبرة بمعمر خلا لك الجو ^(٣) فيضي واصفري ونفري ما شئت أن تنفري

من أين لكم هذا التركيب؟ فكيف بما بعده من الترتيب؟ ثم ما إليه من التعديد ^(٤)؟ ولعل هذه ^(٥) الكواكب كلها في فلك واحد، ولكل كوكب مجراه، ومجراه هي ^(٦) دائرته، وفلكه كالدار، لكل واحد فيها مسكنه، وليس لهم عن هذا جواب، إلا أن يقولوا: رصدنا فأصبنا، قلنا ^(٧) ونحن رصدناكم ^(٨)، فلم تصيبوا، وإذا رصد واحد، لا يتحقق صدقه تبنى ^(٩) عليه السموات والأرض. فإن قيل نعرف ^(١٠) ذلك بحساب الكسوف [و ٥٠ أ]، قلنا: قد بينا أمر الكسوف في موضعه بأبدع بيان، والآن في مناظرتكم نقول: هبكم أن ترتيب مجرى الشمس والقمر على برهان حساب ^(١١) من أين يعلم ترتيب غيره؟ وهذا الآن نظر في الهيئة، ولا ينال ^(١٢) كيف كانت، وإنما افتقر إليه، ما تريدون أن تبنوا عليه، فالدار تصلح للفجور، وللعمل ^(١٣) المبرور، ولا يقع التعيين ^(١٤) بدليل عقلي، وإنما يكون بالوجود، أو بخبر الصادق، وذلك ^(١٥) المفهوم من غرضهم: تركيب الامتزاجات من العلويات في السفليات، فنقول ^(١٦) أولاً: تكثرون من ذكر العلو والسفل، ونحن نقول: لا حقيقة له عندكم، هل كان

- | | |
|--|--|
| (١) أورد الغزالي هذه الآية أيضاً، في التهافت، ص ١٤٨. | (٩) ب: تبني، ج: ز: تبني. |
| (٢) ب، ج: ز: التبجح. | (١٠) ب، ج: ز: يعرف. |
| (٣) ب، ز: البر، وكتب على الهامش مصححاً: ج: الجو والبر. | (١١) ب: الحساب. |
| (٤) ج: ز: التعدية. | (١٢) ب، ج: ز: نبالي. |
| (٥) ز: - هذه. وكتب على الهامش. | (١٣) ب، د: ز: العمل. |
| (٦) ب: في. | (١٤) ب، ج: ز: ينفع التعيين. وكتب على هامش ب، ز: يقع. |
| (٧) ز - قلنا. وكتب على الهامش. | (١٥) ج: ز: فذلك. |
| (٨) ب: رصدنا لكم. | (١٦) د: + لهم. |

علواً أو سفلاً^(١)، إلا بواسطة الإنسان، فمن يمشي على بطنه، أين علوه؟ وقبل أن يوجد ذلك، ما العلو؟ وما^(٢) السفلى؟ ولم كان الأول الذي صدرت عنه هذه المعاني في العلو؟ ولم لا يكون محيطاً؟ وإن كان محيطاً، فلم لم ينزل المطر من جهة الأرجل إلى الرؤوس، ويكون النبات على رأسه، وأصله في رأسه^(٣)؟ أجروا ذلك على موجب الطبع، حتى يظهر في أثناء ذلك كل بدع، ثم من المسكت لهم أن نقول^(٤) كيف^(٥) قلتم: إن الشمس لا تكون سبباً لنضج الفواكه^(٦) إلا بشرط قوة طبيعية، تكون في الفاكهة، قابلة لهذا التأثير؟ فمن الشمس كانت هذه القوة لها، أم من غير الشمس؟ ومن أغرب^(٧) محالهم، أنهم قالوا: إن مادة الهواء قابلة لصورة النار والماء، ولكن غلب البرد، فكان لقبول^(٨) صورة الماء أولى، فيقال لهم: الجهل بهذا الكلام أوفى، وأولى^(٩) لكم، ثم أولى، إذا طولبتم بالدليل عليه، جفت أفواهكم، وخرست ألسنتكم.

قاصمة:

لما رتبوا منازل الموجودات، حتى انتهت إلى الامتزاجات، جعلوا لها^(١٠) في بعض المراتب استقصات، وهي النار، والهواء، والماء، والأرض، ورتبوا لها في الامتزاجات أحوالاً وصفات مختلفة، جعلوا بعضها كمالاً، وبعضها نقصاناً، وبعضها [و ٥٠ ب] خيراً، وبعضها شراً، ويتأتى ذلك باستعدادات، وإضافات كان أصلها وجود العناصر، الأربعة، المختلفات في السفليات، ومنها ما يطلب الوسط، ومنها ما يطلب المحيط، ولا بد من مادة مشتركة، لأجل أنه لا يجوز أن يكون سبب وجودها السموات وحدها، في هذين طویل، هذه مقدماته^(١١).

-
- | | |
|----------------------------------|--------------------------------|
| (١) د: وسفلاً. | (٧) د: أغراب. |
| (٢) د: - ما. | (٨) د: بقبول. |
| (٣) ج: تكرر: وأصله في رأسه. | (٩) ب، ج، ز: - أولى. |
| (٤) ب: تقول. | (١٠) ب، ج، ز: جعلوها. |
| (٥) ب، ج، ز: - كيف. | (١١) د: مقدمته. قارن (المقاصد، |
| (٦) مقاصد الفلاسفة، ص ٣٢٩ - ٣٣٠. | ص ٢٩١، ٣٣٥). |

عاصمة:

ومن العجب أن الاستقص عندهم هو الجسم الأول، فهذه الأجسام الأولى أوجدت عن مثلها أو عن^(١) خلافتها؟ وما الذي أوجب امتزاجاتها؟ ولم تختلف أحوالها وصفاتها؟ ولم تزايدت ونقصت؟ ومن أين نشأت^(٢) هذه الاستعدادات والإضافات؟ أعني^(٣) أسباب تماثلة^(٤) أو مختلفة^(٥)؟ أضيفوا نوعاً إلى نوع، وركبوا مثلاً على مثل، حتى يظهر تهاافتكم في كلامكم، فيخرج من فيكم ما يكفيكم. وهذه العناصر الأربعة، التي عنيتم^(٦)، هلا كانت ستة أو ثلاثة؟ فمن أين^(٧) وجب هذا التعدد فيها؟ وتعينت لها؟ والنار جرم بسيط، حار، يابس، طبعه الحركة إلى الوسط^(٨)، من أين كان حاراً، يابساً دون أن يكون رطباً؟ والحرارة من أين جاءت؟ وكذلك اليبوسة؟ ولم^(٩) كان في قعر الفلك القمري^(١٠)؟ وهلا كان في مقعر فلك الشمس؟ وكذلك قلتم: الهواء^(١١) حار، رطب، من أين جاء هذا؟ وهلا انقلب الأمر فيه؟ ولم قلتم: إنه يتحرك إلى تحت كرة النار؟ وهلا كان فوقها؟ أثبتوا ما قلتم من دعوى، وعللوها بعد الثبوت. وقلتم: الماء جرم بارد، رطب، يتحرك بالطبع إلى تحت كرة الهواء، فوق الأرض، والأرض جسم بارد يابس^(١٢)، طبعه أن يكون متحركاً إلى الوسط، نازلاً فيه. أثبتوا هذه الدعاوي وعللوها على مرتبتكم^(١٣)، ولم كانت الأرض جسماً^(١٤)، ولم يكن الماء، والهواء، والنار كذلك؟ ومن أين نسبت ذلك إلى مادة؟ ولم جعلتم سبب وجودها معنى [و ٥١ أ] غير السموات، ولم تحدث^(١٥) غيرها فأحلتم فيها على العدم؟ ومن العجب أنهم

(١) ز: - عن. وكتب ذلك على

(٨) د: الوسائط.

(٩) ج، ز: لما.

(١٠) ب، ج، ز: نشأت.

(١١) ج: أعني.

(١٢) ب، ج، ز: تماثلة.

(١٣) ز: مخالفة. وكتب على الهامش:

(١٤) ب: - جسماً.

(١٥) د: يحدث.

(١٦) ج، ز: عنيتم.

(١٧) ج: - أين.

يريدون أن ينفوا البركة عن^(١) الحركة، فيقولون: إنها كلمة، هي^(٢) عبارة عن كمال أول بالقوة، أو خروج من القوة إلى الفعل، لا في آن واحد. وبالجملية فكل تغير عندهم حركة، فهذا اصطلاح أحذر^(٣) أن يبنى^(٤) معهم^(٥) عليه حكم^(٦)، إنما الحركة النقلة من جسم إلى جسم، أو ما هو في معنى الجسم، من الجوهر، لا سيما وقد أدخلوا في حد الحركة الآن، وهو عندهم كلمة يعبر بها عن ظرف^(٧) متوهم يشترك فيه الماضي والمستقبل، وهذه سخافة. وهو معقول، عبارة عن الحال الكائنة التي طرأت ثم ذهبت، والعقل يقضي بين الطرو، والذهاب بالفصل.

نكتة القضاء والقدر:

ويقال لهم: إذا كان الأول كمالاً وشرفاً، أو ذا^(٨) كمال وشرف، وصدر عنه تسعة عشر من هذه النوع، كما قلتم، فما هذا النقصان، والفساد، والشر عن^(٩) غاية الكمال، والشرف والصلاح والخير؟ وأنتم تقولون: أن الخير فائض من المبدأ^(١٠) الأول على كل أحد^(١١)، بواسطة الذي سميتوه فلكاً، أو^(١٢) ملائكة، لا سيما وهو عندكم فياض بالطبع، قالوا: ما يخلق الشر إلا والخير فيه أغلب، كالنار والماء، الخير فيه أغلب من الشر، إذ لو^(١٣) لم يخلق زحل، والمريخ، والنار، والماء، والشهوة، والغضب، لبطل بسبب فقدها^(١٤) خير كثير، قلنا: ولم^(١٥) لم يكن عن فياض الخير بطبعه إلا ما لا يفيض إلا خيراً،

(٩) ب، ج، ز: من. وكتب على

هامش ب، ز: عن.

(١٠) د: الهواء.

(١١) د: - أحد.

(١٢) د، ز: و. وصح في ز: أو.

(١٣) ج: - لو.

(١٤) ب، ج، ز: فقدها. قارن

(المقاصد، ص ٢٩٧ - ٣٠٠).

(١٥) د: لو.

(١) ب، ج، ز: من. وكتب على

هامش ب: عن.

(٢) ب، ج، ز: في.

(٣) ج، ز: أحذر.

(٤) ب: يبنى، ج، ز: يبنى.

(٥) ب: - معهم.

(٦) ب، ج، ز: حكماً.

(٧) ج، ز: ظرف.

(٨) د: ذو.

من كل وجه كهو، قالوا^(١): الخير المحض هو الموجود، والذي لا يتمحض خيره وفيه شر، ممكن، ينبغي أن لا يوجد، وهو ممكن، فكأنكم^(٢) قلتم: لو لم تخلق^(٣) النار ولا زحل، إلا بحيث لا يكون ناراً، ولا زحلاً، قلنا: هذا خذلان وهذيان، ومن قال: إن قسم الخير الذي فيه شر، غير ممكن، قلنا: وكيف أمكن وجود خير [و ٥١ ب] فيه شر، عن خير محض إن كان الموجود^(٤) بالذات؟ فلما وجد، بطل هذا الأصل.

قالوا: الشر في العدم، وهو النقص عن الكمال، قلنا^(٥): الشر في وجودكم؟ ولولاكم ما كان شر، والعدم عنكم هو أحد مبادئ الحادث، وهو أن لا يكون في شيء، ذات شيء^(٦)، من شأنه أن يقبله، ويكون فيه، وليس العدم ما ذكرتم، إنما العدم أن لا يكون شيء أصلاً، قالوا: المفيد للخير بين^(٧) أن يخلق المطر^(٨) بخيره العام، ولا يعبأ بالشر النادر فيه، الذي يلزم بالضرورة عنه، وبين أن لا يخلق المطر، فيصير^(٩) الشر عاماً، وإذا قوبل هذا بذلك^(١٠)، علم قطعاً أن الخير في أن يخلق، قلنا: هذا الكلام على زكاته، باطل، لأنه ترك منه قسم، وهو أن يخلق المطر خيراً كله، أو يخلق^(١١) الخير^(١٢) دونه، فما الذي اضطر إلى أن يخلق على حاله؟ قالوا: وبهذا الترتيب كان

هو العدم ولا كل عدم، بل عدم مقتضى طباع الشيء من الكمالات الشابتة لنوعه وطبيعته، والشر بالعرض هو المعدم، أو الحابس للكمال عن مستحقه، الشفاء، الإلهيات، ق ٢ ص ٤١٦) ويذكر أن الشر كثير وليس أكثرين كأمراض مثلاً ن. م، ص ٤٢٢.

(٩) ب، ج، ز: بصير.

(١٠) د: بذلك. قارن (المقاصد،

ص ٢٩٨).

(١١) د: ويخلق.

(١٢) ز: كتب على الهامش: الشر.

(١) ج: - قالوا. وترك مكانه بياضاً.

(٢) ب، ز: وكأنكم. ج: ولأنكم.

وكتب على هامش ز: فكأنكم.

(٣) ب، ج، ز: يخلق.

(٤) ب، د: الوجود.

(٥) ب، ج، ز: + وكيف أمكن.

(٦) ج: - شيء.

(٧) ز: كتب على الهامش: من ثم.

عله: قالوا المفيد للخير لا يخلو بين

أن يخلق.

(٨) ضرب ابن سينا مثلاً بالسحاب في

كتاب الشفاء، (الإلهيات، ق ٢

ص ٤١٧) وذكر أن: (الشر بالذات +

القضاء والقدر، ومنع من (١) ذكره (٢) سره (٣)، لأنه (٤) يوهم العوام عجزاً، فكان الصواب أن يقال لهم: الله قادر على كل شيء، ليجب ذلك تعظيماً، ولو فصل لهم لتوهّموا العجز، فهذا سر (٥) القدر. قلنا (٦): هذا سر (٧) القدر الشين المعجم بالنقط الثلاث، ليس للقدر سر (٨)، بل القضاء (٩) والقدر حكم نافذ كله، ومن (١٠) سر القدر (١١) ونعوذ بالله منه، خلقكم، وخلق كلامكم هذا، وكونكم في العالم ضالّالاً، مضلين، بالفاظ (١٢) هائلة، ومخرقة باردة، و (١٣) قد قال ربنا تعالى: ﴿وكل صغير وكبير مستطر﴾ [القمر: ٥٣] وقال نبينا ﷺ: «أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب فكتب ما يكون إلى يوم القيامة» (١٤) وقال ربنا تعالى: ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ [الأنبياء: ٢٣]، أما أن علماءنا قالوا: إن الله قد (١٥) أنبأنا عن صفاته العلى، وأسمائه الحسنى، التي منها: العزيز، الملك، الغفار، المنتقم، فجرى الخلق في صفاتهم وأفعالهم، على مقتضى صفاته، فلم يكن [و ٥٢ أ] بد، لأجل كونه غفاراً من أن يكون هناك ذنب، ولكونه منتقماً، أن يكون هناك حكمة، واقتحام فاحشة، ولكونه (١٦) مغنياً، أن يكون هنالك محتاج، ولكونه (١٧) راضياً، أن يكون هنالك خير، ولكونه (١٨) ساخطاً، أن يكون هنالك شر، وليس في المخلوقات صفة (١٩) إلا وهي تتعلق بنوع من الصفات، فالقضاء والقدر هو

بعده ألفاظ. كما كتب ذلك أيضاً

(١) د: عن. ز: كتب على الهامش:

على هامش جـ.

عن

(١١) ب، ج، ز: - و.

(٢) د: ذكره.

(١٢) ج: - بالفاظ. وكتب على الهامش

(٣) ب، ج: شـه.

مصححاً.

(٤) د: أنه.

(١٣) د: - و.

(٥) ج: شـر.

(١٤) أخرجه الطبري في تاريخه، ج ١

(٦) د: + لهم.

ص ٢٩ - ٣٨.

(٧) ب: سر.

(١٥) د: - وقد.

(٨) ز: شـر.

(١٦) ب: يكونه.

(٩) ب: للقضاء.

(١٧) ب: يكونه.

(١٠) ز: كتب فوق «من» متعلق

(١٨) ب: يكونه.

بخلقكم يقصد أن حرف الجر يتعلق

(١٩) د: شـرفه.

بفعل خلقكم الذي جاء متأخراً عنه

تعلق المخلوقات بصفات الخالق، والتنويع والانقسام من متعلقات الإزادة، التي لا يؤمنون بها، وهم لها منكرون، وإذا كان عزيزاً، فالعزيز هو الذي لا يرام بوهم، وتنفذ إرادته في كل موجود، ولا يوجد له مثل، ولا ينحط عن المنزلة، ولا يبالي^(١) بالعاقبة، ولا مخلص منه، ولا ملجأ إلا إليه، إليه^(٢) منتهى^(٣) المطالب، ولا تلحقه آفة، ويفعل ما يشاء.

ومما ينبغي معشر الإخوان أن تعلموه^(٤)، أن كل حديث في النهي عن الخوض في القدر، لا أصل له، وإنما أحدث النهي عنه أقوام^(٥) مثل من أحدث القول فيه، كأنهم قصدوا حماية الشريعة بما ليس منها، والله غني عن العالمين، فكيف عن الكاذبين.

عارضه:

حضر^(٦) عندنا بعض الطلبة، بكتاب علق في آخره على عادة الناس مسطوراً، هذا نصه: كلام حكمة للاسكندر^(٧) في الاعتبار بالأجرام العلوية: بينما الاسكندر على سرير^(٨)، في صحن داره، إذ تأمل طوال^(٩) البروج، وأوافلها^(١٠)، وجواري السعود في مناقلها، وانتظام الكواكب في أقطارها. وازديان فللكها، بزينة مصابيحها، وسير دراريها، ولوامع شهبها، وميز كيف وضعت في مراكزها، ثم تقبل في مسيرها، وتنعكس إلى^(١١) مغاريها، بتدوير الفلك إياها لا يردعه عارض، عن^(١٢) مراعاته، ولا يقطع مانع، عن دوام حركته، ولا يعوقه أمر دون المضي إلى ما^(١٣) رتب له بطبيعته، فقال^(١٤): أيها

- | | |
|------------------------|-------------------------------|
| (١) د: ينال. | (٨) د: سرير. |
| (٢) د: - إليه. | (٩) ز: كتب على الهامش: مطالع. |
| (٣) د: ويمتهى. | (١٠) ب، ج، ز: إفلها. |
| (٤) د: تسمعه. | (١١) ج: إذ. وصححت في الهامش: |
| (٥) ب، ج، ز: قوم. | إلى. |
| (٦) د: حضر. | (١٢) د: من. |
| (٧) ب، ج، ز: الإسكندر. | (١٣) ب، ج، ز: لما. |

(١٤) د: - فقال.

الفلك الدوار، المنبىء عن الحكمة، المنوط^(١) بالأنوار المتألثة، والنجوم الزاهرة، والشمس المبصرة^(٢)، [و ٥٢ ب] إن فضاء تظله لرحيب، وإن عالماً تؤثره لعجيب، وإن خطر ما ضمته لجليل، وإن بصراً يلمح ما وراءك لغير كليل، وإن سكاناً عصبوا^(٣) فيك لفي معقل منيع، وإن حادثاً يشتت أركانك، ويخر سقفك، ويقلقل^(٤) ذرى^(٥) بنيانك، لفادح فظيع، وإن قيامة مبدؤها انتقاضك لعظيمة^(٦) الخطب، فسبحان من أبدع جوهرك من غير عنصر، وأدنى أقاصيك إلى غير علاقة، ووكد^(٧) أعاليك بلا سلم، وفسح حدودك بلا إحاطة، ما أدل كرور ليلك على نهارك، ورجوع نهارك بعد انقضاء ليلك، على كرور أبداننا^(٨) بعد دروجها^(٩)، وانقراضها، وارتداد النضارة في بالي الشجر، بعد نحوها، واهتزاز الأرض، واخضرارها، بعد همودها واقشعرارها، على ارتداد الأرواح المقبوضة في أجسامها، بعد تمزقها^(١٠) واضمحلالها وأدل استرار^(١١) القمر واستهلاله، وتقسيط الحساب. بين فصول الأيام على عدالة الرجعة، وعدل حساب الكثرة^(١٢)، فليت شعري إلى ماذا^(١٣) تنتهي الحكمة بنا؟ وإلى أي الحالين يؤول الأمر؟ وعلى أيها يجب العود^(١٤)؟ بما^(١٥) أريق بيننا وبين ملوك الأرض من الدماء.

قال القاضي أبو بكر رضي الله عنه^(١٦). وهو بقلعه^(١٧) مولع بها، متعجب منها^(١٨)

- | | |
|---|---|
| (١) ب، ج، ز: المنوطة. | (١٠) ز: كتب على الهامش: تفرقها. |
| (٢) ب، ج، ز: النضرة. | (١١) د: استرار. |
| (٣) د: غصبوا. | (١٢) ب: الكثرة. |
| (٤) د: يبلبل. | (١٣) ج: مالا. |
| (٥) ب، ج، ز: دار. د: درى. ويبدو أن ضوايه: (ذرى). | (١٤) ب، ج، ز: القود. |
| (٦) ب، ج، ز: لعظيم. وكتب على هامش ز: عله: لعظيمة. | (١٥) د: فما. |
| (٧) ب: ركب. | (١٦) د: - قال القاضي أبو بكر رضي الله عنه. |
| (٨) د: بذاتك. | (١٧) د: بقلعه. ز: كتب على الهامش: عائد على البعض المذكور من الطلبة. |
| (٩) د: رجوعها. | (١٨) ب، ج، ز: بها. |

يدعو الله أن يفهمها له، ويسأله أن يفتح^(١) له في معرفة مقاصدها، فأشفقت منه وخفت عليه، وعلمت أنه بقلة معرفته، اغتر^(٢) بهذا اللفظ الهائل، الذي ليس وراءه طائل، لكونه مختل المعاني، معتل المباني، فقلت في نقضه، وبيان حقيقة التوحيد فيه^(٣): أيها الفلك المدار برغمه، لقد ضل من يسميك دائراً بزعمه، فكيف من يعتقدك فاعلاً بوجهه، هذا، وهو يرى عليك أثر التسخير بادياً، وشاهد فيك سنن التدبير جارياً، هل أنت إلا محل نيرات، ومجرى حركات، ولزيم تحويلات، وضعت على المنافع [و ٥٣] علامات، فيما ليست شعري بأي معنى عززت^(٤)؟ وفي أي منصب من الفاعلين تنزلت^(٥)؟ أحياتك تصرفت؟ أم بقدرتك أوجدت؟ أم بإرادتك قدمت وأخرت؟ ومائلت وغيبرت؟ أم بعلمك أتقنت وأحكمت؟ هذا^(٦) وهيتك لو تغيرت عما هي عليه، لم تكن في شيء مما ينسب^(٧) إليك، والتغير^(٨) عليك جائز، فليس بينك وبين الحدث حاجز، والفاعل بالحقيقة هو الله^(٩) الذي تصدر عنه الأفعال، ولا تتغير عليه الأحوال، هل ما يعتقدوه المغترون فيك إلا ذكرة^(١٠) خاطرة، وفكرة عابرة^(١١)، لم يصحبها ترديد^(١٢) ولا تثقيف^(١٣) بقانون التسديد، هل أنت إلا^(١٤) ما أنت بنفسك؟ فكيف أن تكون لنفسك؟ فضلاً عن نسبة شيء إليك من غيرك، فمن كان مستريباً بأفعالك، أو^(١٥) معتقداً لجلالك، فليُنظر إلى أمثالك، فإنه يتحقق^(١٦) أن الوجدانية لا توازن بمثال، ولا تعارض بالأمثال، ولا بد منها في الاعتقاد والمقال، وأنتم سبعة أفلاك أو تسعة، فعند من تبتغي^(١٧) منكم النجمة؟ والواحد من له

(١) ج: يفتح.

(٢) د: لغتر.

(٣) د: - فيه.

(٤) د: غررت.

(٥) ب، ج، ز: نزلت.

(٦) ج: - هذا.

(٧) د: نسب.

(٨) ب، ج، ز: والتغير.

(٩) د: - الله.

(١٠) الذكرة: الشيء يجري على اللسان.

(١١) ب: عابره، ج، ز: غائرة.

(١٢) ب، ج، ز: مزيد.

(١٣) د: ثقفت.

(١٤) ب، ج، ز: - هل أنت إلا.

(١٥) د: - أ.

(١٦) ج، ز: تحقق.

(١٧) ج، ز: ينبغي.

الاختصاص، والعبد المشترك بعيد عن الخلاص، ولتعلم^(١) أنه لو أحيل عليك بالجدال، فوجئت بالسؤال، وطولبت بالنظر والاستدلال، لكان لك في الجواب اختلال، ولم ينصرك اعتلال^(٢)، فما وراءك يا عصام؟ أعدم أم وجود؟ أم بحر ممدود^(٣)؟ أم نيات محصود^(٤)؟ وأي قسم ادعيت من ذلك، أو ادعي لك، فقد أسلمك فيه النظر وخذلك، نحن وإن^(٥) خاطبنا منك^(٦) من لا يعقل الخطاب، وقاولناك كأنك - ولست منهم^(٧) - من ذوي الألباب، فإن لسان العيرة^(٨) عنك ناطق، بأنك صنع^(٩) القادر الخالق.

قل لي وإن كنت الغني بي بصدق علمي عن سؤالك
ماذا أفدت^(١٠) من الحوا دث في كرورك وانتقالك
بل أنت فيه مسخر ما بين حلك وترحالك
هلا ثبت معظماً وأدرك غيرك باحتيالك
حتى يكون^(١١) الكل يسى عى في امثالك لأمثالك
فالآن حين تبينت آيات نقصك واختلالك

[و ٥٣ ب]

أمن ذلك^(١٢) أنشئت^(١٣) أو أبدعت أو أوردت^(١٤) أو أصدرت^(١٥)؟
هيهات أن تنشأ مختلفات بديعة، عن ذات واحدة بالطبيعة، إذ لا يغير^(١٦) بين
المختلفات إلا الإيثار، ولا يدل على الأعيان إلا الآثار، فالزم قدرك، حتى
يأتي أمر الله فإنه لا يغتر بك إلا الغافل اللاهي.

-
- | | |
|----------------------|--------------------------------|
| (١) ب، ج، ز: ليعلم. | (١٠) د: أبدت. |
| (٢) د: اغتلال. | (١١) د: تكون. |
| (٣) ب، ج، ز: مورود. | (١٢) ب، ج، ز: ذاتك. |
| (٤) د: محصود. | (١٣) ب، ج، ز: نشأت. |
| (٥) ب، ج، ز: إذا. | (١٤) ب، ج، ز: - أ. |
| (٦) د: - منك. | (١٥) ب، ج، ز: - أو أوردت. وكتب |
| (٧) د: - منهم. | على هامش ز: مصححاً. |
| (٨) ب، ج، ز: الغيرة. | (١٦) ب، ج، ز: - أ. |
| (٩) د: صنع. | (١٧) ب، ج، ز: تغاير. |

قاصمة:

إذا نزل القوم عن العلم الإلهي، وهو القول في الله وصفاته، إلى ما دونه ركبوا كلامهم فيه، على أربعة أركان هي ^(١) عندهم: الصورة، والهيولي، والحركة، والمكان، وقد جرت فيما مضى ^(٢) عرضاً، فلتذكر الآن قصداً، وله عندهم، ستة معان، فالذي هو الآن متحاهم في الصورة، هي الحقيقة التي تقوم بالمحل، وحده عندهم، أنه الموجود في شيء آخر، لا كجزء منه، قالوا: كصورة الماء في هيولي الماء ^(٣)، و ^(٤) هيولي الماء إنما تحصل ^(٥) بقبوله الصورة الجسمية، وهي عندهم جوهر، وجوده بالفعل، ولا يحصل الفعل إلا بقبوله، والحركة عندهم كما قدمنا هي الانتقال من مكان إلى مكان، أو ^(٦) من صفة إلى صفة. والمكان هو السطح الباطن ^(٧) من الجرم ^(٨). والزمان عندهم هو مقدار الحركة ^(٩) من جهة التقدم والتأخر.

عاصمة:

أما الصورة فهي عبارة عن حقيقة الشيء في تركيبه وتأليفه، أو عن حقيقته في ذاته، والأول حقيقة، والثاني مجاز، فإذا قال القوم: إنها موجودة ^(١٠) في شيء لا تكون ^(١١) جزءاً منه، فذلك هو العرض عندنا، ولكن ليس على العموم، يطلق على كل عرض، وأما قولهم: كصورة الماء في هيولي الماء ^(١٢)، فقد تبين من تفسيرهم للهيولي ^(١٣)، أن الهيولي جوهر وجوده بالفعل ^(١٤)، أن

-
- | | |
|---|---|
| (١) جـ: عند. | (٩) قارن (المقاصد، ص ٢٦١). |
| (٢) جـ، ز: حصي. | (١٠) د: موجود. |
| (٣) ب، جـ، ز: - الماء. | (١١) ب: يكون. |
| (٤) جـ: - و. | (١٢) ب: - الماء. د: شطب على «الماء». |
| (٥) ب: يحصل. قارن (المقاصد، ص ١٤١ - ١٤٣). | (١٣) ب: الهيولي. |
| (٦) جـ: - أ. قارن (المقاصد، ص ٣٠٤ - ٣٠٧). | (١٤) كذا في جميع النسخ: وكتب على هامش (ز): عله بالقوة وهو الصواب الذي يسير مع السياق. |
| (٧) ب: الباطل. | قارن (المقاصد، ص ١٤٢ - ١٤٣). |
| (٨) قارن (المقاصد، ص ٣١٧). | |

ذلك يرجع إلى المعلوم في العدم، المقدر وجوده، وعليه يحومون^(١)، وإذا كان هكذا، فصورة الماء هي الهويلى المقدرة قبل وجوده، وكان مقدراً على ثلاثة أنحاء: [و ٥٤ أ].

النحو الأول: برودة مطلقة، والنحو الثاني: رطوبة مطلقة، والنحو الثالث: جرم يقوم ذلك به، فهذا هو الجوهر، وتقديره، والعرض^(٢)، وقيامه به، إذا وجد، فما هذا الهويلى في الهويلى؟ وأغرب^(٣) منه^(٤) أنهم^(٥) يقولون: إن الماء^(٦) كان عن انقلاب الهواء إليه، فقد خرجنا عن ذلك كله، وتهافتوا^(٧) فيه، ولزمهم ما لا انفصال لهم عنه، وأما الحركة فقد بينها، ولا معنى لذكرها، على إرادة تغير الصفات، وإذا اصطالحوا كذلك عليها^(٨)، لم نمنعهم^(٩)، ولكن لا يكون اصطلاحهم أصلاً يركبون عليه معنى، فإن الاصطلاحات^(١٠) لا تتركب عليها المعاني. وأما المكان فلا نمنعهم^(١١) منه، ولا نبالي عنهم^(١٢) أكثر من أنهم زادوا في الحاوي، وليس من شرطه أن يكون حاوياً، بل لو فرضنا جوهرًا بين أربعة جواهر لكان كل واحد مكاناً لصاحبه، وكان^(١٣) المحوى منها واحداً^(١٤).

قاصمة:

قالوا: العرض عبارة عن معان، أكثرها فيها، قد أفسدناها في مواضعها^(١٥)، ومعولهم فيها الآن على الكمية والكيفية، والكمية عرض يقوم بالجوهر، من جهة المقدار^(١٦)، وهو عبارة عن كل ما يقبل التجزي. والكيفية هي^(١٧) عندهم، الهيئة في الأشخاص، احترازاً عن الفصول، وهي عبارة عن

- | | |
|--------------------------------|-----------------------------------|
| (١) د: يحويون. | (٩) د: بمنعهم. |
| (٢) ب، ج، ز: - العرض. | (١٠) ب، ج، ز: الاصطلاحات. |
| (٣) ج، ز: أقرب. | (١١) د: بمنعهم. |
| (٤) ز: كتب على الهامش: من هذا. | (١٢) ب، ج، ز: عنه. |
| (٥) ج، ز: - أنهم. | (١٣) ج: مكان. |
| (٦) ب، ج، ز: + إذا. | (١٤) ب، ج، ز: المحوى واحداً منها. |
| (٧) ب: وتهافتوا. | (١٥) ب، ج، ز: موضعها. |
| (٨) ب: على ذلك. ج، ز: عليها. | (١٦) قارن (المقاصد، ص ١٦٣). |
| كذلك. | (١٧) ب، ج، ز: - هي. |

كل هيئة ^(١) قارة في الجسم، لا توجب للجسم نسبة إلى خارج، ولا واقعة ^(٢) في أحد أجزائه، احترازاً من الإضافة والوضع ^(٣)، وإذا قرروا ^(٤) الحرارة والرطوبة واليبوسة، فهي أعراض تتعاقب ^(٥) على الأجسام، وقد تزول البرودة عن الماء، فلا يسطل كونه ماء، لأن ذلك معنى ^(٦) في الهبوي، لا يدرك بالحواس ^(٧)، وقد قال قوم منهم لا يكون الماء حاراً، لأن ذلك إبطال للطبع، ولكن تمتزج ^(٨) من أجزاء الناء، مع أجزاء الماء، إلى تخليط كثير في الامتزاج، أصله [و ٥٤ ب] عندهم أن تمتزج العناصر وهي الأصول الأول، بحيث يفعل ^(٩) بعضها في بعض، وتتغير كفيتهما، حتى تستقر ^(١٠) للكل كيفية، متشابهة ^(١١) فيسمى ذلك الاستقرار امتزاجاً، بأن يكسر ^(١٢) الحار من البرودة في البارد، وعكسه، ونحوه الرطب واليابس، ولا بد أن تبقى ^(١٣) الصور ^(١٤) وهي القوى الموجبة لهذه الكيفيات، لأنها لو بطلت، لكان ذلك فساداً، لا مزاجاً، وقد قال أرسطوطاليس ^(١٥): إن قوى العناصر الفاعلة باقية في الامتزاجات، ولا يوجد امتزاج معتدل بحال ^(١٦)، والأرض ثلاث طبقات، والهواء أربعة ^(١٧)، والنار واحدة.

عاصمة:

أما الكمية والكيفية فهي عبارة عن المعاني التي ^(١٨) يسأل عنها بكم، وبكيف، فيسأل بكم عن أشياء متألفة في الوجود المحقق أو المقدر، ويسأل

- | | |
|--|--|
| (١) ب، ج، ز: ماهية. | (١٠) ج: تسقي |
| (٢) ب: واقفة. ج، ز: توافقه. | (١١) د: مشابهة. |
| (٣) ج، ز: - والوضع. وكتب على الهامش مصححاً. قارن (المقاصد، ص ١٦٣). | (١٢) ج: يکسي. |
| (٤) د: قدروا. | (١٣) د: يقي. |
| (٥) د: تتفاوت. | (١٤) ب، ج، ز: الصورة. |
| (٦) ج: + ذلك. | (١٥) ب، ج، ز: أرس توطاليس، د: أرس توطاليس. |
| (٧) د: بالحواس. | (١٦) قارن (المقاصد، ص ٣٣٥ - ٣٣٦) |
| (٨) د: يمتزج. | فهو نقل بالحرف. |
| (٩) ب: يفعل. | (١٧) قارن (المقاصد، ص ٣٣٧ - ٣٣٨). |
| | (١٨) د: الذي. |

بكيف عن صفات، تكون تلك الأشياء عليها متوحدة أو مشاة. وقولهم: إنه عبارة عما يقبل التجزي، صحيح في الجملة، ولكن أصله لا يتجزأ، وقولهم: الكيفية^(١) عبارة عن هيئات في^(٢) الأشخاص، قلنا: هذا باطل، بل هو منطلق على ما يتشخص وما لا يتشخص، فهم إن اصطالحوا على هذا، لم نمنعهم، ما لم يركبوا عليه مذهباً، وأما قولهم: إنها^(٣) هيئة قارة في الجسم فباطل قطعاً، بل يصح أن تكون^(٤) دائمة وزائلة، وأما قولهم: لا يوجب^(٥) نسبة، لا إلى خارج، ولا واقعة^(٦) في الداخل. باطل، بل توجب^(٧) النسبة من طرفها^(٨) الداخلة والخارجة. وأما قولهم: إن البرودة قد تزول عن الماء، فلا يبطل كونه ماء، لأن ذلك معنى في الهيولي لا تدركه الحواس، فسخافة، لأن الأعراض المتعاقبة على الجسم، لا يزول الجسم بزوال آحادها، وإنما يزول بزوال جميعها، فلو فرضت في الماء زوال الرطوبة [و ٥٥ أ]، كما فرضت زوال البرودة، ما بقي ماء. وأغرب منه في إبطال مذهبهم، أن فرض زوال^(٩) البرودة يجوز ويوجد، وفرض زوال الرطوبة^(١٠) لا يجوز^(١١)، و^(١٢) وجوده غير رطب، محال، فلا يصح لهم مقال^(١٣). وقولهم^(١٤): إن الحرارة إن^(١٥) زالت، لا يبطل كونه ماء، لأن ذلك معنى في الهيولي، قلنا: فأفرض^(١٦) زوال الرطوبة عنه^(١٧) أو^(١٨) كلاهما، وتبقى^(١٩) في الهيولي، ولا يصح لكم تقدير كون الشيء على صفته في العدم بحال^(٢٠)، فلا تقطعوا قلوبكم في ذلك.

-
- | | |
|-----------------------------|--|
| (١) ب: كيف. | (١٢) ج: - و. |
| (٢) ب: - في. | (١٣) ب، ج، ز: - مقال. |
| (٣) ب: أنه. | (١٤) ج: فقولهم. |
| (٤) ب: يكون. | (١٥) د: - إن. |
| (٥) ب، ج، ز: توجه. | (١٦) ج: ما فرض. |
| (٦) ب: واقفة. ج، ز: واقفة. | (١٧) ب، ج، ز: عند. وكتب على هامش ز: عنه. وعلى هامش ب: عنة. |
| (٧) ج، د، ز: يوجب. | (١٨) ب، ج، ز: - أو. |
| (٨) د: طرقها، ج، ز: طرفيها. | (١٩) ب، ج، ز: يبقى. |
| (٩) د: - زوال. | (٢٠) ج: بحاله. |
| (١٠) د: البرودة. | |
| (١١) د: - لا يجوز. | |

وقول^(١) من قال منهم: إن النار تمتزج مع الماء، فيصير الماء حاراً، قلنا على هذا الخطأ: ولم لم^(٢) تكن النار باردة بهذا الامتزاج؟ وما الذي قضى بذلك على الماء مع النار^(٣)، ولم يقض به للماء على النار؟

وأما قولهم: إن العناصر الأول تمتزج فيفعل^(٤) بعضها في بعض. فقولوا، من يمزجها؟

لا تنسب المزج إلى طبعها^(٥) إنك لا تدري من المازج وارجع^(٦) إلى الله فإن الذي تخبر عنه همج هامج

وقولهم: إنه يفعل بعضها في بعض، كلمة باطل، أريد بها باطل. لا فاعل إلا الله حقيقة، ولا فاعل مجازاً^(٧) إلا الحيوان، وأما عنصر^(٨)، أو ماء، أو نار^(٩)، أو حديد، فاعل^(١٠) فلغو من الكلام باطل. ثم ما قالوا: إن كذا فعل كذا، يعكس عليهم فيقال^(١١) لهم، لم^(١٢) كان هذا فاعلاً؟ وهلا كان الآخر كذلك؟ وما الفاصل بين تلك الامتزاجات في التعادل؟ ومن المقدر لذلك الاستقرار؟ وقولهم^(١٣): إن الصور تبقى، محال، لو بقيت الصور، ما كان امتزاج، وإن فسروا الصورة بما ليس بمشاهد فهو باطل، ولا يبقى مع الامتزاج صورة، ولا هيولي لشيء من الممتزجين، إلا ما اشتركا فيه عند الانفصال، فذلك الذي يبقى بعد الامتزاج.

وقول أرسطو طاليس^(١٤): إنه لا يكون امتزاج لمعتدل^(١٥) أبداً، قلنا: وكيف لم يكن من الخير المحض اعتدال في شيء مما^(١٦) صدر عنه من الامتزاجات؟

- | | |
|--|---|
| (١) ج، د، ز: وأما قول. | (٩) د: ناراً. |
| (٢) ج: - لم. | (١٠) د: - فاعل. |
| (٣) د: - مع النار. | (١١) د: ويقال. |
| (٤) ب: فتفعل. | (١٢) ج: إن. |
| (٥) ب، ج، ز: غيرها. وكتب على هامش ب، ز: طبعها. | (١٣) ب: وأما قولهم. |
| (٦) ب، ج، ز: وراجع. وكتب على هامش ز: عله: وارجع. | (١٤) ب، ز: أرس توطاليس. ج: أرس توطاليس. |
| (٧) ج، ز: على مجاز. | (١٥) ج: المعتدل، د: معتدل. |
| (٨) د: عنصرأ. | (١٦) ب: فما. |

أعن عجز أم عن جهل؟ [و ٥٥ ب]. لقد ضل^(١) من ضلت عليه المقاصد. وقد قالوا: إن كل جسم بسيط فله شكل طبيعي، وهو الكرة، ومكان طبيعي، وهو الذي يوجد به، فإن تحرك، فإنما يتحرك إلى مكانه الطبيعي^(٢)، فيقال^(٣) لهم: بل شكله الترييع ولا فرق، وإن تعلقوا بهيئة الفلك، فقد^(٤) خاب من تعلق بذلك وهلك، ثم يقال لهم^(٥): فإذا امتزج البسيطان أو البسيط، وتركبا أو تركب، فهل يزول ذلك الطبع؟ فإن قالوا: يزول، قلنا: ما من حقيقة تكون^(٦) لشيء تزول بمجاورته^(٧) لغيره، وليس في العالم خلط، وإنما هو كله مجاورة، حتى لو خلطت لبناً بماء، لكانا منفصلين^(٨)، بل لو خلطت ماء من كوز، بماء من كوز، لما كانا إلا متجاورين، وهذا أصل من أصول الحقائق، ضلوا عنه، فتأهوا ولم يهتدوا.

ثم يقال له^(٩): ومن أطبعه لذلك المكان؟ أنفسه أم غيره؟ فإن كانت نفسه، فلم غير نفسه^(١٠)؟ وإن كان غيره، فدع الغير يحكمه، ويكون ذلك الغير هو الفاعل حقيقة.

وقولهم: فإن تحرك، يقال لهم: ولم يتحرك؟ ولا يقولون فيه ما ينفع. وقولهم: فإن تحرك فإنما يتحرك إلى مكانه الطبيعي، وهذا تهافت عظيم، يكون في موضعه بالطبع، ثم يتحرك منه إلى مكانه بالطبع فكل موضع له بالطبع^(١١) الذي هو^(١٢) فيه، والذي^(١٣) ينتهي إليه. والذي يمر عليه، لا شك أنه أيضاً بالطبع، يخرج في حال من أحواله عن الطبع، هذه سخافات لا تعقل من أقوالهم.

له قوله تعالى: ﴿بينهما برزخ لا يبغيان﴾.

(٩) هذا التفات من الجمع إلى المفرد.

(١٠) د: بنفسه.

(١١) د: - فكل موضع له بالطبع.

(١٢) ب، ج، ز: - هو.

(١٣) ب، ج، ز: - والذي.

(١) ب، ج: ذل.

(٢) المقاصد، ص ٣٣٤، نقل بالحرف.

(٣) ج، ز: فنقول.

(٤) ب، ج، ز: وقد.

(٥) د: - لهم.

(٦) ب: - تكون.

(٧) ب، د: لمجاورته.

(٨) ز: كتب في الهامش: قف: يشهد

قاصمة:

قالوا في الامتزاج والتكوين والفساد: ما لا يحصى من الفساد والعناد،
ولكننا نضبط منه لكم الآن جهالتين:

الجهالة الأولى:

قالوا: إذا سخنت الشمس الأرض، بواسطة الضوء صعدت من
الرطب بخاراً، ومن اليابس دخاناً، وما ثخن^(١) منها - وهو الجهالة الثانية: في
باطن الأرض معادن، فيتكون [و ٥٦ أ] في الجهالة الأولى، من مادة البخار:
الغيم والمطر، والثلج والبرد، وأشياء ذكروها، فمتى ارتفع من الطبقة
البخار^(٢) من الهواء إلى النار^(٣)، ثقل وتكاثف^(٤) بالبرد، وانعقد^(٥) فصار غيماً.

قالوا: ويتكون من مادة البخار^(٦) الريح، و^(٧) الصاعقة، والشهب،
والكواكب ذوات الأذنان، والرعد، والبرق. فإذا تصاعدت ارتفعت في وسط
البخار^(٨)، فهي أميل إلى جهة الفوق^(٩)، فإذا ضربه البرد، ثقل وانتس،
وتحامل على الهواء دفعة^(١٠)، وحركة الهواء بشدة^(١١)، فحصل الريح، وإن لم
يضره البرد، تصاعد إلى الأثير، واشتعل النار فيه، وإن^(١٢) استطال الدخان،
كان كوكباً، منقضاً، وإن كان لطيفاً انقلب ناراً فلا ترى^(١٣) فإن النار تخرج
عن المشاهدة، بأن تصير ماء صرفاً، أو تنطفئ فتصير هواء^(١٤)، وإن بقي

- | | |
|---------------------------------------|------------------------------------|
| (١) د: ماء تخينين. المقاصد: عما يحتبس | (٧) المقاصد: + و. |
| (٢) منها، ص ٣٣٩. | (٨) ز: كتب على الهامش: عله: الحار. |
| (٣) ب، د: الحار. | د: البحر. |
| (٤) ج: البخار. المقاصد: ارتفع من | (٩) ب: للفوق. |
| الطبقة الحارة من الهواء إلى الباردة | (١٠) ب: دفعة. |
| شيء تكاثف، ص ٣٣٩ ونص | (١١) نقل بالحرف من المقاصد، |
| المقاصد أوضح وأصح | ص ٣٤٢. |
| (٥) د: وتكاثفت. ب: - وتكاثفت أو | (١٢) د: فإن. |
| تكاثف. | (١٣) ب، ج، ز: يرى. |
| (٦) د: - و. | (١٤) ب: أهواء. |
| (٧) د، ج، ز: + و. | |

شيء من الدخان في الغيم فتتحرك بشدة صار رعداً، فإن قويت حركته صار ناراً، وهو البرق، وإن كان^(١) كثيفاً ثقل إلى الأرض، فصار صاعقة، ولا يخلو برق عن رعد، ولكن بحدّة البصر يرى^(٢) ولا يسمع^(٣)، لأن البصر يدرك بغير زمان، والصوت لا^(٤) يسمع^(٥) ما لم يتحرك الهواء كله.

عاصمتها:

أما قولهم: إذا ارتفع البخار من الهواء إلى النار^(٦)، باطل^(٧)، ليس للهواء وصفان، إنما هو حار أو بارد. وقولهم: ارتفع البارد إلى الحار، تخليط^(٨)، بل يرتفع الحار إلى البارد، لأن شأن الحار الارتفاع، وشأن البارد الانخفاض. وأما قولهم: ثقل، فكيف بثقل حار؟ لقد انقلبت عليكم الأمور. وقولهم: فيتكاثف^(٩) أقلب! لم يتكاثف^(١٠) الحار بلقاء البارد ولم يتلطف^(١١) البارد، بلقاء الحار؟ وقولهم: انعقد فصار غيماً، يقال لهم: من يمسك المتكاثف الذي شأنه الاستفال؟ ومن جعل النار تصعد إليه؟ والمتكاثف يثبت فلا ينزل؟. وأما قولهم: يكون من مادة البخار الريح لأنه إذا [و٥٦ ب] تصاعدت... قلنا: من أين^(١٢) هي المتصاعدة. قالوا: ارتفعت في وسط البخار. قلنا: ولم لم تنته إلى الطرف؟ إذ هي أميل إلى جهة الفوق كما قلتم. وقولهم^(١٣): إذا ضربه^(١٤) البرد ثقل. يقال لهم: فكيف يثبت^(١٥) مع الانتكاس في مقره؟ فإلى أين يبلغ^(١٦)؟ وإلى أي حد انتكس؟ ومن قدر له هذا

المقاصد محرف ولا فهو ينص على

نفس ما رد به عليه (المقصاد،

ص ٣٣٩).

(٩) د: فتكاثفت، ب: يتكاثف.

(١٠) د: تكاثف.

(١١) د: يطف.

(١٢) ب، ج، ز: - من أين.

(١٣) د: قوله.

(١٤) ب، ج، ز: ضرب.

(١٥) د: ثبت.

(١٦) د: وإلى أين بلغ.

(١) ج: - كان.

(٢) د: ترى.

(٣) د: تسمع.

(٤) ج: - لا.

(٥) ز: يسمع. والنص مأخوذ مع شيء

من الاختصار من المقاصد،

ص ٣٤٢ - ٣٤٤.

(٦) د: البارد.

(٧) كذا في جميع النسخ. ولعل صوابه:

فباطل.

(٨) يبدو أن النص الذي اعتمد عليه من

التقدير، ورتبه^(١)؟ أطبع هو^(٢)؟ فقولوه^(٣)، أم أمر غيره؟ فعينوه^(٤). وقولهم: إنه ينطح^(٥) الهواء^(٦) فتحصل الريح. قلنا: دعوى وبطلها العيان، نحن نشاهد الريح ولا بخار، ولا دخان، ولا غيم، إلا^(٧) الصفاء المحض، وقد يكون الغيم أعظم ما كان حتى يظلم الأرض، ولا يكون عليها^(٨) ريح، وينجلي^(٩) عن غير شيء. وقولهم: إن لم يضربه البرد تصاعد إلى الأثير. ما الذي يمنعه عن ضرب^(١٠) البرد له؟ أعدم البرد أم يلقاه فيحول بينه وبينه حائل؟ ومن هذا الأثير الذي يصعد عليه؟ وربما حال بينه وبينه الوثير، فإن قالوا: وما الوثير؟ قلنا لهم^(١١): أبو الأثير، خلطاً بخلط، وتضلاًلاً بتضليل^(١٢). وقولهم: تشتعل النار فيه. قلنا^(١٣): أحطب هو؟ فإن قيل بطبعه يقبل الاشتعال: قلنا: وما طبعه؟ فإن فسروه لم نعدم^(١٤) إبطاله مما تقدم. وقولهم: إن استطال الدخان صار كوكباً. يقال لهم: كذلك^(١٥) النار^(١٦)، إذا اشتعلت صارت^(١٧) ماء، يا حقي^(١٨) ما للدخان^(١٩) المظلم، وللنور المضيء^(٢٠) إنيهما ضدان طبعاً^(٢١)، ووصفاً، ومشاهدة، أسفسطة^(٢٢) تقولون^(٢٣) أم على الله تفترون^(٢٤)، وقولهم: إن كان لطيفاً انقلب ناراً، في المحال مثله.

- | | |
|--|---|
| (١) د: رتب له. | (١٣) ب: - قلنا. |
| (٢) ب، ج، ز: - هو. | (١٤) ج، ز: يعلم. |
| (٣) ب: تقولوه. ج، ز: يقولوه. | (١٥) ب، ج، ز: كذا. |
| (٤) ب: فعينوه. ج، ز: فيعينوه. | (١٦) ج: + كوكباً. |
| (٥) ج: يطبخ. ز: بطح. | (١٧) د: عادت. |
| (٦) ب، ج، ز: للهواء. | (١٨) ب، ز: حق. ج: أحق. |
| (٧) ج: - إلا. | (١٩) ب، ج، ز: الدخان. |
| (٨) ب، ج، ز: عنها. | (٢٠) ب، ج، ز: - إنيهما. |
| (٩) ب: تنجلي. | (٢١) د: - و. |
| (١٠) ب، ج، ز: صرف. | (٢٢) ب، د: السفسة. |
| (١١) ب: - لهم. | (٢٣) ب: تقولون. |
| (١٢) ب، ج، ز: خلط بخلط. وتضلال بتضليل. | (٢٤) ب: يفترون. ز: تكذبون. وكتب على الهامش: تفترون. |

والطامة العظمى عليهم قولهم: إن النار المتكونة^(١) من البخار إذا كان لطيفاً تصير^(٢) ماء صرفاً. فيا^(٣) الله ولهذا القول التي تسمع مثل هذا، دع عنك التي تقوله^(٤). وقولهم: إن تحرك شيء من الدخان صار رعداً. قلنا: ليس الاصطكاك لبخار متفكك^(٥)، إنما [و ٥٧ أ] يكون لجسم مصمت، ثم^(٦) من يحركه؟ وإذا تحرك، من يمسك الآخر حتى يصدمه هذا؟ ولعله يدفعه فيندفع له. وقولهم: فإن قويت حركته صار ناراً. قلنا: و^(٧) لم يصير ناراً؟ وهلا انقلب رجلاً مخذولاً عندكم، يقول: إنه فعل الله له^(٨)؟ أو ينقلب ثوراً؟ أو ينقلب تراباً؟ أو^(٩) هواء؟ وقولهم: إن ثقل صار صاعقة^(١٠). قلنا: لا ندري ما الصاعقة، إلا^(١١) صوت حيوان أو هدم بنيان؟ أو^(١٢) يقال لهم: إذا لطف صار ناراً، وإذا كثف لم لا يصير طيناً؟ وقولهم: لا يخلو برق عن رعد، المشاهدة تكذبه، فإننا نرى البرق في الصحو الذي لا يكون معه غيم أبداً، ويتقدم البرق الرعد قلب ما قالوا.

الجهالة الثانية:

فيما يتكون من المعادن في باطن الأرض ينطوي^(١٣) على قاصمة، من جملة الجهالة الأولى، وهي أن الشمس تصعد من الرطب بخاراً، ومن اليابس دخاناً، إذا سخنت الأرض، فيتكون^(١٤) في باطنها أبخرة، فيتصاعد من باطنها من تلك الأبخرة، لما^(١٥) سرى من حرارة الشمس فتتنفس^(١٦) وتتفرق^(١٧) في الخروج

-
- | | |
|--------------------------|--------------------------------------|
| (١) د: المتكاونة. | (١١) ب، ج، ز: - إلا. وكتب على |
| (٢) د: يصير. | الخامش: عله: إلا. |
| (٣) د: يا. | (١٢) ب، ج، ز: - أ. |
| (٤) ب، ج، ز: الذي يقوله. | (١٣) د: ينبي. |
| (٥) ب، ج، ز: متفك. | (١٤) ب، ز: فتكون. ج: - فتكون أو |
| (٦) د: - ثم. | فيتكون. |
| (٧) ب، د: - و. | (١٥) ب، د: لما. المقاصد لما (ص ٣٤٠). |
| (٨) ب، ج، ز: - له. | (١٦) ب، ج، ز: فتتنفس. المقاصد: |
| (٩) ب، ج، ز: - أ. | يتنفس (ص ٣٤٠). |
| (١٠) ج: عقله. | (١٧) ب، ج، ز: وتفرق. |

من مسام الأرض إلا ما يقع تحت الجبال الصلبة، فإنها لا تنفش^(١)، فإذا احتقن صار مادة للمعادن، وإذا وجد منفذاً في شعب الجبال، فإن كان ضعيفاً، بردته^(٢) حرارة الشمس ورجع^(٣) هواء، وإن كان قوياً، أو كانت حرارة الشمس ضعيفة، ولم تؤثر الشمس فيه فيجتمع، وربما أعانت الريح على جمعه، بأن تسوق البعض إلى البعض حتى يتلاحق، فإذا انتهى إلى الطبقة الباردة تكاثف^(٤)، وعاد^(٥) ماء، وتقاطر، فيسمى^(٦) مطراً، فإن أدركه برد شديد جداً^(٧) ونزل كالقطن المندوف، وإن^(٨) لم تدركها^(٩) برودة حتى اجتمعت قطرات ثم أدركتها حرارة من الجوانب فانهزمت^(١٠) البرودة إلى بواطنها صارت^(١١) برداً.

عاصمة:

قال القاضي أبو بكر^(١٢) رضي الله عنه: لهذا وأمثاله [و ٥٧ ب] قال ربنا تعالى: ﴿ما لكم كيف تحكمون أفلا تذكرون أم لكن سلطان مبين﴾ [الصفات: ١٥٦]، قولهم: إن الشمس تفعل كذا إلى قولهم دخاناً^(١٣) تحكم بغير علم، وتشهي^(١٤) بغير نيل^(١٥)، وقولهم: إن تلك الأبخرة تنفش^(١٦) ما الذي ينفشها^(١٧)؟ وقولهم: تخرج^(١٨) من مسام الأرض، يريد من خللها، ما من

(١٠) ب، ج، ز: فانهرقت. المقاصد:

فانهزمت (ص ٣٤٠).

(١١) ج، ز: صار. قارن (المقاصد،

ص ٣٤٠).

(١٢) د: قال أبي.

(١٣) ب، ج، ز: دخان.

(١٤) د: تشبه. والأفصح أن يقال: تشه.

(١٥) ج، ز: نسك.

(١٦) ب، ج، ز: تنفش.

(١٧) ب، ج، ز: ينفشها.

(١٨) ب: يخرج.

(١) ب، ج، ز: تنفش.

(٢) كذا في جميع النسخ. ولعله: بددته.

عكس ما يأتي من قوله: فيجتمع.

المقاصد: بددته (ص ٣٤٠).

(٣) ج، ز: صار.

(٤) ج: وتكاثف.

(٥) ج: عا.

(٦) ب، ج، ز: ويسمى. المقاصد:

ويسمى - ويسمى (ص ٣٤٠).

(٧) ج: جمع.

(٨) ب، ج، ز: فإن.

(٩) د: يدركها.

مسم^(١) إلا وتدخل عليه حرارة ، فكيف^(٢) تخرج منه البرودة أو حرارة مثلها؟ وقولهم: إلا ما يقع تحت الجبال الصلبة. فمن أين لم يمنع الجبل^(٣) من دخول الحرارة ، ومنع^(٤) من خروج البخار؟ فإن دخل عليها حرارة، خرج عنها بخار ، ولم لا يكون^(٥) حر الشمس^(٦) يأخذ من الجبال^(٧) عمقاً بمقدار ما يأخذ من الأرض، ويكون الواحد في النفوذ إلى باطن الأرض، واحداً، سهلاً أو جبلاً؟ وقولهم: إذا اختنق صار مادة للمعادن. وكيف يكون حر الشمس مادة، وهو واحد، ذو طبع، وصورة لمعان متضادة؟ فقد بينا استحالة. ويقال لهم: حر الشمس النافذ في جوف الأرض ولده، فكيف يقال إذا برز إليه برده؟ وكيف يصح أن يرجع البخار هواء، أو^(٨) ينقلب الحال فيه؟ وهلا رجع ناراً أو ماء؟ وقولهم: إذا تكاثف صار ماء. قلنا لهم: هذا البخار لا تدرون قبل، إلى أي شيء تردونه، تارة ناراً، أو هواء، أو ماء، أو معادن، أو بروقاً، أو غيماً، أو رعداً، فقولوا: إنه رجع صخرة، أو فيلاً، أو حماراً، أو ثوراً، أو^(٩) ما هذه الخدلة^(١٠)؟ ألا ترون^(١١) مروة^(١٢) عن هذه السخافة؟ ومن اللطيفة^(١٣) التي جعلت الطبيعة الباردة في ذلك الموضع؟ ورطبت^(١٤) تلك الطبقات، ترتبيكم المتحكم فيه؟ وهذه اللطيفة بسيط هي^(١٥). أم مركب؟ مادة أم صورة؟ و^(١٦) كيف يتنظم هذا كله معها؟ فسروها وركبوا المعنى عليها، وذلك لا يتمنى أبداً.

وقولهم: ربما أدركه برد شديد. ما البرد؟ فسروه وأي شيء [و ٥٨ أ] أوصل البرد إلى ذلك الموضع؟ ومن جعله فيه؟ وليس ذلك بغريب في

- | | |
|---------------------------|------------------------------------|
| (١) ج: سم. | (١٠) ب: الحالة. ج: ز: الجدلة. |
| (٢) ب: وكيف. | (١١) ب: تدعون. ج: ز: برغوث. |
| (٣) ج: ز: لا تمنع الجبال. | (١٢) ب: مرة، ج: ز: مرت. |
| (٤) ج: ز: ومنع. | (١٣) ز: كتب على الهامش: عله: |
| (٥) ج: ولم يكن. | الطبيعة. |
| (٦) د: الحر الشمسي. | (١٤) ز: كتب على الهامش: عله: رتبت. |
| (٧) د: الجبل. | (١٥) ب، ج: ز: - هي. |
| (٨) ب، د: - أ. | (١٦) د: - و. |
| (٩) ب، ج: ز: - أ. | |

قدرة الله، فإن الذي ركب لكم^(١) هذا البرد في كلامكم قادر على ذلك كله، لو^(٢) نستيموه إليه، كما ينبغي، لا كما تقولون. وقولهم: إذا^(٣) أدركته حرارة صار برداً. ولم لا يصير ناراً، أو ماداً؟ و^(٤) من جهالة، في جهالة.

قاصمة:

قولهم: إن البخار إذا احتقن في الأرض كان كبريتاً، وربما انعقد كالماء الصافي فيصير^(٥) ياقوتاً، وإذا استحکم امتزاج^(٦) الدخان بالبخار كان نحاساً، وذهباً، وفضة، وورصاصاً، وقالوا خرافات^(٧) استحيي إيرادها، جملة^(٨) أن كل ما عقده البرد يذويه الحر.

عاصمة:

قال القاضي أبو بكر^(٩) رضي الله عنه: نقول لهم: أين ما كتّم تهيمنون^(١٠) به في لطافة المعاني، ودقة الألفاظ، ورقة الخواطر في الرياضيات^(١١)؟ وما الذي يصير الدخان والبخار كبريتاً؟ ولم صار، وهذا في بقعة، وهذا في أخرى^(١٢)؟ هلا انقلبت الحال؟ وما معنى قولكم: استحکم امتزاج البخار بالدخان^(١٣)؟ والبخار عندهم ما يفيض عن رطب، والدخان ما يفيض عن يابس^(١٤)، والأرض باردة، يابسة، ففاض الحار^(١٥) [عندهم على البارد فيخره، وعلى اليابس فدخلته، وهلا فاض على البارد]^(١٦) فوقف وعجز

-
- (١) د: - لكم.
 (٢) ب، ج، ز: ولو.
 (٣) ب: إن.
 (٤) ب، ج، ز: أو.
 (٥) ب: فصار.
 (٦) د: المزاج. قارن (المقاصد، ص ٣٤٤).
 (٧) ج: تكرر: خرافات.
 (٨) ب، ج، ز: جملة. وكتب على هامش ز: عله: جملة.
 (٩) د: قال أبي.
 (١٠) د: يابسة.
 (١١) د: يابسة.
 (١٢) د: الحر.
 (١٣) د: سقط ما بين القوسين.
 (١٤) د: سقط ما بين القوسين.

عن تأثير^(١) فيه^(٢)؟ وهلا^(٣) بلغ الحمار اليابس فأحرقه^(٤) كما تفعل النار بالحطب إذا كانت يابسة؟ وإذا بخرت أو^(٥) دخنت، وكان التأثير للحار في البخار والدخان، فالذي^(٦) يقلب البخار لؤلؤة، أو كبريتة^(٧)، أو نقرة^(٨)، أن أدمغتم لنقرة^(٩)، وما معنى قولكم: استحكم؟ أمن ذاته وبِنفسه أم بواسطة من غيره؟ وما الذي يقعد به عن الاستحكام ويجعله عزيز؟ ومن يعارضه؟ فلا تقولون^(١٠) ما ينفع، وكل حرف تنطقون^(١١) به فجوابه منه، مع^(١٢) ما تقدم، فليرد إليه.

تكملة^(١٣):

قال القاضي أبو بكر^(١٤) بن العربي رضي الله عنه: إنما سردنا لكم هذا كله استدراجاً لهم^(١٥) لتسمعوا كلامهم [و ٥٨ ب] وتكشفوا غاية عقولهم، والطريق التي بها^(١٦) أرادوا أن يقفوا^(١٧) على حقائق الأشياء، بزعمهم دون الأنبياء، وهلا نسبوا ذلك كله إلى الله تعالى، وقالوا إنه الخالق لذلك كله، شيئاً بعد شيء، وطبقاً بعد طبق، فالقوم بجهلهم رأوا تركيب شيء على شيء، فنسبوا الثاني إلى الأولى، وذهلوا أو^(١٨) قصدوا أن ينسبوا الثاني، وما^(١٩)

- (١) ب، ج، ز: تأثير.
 (٢) ج، ز: + وتدافعاً (ز: وتدافقاً) أو أثر البارد فيه؟
 (٣) ب، ج، ز: + إذا.
 (٤) ب، ز: كتب على الهامش زيادة:
 وهلا فاض فيه.
 (٥) د: - أ.
 (٦) د: - فالذي. ويدو أنه: وما الذي، ليستقيم الكلام. وقد كتب على هامش ز: لعله: فما الذي.
 (٧) ب: كبريتاً.
 (٨) ج، ز: بقرة. والنقرة: معدن (القاموس المحيط) ويطلق على الذهب الأسود نقرة، وعلى القطعة المذابة من الذهب والفضة.
 (٩) النقرة: داء يصيب الشاة في أرجلها. ويطلق على المصيبة. ب، ز: لبقرة، ج: البقرة.
 (١٠) د: يقولون.
 (١١) د: ينطقون.
 (١٢) ج: - مع.
 (١٣) ب: بكلمة.
 (١٤) د: قال أبي.
 (١٥) ب: - لهم.
 (١٦) ج، ز: أرادوا أن يقفوا بها.
 (١٧) ب: يقضوا.
 (١٨) ب، ز: - إذ.
 (١٩) د: ومن.

بعده إلى ما نسبوا إليه الأول^(١) ، وسموه بأسماء^(٢) ، وجعلوا له قوى .

فإن قيل لا يصح أن يكون شيء واحد مبدأً لشيئين^(٣) بحال - قلنا: هذا هو^(٤) الواجب ، فلم أحلتموه؟ فإن قالوا: إلى الطبع ، قلنا: فلا يكون عن الأول إلا مثله ، وكذلك^(٥) يلزم في الثاني والثالث ، فمن أين جاء هذا الاختلاف؟ فإن أعادوا ذلك الكلام المتقدم من وحود التركيب بأسبابه^(٦) فقد تقدم الجواب عنه .

قاصصة:

نبغت طائفة تسترت بالإسلام^(٧) وهي تبطن^(٨) عقائد الأوثان^(٩) ، فقالت: لا يفتر في معرفة الله ، ولا في وجوب ذلك على كل^(١٠) أحد ، إلى شرع . وقالت مؤكدة لذلك: إن القول بأن معرفة الله تقف على الشرع ، يبطل^(١١) الشرع ، وذلك أن نبياً لو عرض دعواه ، وأظهر آيته ، ودعا الخلق إلى النظر في قوله^(١٢) ، والإيمان به ، وكان لا واجب إلا بالشرع ، لقالوا له: لا يجب علينا في معجزتك نظر ، لأنه لا واجب إلا بشرع^(١٣) متقرر^(١٤) ، ولم يتقرر بعد شرعك ، ولا ظهر صدقك ، قال إيقاف الوجوب على الشرع إلى نفي^(١٥) الشرع . وهذه أعظم شبهة لهم ، قال علماءنا قولاً بديعاً: إذا ظهرت المعجزة

(٥) جـ ، ز: ولذلك .

(٦) د: بأسباب .

(٧) جـ: كتب على الهامش: قف على

قول المتدعة والرد عليهم وإبطال

حججهم .

(٨) د: يبطن .

(٩) د: الأول .

(١٠) د: - كل .

(١١) د: تبطل .

(١٢) د: قوله .

(١٣) ب ، جـ ، ز: بالشرع .

(١٤) ب: متقرر .

(١٥) د: - نفي .

(١) جـ ، ز: (إلى الله تعالى وذهلوا إذ

قصدا أن ينسبوا الثاني وما بعده إلى

ما نسبوا إليه الأول ، وقالوا إنه

الخالق لذلك كله شيئاً بعد شيء

وطبقاً بعد طبق . إلا أن ناسخ (ز)

نبه إلى ما في هذا من خلط وأقام

لذلك إشارة تعود به إلى استقامته .

ثم إن ناسخ (جـ) أعاد نفس النص

الذي سبقه خطأ ، وجعله في مكانه .

فزاد الكلام خلطاً .

(٢) ز: كتب على الهامش بأشياء .

(٣) جـ: الشيئين .

(٤) د: - هو .

فقد دل^(١) الشرع، واستقر الوجوب، ووجب على الخلق النظر، والإيمان، وليس من شرط الوجوب على المكلف فيما أوجبه الله عليه من ذلك، علمه بوجوبه، إنما الشرط تمكنه من ذلك، وكونه بصفة من يصح [و ٥٩ أ] منه ذلك على معنى نفي الآفات المضادة للقدرة والعلم، عنه، ولهذا قال علماؤنا لا يصح قصد التقرب إلى الله بهذا الواجب الأول، لأن^(٢) من شرطه معرفة المتقرب إليه، ولما يحصل بعد.

عاصمة:

قال أبو بكر^(٣) رضي الله عنه: هذه طائفة لم تعلم العقل، ولا عقلته، ولا علمت الوجوب. وقد بينا أن العقل إن^(٤) افتقر إلى بيان، ووقع فيه خلاف، فامسحوا أيديكم عن أنفسكم، إنما أرادت الإلباس على الخلق من أول اللوح، فماذا^(٥) ترجون^(٦) في أثاثه من البيان؟ أو^(٧) كيف تبلغون^(٨) إلى آخره؟ وهم يقولون: إنه مشترك^(٩)، من معانيه^(١٠)، صحة الفطرة، ومنها التجربة، ومنها الوقار والسكينة، وزادوا على^(١١) إخوانهم الفلسفية، أنه علوم ضرورية، وعلوم نظرية، وعملي، وهيولاني، وملكي، وفعلي، ومستفاد، وفعال.

أما الأول فقد نسبوه^(١٢) إلى أرسطو طاليس^(١٣)، وفرّق بينه وبين العلم وقال: إنه تصورات، ومعان تحصل للنفس بأصل الفطرة، والعلم يحصل

-
- | | |
|-------------------------------|----------------------------|
| (١) د: صح. ز: كتب على الهامش: | (٧) د: - أ. |
| (٢) ج: أن. | (٨) د: يبلغون. |
| (٣) د: قال أبي. | (٩) ب: يشترك. |
| (٤) د: لو. | (١٠) د: معانية. |
| (٥) د: فما. | (١١) ب، ج، ز: عن. |
| (٦) د: يرجون. | (١٢) ب، ج، ز: ينسبوه. |
| | (١٣) ب، ج، ز: أرسطو طاليس. |

بالاكتساب، فتلقفه الخليل^(١) منه، وقال: إن^(٢) العلم^(٣) معرفتان مجتمعتان،
فعرفت زيداً قائماً، حال لزيد، وعلمت زيداً قائماً، مفعول ثان لعلمت، وهذا
اصطلاح بارد تلقفه الخليل رسطالية، وادعاه عربية، ولا سبيل إليه بحال.

لأن العقل هو العلم بعينه على ما نبينه إن شاء الله. قالوا^(٤): وأما
العقل النظري فقوة في النفس، تقبل بها ماهية الأمور الكلية، والحس يقبلها
جزئية وأما العملي^(٥) فهو قوة النفس مبدأ لتحريك^(٦) القوة التشويقية^(٧) إلى ما
يريده^(٨) من الجزئيات. وأما الهيولاني فهو كاستعداد الصبي للقبول، وأما
الملكي فهو أن ينتهي إلى حد التمييز، حتى إذا عرض عليه شيء وجد به
عارفاً. وأما الفعلي^(٩) [فهو الذكر. وأما المستفاد فهو ما حصل واستقر، ولم
[و ٥٩ ب] يفتقر إلى مادة. وأما الفعال^(١٠)] قالوا: فهو غلط آخر، وهو كل
ماهية مجردة عن المادة فهو من جهة ما عقل جوهر صوري، ماهية^(١١) مجردة
في^(١٢) ذاتها عن علائق المادة من جهة^(١٣)، هي ماهية كل موجود، وهو فعال،

- (٢) ب، ج، ز: - إن.
(٣) ز: كتب على الهامش: قف على
مأخذ قول الخليل بن أحمد في
تعريف العلم.
(٤) د: - قالوا.
(٥) ج: العلمي.
(٦) غير ظاهرة بوضوح في ب: وقراها
ابن باديس (لتحديد).
(٧) د: التشويقية.
(٨) د: يريد.
(٩) ب: + فهو الفعال.
(١٠) ب، ج، ز: سقط فيها ما بين
قوسين.
(١١) ز: كتب على الهامش: عليه:
وماهية.
(١٢) ج، ز: عن. وكتب على هامش ز: في.
(١٣) د: - من جهة.

- (١) أبو عبد الرحمن بن أحمد بن عمرو بن
تميم، فهو عربي ذو ذكاء نافذ،
عرف باستنباط علل النحو
والعروض وكانت له مناظرات مع
الإباضية وله صلة بابن المقفع
ويروى أنه عرف اللغة اليونانية،
وزعموا أن ملك اليونان راسله
باليونانية، ويبدو أنه تأثر في دراساته
النحوية بالفلسفة اليونانية كما يبدو
من كلام أبي بكر هنا، وكما يبدو من
اتصاله باللغة اليونانية وبابن المقفع
الذي يعرف نحو الفارسية وتوفي
الخليل سنة ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م
(الزبيدي ومحمد بن الحسن) طبقات
التحويين واللغويين تحقيق محمد
إبراهيم أبي الفضل القاهرة،
١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م، ص ٤٣ - ٣٧.

لأنه يخرج الفعل^(١) الهيولاني من القوة إلى الفعل، بإشراقه^(٢) عليه.

قال القاضي أبو بكر^(٣) رضي الله عنه: فما ظنك بمعلوم بين يدخل في الأشكال في هذه السوق الكاسدة، ويبيع البيوعات^(٤) الفاسدة، العقل كما قال الأول:

وقد ظهرت^(٥) فما تخفى على أحد إلا على أحد لا يعرف القمر^(٦)

وهو في لسان العرب العلم، لا فرق عندهم بين عقلت وعرفت وعلمت، وما رتبة النحاة من الذات والصفات في العبارات لا يبنى عليه^(٧) حكم، لأن العرب لم تنتج به ما انتحوا، ولا أضمرت ما أضمروا، والقوم مشكورون على ما رتبوا غير مأموم بهم^(٨)، فيما قدموا^(٩) من المعاني وصوروا، والخلق كما قال الله عز وجل: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾ [النحل: ٧٨] ثم يخلق لهم العلم، العقل، المعرفة، التمييز، الإدراك، التفطن، الذكر، إلى آخر الخطط والأسماء، رتبة بعد رتبة، وشيئاً بعد شيء، وليس فيه استعداد لذلك من عند الله^(١٠) فيه إلا ما ينشئه^(١١) له، كما ينشئه^(١٢) في الشجر، والحجر، وطرف الظفر، والأظفار، لا يختص^(١٣) بنية، ولا يلزم^(١٤) بحالة، فإن^(١٥) جرى شيء من ذلك على صفته، فهي عادة، لا^(١٦) علة، وحالة عارضة باتفاق، من صنع الله وإرادته لا واجبة في مخلوقاته،

(١) كذا في جميع النسخ ولعل صوابه: غير مأموم بهم أي غير متبعين في العقل.

(٢) ج، ز: بإشراقه. (المقاصد،

ص ٣٧١).

(٣) د: قال أبي.

(٤) ج، ز: البيوع، وكتب على

هامش ز: ويبيع بين البيوعات

الفاسدة.

(٥) د: بهرت.

(٦) ب: القمر.

(٧) ب، ج، ز: عليها.

(٨) ب، ج، ز: ما هو به بهم. ومعنى

غير مأموم بهم أي غير متبعين في ذلك وليسوا أئمة يقتدى بهم في هذه المسألة.

(٩) ب، ج، ز: قرروا.

(١٠) د: سبحانه.

(١١) ب، ج، ز: ينسبه.

(١٢) ب، ج، ز: ينسبه.

(١٣) ج، د، ز: تختص.

(١٤) ج، ز: تلزم.

(١٥) د: فإذا.

(١٦) ب، ج، ز: ولا.

ويخلق له علماً مركباً على علم مجده^(١) متساوياً في ثمرته وإفادته، فيكون تجربة^(٢)، فإن ظهر على أقواله وأفعاله، كان مستغفاً له، [لأنه المقصود منه، وإن لم يظهر نفي عنه لوجهين، قد تقدم^(٣)] في قوله ﷺ^(٤) [و ٦٠ أ]: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»^(٥)، أحدهما كمال^(٦) العلم من طرفه، والثاني نفي ذاته إذ^(٧) لم تظهر فائدته في تلك الحالة. فأما^(٨) القول بأنه علوم ضرورية^(٩) فإنما تعلق بها المتكلمون من علمائنا، لأنهم رأوا أنه^(١٠) لا يبتي الله بأوامره ونواهيه، إلا من جعل فيه، مقدمات من علومه، فتلك المقدمات، لما سماها الله عقلاً، ظنوا أنه كل^(١١) العقل، ولا يلزم ذلك، [لأن الله قد سماها علماً فقال: ﴿إِنْ^(١٢) فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤] وأما قولهم: إن النظري^(١٣) قوة في النفس تقبل بها الماهية للأمور الكلية. فهو العلم السابق لما يكون بعده، ويرتب عليه، وتسميته^(١٤) قوة مجاز لا معنى له، وقولهم: يقبلها كلية، والحس يقبلها جزئية. كلام فاسد، بل يقبلها جزئية تامة إلا أنه بتدريج، والحس يقبلها جزئية كرة، نعم من المحسوسات ما لا يحصل إلا كلياً، وهو الأكثر، وأما قولهم: إن العملي قوة هي^(١٥) مبدأ^(١٦) التشوقي^(١٧). فهي دعوى ما لا يوجد، وعبرة لا تفيد. أما قوة فلا معنى لقولها، وأما قوله^(١٨): بتحريك القوة التشوقية^(١٩) فكانهم يريدون الفكر، وهو ترديد النظر في

- (١) د: مجده.
(٢) د: فيكون تجربة.
(٣) ج: سقط ما بين القوسين.
(٤) ب، ج، ز: - صلى الله عليه وسلم.
(٥) أخرج مسلم والبخاري.
(٦) د: + قال.
(٧) د: إذا.
(٨) د: وأما.
(٩) ب، ج، ز: علم ضرورة. وكتب على هامش ز: علوم ضرورية.
(١٠) د: قوله.
(١١) د: العقل.
(١٢) في جميع النسخ: آيات. والقراءة المشهورة الآية.
(١٣) ج: سقط ما بين القوسين.
(١٤) ب، ج، ز: النظر.
(١٥) ج: وسميته.
(١٦) ب، ج، ز: هو.
(١٧) ب، ز: مبتدأ، ج: المبتدأ.
(١٨) ب: التسوق. د: التشوقي.
(١٩) د: قوة. ج: قوله.
(٢٠) د: التشوقية.

التطلع^(١)، والتشوق^(٢) إلى المطلوب، وهي كلها معارف وعلوم، تجمع وترتب، لتفيد، وهو الذي يسمى النظر. وأما قولهم: إن الهولاني^(٣) هو الاستعداد، فمجاز^(٤) بعيد، لأن استعداد المحل لأن يكون^(٥) عقلاً لا^(٦) يسمى عقلاً، إلا مجازاً بعيداً، كما تسمى النطفة إنساناً لاستعدادها للإنسانية. وأما عقلاً، إلا مجازاً بعيداً، كما تسمى النطفة إنساناً لاستعدادها للإنسانية. وأما قولهم في الملكي: فإنما عبروا به عما حصل من العلم، وملكة الإنسان، فهو يتوصل به، ويتوصل، إلى ما وراءه. وأما قولهم: إن الفعلي هو الذكر^(٧) فلا يصح أن يسمى فعلياً، لأن الذكر ليس بيد^(٨) المرء لطول [و ٦٠ ب] الذهول عنه^(٩)؛ فلا يردّه أبداً إليه، إلا أن يردّه إليه واهبه ابتداءً، أو بسبب^(١٠) يخلقه له، عنده، فالشيء بالشيء يذكر. وأما قولهم: إن الاستفادة هو ما لم يفتقر إلى مادة. فمعناه ما لم يحتاج إلى أن يقتصر بنظر، ولا يسعى في تحصيله.

وهذا كله يبين^(١١) لكم أنه علوم، بعضها يتلو بعضاً ويتوالى مع البعض، لا سيما على مذهبهم في تلا^(١٢)، وتوالى، على ما يفسر في موضعه.

قال القاضي أبو بكر^(١٣) رضي الله عنه: وأما قولهم: في الفعّال فذلك هو الداء العضال، هو المبدأ الأول عندهم الذي^(١٤) عن ذاته صدر الكل، من عقل، وبسيط، ومركب، وكرة، ومربع، وحرار، ورطب، وبارد، ويابس، ولكن اختاروا له العقل لشرف الاسم، دون الكثرة، وغيرها من الأسماء، فله ماهية في ذاته عندهم، وهو مادة كل ماهية، إذ يخرج الهولي إلى الصورة

-
- | | |
|-----------------------------------|--------------------------------|
| (١) ج: تكرر (التطلع). | (٨) ج: يفد. |
| (٢) د: التشوف. | (٩) ب، ز: كتب على هامش: عليه. |
| (٣) ب، ج، ز: الهولي. | (١٠) ب: لسبب. |
| (٤) د: مجاز. | (١١) د: ينيء. |
| (٥) ب، ج، ز: لا يكون. | (١٢) ب: يلي. |
| (٦) ج، ز: ولا. | (١٣) د: قال أبي. |
| (٧) ب، ج، د، ز: الفكر. وهو خطأ | (١٤) ج: + هو. وكتب على هامش ز: |
| كما يتبين مما سبق. وما يأتي بعده. | هو. |

والفعل، بفيضان^(١) نوره عليه، لا بعلم، ولا بقدرة، ولا بإيثار، ولا بشيء من تلك المعاني الواجبة له. وقد تبين لكم أن هذه أسماء، لا فائدة تحتها، وتهويلات، لا طائل وراءها.

قال القاضي أبو بكر^(٢) رضي الله عنه: فإذا تقرر أن العقل هو العلم أصلاً، وتقرر بيننا وبين هذه الطائفة المسترة بغطائنا فرعاً، بيننا عليه غرضنا معهم، وقلنا لهم: إذا كان العقل هو العلم^(٣)، أو نحو منه، أو صفة يتأق بها درك العلوم، وكان الوجوب عبارة عن فعل يتعلق به الذم^(٤) عندنا^(٥) أو العقاب عندكم^(٦)، فأبي معنى يربط أحدهما بالآخر أبداً؟ وتحقيقه أن الوجوب ليست^(٧) بصفة تقوم بالموجب، كسائر صفات المعاني القائمة بالذوات، وإنما هو عبارة عن لزوم الفعل لفاعله، واللزوم عبارة عن قول صدر عن الموجب الملزم، لم تحصل^(٨) فيه مشنوية، ولا مكن فيه من تركه^(٩)، إن كان من طريق الابتلاء، وإن كان من طريق الضرورة الآدمية [و٦١ أ] كشرب العاطش، وأكل الجائع، فهو عبارة عن استدعاء النفس فعلاً، قام بذات المستدعى له، داع إليه، يذهب به^(١٠)، ما قام به، أو يجلب إليه، ما ينتفع به. ومعرفة الله صفة مكتسبة بأمره، فما لم يكن منه أمر^(١١)، لم يكن له وجوب، لا^(١٢) سيما وهم يقولون: إن الوجوب يعرف باستحقاق العقاب، وذلك خبر عن فعل، يقع عقيب^(١٣) فعل، وذلك لا يعلم إلا بالخبر، أو بالعادة، وشيء من ذلك ليس عند المكلف.

فإن قيل: قد تقدم أنه يقوم بذات المكلف خاطر بأن له رباً أنعم

(١) جـ: ففيضان، د: بفيضان.

(٢) د: قال أبي.

(٣) ب - العلم.

(٤) د: الذم به.

(٥) جـ، ز: عندكم.

(٦) جـ، ز: عندنا.

(٧) كذا في جميع النسخ.

(٨) د: يجعل. جـ، ز: يحصل.

(٩) د: ترك.

(١٠) جـ، ز: كتب على الهامش: عنه.

(١١) جـ: تكرر: لم يكن منه أمر.

(١٢) د: ولا.

(١٣) د: عقب.

عليه، وأن ذلك يعين شكره، ويحضر^(١) خاطره، أنه إن شكره أثابه، وإن ترك ذلك استحق عقابه، فيستحش عقله على تخلص نفسه، قلنا: هذه مقدمات^(٢) فاسدة في ذاتها^(٣)، فاسدة بنقصانها. أما قولهم: إنه يقوم بذات العبد، أن له رباً، فإنه كلام ملتبس^(٤) ابتدء به، وركب عليه مثله^(٥)، أما تصور قيام هذا الخاطر بالقلب الفارغ عن أمثاله ففرض^(٦) محال عادة، فإن العبد^(٧) إنما يعقل^(٨) عند نشأته منافع الحسية، وملاذه، ووجه طرق تحصيلها بأسبابها التي تشاركه في جملتها وتفصيلها البهيمية، وغيرها، إذ كل نفس سواها ربها، وألهمها فجورها وتقواها وعبر عن المنفعة بالتقوى وهي منها، وعن المضرة بالفجور وهي منها، بحكمة عظيمة بينها في أمالي «أنوار الفجر».

فأما النظر في الصانع وحقيقته، والخاطر على أصل الوجود وصفته، فلا ينشأ في الخاطر ابتداء في العادة بحال إلا أن يقرن بسماع أمثاله، من أشكاله، فيما هو عليه من أصل الفطرة، لتوضح^(٩) الجادة التي يتفطن لها، وإنما يتصور هذا كله بعد إرسال الرسل، والتعريف بالإله، وإلزام الشكر، فشاع ذلك في ألسنة الخلق، فمن سمع بالتحقيق، فسلك الطريق، أفضى به إلى المورّد، [و ٦١ ب] ومن سمع التحقيق وأخطأ^(١٠) كأمثالكم الطريق، وقع في الهلكة. وقد يرى بعضهم قوماً يعبدون الأصنام والحجارة، لأنها - بزعمهم - تضر وتنفع، فيرى بخاطر عارض بقدر^(١١) سماوي إلهي، أنها^(١٢) ليس كذلك، فيعلو بهمته إلى فوق، فيعبد الشعري العبور لضيائها، أو^(١٣) القمر، أو الشمس. وقد يرى آخر أن هذا ليس بشيء، أو يسمع^(١٤) أن هنالك ديناً خيراً

- (١) د: يحضره. ز: في الهامش: في نسخة: يخطيء.
(٢) د: مقامات، ج: ز: مقامات. وكتب على هامش ب، مقدمات.
(٣) د: - فاسدة بذاتها. هـ.
(٤) د: ملبس.
(٥) ج: تكرر: أنه يقوم بذات العبد أن له رباً.
(٦) د: فرض.
(٧) ب، ج، ز: المرء.
(٨) ج، ز: يفضل.
(٩) د: يتوضح. وكتب على هامش ب، ز: فتوضح.
(١٠) ج: وأخلصه.
(١١) ب: - بقدر.
(١٢) د: أنه.
(١٣) ج: - أ.
(١٤) ب، ج، ز: سمع.

من هذه الأديان، فيخرج في طلبها، فيسمع كلاماً مزوجاً فيقبله، أو يعرض عنه، ويتنظر سواه، وقد سمعنا حال قس^(١)، وورقة^(٢)، وكلام لبيد^(٣)، والأعشى في التوحيد، والنابعة، وذلك كله بأطراف من التوحيد، كانت تتعلق بهم، مما بقي بأيدي أتباع الأنبياء عليهم السلام من مقدمات الملل^(٤). وأما قولهم: إنه يرى أنه يلزمه^(٥) شكره، فبأي^(٦) شيء يرى ذلك؟ إن قلتم: إنه ينشأ له ضرورة فيلزم وجوده في جميع الخلق، لاشتراكهم في الضروريات^(٧)، أم يحظر له نظراً، فإن كررتم النظر الأول، فقد تقدم التقصي^(٨) عنه وإن قلتم: إنه يحمله على المتعمين من الخلق فما أفسده من نظراً! كيف يشبه^(٩) أو يقاس، من لا يجوز عليه الحظ، ولا يتعلق به النفع، والضرر، ولا تقوم به اللذة، ولا يتكثر بالقلة، ويطلب العوض، على ما تناله^(١٠) الرغبة في^(١١) الحظوظ^(١٢)، واللذة، بالأسباب والتكثر من القلة، ويطلب العوض؟ و^(١٣) هذا تشبيه فاسد، وبهذا انطلقت صفة التشبيه على الطوائف كلها، خلال أهل السنة. وزادت هذه الطائفة بأنها^(١٤) عطلت في الصفات، وشبهت في الأفعال، فانسلت عن ربة التوحيد.

(خزانة الأدب للبغدادي،

ج ٣٣٧ - ٤٤٩. Brock 1 - 23, SI:

(64)

(٤) ب: الملك.

(٥) ب، ج، ز: يلزمهم.

(٦) ب، ج، ز: فأي.

(٧) ب، د: الضرورات.

(٨) ج، ز: التقصي.

(٩) ب، ز: يشبه.

(١٠) ب: ما شأنه، د: من شأنه.

(١١) ب: - في.

(١٢) ب: الحظوظة.

(١٣) د: - و.

(١٤) ج: فإنها.

(١٥) قس بن ساعدة توفي نحو

٢٣ ق هـ / ٦٠٠ م وهو حكيم عربي

وأسقف نجران وكان يزور قيصر

الروم ويتصل به (البيان والتبيين

للجاحظ، ج ١ ص ٢٧. الأغاني،

ج ١٤ ص ٤٠، الأعلام، ج ٦

ص ٣٩).

(١٦) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى

توفي نحو ١٢ ق هـ / ٦١١ م وهو

نصراني وحكيم جاهلي اعتزل الأوثان

وقرأ كتب الأوائل (الأعلام «ورقة».

الروض الأنف، ج ١ ص ١٢٤ -

(١٢٧).

(١٧) لبيد بن ربيعة العامري توفي سنة

٤١ هـ / ٦٦١ م يعتبر من الصحابة

وأما ذكرهم في المخاطر^(١) أنه إن شكر استحق ثوابه فما سبب هذا الاستحقاق؟ هل نفس الفعل^(٢)؟ فهذا محال من طريق النظر، لأن الشكر جزاء نعمة، فكيف [و ٦٢] يستحق الجزاء على الجزاء؟ وإن كان إنما يستحقه بالخبر منه عن ذلك - وتقدير سواء محال - فالقول به^(٣) محال لأنه لم يكن هنالك بعد مبلغ للخبر. وأما قولهم: إن قصر استحق عقابه. فما لم يكن سبيل إلى استحقاق الثواب^(٤) لا يتصور معه استحقاق العقاب، لاتحاد الطريق.

قاصمة:

نبغت طائفة قالت: إن المعول المرجوع إليه، هو قول الله وحكمه، وإن الموصل له إلينا واسطته^(٥)، وهم رسله الذين أولهم آدم، وآخرهم محمد ﷺ، وهذه كلها دعوى^(٦)، فإن العقول ترشد إلى السياسة الأيالية^(٧)، والقوانين الحكيمة، وقانون التدبير الجامع للمصالح المنتظمة لعامة الخلق، وإصلاح^(٨) الأخلاق، وتطهير الأبدان عن أوصاف النجاسات، والقلوب عن أخلاق الدنئات، حتى يطرد الإصلاح^(٩) في الباطن والظاهر، ويستمر البقاء على العيش الطيب، واستقامة الخاصة والعامة، وهذه كتب الحكماء^(١٠)، يسيرهم في أنفسهم، ووصاياهم لغيرهم، تتضمن جميع ذلك، فمن أراد النظر فيها فقد جليت له في منصفها. وكفى بعد ذلك بإيضاح العقول رسلاً، وبمقتضياتها^(١١) أدلة مادة^(١٢) إلى الغني الذي لا يصحبه فقر، والنعيم الذي لا يقترن به كدر، والكمال الذي لا يتطرق إليه^(١٣) نقصان، ولو عولنا في درك الحقائق على

- | | |
|-----------------------------|--------------------------------|
| (١) ج، ز: المخاطر. | (٨) د: صلاح. |
| (٢) ج: والفعل. | (٩) د: الصلاح. |
| (٣) ب، ج، ز: - به. | (١٠) د: العلماء. ج، ز: كتب على |
| (٤) ج: والثواب. | الهامش: العلماء. |
| (٥) ب: واسطته. | (١١) ب، ج، ز: بمقتضاها. |
| (٦) د: دعاو. | (١٢) ب، ج، ز: قادة. وكتب على |
| (٧) ج، ز: الإلهية. وكتب على | الهامش: مادة. |
| الهامش: الإيالية. | (١٣) ب: لا يقترن به. |

الأنبياء، ما كنا نقف على حقيقة أبداً، فإنهم يقولون نحن رسل الله، ويأتون بأفعال غريبة، تخرج عن حد العادة، فيتحدون^(١) بها على صدقهم، بطريق أنها فوق طوق البشر، يأتي الله بها على جهة العُضد لهم، والتصديق لقولهم، وتلك الأمور الغريبة التي يأتون بها، داخلية في طوق البشر، محمولة إما على خاصة أدركوها، أو على وجوه من الخيل [و٦٢ ب] نظموها على بعد وجمعوها، حتى انتهت إلى هذه^(٢) الحالة^(٣) التي أشهدوها^(٤) للخلق وأبرزوها، ولو لم يكن في الدنيا إلا حجر المغناطيس الذي يجذب الحديد من بعد، ولا يجذب الذهب، ولا هبة الثوب^(٥)، ونحن نرى السحرة يأتون بالغرائب، حتى إن الواحد منهم ليهزم الجيش، ويرد الجَم الغفير فلا^(٦)، ويجري الماء على الأرض سيحاً، وينزل المطر صيباً^(٧)، ويريك الجذب خصباً^(٨)، ولا يحسب^(٩) في الحقائق فعله، ولا يقبل^(١٠) قوله، هذا إلى ما في الوصول إلى حالة القبول من الرسول من العقاب التي لا^(١١) يقطعها بازل، ولا يكون الفكر عنها أبداً إلا نازل، منها معرفة حقيقة النبوة^(١٢)، وإثبات كلام الله تعالى الذي يترتب عليه إرسال الرسل، جواز بعثة الله الرسول، ومنها تعيين ما تأتي به، فإنها إن قالت ما يعلم^(١٣) فلا يحتاج إليها، وإن قالت ما لا يعلم^(١٤) فلا يقبل منها، مع أنا رأيناهم يقولون أشياء يردها العقل، وأكثر الخلق لا يقبلونها، وأي فائدة في مخاطبة من يعلم أنه لا يقبل. ومنها وجه المعرفة بأنه رسول، وقد بينا أن ذلك يعسر، لاشتباه الأفعال، لا سيما وأنتم تقولون: إنه جائر على الله أن

(١) د: يتحدثون.

(٢) ج، ز: هاته.

(٣) د: الحال.

(٤) ب، ج، ز: شهروها.

(٥) الكلام ينقصه الجواب. واقتراح ابن

باديس أن يكون: لكفى في إثبات

الخاصية.

(٦) ب، ج، ز: ويزد الجبل الصغير

تلا. أما الفل فممتناه منهزم، يقال

قوم فل أي منهزمون.

(٧) ب، ج، ز: ضبا.

(٨) علق ابن باديس على ذلك بقوله:

هذا كذب ومبالغة، فليس هذا من

مقدور السحرة لا بالحقيقة ولا

بالتخيل.

(٩) ب، ج، ز: تحسب.

(١٠) ب، ج، ز: تقبل.

(١١) ب: - لا.

(١٢) د: العيوه.

(١٣) ب: نعلم.

(١٤) ب: نعلم.

يعم الخلق بالضللال^(١) فلما يؤمنكم أن يكون ما يأتي^(٢) به الرسول سبباً لإضلال الخلق، وقد قلتم أن للمعجزة ستة شروط، وعلى كل شرط منها من الأشكال ما يملأ القراطيس فكيف يخلص من هذا؟ وهذا وأنتم بعد إلى الآن، لا تدرون هل دلالة المعجزة عقلية أو عادية، فمتى تقطع هذه البقاب العشرة^(٣)، ويرتقي^(٤) إلى يفاع^(٥) المعرفة؟ والناس ضعفاء، والشعوب كثيرة، والعمر قصير، والذي يدعي أنه وصل قليل، والآلات معدومة، أو متعذرة، والسفر طويل، لقد أبعدتم النجعة على الخلق في المطلوب. والذي يمكن أن ينظر الإنسان في أمهات الفضائل [و ٦٣ أ] وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة^(٦)، فإذا^(٧) حصل عليها فما وراءها مرمى، ولا بعدها مطلب، ولا يحتاج في ذلك إلى رسالة قد أدركها خلق دون نبي.

عاصمة:

قال القاضي أبو بكر^(٨) رضي الله عنه: هذا مذهب ليس عليه أحد من الخلق له حصافة^(٩)، بيد أنه لما كان الابتلاء من الله بالوظائف، أمراً تعافه النفوس، وتقف دونه القدرة، وتغلب عليه الراحة، ركنت النفوس الأمانة بالسوء إلى البطالة، وكانت الجبل مقلوبة على الشهوات. وانتقاء^(١٠) المختار بعيد عن الخلق، وبينهم وبين كمال النظر حجاب. ركن إلى الدعة، وتعلق بذيل المعجز، الأكثر^(١١) في الوجود، الأقل في الاعتداد. وهم - وإن كانوا لا يتظاهرون به لغلبة الإسلام - فإنهم يطنونه، ولم ألق عليه مناظراً في رحلتي إلا

ب، ز: ها هنا يبايض في الأصل.

(٧) ب، ج، ز: وإذا.

(٨) د: قال أبو.

(٩) د: خصافة.

(١٠) ج، ز: انتقاء.

(١١) د: من.

(١) د: بالإضلال.

(٢) ب: متى.

(٣) ب، ج، ز: العشر.

(٤) ج، ز: ترتقي.

(٥) ب: يفاع.

(٦) ب، ج، ز: - الحكمة والشجاعة

والعفة والعدالة. وكتب على هامش

ابن عمار قاضي^(١) الإسكندرية الملقب^(٢) بعز الملك، والقاضي حامد بن^(٣) نزيل بيت المقدس، المنتسب إلى مذهب أبي حنيفة، والقاضي ابن الكحال^(٤) ولكنهم إلى الفلسفة ينتسبون^(٥) وعليها يعولون، فأما الانخلاع عن رتبة الفلسفة والشريعة فلم ألمحه بحال.

وأنا أبين بفضل الله وجه الاعتصام من هذه الضلالات، والتفصي^(٦) عن مجموع هذه الشبهات، فنقول: إن الله تعالى قد خص هؤلاء بالذكر، وصددهم^(٧) بياهر البيان، في أكرم مورد من الكلام فقال: ﴿وما قدرُوا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء﴾ [الأنعام: ٩١] ووجه الدلالة من هذه الآية في هذه السورة^(٨) الكريمة بديع مبين في كلامنا حيث وقع بترتيب برهانه وإزاحة إشكاله بإيضاح بيانه، نخبته: أن الله تعالى أخبر أن من أنكر الرسل^(٩)، لم يعلم الله حق علمه، وأمرنا^(١٠) بالاحتجاج عليهم بنبوة موسى التي صحت^(١١) بالمعجزات الظاهرة، والبراهين الباهرة، وهذا القول الذي نصب الله [و٦٣ ب] تعالى^(١٢) بيانه، الدليل عليه، ليس المراد به أحداً من أهل الكتاب، لأنهم مقرون^(١٣) بالرسل ف وقعت الحجة على متكبرهم، برسول الله في أرضه إلى خلقه مذ أوجدتهم إلى محمد صلوات الله عليهم

(٢) د: هوازن. ز: كتب على الهامش هوان.

(٣) ب، ج، ز: بياض بالأصل.

(٤) ج: ابن الكحال.

(٥) د: ولكنه إلى الفلسفة ينتسب هؤلاء. ب، ج، ز: + هؤلاء.

(٦) د: والتفص.

(٧) د: صددهم.

(٨) ب: - في هذه السورة.

(٩) ب: الرسول.

(١٠) ب، ج، ز: أمر.

(١١) ز: كتب على الهامش: ضمنت.

(١٢) د: - تعالى.

(١٣) د: يقرون.

(١) ابن عمار هو أبو عبد الله محمد بن عمار كما في (أخبار مصر لابن ميسر، الذهبي، العبر، ج ٣ ص ٣٤١) تعليق محققه (فؤاد سيد) وفي هامش النجوم الزاهرة تعليق الدكتور الشيال أنه جلال الدولة أبو القاسم علي بن أحمد بن عمار ومصدرهما واحد وهو أخبار مصر لابن ميسر الذي لم أتمكن من الاطلاع عليه، ويبدو أنه توفي سنة ٤٨٨ هـ حين ألقى القبض عليه الأفضل شاهنشاه. (النجوم الزاهرة، ج ٥ ص ١٤٤).

وسلامه^(١)، وخص ذكر موسى لأنه أول الأنبياء ظهور آية ولأنه^(٢) معلوم عند عبدة الأوثان من العرب المجاورة لأهل دينه، فإن أقرؤا به، فهذا مثله، وإن أنكرت العرب ومن دان دينها موسى كإنكارهم لسائر الرسل، فمن علمكم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم الأصنام؟ فذلك محال أم غيرها فمن؟ وليس إلا الله، والتعليم^(٣) لا يكون إلا بواسطة، ولا بد للوسائط أن تترقى^(٤) حتى تقف^(٥) على معلم غير معلم^(٦) فهو الباري، وتعليمه، رسالته. وقوله بعد ذلك: «تبدونها وتحفون كثيراً» [الأنعام: ٩١] بالتاء وبالياء^(٧) سهل المرام في التأويل، مع قطعنا^(٨) أن اليهود غير مخاطبين في ذلك ولا أريدوا به^(٩). والإشارة فيه^(١٠) وجوه أقربها الآن أن الذين أنزل عليهم، قد أنكروه مع أنه شرفهم، وكنموه [وغيره، فلا عجب منكم، الذين لم ينزل عليكم، ولا رأيتموه في أن تنكروه]^(١١) وحينئذ يجب الاعتراض^(١٢)، لأنهم خرجوا عن النظر إلى التخليط، فأقبل أنت على ربك، وذره في خوضهم يلعبون، حتى يأتيهم العذاب بغتة وهم لا يشعرون. ونعطف بعد ذلك عنان القول على طريقة أخرى^(١٣) شرعية عقلية فنقول: أما مرتبة العقل فغير منكورة في التمييز والتحصيل، ودرك ما أعد له على الجملة والتفصيل، في قول من وحده أو عدده، فأما أن يكون العقل محصلاً لجميع المعلومات، فهذه دعوى حمقى، لا يقوم لهم قول على ساق في الدعوى، والإيراد، والتصوير^(١٤) فكيف بالتعرض للدليل^(١٥)، وكل ذي علم يدعيه، من أي العلوم كان، يعلم [و ٦٤ أ] قطعاً

- | | |
|-------------------------------------|-------------------------------------|
| (١) ز: صلى الله عليه وسلم. وكتب على | (٩) ب، د: - و. |
| الهامش: صح: صلوات الله وسلامه | (١٠) كذا في جميع النسخ. |
| عليهم. | (١١) ب: سقط ما بين الحوسين وكتب على |
| (٢) ب: أو لأنه. | الهامش. |
| (٣) ب: التعلم. | (١٢) ب، ز: كتب على الهامش. |
| (٤) د: تترى. | الإعراض. |
| (٥) د: نقف. | (١٣) د: - أخرى. |
| (٦) ج: - غير معلم. | (١٤) كذا في جميع النسخ ولعله: |
| (٧) ب، د: والتاء. | «التصدير» في مقابلة الإيراد. |
| (٨) د: x على. | (١٥) ج، ز: + كان. |

أنه لم يحط العقل به من أوليته حتى كانت العلماء، وهم الأنبياء الذين يطرقون بيانه، ويوضحون قانونه، وخذ علم الهيئة، فليس في العقل^(١) استقلال أن يحيط^(٢) بمدار الأفلاك وترتيبها، وطلوع الكواكب وغروبها، في مجار^(٣) مختلفة منها، وتمييز المتقل من الثابت، وتفصيل انتقاله، وإن أدرك نفس الانتقال، ويرى ما ذكره قبل^(٤)، كيف كانت كلها دعاوي لا برهان عليها، حتى إن صاحب الهيئة يبرهن، فإذا وقف عليه البرهان، طفر^(٥) فقال: رصدت أو رصد^(٦) فلان، فبينما نحن معه في برهان عقلي، إذا بنا قد خرجنا معه إلى خبر تكذبي أو كذبي.

وخذ الطبيعيات وترتيبها في النشوء^(٧) وضبط الاستقصات في البدء^(٨)، وكيف خرج منها ما خرج إلى الجسمية، وكيف تحرك على رأيهم من الهولي إلى الصورة، وكيف تألفت الموجودات. وقد قدمنا عنهم في ذلك دعاوى لا أصل لها، تصلح أن يسامر بها الملوك، لاستجلاب شارد المنام.

وخذ ضبط صحة الحيوانات بقانون، وردّه^(٩) بالطب^(١٠) عند عدول^(١١) الأمزجة عن الاعتدال، وإدراك النبات^(١٢) في درجاته، ومنافعه ومضاره، هل يتفق في المعقول أن يدرك ذلك أحد يقضيات العقول؟ أما أنه إذا رتب له قانون، أو ذكر له تمثيل، أو نصب له دليل، أمكن أن يتوصل به إلى ما يقتضيه وضعه.

وخذ النجمي فإنه يقال له: أيها الحاكم على ما يأتي بما يرى من نصبة، ويطلع عليه^(١٣) من رتبة، هل علمت ذلك بتجربة استمرت بها العادة

- | | |
|--|-------------------------------------|
| (١) د: العقول. | (٧) ب، ج، ز: الشيء. |
| (٢) د: تحيط. | (٨) ب، ز: البدو، ج: البدن. |
| (٣) ب، ج، ز: مجاري. | (٩) د: - و. |
| (٤) ب، ج، ز: قيل: وكتب على هامش ز: عله: قبل. | (١٠) ب، ج، ز: وردوه. |
| (٥) ج: طفي. أما معنى طفر فهو: | (١١) ب: كتب على الهامش: (إلى الطب). |
| وثب في ارتفاع. وطفأ: ارتفع. | (١٢) د: عدول. |
| (٦) د: وجد. | (١٣) د: النبات. |
| | (١٤) ب، ج، ز: إليه. |

في وضع النصب، ومقارنة الحوادث لها؟ فهذا باطل من أربعة أوجه:

الأول: أن النصب^(١) كم مرة عادت عليك حتى تثبت^(٢) عليها؟ أو قل^(٣) طريقاً، حتى ترى عليه ما لم تحسب^(٤) تحقيقاً.

الثاني: أن يقال لهم: كيف تحكمون للعقل بإدراك ما لا يدرك؟ وتسلكونه في [و ٦٤ ب] غير مسلك؟.

الثالث: أنهم يزعمون أن النصب لا تعود على هيئها إلا بعد ستة وثلاثين ألف عام، فمتى تكررت مرتين أو ثلاثاً حتى علم الترتيب عليها في كون الحوادث^(٥)؟.

الرابع: أن ترتيب الحوادث على الكواكب، وتعليقها بتأثير^(٦) الأفلاك، لا يليق على الجملة بما قدمناه من منعهم عن ذلك، فكيف بترتيب الأفعال كلها على التفصيل عليها مع ما فيها من التعارض والتضاد من عمر أو^(٧) كسب؟ والعجب من ترتيبهم الاثني عشر برجاً، على اثني عشر بيتاً، أسكنوا فيها من الحوادث ما لا يسكن^(٨)، ونسبوا إليها ما لا ينسب^(٩). [وقد أحكمنا في المتقدم من الكلام وجه قطع الحوادث عن الأفلاك والكواكب، حتى لا يبقى لهم^(١٠) متكلم إلا بدعوى، لا برهان عليها]^(١١). ومتى تكلمت مع منجم لا تتكلم معه في وضع الأفلاك، لئلا يرجع لك مهندساً، فيقاتلك بغير سلاحك^(١٢)، ولكن سلم له الهيئة، ودافعه عن تعليق الأفعال بها، فإنه لا حيلة له في إثباتها.

وأما الذي زعموه من أوضاع الحكماء في السياسات، فإن أصله من

(٦) ب، ج، ز: بتأثر.

(٧) د: - أ.

(٨) د: يمكن.

(٩) د: يتسب.

(١٠) ب، ج، ز: - لهم.

(١١) ب، ز: سقط ما بين قوسين.

(١٢) د: سلامه.

(١) د: النصبة.

(٢) ب: ثبت.

(٣) ج، ز: مك.

(٤) ب، د: تحسب.

(٥) ب، ج: الحادث. وكتب على

المماش: الحوادث. ز: عكس

ذلك.

الأنبياء، وما أباته^(١) من الشرائع، وحثت عليه من المكارم، وزجرت عنه من الدنئات، بما أوضحت من القوانين، ووضعت من المصالح، ثم درس منها ما درس، وبقي منها ما بقي، فبنوا عليه، وأضافوه إليه، فمنه ما نقلوه على وجهه، ومنه ما أدركوه بما وافق الأغراض، وقام بداعية الانزجار والانتهاض، وجرى في سنن المني أو^(٢) الهوى.

وأما تطهير الأبدان عن الأقدار، فأمر جبلي، لا متعلق فيه، لأن الرسل لم تأت لييانه، أما أنها حضت عليه، وحثت، وندبت إليه، وألزمت^(٣).

وأما تطهير القلوب [و ٦٥ أ] عن أضرار الدنئات، فبيعد^(٤) أن يصرف^(٥) عنها وازع من الذات، فإنها مركبة في الحيوانات فطرة، وفي هيئة^(٦) الإنسان جبلة^(٧)، وهو مركب على الغضب والشهوة والحرص^(٨) والغلبة، وعلى ذلك من العقل رقيب، وبينهما مجاذبات كثيرة، مسلمة منا ومنهم، وإنما يكون التطهير بعمل، هو جلاء القلوب، وبعد الجلاء يكون الحصول بمعاملة أو^(٩) مقابلة، ولا نطول معهم في أن كيفية الجلاء تكون^(١٠) بتوقيف عن بصير مبصر، بل نقف معهم عن^(١١) المقابلة، فنقول: إنها لا تكون بتنبيه حتى جعله بعضهم خاطراً، وقد لا يخطر^(١٢) الخاطر، وإذا وجد قد يضعف^(١٣) ولا يتسدد، فلا بد من داع، إن كان له وازع^(١٤)، والمجاهدات بين المتعارضات باب عظيم، يفتقر إلى قانون طويل، ليس من بزهم، ولا يقوم به إلا العالم بتفاصيله وقانونه.

(٨) ب، د، ز: الفرس. ج: والمرس.

وأقترح: الحرص.

(٩) ب، ج، ز: أ.

(١٠) ب، د: يكون.

(١١) ب، ج، ز: على.

(١٢) د: يحضر.

(١٣) ب: يصف. د: يصيب.

(١٤) د: وازع.

(١) ج: وما أبا بته.

(٢) ب، ج، ز: أ.

(٣) أي فنعم.

(٤) ب، ج، ز: فبيعد.

(٥) ب: يصدر. وكتب على الهامش:

يصرف. ج، ز: كتب على

الهامش: يصف.

(٦) د: بنية.

(٧) ب، ز: كتب على الهامش: بنية

الإنسان جملة.

فإن قيل قد سطره أفلاطون، وسقراط^(١)، والفاضل بقراط^(٢)، قلنا: قد رأينا ما سطره، وطالعنا ما ذكره، وتحققنا أنهم^(٣) قد قصرنا، وعدا عليهم ما ائتمروا، ولولا التطويل لسردنا عليكم من خرافاتهم، ما ينبىء عن سخافاتهم، اللهم تحقيقاً^(٤) أن ذلك لمحمول^(٥) على المترجم^(٦)، ومحسوب في جهله أو قصده إلى التخليط، وهم^(٧) قوم أخذوا^(٨) كلام الأنبياء وخصوصاً محمداً ﷺ^(٩)، الذي أوتي من جوامع الكلم بأوساطه وأطرافه، وضم له^(١٠) من كل جوانبه، فبدلوه وحرفوه، ووضعوه على قوالب أغراضهم، فاستوضعوه، حتى استضعفوه^(١١)، وهذا لأن^(١٢) مترجم كلامهم من اليونانية إلى العربية، لم يتوله عدل، بل فاسق، بل كافر، إلا^(١٣) مستخف مهتوك زائغ، لا سيما وللسعادة عندهم سبيل متخذة^(١٤) للأجماد، لا يدرکہا إلا الأفراد^(١٥)، وعليها من القواطع أسداد، سد ابن سود طريقها^(١٦)، وغاب ابن بيض^(١٧) عن تحقيقها، ألا ترى أنهم لم يجتمعوا فيها على طاق، ولا قامت لهم فيها دلالة على ساق، فإن تطلعوا إلى ذلك^(١٨) مدعين، فقل هاتوا [و ٦٥ ب] برهانكم إن كنتم صادقين. ففي كل فصل قدمناه لكم^(١٩) أصل في الرد عليهم، يوضح تناقضهم، فلا معنى للتكرار^(٢٠).

-
- (١) فيلسوف يوناني. عاش بين (٤٧٠ - ٣٣٩ ق. م).
(٢) بقراط الحكيم أو الإلهي، توفي سنة ٣٥٧ ق. م. على الراجح.
(٣) ب: - قد.
(٤) ب: تخفيفاً. ج: تخلفاً.
(٥) ب: محمول.
(٦) ب: الترجم.
(٧) ب: هو.
(٨) لا يقصد أفلاطون وأرسطو. وإنما يقصد الذين ترجموا وأخذوا بالفلسفة اليونانية بعد ترجمتها.
(٩) د: - صلى الله عليه وسلم.
(١٠) (١٠) ج: ز: له.
(١١) د: استضعفوه.
(١٢) د: وبعد الآن.
(١٣) كذا في جميع النسخ.
(١٤) ب، ج: ز: منجدة.
(١٥) د: أفراد.
(١٦) ج: وطريقها.
(١٧) د: أبيض.
(١٨) د: تطلعوا لذلك.
(١٩) ب: - لكم.
(٢٠) د: لتكراره. ز: في الهامش: في نسخة لتكراره.

وأما قولهم: إن ما يأتي على أيديهم من الأفعال الغريبة لا يوثق به، لوجودنا في الخواص أفعالاً غريبة، فلا معنى له فإننا^(١) قد حققنا أن^(٢) المعجزات لا بد أن تكون خارقة للعادة، خرقاً يتجاوز الأوهام المتعلقة بالخيال والخواص، مما يعلم أنها من أفعال العباد خاصة. أو لا نرى^(٣) أن إبراء الأكمة، وإحياء الموتى، لا ينال بحيلة، ولا يعد في خاصة؟ وما عرف الباري إلا بأفعاله، التي لا يقدر عليها سواه، فيما عرف به المرسل به، يعرف الرسول، وهذه نكتة بديعة، لم أرحم عليها فافهموها واعتبروها تلقوها^(٤) كذلك.

وهؤلاء^(٥) أرباب الخواص قد جمعوها من وجوهها، وإنما هي أفعال مخصوصة، بوجوه مخصوصة^(٦). فإن قيل فقد رويتم أن في الأرض ماء، إذا جعل على الميت حيي، فإن قلتم: هذا صحيح، فإن كان أدركه عيسى فهي معجزة، فإن ذلك لا يدرك إلا بتجربة جميع مياه الأرض، ولعل ذلك كان خصوصاً بوقت ومحل. وأيضاً فإن خاصة ذلك^(٧) العين إحياء الموتى وإبراء الأكمة، وصحة الأبرص، والأجذم، من أين يكون^(٨)، والخواص لا تشترك أفعالها؟ هذا ونحن لا نجعل للخاصة^(٩) طبيعة في المحل، ولا صفة تقوم به، ولا قوة فيه، وإنما نقول: إن الباري تعالى يخلق عند اقتران بعض المحال ببعض^(١٠)، وبعض الأمور ببعض^(١١)، ما شاء من الأفعال المعتادة أو الغريبة.

هذا وقد اتفق العقلاء على أن الخواص مما لا يدرك بالتجربة، وإنما تنال^(١٢) بالعلم الإلهي. وقد يرى الطبيب دواء^(١٣) يفعل فعلاً لا يناسبه في الذي

(٧) كذا في جميع النسخ.

(٨) د: تكون.

(٩) د: الخاصة.

(١٠) د: لبعض.

(١١) د: لبعض.

(١٢) ب: ينال.

(١٣) ب، ج، ز: - دواء.

(١) ج: فإنما.

(٢) ب، ج، ز: - أن.

(٣) د: ترى.

(٤) ب، ج، ز: تلقوها.

(٥) ز: كتب على الهامش: عله: وهو

أن ليس أرباب.

(٦) د: محصورة.

أدرك من طبيعته، فيقول: يفعل كذا بطبعه، وكذا بخاصية فيه، فيسمى^(١) خاصية ما لم يطرد له، على^(٢) قياس طبيعه^(٣). وليس هذا المقدار مما لا [و٦٦ أ] يدخل في^(٤) الآيات.

وهبكم قلنا: إنه خاصية^(٥)، فهذا^(٦) أمر خفي انفرد الله تعالى^(٧) به^(٨) لعلمه^(٩)، بأن خلقه فيه، وأنزله من داره التي أعده فيها لأولياته، وقد يجوز أن تكون^(١٠) آية النبي^(١١) إظهار^(١٢) علم الله الخفي^(١٣) على يد النبي، فتكون^(١٤) آية، ولو كان نظيره خاصية.

وأما قولهم: يحتمل أن يكون ذلك حيلة، فلا بد من خروجه من مرتبة الحيل حتى يصير في حد يفوت طوق^(١٥) البشر، وعقلهم، فيخرج بذلك عن حد النظر، وأما السحر، فسل به خبيراً يعلمه يقيناً ورآه عياناً، ورأى البلاء^(١٦) به. والفتنة فيه، ويدري قصوره عن المعجزات بدرجة أعظم مما بين الأرض والسموات، [ويعلم بطلانه في نفسه شرعاً، وإبطاله عملاً، كما يعلم بطلان الكفر، في نفسه شرعاً، وإبطاله حجة^(١٧)].

وقد تبين أنه عند المبطلين أقسام^(١٨)، أعلاه التعلق بالكلام، وأدناه الحركات في الأرض، بعضها على بعض في وجه، وبطريق، على إدارتها^(١٩) في

-
- | | |
|------------------------------|--------------------------------|
| (١) ب: فسمى. | (١٠) ب، ج، ز: يكون. |
| (٢) ج: - على. | (١١) ب، ج، ز: للنبي. |
| (٣) ج، ز: طبيعة. | (١٢) ج: وإظهار. |
| (٤) ج، ز: تحت. وكتب على هامش | (١٣) ج: الحقيقي. |
| ز: في. وعلى هامش ب: تحت. | (١٤) ج، ز: فيكون. |
| (٥) د: خاصة. | (١٥) ج: طرق. |
| (٦) ب، ج، ز: فهو: وكتب على | (١٦) ج، ز: البلاء. |
| هامش ب، ز: فهذا. | (١٧) د: سقط ما بين القوسين. |
| (٧) د: - تعالى. | (١٨) ز: - أقسام. وكتب ذلك في |
| (٨) د: - به. | الهامش. |
| (٩) د: بعلمه. | (١٩) ب، ج، ز: على نحو إرادتها. |

السماء. فيحدث من ذلك^(١) فعل غريب، وله بعد ذلك مراتب أحدها النفث في العقد بكلام لا يتحصل، وضع الله جميع ذلك في الأرض فتنة، كما أخبر، وهو الصادق الحكيم^(٢).

وأي ذلك^(٣) كان، فإن العصمة منه على الخاطر الفاسد، أو الألد المعاند، من ثلاثة أوجه^(٤):

الأول: أنه لا بد من ارتفاع المعجزة عن حد ينال بما قلتم.

الثاني: أن السحر يختص بحال دون حال، ويشخص دون شخص، ويزمان دون زمان، والمعجزة عامة.

الثالث: أن الساحر وإن رد الجيش، وخذل الجمل الغفير، فليس هذا بغريب، فكم من جيش تفرق بصيحة، وكم كتيبة تبددت بكذبة، وذلك لأن القلوب القلقة يؤثر فيها أدنى سبب، والقلوب الثابتة لا تزعزعها الجبال، فأما سحر يهزم يوم بدر قوماً لهم العدة والكراع والشبع والظهر، بقوم ليس لهم منعة إلا العري والجوع^(٥) والرجلة^(٦) والعزلة، لا شكة^(٧) ولا شوكة، ويحفل^(٨) العدد الكثير يوم الخندق، ويغلب المعاندين، ويقتل المستهزئين^(٩)، ويفني الحاسدين [و ٦٦ ب]، ويصرف جميع^(١٠) قلوب الخلق، ويعم الأقطار، ويدوخ الأرض، ويهدم الممالك، فهو الذي يعتمد عليه، ويستند في الحق إليه.

وأما قولهم: إن فيه إشكالات عظيمة من معرفة حقيقة النبوة. فليس

(٧) الشكة بكر الشين المعجمة:

السلاح.

(٨) ب، ج: يجعل.

(٩) ج، ز: المستهزئين.

(١٠) ج: - جميع. وكتب ذلك على

الهامش.

(١) ب، ج، ز: ذلك من.

(٢) د: الحليم.

(٣) د: قدر.

(٤) د: يباض مكان (من ثلاثة أوجه).

(٥) ب، ج، ز: - الجوع.

(٦) ب، ج، ز: الرحلة.

عندكم شيء أين منه، ولا أقرب مثلاً^(١)، فإن الإنسان من حين يولد، إلى أن ينتهي إلى حد العقل الثاني للتمييز في المرتبة، إنما يتدرج^(٢) عندهم في مدارج النبوة، والعقل التمييزي، بالمجاورة^(٣)، هو الدرجة^(٤) الخامسة أو^(٥) السادسة، فإما أن يتماهى فيطلع إليها وإما أن يقع عنها وإما أن يقف حيث وقف به العقل، ولا بد من الترقى عندهم من^(٦) مرتبة هذا العقل، وعندنا، فإما عندهم ففوة نفسية، ونور يسمونه إلهياً، وليس الإلهي في الحقيقة، إذ ليس لهذا الاسم عندهم معنى يتحقق فيدرك بها جميع العلوم، وتكون هذه الخاصة يعبر بها عن النبوة، مدركاً لكل خاصة وعامة حتى يجعله بعضهم [وصولاً إلى الله ويجعله^(٧) بعضهم اتصالاً، حتى يقولوا: إنه جزء من الله أو كالجزء^(٨)، ولقد سمعت بعضهم يقول: إنه لنصف^(٩) الله، وبعضهم يجعله حلولاً من الله فيه، وبعضهم يفر^(١٠) عن لفظ الجزء، والبعضية إذ لا تنقسم عندهم تلك الذات، فيعبر^(١١) عنه بالاتحاد.

وقد ظهر فساد هذا كله للعقلاء، بما أغنى عن التعب فيه، وتكلمنا نحن عليه في موضعه^(١٢) مع^(١٣) دناءته^(١٤)، وهم يشككون بها، ويشككون فيها، أو^(١٥) يخلطون ويغلطون^(١٦)، أو و^(١٧) هو الحق يقولون على الله ما لا يعلمون،

-
- | | |
|------------------------------------|--|
| (١) د: مثلاً. ز: كتب على الهامش: | (٩) ب، ج، ز: نصف. |
| قلت وللقرافي في كتاب الفروق | (١٠) ب: ينفر. |
| تقرير مثل هذا أو نحوه فرضي الله | (١١) ج: تكرر: فيعبر. |
| عن علماء الأمة أجمعين في مناضلتهم | (١٢) ب: موضع. ج، ز: موضع له. |
| وذهبهم عن هذا الدين القويم المتين. | (١٣) ب، ج، ز: - مع. وكتب في هامش ب، ز: مع. |
| (٢) ج، د، ز: يتدرج. | (١٤) ب: به دعا أنه. وكتب على |
| (٣) ز: المحاورة. | الهامش: دناءته. ز: دناءاته. وكتب |
| (٤) ج، ز: للدرجة. | على الهامش: دناءته. |
| (٥) ج، ز: - أ. | (١٥) ب: - أ. |
| (٦) د: عن. | (١٦) ب، ج، ز: يقتطون. |
| (٧) ج، ز: سقط ما بين القوسين. | (١٧) ب: أوامر. |
| (٨) ج: - أ. | |

وأما عندنا فأوضح مدلول عليه، وأحق حق يقصد إليه^(١).

وأما ما ذكره من كثرة الاعتراضات عليه، وازدحام الشبه فيه، فالمشرب العذب كثير الزحام، ولولا تخليطكم ما نيس^(٢) أحد بما قلتم، ولا رضي أن يتفوه [و٦٧ أ] بما^(٣) تفوهتم، وما^(٤) اعترض أحد قط على الرسل، ممن كفر وعاند بما قلتم، وإنما قالوا: هذا سحر، ولا تقبل منك معاندة، أو لا نفهم ما تقول، أو^(٥) لو شاء ربك لأرسل غيرك.

وأما حقيقة النبوة. فليست من بابتكم^(٦)، ولا يقف الأمر هناك معكم، وهي مذكورة في موضعها لأهلها، واختصار معناه أنها عبارة عن قول الله لنبيه: أنت رسول^(٧) إلى عبادي فبلغهم^(٨) كذا عني. وأما قولهم: إن الله لا يبعث رسولاً، فهذا كلام لا يقوله فلسفي، فإنه عندهم^(٩) إنما يكون ذلك من قبل نفسه، وإنما يعترض^(١٠) بهذا القدريّة، الذين حشدوا الاعتراضات من أي قبيل كانت، ولم يبالوا أن يقولوا ما خطر لهم من تخليط، قصد التشغيب، وعلى أنه ليس من الباب^(١١)، فنقول^(١٢) فيه^(١٣): بم علمتم استحالة؟ ضرورة أو نظراً؟ وتدار عليهم الأقسام المعروفة، وهذا^(١٤) يبنّي^(١٥) على ركن التعديل والتجويز، فإن عندنا أن للباريء أن يكلف ويأمر بواسطة هي الرسل، وبغير واسطة.

وأما إثبات كلام الله تعالى، فهذا سؤال القدريّة خاصة، ليس للفلاسفة أيضاً^(١٦)

-
- | | |
|---|---------------------|
| (١) ز: كتب على الهامش: عله: أو وأحق حق بفضل الله. | (٧) د: رسولي. |
| (٢) ج، ز: نيس. | (٨) ج: فيبلغكم. |
| (٣) ج، ز: ما. | (٩) ج: عنده. |
| (٤) د: فما. | (١٠) د: تعترض. |
| (٥) ب: - أ. | (١١) ب: الباري. |
| (٦) ب: بابتكم. ج، ز: بابتكم. | (١٢) ج، ز: فيقولون. |
| وكتب على هامش ز: عله: بابتكم. | (١٣) ج، ز: لهم. |
| أما معنى البائة فهو الغاية ويطلق على سطور الكتاب أيضاً. (القاموس المحيط). | (١٤) ج: وهل. |
| | (١٥) د: يبنّي. |
| | (١٦) ب: - أيضاً. |

فيه مدخل، ولا خلاف أنه عندنا وعندهم متكلم، وإن اختلفنا^(١) في تفصيل وصفه بذلك. ونكتته العقلية فيه أن من نظر إلى الخلق، علم جواز انسلاكلهم تحت أمر مطاع، ونهي متبع، وذلك يستند إلى أمر وناه، وهو الخالق سبحانه، لأن ذلك^(٢)، لا يجوز لغيره، وأما تعيين ما يأتي به فإنه معلوم أنه^(٣) بعث ليرشد إلى الأفعال المنجية من أهوال الآخرة التي لا يهتدي العقل إلى تفصيلها، ولا يتمكن من تحصيلها، وذلك يرجع إلى تفاصيل عاجلة في الدنيا، وأحكام آجلة في الآخرة، وذلك مما لا^(٤) يستقل^(٥) به الخاطر الذي يدعونه^(٦) وأما قولهم: إن القوم يأتون بما^(٧) لا يعقل فهذه جهالة قد تكلم العلماء عليها [و ٦٧ ب]، وإنما^(٨) أحاكمكم فيها إلى رؤسائهم وأحبارهم وفلاسفتهم على الحاليين، فإنهم قد أجمعوا على أن معنى من معاني الأنبياء لا يتأتى شيء^(٩) منه إلا على غاية الحكمة، وفي نهاية المصلحة، وإن من أبدع ما يدرك بنور التطهير ما وصفت^(١٠) الأنبياء من تنويع الصلاة إلى تلك الأفعال، وتضعيف السجود على الركوع، والانحطاط بواسطة الركوع إلى السجود، ونصب^(١١) صلاة على نصف صلاة، وعلى آخر ثلاثة أرباع، وأنها في^(١٢) تركيب^(١٣) أدوية القلوب، على ترتيب أدوية الأبدان، على تناسب غريب، وإن قصد بقعة وخلع كسوة، وكشف رأس، وقذف^(١٤) بحجر، كل ذلك على غاية الرياضة للنفس، في^(١٥) ترتيب التأدب، وإظهار المناحي^(١٦) الرفيعة على الجوارح، والإشارة بذلك كله إلى مقاصد في القلوب بديعة، فلا تسمع^(١٧)

- (١) د: اختلفا.
 (٢) ب، ج، ز: - لأن ذلك.
 (٣) د: - أنه.
 (٤) ج: - لا.
 (٥) ج: يستقل.
 (٦) ج، ز: تدعونه.
 (٧) د: مما.
 (٨) ب، ج، ز: أنا.
 (٩) ب، ج، ز: - شيء.
 (١٠) ب، ج، ز: ما وصف به من الأنبياء.
 (١١) ب، ج، ز: ونصف. وكتب على هامش ب، ز: نصب.
 (١٢) ج، د، ز: - في.
 (١٣) ب: تركبت.
 (١٤) د: قذف.
 (١٥) ج: - في.
 (١٦) ج: المناحي.
 (١٧) د: نسمع. ز: كتب فوق «نسمع»: نائب فاعل تسمع.

هذه الاعتراضات منكم لذلك^(١)، ولا من غيركم، لأن العقول عندنا لا تحسن لها ولا تقبيح أصلاً، ولا عند سواكم من مخالفتنا اعتراض على ما تأتي به الرسل^(٢) من المعاني التي لا تهتدي العقول إلى تفصيلها، وإنما تتلقى^(٣) بالتسليم المحض لله سبحانه، وكلنا نتلقاها بالانقياد الصرف. ثم نقول: إن قولهم هذا في وظائف العبادات من إدراك النسب في التقدير وإظهار الحكم في التدبير فدعوى عريضة باردة. نعلم^(٤) أن^(٥) ذلك لا سبيل إليه، ويأتون^(٦) ما بين^(٧) تمثيلهم لذلك^(٨) وبين تركيب الأدوية، وما بعد ما بين الحاليين في المناسبة، وإلا فكل ليبب إذا رجع إلى نفسه يجد من تركيب الأدوية، نسباً^(٩) ذكرها أرباب الصناعة، لا يقدر أن يردّها إلى قانون، أبداً. لولا التطويل والخروج إلى ما ليس من الباب، لذكرت لكم منها جملة، حتى يقال هذا الدواء يفعل مثل هذا [و٦٨ أ] وإن استويا في الوزن، أو يفعل في مثل^(١٠) هذا الموضوع^(١١) كما^(١٢) يفعل الآخر بخاصة^(١٣) أي بما لا يعقل طريقه^(١٤)، ولا يعرف تعليله، وكذلك لو فاوضتهم في قانون التشريح، فاعترضت عليهم فيما يصورونه على طريقة التعليل، بزعمهم، بهتوا، وانقطعوا.

ولقد قلت: إن القلب معلوم الشكل فلم كان على تلك الصفة، واللون، والمقدار، والوضع، والموضع^(١٥)؟ فهذه خمسة أسئلة^(١٦) لم يعرف عليها جواب ينفع، ولا فائدة لكم في ذكر الانفصال عن هذا الاعتراض، لأنه

-
- | | |
|--|--|
| (١) ز: + أولاً. وكتب على هامش ب: | د: تمثيلكم. |
| (٢) ج: ز: ما يأتي به الرسول. | (٩) د: شيئاً. |
| (٣) ب: يتلقى. | (١٠) د: - مثل. |
| (٤) د: يعلم. | (١١) ب: - الموضوع. وكتب على الهامش. |
| (٥) ج: - أن. | (١٢) ب، ج: ز: كلياً. |
| (٦) د: يأبون. | (١٣) ب: بخاصيته. |
| (٧) ج: ز: - ما بين. وكتب على هامش ز. | (١٤) ب: تعقل طريقته. |
| (٨) ج: ز: لتمثيلهم ذلك. وكتب على هامش ز: ما بين تمثيلهم ذلك. | (١٥) ب، ج: ز: - والموضع. وكتب على هامش ب، ز. |
| | (١٦) د: أسولة، ج: ز: أسيلة. |

خباط، وإذا كان القلب^(١) في صورته الجسائية لا يدرك تأصيله ولا تفصيله، فكيف بالقول في الصورة المعنوية وتعلقها^(٢) بالعقولات؟ فذلك أبعد لكم معشر المدعين، فقفوا حيث وقف بكم الشرع، ترشدوا..

ولقد نظرت في كتاب دقلتيانش^(٣) في سر الخلقة وصنعة الطبيعة^(٤)، فرأيت من الخباط ما لا عين رأت، ولا، خطر على قلب مجنون، وكأنه أراد أن يضمها إلى قانون بمضمار^(٥) العقل، فأخرجها عن أسلوب العقل، وقبل وبعد، فلم تنكرون في الخبر^(٦) ما تجدونه في النظر. وأما قولهم: لا فائدة فيها، لأن أكثر الخلق لا يقبلها. في غباوة، فإن كون الحق حقاً في نفسه، لا يؤثر فيه رد الخلق له، ألا ترى أن كل ما تذكرون^(٧) من الحقائق مردود عند أكثر الخلائق؟ أفجعلون^(٨) ذلك حجة عليكم في إبطال مذهبكم؟ فيما ألزمتوه^(٩) يلزمكم. وأما قولهم: إنه يمكن أن يكون باطلاً لما^(١٠) يريد الله من إضلال الخلق عنكم. فهذا سؤال معتزلي ليس فيه للفلاسفة مدخل^(١١)، وإنما تتلکم به المعتزلة الذين لا يجوز عندهم أن يضل الله الخلق بفعل منه ولا بقصد، والجواب عنه قد بيناه مراراً، والذي تعولون عليه الآن أن تقولوا بأن الخبر أمنا^(١٢) من ذلك، بأن الله لا يضل الخلق عموماً، ولا يضلهم على [و ٦٨ ب] أيدي الرسل، وإنما فائدة إرسالهم تمييز المهتدي من الضال، حتى يهلك من هلك عن بيته، ويحيى من حيى عن بيته.

بيروت، ١٩٦٦ م، ص ٢٠١.

(١) د: القول.

(٥) د: مضمار.

(٢) ز: كتب على الهامش: تعلقنا.

(٦) ج، ز: + على.

(٣) ب، ج، ز: فليطانش.

(٧) ب، ج، ز: يذكرون. ز: كتب

(٤) ذكره يصاحب كشف الظنون باسم:

على الهامش: عنى الفلاسفة.

سرائر الخليفة، وصنعة الطبيعة في

(٨) ب: أفيجعلون.

الكيمياء، ولكن لم يذكر مؤلفه (كشف

(٩) ب، ج، ز: التزموه.

الظنون، ج ٢ ص ٩٨٦)، وينسب

(١٠) ب، ج، ز: فيسا. وكتب على

إلى أبولونيوس الطواني وهو من

هامش ب، ز: لما.

التراث الهرمسي وموسوعة في العلوم

(١١) د: للفلاسفة مدخل فيه.

الطبيعية (هنري كوربان، تاريخ

(١٢) ج: - أمنا.

الفلسفة الإسلامية، الترجمة العربية،

وأما قولهم: إنها من العقليات أو من العادات؟ وهذا من الفصول التي عظمها الأئمة^(١)، والأمر فيه قريب، فإن المعجزة^(٢) إذا جاءت على الشروط التي رتبناها في «المتوسط»^(٣) لا تخلو أن^(٤) تأتي خارقة للعادة، خارجة عن مقدور البشر قطعاً، فهذه دلالة بذاتها لنفسها لا تفتقر^(٥) إلى كونها مقارنة للتحدي، موافقة للدعوى على الوجوه المذكورة، وإن كان مما يجري عادة، فوجه الدلالة منها عدم المعارضة فيها، كما لو قال: آتني: أن لا يحرك اليوم أحد من الخلق يداً فسكنت^(٦) الأيدي، غير متصرفة بحكم الإرادة، مع تعرض الإرادة، فهي تعلم قطعاً بصدقه^(٧). وأما قولهم: إن المرء ضعيف فعندكم أن أحداً لا يضعف عن هذا، وعندنا الذي يضعف عن هذا بأفة توجب له ذلك غير مكلف به^(٨)، وهذه الآفة^(٩) لا بد أن تكون في البدن أو في العقل فهذهين^(١٠) يكون المرء ضعيفاً. وأما قولهم: زاد النظر قليل^(١١) فليفسروا ماذا^(١٢) يريدون^(١٣) ب زاد النظر، فإنه مجاز، يصلح للوعظ، لا على طريق الدلالة، وزاد النظر، إن فسرنا نحن فهو عند الناس كثير كامل، وذلك معرفة الطريق إلى المطلوب ومعرفة ترتيبه في التدرج به^(١٤)، و^(١٥) الوصول

-
- | | |
|---|---|
| (١) ب، ج، ز: الإله. | (١١) ب، ج، ز: قليلاً. |
| (٢) ج: المعجزات. | (١٢) ج: ما إذا. |
| (٣) ج، ز: المتوسط. وهو كتاب للمؤلف عنوانه «المتوسط في الاعتقاد». | (١٣) ج، ز: تريدون. |
| (٤) ج، ز: + تكون. وشطب عليها في ز. | (١٤) ب، ج، ز: + ومعرفة الأعمال الصالحة وفي التدرج به. |
| (٥) ب: يفتقر. | (١٥) ج، ز: - و. |
| (٦) ب: فسكن. د: فتكن. ويمكن أن تقرأ: فسكن. | |
| (٧) ب، ج، ز: فتحن تعلم قطعاً به صدقه. وكتب على هامش ز: «فمتى» بدل «فتحن». | |
| (٨) ج، ز: والذي يضعف عن هذا | |

إليه، وحرزها^(١) من زيادة ما ليس منها^(٢)، أو نقصان ما هو منها، وأنتم في «المنطق» بهذا تفخرون^(٣)، وعليه تحومون، وما اختل قط نظر إلا من إحدى هذه الطرق الثلاث، أو^(٤) مجموعها، أو اثنتين^(٥) منها. وأما قولهم: إن الشعوب^(٦) كثيرة. فلا ينبغي لهم أن يروا القذاة عندنا، ويدعوها^(٧) في أعينهم جذعاً، فإن شعوبكم في طريقكم أكثر، ومطلوبكم أشكل، وتسفركم أطول، ومطلوبكم [و ٦٩ أ] أعسر دركاً، وهذا بين بالاختبار، فافرضوا مسألة لأنفسكم حتى أريكم مثلها، في مرتبتها على حالها، وكنت أذكرها لكم، لكن أكره تنبيههم، والذي يتخذونه^(٨) دستوراً معهم^(٩) نكتة، أبينها^(١٠) لكم، وهي^(١١) أنهم متى ذكروا مثلاً من مبادئ نظريهم، فقابلهم بمثال من أوائل نظرك، ومتى ذكروها من الثواني فاذكرها^(١٢) كذلك من ثوانيك، ومتى ذكروا غاية أو طويلاً^(١٣) كان ذلك جوابهم، وأراحوك من كد النظر. وأما قولهم: إن العمر قصير فليس هذا بشيء من الدليل، وإنما هو وعظ، والعمر وإن قصر، فالتكليف والابتلاء الذي ألزم الله العبد على قدره، لا ينقص^(١٤) عنه شيء منه، وعليه أن يقوم بحق الأمر ما أرخى^(١٥) له في الطول، وفسح له في المهل، وأنتم تقولون: لا دار إلا هذه، فلو كانت له بأسرها ما كان مستوفياً أملاً، ولا قاضياً حوجاء^(١٦).

-
- | | |
|---|--|
| (١) ب، ج، ز: وحرزها. | (١٠) د: أثبتها لكم. |
| (٢) د: فيها. | (١١) ب: وهو. |
| (٣) ج: تعجزون. | (١٢) ج، ز: فاذكروه. د: فاذكروه. |
| (٤) ب: + من. | (١٣) كذا في جميع النسخ. وهو غير واضح المعنى. |
| (٥) د: اثنين. | (١٤) ب: يغيض، د، ز: يفيض. وكتب على هامش ز: عله: ينقص. |
| (٦) ب، ج، ز: + فيه. | (١٥) ج: أرضى. |
| (٧) د: يدعوها. | (١٦) ج: حاجة، والحوجاء هي الحاجة يقال: مالي فيه حوجاء ولا لوجاء. |
| (٨) ب: تتخذوه، تجدونّه، ز: يتخذوه. | |
| (٩) يبدو أن ما بعد «نكتة» هو خبر «والذي». | |

وأما قولهم: إن الواصل قليل. فإنه ينعكس عليهم^(١) في الذي يدعون^(٢) أنه الحق، ومطلوب، فالواصل إليه أقل، وهو عندكم معدوم. وأنتم تقولون: إن النبوة ممكن دركها لكل أحد، والذي يناها أقل من القليل. وأما^(٣) نحن فعندنا بمن^(٤) يصل إلى مطلوبه عدد رمل يبرين ومهى^(٥) فلسطين. وقولهم: كيف تقطع هذه العقاب الشاقة، فينعكس عليهم، وكذلك في قولهم: إن الآلات لقطعها ضعيفة مثله في الانعكاس، وهذا تكرار منهم للقول، قد بينا أنها قريبة قوية فإنها^(٦) العقل، فإن ادعوا آلة^(٧) فليذكروها. وقولهم: إن السفر طويل. بل قصير بلا خلاف فإن مسافة السفر هي العمر^(٨)، وما^(٩) أقله! وليس^(١٠) بعد ذهابه سفر عندنا ولا عندهم، وإنما هو مقر جنة^(١١) أو سقر. وأما قولهم: لقد أبعدتهم النجعة في نيل الحكمة، إلى آخر كلامهم المتقدم. فإنه يقال لهم: إن الذي تقدم من كلامنا [٦٩ ب] في العقل والعلم يغني عن إعادته ولكننا نثني عليه طرف العنان^(١٢) لما قد ذكروه من العناد^(١٣)، فنقول: إن وجه تغالطكم أو غلطكم أن الحكمة خفيت عليكم، فزعمتم أنها قوة عقلية تتلقى^(١٤) بها العلوم من الملاء الأعلى، في كلام طويل، يركبون عليه مقاصدهم^(١٥)، وليس للحكمة معنى إلا العلم، ولا للعلم، معنى إلا العقل، إلا أن في الحكمة إشارة إلى ثمرة العلم، وفائده^(١٦)، ولفظ العلم مجرد من دلالة على غير ذاته، وثمره العلم العمل بموجبه، والتصرف بحكمه، والجري على مقتضاه في جميع الأقوال والأفعال، وبناء على ذلك يقتضي أن تجري الأفعال والأقوال على قانون، ولا^(١٧) يسترسل

- | | |
|---------------------------|-------------------------------|
| (١) د: عليكم. | (٩) ب، ج، ز: وأما |
| (٢) د: تدعون. | (١٠) ج، ز: فليس. |
| (٣) ب: إنما. | (١١) د: الجنة. |
| (٤) ج: فمن. | (١٢) أي سير اللجام. |
| (٥) ج: مهر. | (١٣) أي المعارضة. |
| (٦) ب، ز: بابها، ج: بابه. | (١٤) ب، ج، ز: يتلقى. |
| (٧) ب: آية. | (١٥) د: تركيبون عليه مقاصدكم. |
| (٨) ب، ج، ز: + بلا خلاف. | (١٦) ج: تكرر: وفائده. |
| | (١٧) ب: فلا. |

على الممكنات، وكذلك بناء ح ك م مثله في اقتضاء ذلك، وعلى هذين المعنيين يصرف^(١) هذان اللفظان حيث وردا، وإلى ذلك يرجع^(٢)، قال الله تعالى^(٣): ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ [البقرة: ١٢٩]، وقال: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ [البقرة: ٢٦٩] والمعنى به في الأولى^(٤) علم الكتاب، وفي الثانية العلم المطلق. وليس يمتنع في اللسان العربي أن يسمى العمل^(٥) بمقتضى العلم حكمة، على معنى تسمية الشيء بشمرته، وفائدته، كما يبناه في أصول الفقه، لا سيما وقد أعطاه لفظه، ودل عليه وضعه^(٦).

وإذا ثبت ذلك فليس يهب العلم نفسه، ولا يكون ذلك إلا من قبل العالم الذي لا يوهب علماً، ولا يتصور في جهته^(٧) طريق إلى تحصيل ما لم يكن قبل، ولا بد للأشياء من مبادئ، وتنتهي^(٨) إلى مبدأ لا^(٩) مبدأ قبله، وهذا عكس النهاية، فإنه لا انقطاع لها، والعلوم على الصفة التي بينها^(١٠)، منها^(١١) ما يوجد من الواهب ابتداء، ولا سبيل إلى تفصيلها، ومنها ما يترتب على أسباب، وترتيبها على أسبابها [و ٧٠ أ] ليس على كل وجه يتصور ويخطر، وإنما يجري ذلك على قانون مدرك بالتعليم، ولا يعلم آخر إلا واهب العلم^(١٢) أولاً، وإذا تأمل المنصف وضع^(١٣) الاعتقادات في النفس، والأعمال في الجوارح، وتركيب بعضها على بعض، رأى أنه أمر لا يستقل به الأدمي، فإنه أمر^(١٤)

-
- | | |
|--|---|
| (١) ب: تصرف، ج: ز: نصرف. | (٧) ج: جهة. |
| (٢) أي التصرف. ولقد حاول الشيخ ابن باديس أن يؤول ما في نسخه من «قال الله» فيرجعها إلى «قول الله» ولكن ذلك لا يستقيم. | (٨) ب: ينتهي. |
| (٣) ب، ج: ز: سبحانه. | (٩) ج: ولا. |
| (٤) ب، ج: ز: الأول. | (١٠) ب، ج: ز: تنامي. |
| (٥) د: الفعل. | (١١) ب، ج: ز: منه. وكتب على هامش ز: منها. |
| (٦) د: موضعه. | (١٢) ج: - العلم. |
| | (١٣) ب: كتب على الهامش: هذا في نسخة. |

(١٤) د: - أمر.

موضوع في أصله على تدبير^(١)، فالذي دبر الوضع الأول، دبر الثاني، وأنت إذا أضفت تدبيره إليه، وأحلت به عليه، مع علمك بأنه عارية فيه، فلا بأس بذلك، فقد أذنت^(٢) فيه الشريعة، وإن أنت أعطيته الكل، وحكمت له بأنه أدركه بذاته فقد جهلت نفسك ومن لا يعلم نفسه، كيف يعلم غيره؟.

ومن كلام الناس الذي لم يصح عن رسول الله ﷺ: «الحكمة ضالة المؤمن». يعني به العلم^(٣) المكتسب، ولما رأى الناس بعضهم يقترف ما يقر بضرره ويعترف^(٤)، قالوا: إنه ليس بحكيم، أي ليس بعالم لأن عمله^(٥) بخلاف ما استقر في علمه، دليل على^(٦) الجهل، بما ادعى أنه علمه. وإلى هذا المعنى عاد قوله ﷺ^(٧): «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»^(٨) حسبما بيناه في شرح الحديث وغيره، وأشرنا إليه آنفاً^(٩)، وكيف يصح أن يكون عالماً بشيء، يقتحم^(١٠) خلافه؟ كما لا يصح أن يضع^(١١) أحد رأس سيفه في الأرض^(١٢)، وذبابه بين ثدييه، ويتحامل عليه، وهو عالم بأنه هالك به^(١٣)، ولا أن يخرج عينه بيده، ومن فعل ذلك، فإنما هو لذهاب عقله، أو ليدفع بذلك ضرراً أشد منه، فيكون في الأول^(١٤) عاملاً بغير علم، وفي الثاني عاملاً بعلم،

-
- | | |
|-----------------------------------|------------------------------------|
| (١) ز: كتب على الهامش: مبحث جليل | (٥) ب، ج، ز: أي علمه. |
| في وضع الاعتقادات في النفس | (٦) ب، ج، ز: - على. |
| والأعمال في الجوارح وأنه لا يستقل | (٧) ب، ج، ز: - صلى الله عليه وسلم. |
| به الأدمي. | (٨) رواه الشيخان. |
| (٢) ز: كتب على الهامش: يعني أن | (٩) ب، ج، ز: - آنفاً. |
| الشريعة نسبت الأفعال إلى الخلق. | (١٠) د: يفتح. |
| (٣) ب، ج، ز: يعني بالعلم. وكتب | (١١) ج: يصنع. |
| على هامش ب، ز: يعني به العلم. | (١٢) ز: بالأرض. |
| (٤) ج: يعترف ما يقر بضرره ويعترف. | (١٣) ب، ج، ز: - به. |
| ز: يقر: بقترف. | (١٤) ب، ج، ز: الأول. |

وهذا المعنى إذا فهمته زده تقريراً^(١)، وركب عليه ما تحتاج^(٢) في التفهيم^(٣)، أو في النظر إليه.

وأما فضيلة^(٤) الشجاعة فحقيقتها^(٥) إنما هو ثبات^(٦) النفس عند حلول المصائب، وذلك يرجع إلى دوام العلم وحضوره، فإذا كان المرء عالماً بالأمر، وطراً^(٧) عليه ما يذهله عما كان يعلمه صار [و ٧٠ ب] فعله غير محصل، أو يعلم آخر طراً عليه، أو وهم لم يتعلق بالموهوم على ما ينبغي، أو مشكل من المعنى لم يتبصر وجه كشفه، وأعجلته الحالة عن تحقيقه^(٨)، فأما^(٩) إذا حضره^(١٠) العلم فلا يبالي عما ينزل به، من مصيبة، أو يطرأ عليه من مشكل، فإنه يقابله بما عنده من الكشف والإيضاح. وقد قالوا: إن الشجاعة فضيلة للقوة الغضبية، وهذه حقيقة، يريدون أن يركبوها على دعوى يدعونها، وليس للغضب قوة، ولا للحمية التي يزعمون أنها تنضاف إليها، أو تتعاقد معها، لا سيما على أصلهم في التوليد، فإنه أمر طبيعي، فلم يركبون عليه ما يجري مجرى الخطبة^(١١) التي هي عندهم في غير طريق التحقيق والبرهان^(١٢)؟ وقالوا: إن التهور زيادة على اعتدال القوة الغضبية، والجبن نقصان منها. وهذا كله كما يقول أهل بغداد: «بناء شاذوف^(١٣) على قاذوف ليأتي منه لافوف».

فليس لهذه^(١٤) الأقوال كلها معنى إلا نقصان العمل، بما يطرأ من الآفات، فيصدر العمل على^(١٥) جهل، فيقع بخلاف الطبقي، وخارجاً^(١٦) عن الوقف.

- | | |
|-----------------------------|-------------------------------|
| (١) ج، ز: تقريراً. وكتب على | (٩) ب، ج، ز: - فأما. |
| الهامش: تقريراً. | (١٠) ب، ج، ز: فإذا أحضره. |
| (٢) ج، ز: يحتاج. | (١١) ب، ج، ز: الحطة. وكتب على |
| (٣) د: التفهم. | هامش ز: عله: اللحظة. |
| (٤) ب، ج، ز: قصة. | (١٢) ب، ج، ز: - والبرهان. |
| (٥) ب، ج، ز: فحقيقتها. | (١٣) ب: شاذوف. |
| (٦) ج: نبات. | (١٤) ج، ز: لهذا. |
| (٧) ب، ج، ز: فطراً. | (١٥) د: عن. ز: في الهامش: في |
| (٨) ب، ج، ز: تحققة. | نسخة: عن. |
| (١٦) ب، ج، ز: خارج. | |

وأما العفة فيعبرون على طريقتهم^(١) عنها، بأنها فضيلة في القوة الشهوانية^(٢)، وهو انقيادها للقوة العقلية، وعدوها^(٣) عن زيادة الشره^(٤)، وجعلوا لذلك أسباباً من الحساب في الطعام والشراب، وحملوا تقليلها^(٥) على قلتها، وتكثيرها^(٦) على كثرتها، وبنوا على ذلك حكمهم وحكمهم فيها، وليس الأمر كما زعموا، لا سيما ورئيسهم الأعظم - كما قدمنا - يقول: ليس يوجد اعتدال بحال^(٧). وإنما بناء «ع ف ف»^(٨) وبناء «ك ف ف» على بعض متناولات^(٩) بناء «ت رك» وذلك أن الترك^(١٠) عبارة عن فعل، وتحقيق الترك عما لم تعلمه^(١١) الفلاسفة، ولا القدرة وإنما أدركه أهل السنة، فتبين أن العفة ترك الأفعال القبيحة إذا علم قبحها [و ٧١ أ] وتحقيق^(١٢) مضرتها، وهذه الألفاظ التي يستعملونها، ليس لها عندهم أصل، إذ لا قوة عندهم، ولا قدرة، وإنما هي طبيعة^(١٣) غالبية، ومعان مرتبة^(١٤)، دائرة ضرورة^(١٥) لا^(١٦) تتعلق^(١٧) بإثثار، ولا تجري^(١٨) على اختيار، فيريدون أن يدعجوا لفظ^(١٩) الطبيعة، ويخرجوا لفظ القوة، ليثبتوا^(٢٠) للجادات قدرة، وينفوا قدرة الفاعل الأول، فيخلطوا ويخلطوا^(٢١)، وينظموا هوسهم في سلك الألفاظ العربية، والنبوية، تيمناً بها واسترسالاً للعامّة عليها، ويخترعوا لذلك أخباراً عن

- | | |
|---|--|
| (١) ب، ج، ز: طريقتهم. | (١٣) ب: طبيعة. |
| (٢) د: الشهوة. | (١٤) ب، ج، ز: مرتبة. وكتب على هامش ب: في خ: زيادة: |
| (٣) د: عدوها. | تجريبية. وكتب على هامش ز: تجريبية بدل مرتبة. |
| (٤) ب: الشدة، ز: الشره. | (١٥) ب، ج، ز: ضرورة. وكتب على هامش ز: ضرورة. |
| (٥) د: بتقليلها. | (١٦) ب، ج، ز: ولا. |
| (٦) د: بكثيرها. | (١٧) ب: يتعلق. |
| (٧) ج، ز: + بحال. قارن (مقاصد الفلاسفة، ص ٣٣٦) ويقصد بالرئيس هنا أرسطو. | (١٨) ب: يجري. |
| (٨) ب، د: - و. | (١٩) ج، ز: - لفظ. وكتب على هامشها. |
| (٩) ب: بنا فلا ر. | (٢٠) ب، ج، ز: وثبتوا. |
| (١٠) ز: كتب على الهامش: النزاع. | (٢١) ج، ز: - ويخلطوا. |
| (١١) ب، ج، ز: لا يعلمه. | |
| (١٢) د: تحقيق. | |

النبي ﷺ^(١) لا أصل لها، تلوح بالإشارات إلى أغراض يوهون^(٢) أنها أمور غامضة^(٣)، يقصر الخلق عنها، فيشار إلى الأفراد بها.

وأما العدل فهو عندهم عبارة عن اتساق قوى هذه الفضائل الثلاث في جهتي^(٤) الإباء^(٥) والانقياد، على التناسب والسداد، ويقال لهم: ليس^(٦) هناك قوة ولا قدرة، والانتظام إنما يكون على النظام الأسد الذي رتبته صاحب الشرع، وأنتم لا تدرونه، وحقيقة العدل في اللغة أنه^(٧) مصدر، وحقيقته في الحقيقة، ما للفاعل أن يفعله، فذلك هو العدالة، وهو^(٨) العدل، فلذلك كان الباري تعالى^(٩) بالحقيقة وحده العدل^(١٠)، لأنه له أن يفعل ما يشاء من تعذيب جميع الخلق، أو تنعيمهم، فيكون في العدل أو الفضل أو^(١١) كليهما^(١٢) سواء^(١٣) والعدل منا هو الذي يفعل ما أمر به، وإذا تتبعنا ألفاظهم التي استعاروها، ليعروا^(١٤) ويعروا بها في تعبيرهم عن مقاصدهم، يخطئون^(١٥) بها قلوب السخفاء القاصرين^(١٦) لم تجد^(١٧) فيها شيئاً يجري^(١٨) على الاستقامة. فيرجع^(١٩) العدل والعدالة إلى العلم ارتباطاً، لأنه إذا عمل بما علم كان عدلاً، وقد بينا ذلك في غير موضع، وهذه الإشارة، تكفي في هذه العارضة.

(١٠) ج، ز: + من أسائه تعالى. في الهامش.

(١) د: - صلى الله عليه وسلم.

(٢) د: ويوهون.

(١١) ب، ج، ز: - أو.

(٣) ب، ج، ز: عاصمة. وكتب على

(١٢) د: كلاهما.

هامش ز: عله: غامضة.

(١٣) د: - سواء.

(٤) ب، ج، ز: جهة.

(١٤) ب: ليعروا.

(٥) ج، ز: الأنام.

(١٥) د: يخطئون.

(٦) ج: - ليس.

(٢٦) ج، ز: كتب على الهامش:

(٧) ج، د، ز: - أنه. وكتب على

العاجزين.

هامش ز.

(١٧) ز: كتب على الهامش: جواب إذا.

(٨) د: - هو.

(١٨) د: - يجري.

(٩) د: - تعالى.

(١٩) د: ويرجع.

علاقة:

أخبرني أبو القاسم بن المنفرج ^(١) بزقاق [و ٧١ ب] القناديل أنه سمع ابن رضوان ^(٢) الفيلسوف يقول حين قرئت عليه صفة النبي ﷺ في حديث هند، وغيره: هذه الصفة لا تكون إلا لنبي، ولا يحتاج معها في الدلالة إلى غيرها فإن اعتدال الخلق ^(٣) يدل على اعتدال الخلق، وإنها جميلة ^(٤) صدرت عن النور الساطع، والحق الذي ليس عنده باطل، وأنه لم يلق في طريقه ظلمة، ولا آفة ^(٥)، حتى خلص للوجود على نهاية الكمال في الصنع. وهذه نزعة ^(٦) القوم، فقد قال قبله ثمامة بن أشرس: إن النبوة لا تفتقر في دليلها إلى آية ^(٧) خارقة للعادة، ولا معجزة تبهر العباد، وإنما يكون دليل صدقه اتساق كلامه، وعدالته في نفسه، وجرى جميع ^(٨) ما يأتي به فعلاً، أو يخبر به ^(٩) قولاً، على استقامة ^(١٠)، مع إحكام ما يربطه من قانون، ويبلغه إلى الخلق من توظيف، وسلامته من التشبيح ^(١١) والتناقض.

قال القاضي أبو بكر ^(١٢) رضي الله عنه: أما قول ابن رضوان فغير مرضي عند أحد، ولا تكلم به قائل عندنا ولا عندهم، لأن اعتدال البدن الجسماني لا يتعلق بالروحانيات عندهم، وإنما يرتبط بها، ويكون في منوال معها، القلب، وإنما أراد ابن رضوان أن يجعلها عندنا دفعة، ونحن لا نقبلها

- | | |
|--------------------------------------|--------------------------------------|
| (١) ج، ز: المنفرج. د: المنفوخ. | أصيبة، ص ٣٢٥. |
| وكتب على هامش ج، ز: المنفوخ. | (٣) ب: الخلق. |
| هو من أهل القرن الخامس. ولم | (٤) ب، ج: جملة. د: جملة. |
| نعثر له على ترجمة. | (٥) ب، ج، ز: + ولا نقص. |
| (٢) علي بن رضوان بن علي بن جعفر أو | (٦) د: نزعة. |
| الحسن رئيس الأطباء في مصر ليس له | (٧) د: آلة. |
| أهمية فلسفية فيما يرى القفطي واعتبره | (٨) د: - جميع. |
| تغري بردي من كبار فلاسفة الإسلام. | (٩) ز، د: عنه. |
| توفي سنة ٤٥٣ هـ/ ١٠٦١ م (القفطي)، | (١٠) ز، د: الاستقامة. |
| تاريخ الحكماء، ص ٤٤٣، النجوم | (١١) ج، د، ز: التشبيح. ومعنى التشبيح |
| الزاهرة لتغري بردي، ج ٥ | اضطراب الكلام. |
| ص ٦٩. طبقات الأطباء لابن أبي | (١٢) د: قال أبي. |

منه، ولا نحتاج ^(١) إليه فيه، ولا معنى لها في دينه، فصارت لغواً في حقه، وأما قول ثمامة، فلا يساوي ثمامة ^(٢)، وقد بينا في كتب الأصول أن هذا الذي ذكره ^(٣)، هو شرط النبوة، لا دليلها، وإنما بنى ^(٤) كلامه البائس المخذول على مذهبهم، في أن النبوة مدركة بالاختيار، وأنه الذي يضع من قبل نفسه القوانين فيرتب ^(٥) الأمور.

وهذا مما يعلم بطلانه قطعاً فإن من نظر إلى كلام محمد صلى الله [و٧٢أ] عليه وسلم، وما أبان من المعاني، وأوضح من المقاصد، وأخبر عنه من الكوائن، ونظم من الترتيب، وقدر من التدبير، ودخول جميع ^(٦) المعاني من جميع الخلق، أفعالاً وأقوالاً، تحت ذلك النظام ^(٧)، علم قطعاً أنه أمر يفوق طاقة ^(٨) البشر، وأنه لا يحصى فيه إلا موجدهم، ولا يرتبه لهم إلا عالمهم وخالفهم. وهذه غاية في العصمة، والحمد لله والمنة.

قاصمة ^(٩):

ثم نظرنا في طائفة نبغت يقال لهم أصحاب الإشارات، جاءوا بالفاظ الشريعة من بابها، وأقروها على نصابها، لكنهم زعموا أن وراءها معاني غامضة خفية، وقعت الإشارة إليها من ظواهر هذه الألفاظ، فعبروا إليها بالفكر، واعتبروا منها في سبيل الذكر، وزاحمتهم من الطوائف الأول زمرة، لبست لبستهم، وتكلمت كلمتهم، ونحن نجتمع بين الطائفتين في مكان، لأنه أخصر في البيان، وإن اعترض غيرها لفنائه فيها، وظاهر هذا القول أنهم قصدوا خيراً فأشادوا ^(١٠) علماً، وربما تراقى الأمر بالتبع له، وإدخال ما ليس

(٧) ب: كتب على الهامش: هذا في

نسخة.

(٨) ز، د: طوق.

(٩) أول الجزء الثاني في نشرة ابن

باديس.

(١٠) ب: فأساءوا.

(١) ج، ز: لا نحتاج.

(٢) ج، ز: + ابن أشرس.

(٣) د: ذكره.

(٤) ب: يبقى. ج، ز: بينى.

(٥) د: ويرتب، ز: كتب على الهامش:

ويرتب.

(٦) ب، ج: جمع.

فيه إلى ما لا ينبغي منه، ومتعلقهم في ذلك أن السلف ما زالوا يبطنون^(١) مثل هذا المعنى، ويجعلونه من باطن علم القرآن الذي قالوا فيه إن للقرآن ظاهراً وباطناً، وحداً ومطلعاً حسباً قررناه في كتاب «قانون التأويل». ولقد صحبت منهم كثيراً، وفاوضتهم طويلاً، وهم عصبة بتلك الديار ورؤوسها^(٢) في العلم، وفاوضتهم، وطلبت منهم، وطالبتهم بالأدلة، فتعلقوا بما قدمته من آثار السلف، ومنهم من قال: هذا مقصود الشريعة من تأديب الخلق واصلاحهم، بالتصريح تارة، وبالإشارة أخرى، فإن القرآن نزل ببلغة العرب، وهذه سيرة العربية، وما من كلام إلا وهو في لسان العرب يحتمل وجوهاً، ويدل على معان [و ٧٢ ب]، ولا يدرك حقيقتها إلا الكامل بنور العلم، أو لا ترى ما ورد في الحديث الصحيح، عن ابن عباس^(٣) أنه قال: كت أقرى رجلاً من المهاجرين منهم عبدالرحمن بن عوف^(٤)، فبينما أنا معه^(٥) في منزله بمنى وهو عند عمر^(٦) في آخر حجة حجها إذ رجع عبدالرحمن بن عوف فقال: لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم فقال: يا أمير المؤمنين هل لك في فلان يقول: لو قد مات عمر لبايعت فلاناً، فوالله ما كانت بيعة أبي بكر^(٧) إلا فلتة فتمت، فغضب عمر، وقال: إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغضبوهم أمورهم. قال عبدالرحمن: فقلت: يا أمير المؤمنين لا تفعل فإن الموسم يجمع رعاك الناس، وغوغاءهم، وإنهم هم الذين يغلبون على قولك^(٨) حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم^(٩) فتقول مقالة يطيروها^(١٠) عنك كل مطير^(١١)، وأن لا يعوها،

(١) عمر بن الخطاب توفي سنة

٢٣ هـ / ٦٤٣ م.

(٧) أبو بكر الصديق توفي سنة

١٣ هـ / ٦٣٤ م.

(٨) د: قريك. وكتب في هامش ز:

قريك.

(٩) د: - وأنا أخشى أن تقوم.

(١٠) د: يطيروها.

(١١) ب، ج، ز: - أن.

(١) ج: يصنون.

(٢) د: + ورؤساؤها. وكتب على هامش

ز: ورؤساها.

(٣) عبدالله بن عباس توفي سنة

٦٨ هـ / ٦٨٧ م.

(٤) عبدالرحمن بن عوف الزهري توفي

سنة ٣٢ هـ / ٦٥٣ م.

(٥) ب، ج، ز: - معه.

ولا يضعونها على مواضعها، فامهل حتى تقدم المدينة، فإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس، فتقول ما قلت متمكناً، فيعي أهل العلم مقالتك فيضعونها^(١) مواضعها^(٢).

قال القاضي أبو بكر^(٣) رضي الله عنه: فقد كان خوف سوء التأويل للقول، وحمله على غير وجهه، مخوفاً في الصدر الأول. قالوا: ^(٤) ولم يكن لإشارة القول وعبارته، والتجاوز به إلى كثير من معانيه، إلا حال النوم^(٥)، وهو معدن إبطار^(٦) الحقائق، وفيه يبدي الملك غامض علمه، ويلقي الغيب على من يشاء^(٧) الله من عباده. وقال لي محققهم الأكبر: هذه أمثال الله في كتابه، وإشاراته^(٨) إلى علومه، وذكر أمثال^(٩) الأنوار للهدي والإيمان، وكذلك أمثال النبات كقوله تعالى^(١٠): ﴿ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة﴾ [إبراهيم: ٢٤] وذكر أمثال الماء والنار في سورة الرعد، وما جرى على لسان النبي منها في حديث أبي موسى^(١١) وغيره، وتشبيه العلم والإيمان فيه بالغيث [و٧٣ أ]، والسامعين له بأنواع الأرض، وأخذ القوم من ذلك أنموذجاً، منه^(١٢) قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، وسعى في خرابها﴾ [البقرة: ١١٤] وقالوا: إن الله نبه بذلك على أنه لا أظلم

- (١) ب، ج، ز: فيضعوها.
(٢) أخرجه البخاري ومسلم ولفظه عند مسلم: وأن مثل ما بعثني الله عزوجل من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به.
- (٣) د: قال أبي.
(٤) د: + لو.
(٥) ب، ج، ز: حوار اليوم. وكتب على هامش ز: إلى حال.
(٦) ب: أنصار. ج، ز: أنصاب.
(٧) د: شاء.
(٨) ب، ج، ز: إشارته.
(٩) ز: في نسخة: مثال.
(١٠) د: - تعالى.
(١١) عبدالله بن قيس تسوفي سنة ٤٤ هـ / ٦٦٤ م.
(١٢) ب، ز: - منه. وفي الهامش: في نسخة: منه.

من خرب أركان الإيمان بالشهوات، وهي قلوب المؤمنين وعمرها بالمنى والشهوات، وشحنها بحجة الدنيا، وفرغها^(١) من حجة الله تعالى، ثم قال: ﴿ولله المشرق والمغرب﴾ [البقرة: ١١٥] وأشار بذلك إلى مشارق القلوب، وهي نجوم العلوم التي تطوف وتسير في ظلمات المنى والشهوات، وشموس المعارف فوقها، فإذا طلعت بعد ذلك شمس المعارف، خفيت النجوم الشارقة^(٢) قبلها، وكل لله ومنه، وبعضها أنور من بعض، ومنه قول الخليل حين لاح له نجم العقل فعلم الحق فقال: ﴿هذا ربي﴾ [الأنعام: ٧٧] ثم أسفر الصبح، وفتح^(٣) النهار، وطلع شمس العرفان، من برج مشرقها، فلم يبق للطلب^(٤) مكان، ولا للتجويز حكم، ولا للتهمة قرار، فقال: ﴿إني بريء مما تشركون﴾ [الأنعام: ٧٨].

عاصمة:

فتلقت جميع ذلك ووعيت، وأنا إلى أصل المأخذ ناظر، وعلى أعطافه بالتفكر مائل^(٥)، والذي^(٦) تحرر بعد تحرير الافتكار في سبيل النظر والاعتبار أن الصريح عام في الدين، به جاء البرهان، وعليه دار البيان، فلا يجوز أن يعدل بلفظ عن صريح معناه إلى سواء، فإن ذلك تعطيل^(٧) للبيان، وقلب له إلى الإشكال^(٨)، فإذا تقرر الصريح في نصابه، فالإشارة بعد ذلك إلى الأمثال والأشياء، والتنبيه^(٩) لوجه التشبيه^(١٠)، أصل عظيم في العقل، وباب متسع في الدين، وسبيل واضحة^(١١) في الشريعة، فإن كانت في الأحكام فهو باب

(٨) ز: كتب على الهامش: قف وتأمل

في جواب هذا العلامة، فليدركه ما

أدق فهمه. وما أعلمه وأقدره على

الحجاج، في أنه لا يجوز أن يعدل

بلفظ صريح معناه إلى ما سواء.

(٩) ج: التشبيه. د: التنبيه.

(١٠) د: التشبيه.

(١١) د: واضح.

(١) ج: فرعها.

(٢) ج: ز: أشارقة.

(٣) ب: منع. ج: ز: طلع. ومعنى

متع النهار: ارتفع قبل الزوال

(القاموس المحيط).

(٤) ب: للطلب.

(٥) ب، ج: ز: قابل.

(٦) د: فالذي.

(٧) ج: تفصيل.

القياس، وإن كانت في التذكير والسوخط، فالعبرة بمباحة، وإن كانت في التوحيد ولم يذكر في معرض المثل، فهي على حقيقتها [و ٧٣ ب] لاحظ فيها لغير^(١) التنبيه بقدرة على قدرة، ويتقدس^(٢) على تقدس^(٣) وإن^(٤) ورد على طريق المثل، فقد مهدت قاعدته، ومضى على محتملاته، قال الله تعالى: ﴿وضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون﴾ [الزمر: ٢٩] فتولى هو ضرب المثل لنفسه، ونهانا نحن أن نضرب له من قبل أنفسنا، فقال: ﴿فلا تضربوا الله الأمثال، إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ [التحل: ٧٤] وإن نهت^(٥) في المواعظ والتذكير، فذلك مع اجتناب الغلو، وتوقي الإفراط، حتى يعود ذلك بزيادات لا تلزم، أو^(٦) ينقلب الحال^(٧)، فيجعل المذكور تبعاً، والنهية عليه أصلاً، والمشار إليه مقصداً^(٨)، وأنا أضرب لكم في ذلك ثلاثة أمثال:

المثال^(٩) الأول: الآية المتقدمة: ﴿ضرب الله مثلاً رجلاً﴾ قيل^(١٠) هو الكافر، وقيل هو البصم، وقيل هو العاصي، وقيل هو المقبل^(١١) على الدنيا. ﴿فيه شركاء﴾ قيل الآلهة^(١٢)، وقيل الشياطين. و﴿متشاكسون﴾: مختلفون^(١٣). و﴿رجلاً﴾: قيل المؤمن، وقيل المطيع، وقيل المقبل^(١٤) على الله دون الدنيا^(١٥)، وقوله^(١٦): ﴿سليماً﴾^(١٧) لرجل: ﴿لله بالإيمان﴾^(١٨) لله بالطاعة، بالإعراض عن غيره، ﴿هل يستويان مثلاً﴾ فالرجل الأول ضربه الله^(١٩) مثلاً للكافر، في قول،

- | | |
|-------------------------------|---------------------------------|
| (١) ج: بغير. | (٩) ج، ز: المثل. |
| (٢) ب، ز: تقدس. وكتب على هامش | (١٠) د: - قيل. |
| ز: وتقدس. | (١١) د: كافر، بصم، عاص، مقبل. |
| (٣) ب، ز: تقدس. | (١٢) ج: الإلهية. د: - قيل. |
| (٤) ب، ج، ز: فإن. | (١٣) د: - مختلفون. |
| (٥) ب، ج، ز: شبهت. وكتب على | (١٤) د: المؤمن، المطيع، المقبل. |
| هامش ب، ز: تنبّهت. | (١٥) ب، ج، ز: - دون الدنيا. |
| (٦) ب: - أ. | (١٦) ج، د: - وقوله. |
| (٧) ب، ج، ز: المحال. | (١٧) د: سالماً. |
| (٨) د: مقصوداً. وكتب على هامش | (١٨) ب، ج، ز: - لله بالإيمان. |
| ب، ز: مقصوداً. | (١٩) ب، ج، ز: - الله. |

وللصنم في آخر، وللعاصي^(١) في ثالث، وبالإشارة^(٢) إلى مقبل على الدنيا في رابع، وقوله: ﴿فيه شركاء﴾ قيل الآلهة تدعيه، وقيل الشياطين، وقوله: ﴿ورجلاً مسلماً لرجل﴾: قيل هو مثل للمؤمن، وقيل: للمطيع^(٣)، وقيل في الإشارة للمقبل^(٤) على الله، للمعرض عن الدنيا، ولا إشكال في أن المثل المضروب للمؤمن والكافر^(٥)، فهو الأصل الذي بعث لأجله^(٦) النبي ﷺ^(٧)، والذء العضال، والطاعة والمعصية منه، والإقبال على الله والإعراض عن الدنيا، وإن كان معنى صحيحاً، فإننا لا نقطع^(٨) على أن الآية سبقت له، ولا ينبغي أن يكون مراداً بها، ولكننا نقول: إن الأدلة المنصوصة من القرآن، والسنة، قد جاءت فيه، فلا نفتقر إلى^(٩) أن نقول: من ها هنا [و ٦٤ أ] نأخذه، فإنه لا خلاف بين الأمة في أن المسألة إذا وجد جوابها، وظهر حكمها صريحاً في دليل، لا يطلب بالتضمنين^(١٠) من غيره.

المثال الثاني: قالوا إن: قوله تعالى: ﴿فاخلع نعليك﴾ [طه: ١٢] الإشارة فيه إلى خلع الدنيا والآخرة من قلبه^(١١)، وقيل تنق^(١٢) من^(١٣) نوعي أفعالك. وقالوا: في قوله: ﴿ألق عصاك﴾ [النمل: ١٠] أي^(١٤) لا يكون لك معتمد، ومستند^(١٥) غيري.

قال القاضي أبو بكر رضي الله عنه^(١٦): هذه إشارة بعبدة أو قل معدومة، فإنها إلى غير مشار^(١٧)، و^(١٨) ما أمر بطرح النعل إلى لأحد وجهين:

(١) ب، ج، ز: العاصي.

(٢) ب، ج، ز: الإشارة.

(٣) ب، ج، ز: المطيع.

(٤) ب، ج، ز: المقبل.

(٥) د: للمؤمنين والكفار.

(٦) د: لأصله.

(٧) د: - صلى الله عليه وسلم.

(٨) د: فإنه لا يقطع.

(٩) د: - إلى.

(١٠) د: بالتضمن.

(١١) ب: قبله.

(١٢) د: تنز.

(١٣) ب، د، ز: عن. وكتب على هامش.

د، ز: من.

(١٤) د: أن.

(١٥) د: معتمداً ومستنداً.

(١٦) د: قال أبي.

(١٧) ج، ز: منشأ.

(١٨) ب، د: - و.

إما لأنها كانا من جلد غير^(١) مذكى كما روي عن ابن مسعود^(٢)، أو لثلا يطأ الأرض المقدسة بنعل تكرمة لها، كما لا يدخل الكعبة بها، وقال الطبري^(٣): لو صح حديث ابن مسعود، لقلت به ولكن أمر بذلك كرامة، قال القاضي أبو بكر^(٤) رضي الله عنه: ولو كانا^(٥) من جلد حمار ميت، لم يكن في ذلك درك، لأن الشرع بعد لم يكن قد بلغه، وقد قيل في شرعنا يجوز الانتفاع بجلد الميتة قبل الدباغ، فأما تفريغ قلبه فعند سماع كلام الله يفرغ^(٦) ضرورة، ألا ترى أن النبي^(٧) إذا سمع كلام جبريل عليهما السلام^(٨) مغه في الوحي لا يبقى له فراغ لغيره، فكيف مع سماع كلام الله؟ فهذا معلوم، و^(٩) لا يحتاج إليه بعبارة، ولا بإشارة، وهي حكمة شاذة وإشارة إلى برودات، أو إلى^(١٠) تعطيل بحسب المقاصد. وأما إلقاء العصا فقد بين الله تعالى^(١١) الفائدة فيه، ومن يعتمد على عصا من طول القيام يقال له: إنه على غير الله يعتمد؟ هذه خرافة، فدع عنك نبأ صيح في حجراته، وعول على كتاب الله ومعلوماته.

المثل الثالث: قال أصحاب الإشارة: قول النبي ﷺ^(١٢): «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة»^(١٣) فيين النبي أن الملائكة تنزه عن دخول^(١٤) بيت فيه كلب من الحيوان، أو صورة [و ٧٤ ب] من التماثيل، وهذا حث على إبعادها، وحض على تفريغ البيوت منها، لتمكن الملائكة من الدخول إلى

(٧) د، ز: + صلى الله عليه وسلم. د:

+ كان.

(٨) ز: - عليهما السلام.

(٩) د: - و.

(١٠) ب، ج، ز: - إلى.

(١١) د: - تعالى.

(١٢) د: عليه السلام.

(١٣) أخرجه الترمذي في صحيحه بشرح

أبي بكر، ج ١٠ ص ٢٤٧.

(١) ب، ج، ز: من غير جلد.

(٢) عبدالله بن مسعود الهذلي توفي سنة

٣٢٢ هـ / ٦٥٣ م.

(٣) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري

المؤرخ المفسر المجتهد توفي سنة

٣١٠ هـ / ٩٢٢ م.

(٤) د: قال أبي.

(٥) ب، ج، ز: كانتا.

(٦) د: تفرغ.

(١٤) ب، ج، ز: - دخول.

البيوت، لما أمرت به فيه من إحصاء أعمال^(١) واحتياط على بدن، أو مال، أو بركة تنزلها على ذي المنزل، أو رسالة تؤديها إليه، إذا كان لها صاحباً، وذلك، مخصوص بالرسول، ومنهم^(٢) جاء أصل الحديث، وبعد تقرير هذا فهو تنبيه على تطهير القلوب عن الحسد والحقد، والغضب، والبخل، والخديعة، والمكر، وسائر الصفات الذميمة فإنها تمنع من الأعمال الصالحة^(٣) بالتغيير^(٤) لها، والإقضاء^(٥) لأسبابها. ما تفعله الكلاب في منازلها، والقلوب منزل للملائكة، ومعدن الإيمان، ومحل التقوى، وهي بين أصبعين من أصابع الرحمن، وذلك عبارة عن الملائكة المدبرة لها. وإذا ظهرت النازل الحسية، عن أجسام الكلاب الحسية^(٦) فتزيره القلوب عن صفات المكروه أولى، فنقر^(٧) الحديث على ظاهره ونعبر^(٨) منه على طريق الاعتبار، إلى هذا المعنى المشار إليه فنلحقه به، ونكون عاملين بالوجهين، موفين حق اللفظ في المعنيين. وهذا حكم الاعتبار والإلحاق.

قال القاضي أبو بكر^(٩) رضي الله عنه: هذه قدحة خاطر، ولمحة ناظر، لا يحتاج إليها، وأصلها إنما^(١٠) هو من القوم الذين قدمنا شأنهم في تعطيل الشرائع، وإن كل ما جاء منها وجرى في ألفاظها، ليس على ظاهره وإنما هو كله مبني على التعبير^(١١) عن باطن سواه، وغرض آخر غيره، على معنى الكتابة والرموز، فأراد هذا القائل أن يتوسط، فذكر^(١٢) ذلك على هذا الوجه، وهو معنى فاسد من وجهين، أحدهما أنه يكاد يقطع بأن هذا لم يكن مقصوداً للنبي عليه السلام^(١٣). الثاني: أنا^(١٤) قد وجدنا التصريح بتطهير القلوب، عن هذه

(٩) د: قال أبي.

(١٠) د: - إنما.

(١١) ج: التغيير.

(١٢) ج: يذكر.

(١٣) ب: - عليه السلام، ج: ز:

+ صلى الله عليه وسلم.

(١٤) د: إنه.

(١) ب، ج، ز: - أ.

(٢) د: فيهم.

(٣) د: الصالحات.

(٤) ج: بالتغيير.

(٥) ب، ج، ز: الإقضاء.

(٦) ب: - على أجسام الكلاب الحسية.

(٧) ج، د، ز: فيقر.

(٨) ج، ز: يعبر.

الصفات الذميمة كلها [و ٧٥ أ] منصوباً عليه، فما الذي مجوجنا إلى (١) أن نأخذ على بعد من لفظ آخر بمعنى من (٢) الاعتبار يبعد أو يقرب. هذا من الفن الذي لا يحتاج إليه، وإنما هو (٣) احتكاك بتلك الأغراض الفلسفية، وهي عن منهج (٤) الشريعة قضية، كادت بها الدين طائفة خبيثة، وقولهم: إن السلف كانوا يبنطون (٥) مثل هذا المعنى فغير مسلم، إنما (٦) كانوا يستدلون بالتنبيه العرفي (٧)، أو الذي يقتضيه اللفظ من جهة اللسان. فأما الاعتبار بالمعنى الباطن الذي يجري مجرى الرموز، فلم تفعله (٨) قط، ولا يوجد (٩) في أغراضها من طريق (١٠) صحيحة. وأما قولهم: إن هذا هو المقصود في الشريعة من التأديب والاصلاح، فكلاً، إنما أدبت، وأصلحت الخلق، بما أذنت (١١) به، وصرحت، وما اقتضاه لسان المخاطبين. وأما حديث عمر رضي الله عنه (١٢) فأصل صحيح، فإن الناس ما زالوا قديماً وحديثاً بأغراضهم الفاسدة، يقبلون القرآن، ويبدلون ما سمعوا من النبي عليه السلام (١٣) كما قال عنهم: ﴿يحرفونه من بعد ما عقلوه﴾ [البقرة: ٧٥] وكانوا يقولون للنبي عليه السلام (١٤): ﴿راعنا﴾ [البقرة: ١٠٤] وأنتم ممن يبدل كلام الله (١٥)، ولا تتأولونه (١٦) كما يجب، وتضعونه في غير موضعه، ففهمها (١٧) من خطوب بها عنه، وقد أوضحناها (١٨) في «أنوار الفجر» وفي «قانون التأويل» بنهاية البيان. وأما الذي ذكره (١٩) من الآية التي في قوله: ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله﴾ [البقرة: ١١٤] فقد تقدم الجواب عن (٢٠) مثله، فإن المراد به

(١) ج، ز: - إلى.

(٢) ج، ز: - من.

(٣) ج: - هو.

(٤) ب: منهج.

(٥) ب، ج، ز: يبنطون. ومعنى

نيط: استخرج، ومنه استنبط.

(٦) ج، ز: أن.

(٧) د: العري.

(٨) ج، ز: يفعله.

(٩) ب، ج، ز: يؤخذ.

(١٠) د: طرق.

(١١) ب، ج، ز: أدبت.

(١٢) د: - رضي الله عنه.

(١٣) ب، ج، ز: - عليه السلام.

(١٤) ب، ج، ز: - عليه السلام.

(١٥) د: + عز وجل.

(١٦) ج: تتأولونه.

(١٧) ب: فقهها.

(١٨) د: أوضحنا هذا.

(١٩) د: ذكره.

(٢٠) ب: عنه.

المساجد ذوات الساحات المتخذة للصلوات، وقلوب المؤمنين معروف حالها، مبينة بأكثر من هذا البيان، في مواضعها، ولا يحتاج^(١) إلى ذلك فيها، ولا يدل ذلك اللفظ عليها، وكذلك القول في آية المشرق والمغرب هو نص [و٧٥ ب] في الجهات، وما تتردد^(٢) عليه أحوال القلوب، ويجري في خواطر الصدور، معلوم بدليله، منصوص في كثير من آي توحيد القرآن كقوله: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير [الملك: ١٤] فأخير^(٣) أنه كله من خلق الله، وأنه به عالم، فهو الله خلق، وقد يكون له تصديقاً، وقد يكون به تكذيباً، وقد يكون له محموداً، وقد يكون منه مذموماً، وهذا كله له خلق^(٤)، وقضاء وقدر، وقد دللنا عليه في موضعه، وأفسدنا قول إخوانهم^(٥) القدريّة، الذين اتفقوا معهم على هذه البلية^(٦).

وأما نازلة الخليل عليه السلام فهو خطب عليهم جليل، وأمر عندنا شريف جليل، وقد بينها في التفسير، ونكتة القول فيها أن شأن إبراهيم صلى الله على نبينا وعليه^(٧)، كما شرح^(٨) المفسرون ليس فيه قطع بصحة، ولا دفع ممكن، وبعد سردها اختلف العلماء في المعنى على أربعة أقوال:

الأول: ﴿هذا ربي﴾ في ظني، لأنها حال نظر واستدلال.

الثاني: أنه اعتقد ذلك.

الثالث: أنه كان طفلاً.

الرابع: أنه قالها^(٩) منكراً لعبادة^(١٠) الأصنام على قومه. فأما من قال: إنه قالها في حال النظر والاستدلال، فليس طريق من طرق النظر يقضي في

-
- | | |
|--|-------------------------------|
| (١) ب، ج، ز: نحتاج. د: - و. | (٧) ب: عليه السلام. |
| (٢) ب، ج، ز: يتردد. | (٨) ب، ج، ز: بشرحها: وكتب على |
| (٣) د: وأخير. | هامش ب، ز: شرحه. |
| (٤) د: وهو كله خلق. | (٩) ب: قاله. ج، ز: قال. |
| (٥) ج: أخواتهم. | (١٠) ب: عبادة. |
| (٦) ب: كتب على الهامش: هذا نصف الكتاب. | |

ابتدائه، ولا في انتهائه، ولا في أثنائه، إلى أن الكوكب^(١) رب مدبر^(٢) ولو وقع النظر بالنظر على أنه^(٣) مدبر، ما أزاله^(٤) منه أنه آفل، لأنه يظن^(٥) أنه ربما كان تدبيره وربانيته في أفوله وطلوعه^(٦).

وأما من قال: إنه اعتقد ذلك، فكذلك يلزمه ما قدمناه في حال النظر والاستدلال المتقدمة. وقول من قال: إنه كان طفلاً حين خروجه من الغار الذي خبأته أمه فيه، خوفاً من القتل عليه، فأخبر^(٧) بذلك عن بشاعة^(٨) قصور النظر، إن كان نظراً^(٩)، أو عن فساد الاعتقاد إن كان لذلك معتقداً. وأما قول من قال: إنه كان منكراً، [و ٧٦ أ] فصحيح حسن، فإن إبراهيم بعثه الله^(١٠) بين قوم عامة، يعبدون الأصنام التي ينحتون^(١١)، فإن^(١٢) تخصص منهم أحد، تعلق بالعلويات، ورأى أنها أشرف من هذه الأرضيات، في ظاهر الحال، فخرجت الخواطر الحائرة^(١٣)، بالمقادير^(١٤)، فكل^(١٥) أحد إلى كوكب، وقمر، وشمس، وكان منهم خاصة، يرون أن هذه الكواكب الزاهرة، في الأفلاك الدائرة، هي الفعالة، ويرجعون إليها بعبادتهم وتقديسهم، وطلباتهم، فلما اصطفاه الله^(١٦) بخلته، وأدبه^(١٧) بتكريمته، ورباه بتربيته لأوليائه، وأنبيائه^(١٨)، بأن كره إليهم الأباطيل، وطهر نفوسهم عن الأضاليل. وهذا يقين^(١٩)، فإنك قد ترى، وسمعت، بأن القلوب تختلف في الاعتقادات، فإذا كان هنالك من يربأ بنفسه عن باطل، إلى آخره، يرى أنه

-
- | | |
|----------------------|---------------------------------|
| (١) ج: ز: الكواكب. | (١٠) ج: ز: - الله. |
| (٢) ب: - مدبر. | (١١) ج: ز: يتخذون. |
| (٣) ج: ز: إله. | (١٢) د: فإذا. |
| (٤) ج: ز: أرا له. | (١٣) د، ج: ز: الجائزة. وكتب على |
| (٥) د: - يظن. | هامش ز: عله: الحائرة. |
| (٦) د: طلوعه وأفوله. | (١٤) د: بالمقادير. |
| (٧) د: فاحترز. | (١٥) ب: كل، ج: ز: بكل. |
| (٨) ج: شباة. | (١٦) د: وأذنه الله. |
| (٩) ج: عن نظر. | (١٧) د: لأنبيائه وأوليائه. |
| | (١٨) ب: يقين. ز: يقين. |

أشرف منه، يدركه^(١) بفكره، فكذلك^(٢) فاعلم أن الله يطهر من يشاء من عباده، فيستله^(٣) ويصطفيه، فيكون سلالة ومصطفاه، ولا يمكن من قلبه إلا الحق، وأنشأه على أكمل صفة، بين أنقص قوم، كشف^(٤) له عن ملكوت السموات والأرض، وأراه تدبير الجملة والتفصيل، وجرده له أديهما^(٥)، حتى^(٦) أدرك لثيمها^(٧) وكريمها^(٨)، وخيرهما^(٩) وشرهما^(١٠)، وأطلع في جملة ذلك على الشمس، والقمر، والنجوم في السموات، والجبال، والشجر، والبحار في الأرض، ليكون^(١١) من الموقنين. وبعد هذا^(١٢) ذكر^(١٣) ما جرى له في الكواكب بقوله^(١٤) جل وعز^(١٥): ﴿فلما جن عليه الليل﴾ [الأنعام: ٧٦] فأخبر^(١٦) أن ذلك كان بعد اطلاعه على الملكوت، وهو تصريف المخلوقات من الملك بحكم الملك المطلق، وبطل أن يكون ذلك ظناً^(١٧) واعتقاداً، ووجب أن يكون احتجاجاً، فقال لقومه جميعاً أو^(١٨) أشتاتاً: ﴿هذا ربي﴾ إما على التنزيل في المناظرة والتقدير^(١٩) ليرتب عليه ما بعده من الدليل. وإما على طريق الإنكار، والأول أقوى في طريق^(٢٠) النظر، وأظهر، بما^(٢١) يدل عليه الكلام في الآية فلما أفل [و ٧٦ ب] قال للمتكلم معه: ﴿لا أحب الأفلين﴾. تقدير^(٢٢) الكلام: أنه قد ذهب، وأنت تسجد له، إذا طلع، ولا تسجد له إذا

-
- | | |
|--|----------------------------------|
| (١) د: يدرك. | (١١) د: لتكون. |
| (٢) ب، ج، ز: وكذلك. | (١٢) د: ذلك. |
| (٣) د: فيسله. | (١٣) ج، ز: - هذا ذكر. |
| (٤) هذا جواب فلما اصطفاه الله. وما بين ذلك جهل معترضة كما نبه إلى ذلك الشيخ ابن باديس. | (١٤) د: لقوله. |
| (٥) ب، ج، ز: أديهما. | (١٥) د: - جل وعز. |
| (٦) ز: حتى. | (١٦) د: وأخير. |
| (٧) ب، ج، ز: لثيمها. | (١٧) د: أو. |
| (٨) ب، ج، ز: كريمها. | (١٨) ب، ز: - أ. ج: - أو أشتاتاً. |
| (٩) ب، ج، ز: خيرها. | (١٩) د: التقريب. |
| (١٠) ب، ج، ز: شرها. | (٢٠) د: - طريق. |
| | (٢١) ب: بما يسبب المحو. |
| | (٢٢) ب، ج، ز: تقرير. |

أفل، فالذي يراه ويراه في كل وقت أولى بالسجود له، وقال للذي سجد للقمر: ﴿هذا أكبر﴾ جرماً من ذلك، وأظهر فعلاً، ولا سيما إن كانت له مقشوة^(١) فإنه لسخفه يعبر بها^(٢)، فلما غاب عنه قال له مثل ما قال للأول، وزاد أنه لو دام على المقشوة لأفسدها، فقد زال الآخر الذي^(٣) هو أكبر جرماً^(٤) منها^(٥)، وأكثر فعلاً فيها، فإياه فاعبد، فلما أفلت قال: ما هذا الباطل؟ لا^(٦) سجد لمصرف محكوم، على مقدار معلوم، متداول مع غيره، معاقب له، بينها برزخ لا يغيان، دل على أنها محكومان. وما قدر هؤلاء الثلاث في جنب سائر المكونات من السفليات والعلويات؟ ومع أنكم تقولون: إن الشمس دون زحل في المرتبة وإن زحلاً قد حاز^(٧) العلو، فما هذه الآراء المتهاففة، التي لا يضم نشرها رأي^(٨)، ولا يحيط بأخبارها وعي؟ ارجعوا بعبادتكم إلى الذي دبر الكل، وفطر الجميع، ولا تشتغلوا بالوسائط^(٩)، فليس لها حكم، وإنما هي أمثالكم في التسخير والتقدير، فأفردوه بالعبادة دونها، ولا تشركوا^(١٠) به أحداً. ويعضده قوله: ﴿وحاجه قومه﴾ [الأنعام: ٨٠] وقوله: ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه﴾ [الأنعام: ٨٣] فإنها بأبصار، وعلمنا قطعاً أنها كانت محاجة لا شكاً^(١١). فأما جواز اعتقاد الأنبياء للباطل، والكفر قبل البعث^(١٢)، فكما يعلم^(١٣) أن الله على كل شيء قدير، يعلم^(١٤) قطعاً، أنه قد

المقر مذكر كما نبه إلى ذلك ابن باديس في تعليقه.

(٦) د: - لا.

(٧) ب، د: جاز.

(٨) د: برأي.

(٩) ب: بالوسائط.

(١٠) د: معه.

(١١) د: شك.

(١٢) ج، ز: البعثة.

(١٣) ب، ج، ز: نعلم.

(١٤) ب، ج، ز: نعلم.

(١) ز: كتب على الهامش شرح للمقشوة:

أي سانية مزروعة بالقش. ب:

مقشوة. والأحسن أن يكون رسمها

هكذا: مقشاة، ويمكن أن تبضم

فيقال مقشوة بضم الثاء، وهو موضع

القشاء بكسر القاف وضمها، وهو

الخيار.

(٢) ب، ج، ز: يستحقه لغبرها.

(٣) ب، د: - الذي.

(٤) ب، ج، ز: - جرماً.

(٥) كذا في جميع النسخ ولعله (منه) لأن

أنتهم من ذلك، وأخبر أنهم مطهرون من ذلك في الأزل^(١). قيل للنبي^(٢) متى وجبت لك النبوة؟ قال^(٣): وآدم بين الروح والجسد، وبين^(٤) الماء والطين. خرجه الترمذي وصححه، وهو صحيح باللفظ الأول. فإن قيل: هذه الاستدلالات ظنية، فإنه ليس يمتنع^(٥) أن يكون [و٧٧] صيباً، ويشكل عليه الأمر، فكذلك لا يبعد أن تكون^(٦) دلالة الحدوث عنده أكثر من دلالة الجسمية وأظهر، لا^(٧) سيما وكان محبوساً في غار لأمه، خوفاً من ملك زمانهم، يعيش من طرف أصبعه^(٨)، وذكره لرؤية^(٩) ملكوت السموات والأرض، يجوز أن يكون الله ذكر حال نهايته ثم رجع إلى بدايته. قد قلنا^(١٠) القول القطعي، بغاية البيان كما تقدم، وليس ما ذكره الله بيناً، ظناً. وهذا لا تفهمه الأعاجم - إن الله تعالى قال مخبراً عن الخليل أنه قال لأبيه: ﴿أَتَتَّخِذُ^(١١) أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٧٤] فلم يخبر عنه بشك فيها، ثم نظر فاستيقن، وإنما أخبر عنه بتوحيد ظاهر، وقول بين، ثم عطف عليه فقال: ﴿وَكَذَلِكَ نَرِي إِبْرَاهِيمَ مُلْكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٧٥] أي أنا أريناه وجه الحق في الأصنام الأرضية، كذلك نريه وجه الحق في الأجسام العلوية ليكون من الموقنين، ولم يخبر أنه أراه أجسامها، وإنما أخبر أنه أراها إياه، فراها ملكوتاً مدبرة مسخرة، ومن كان محبوساً في غار لا يرى في الليل، ولا في النهار فيخرج منه فيرى الكواكب لا يخطر بباله أن له رباً، فكيف أن يجعله كوكباً؟ ولا شك أنه سمع^(١٢) من أنيسه في الغار أحاديث الأخيار والأشرار. وما يقال: أنه تحدث به عنه، وعن أمثاله، من أنه يخرب الملك، فسمع أن هنالك ملكاً يخرب هذا الملك، فتعلق^(١٣) وهم به، فإذا

- | | |
|---------------------------------|---|
| (١) د: الأول. | (٩) ز: لرؤيته. |
| (٢) ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. | (١٠) د: قدمنا. |
| (٣) ج: فقال. | (١١) أخطأ النساخ فكتبوا الآية هكذا: ﴿أَتَعْبُدُ أَصْنَاماً﴾ في النسخ الأربعة. |
| (٤) د: - وبين. | (١٢) د: إلا أنه قد سمع. ج: أن سمع. |
| (٥) ج، ز: يمتنع. | (١٣) د: ويتعلق. |
| (٦) ج، ز: يكون. | |
| (٧) ب، ج، ز: ولا. | |
| (٨) ب، ج، ز: أصبعه. | |

خرج ورأى الكوكب لا يخطر بباله عادة، قطعاً، أنه المدبر، حتى يسمع منه ركزاً، و^(١) يلقي إليه أحد ذكراً. وقوله: إن الباري ذكر حاله في نهايته ثم رجع إلى ذكر بدايته. قلنا: ذلك محتمل لولا قوله: ﴿وكذلك نري إبراهيم سلوكت السموات والأرض﴾ ويؤكد ذلك قوله: ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين﴾، إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟ [الأنبياء: ٥١ - ٥٢] القصة إلى آخرها، فأخبر عنه بقول نظار [و٧٧ ب] حكيم، ثم أخبر عنه بأنه كما أتاه رشده في الأصنام، كذلك^(٢) يريه في المستقبل آيات العلويات، فكشف له عنها عياناً، كما في الأثر، أو دلالة، وكان الاستدلال بالتغير أقوى من التقرر، لأن المتغير مخلوق مربوب ضرورة، إذ التغير لا يخلو أن يكون من قدم إلى قدم أو من قدم^(٣) إلى حدث، أو من حدث إلى قدم أو من حدث إلى حدث، والأقسام الثلاثة محال^(٤) كما بيناه في كتب^(٥) الأصول، فلم يبق إلى القسم الرابع، وهو أنه يتغير من حدث إلى حدث، وذلك المقصود. والذي يعضد دلالة الخليل^(٦) في الاستدلال بالحدوث و^(٧) يمهّد لكم اليقين^(٨)، أنها^(٩) أقرب، وأبلغ^(١٠)، من المساحة^(١١)، والتشكيل، أن النبي ﷺ ذكر الدجال، وذكر ما يفعل من الآيات، وما يظهر على يديه من المعجزات، حتى إحياء الموتى، قال: «مهما يكن من شيء، فإنكم تعلمون أن الدجال أعور، وأن ربكم ليس بأعور». في حديث أعور عين اليمين. وفي حديث أعور عين الشمال^(١٢). تختلف عليه صفات النقص، وتتوارد^(١٣)، ويلحقه التغير، فهذا ينفي عنه الإلهية قطعاً، وهذا بالغ لمن وفق لفهمه، وبالله التوفيق.

- | | |
|---------------------------|---------------------------------|
| (١) د: أو. | (٨) د: القين. |
| (٢) ب، ج، ز: نريه. | (٩) ب، ج، ز: فلما. |
| (٣) ب، ج، ز: - أو من قدم. | (١٠) د: أبلغ وأقرب. |
| (٤) ب، ج، ز: والكل محال. | (١١) د: المساحة. |
| (٥) ب، ج، ز: كتاب. | (١٢) ز: في حديث أعور الشمال وفي |
| (٦) د: + عليه السلام. | حديث أعور عين اليمين. |
| (٧) ب: - و. | (١٣) ب، ج، ز: - وتتوارد. |

قاصمة:

وقد بينا في غير موضع أن الكائدين للإسلام كثير، والمقصرون فيه كثير، وأولياؤه المشتغلون^(١) به قليل^(٢)، فمن كاده^(٣) الباطنية، وقد بينا جملة أحوالهم. ومن كاده^(٤) الظاهرية^(٥)، وهم طائفتان: إحداهما^(٦): المتبعون^(٧) للظاهر في العقائد والأصول^(٨). الثانية: المتبعون للظاهر في الأصول، وكلا^(٩) الطائفتين في الأصل خبيثة^(١٠)، وما تفرغ عنها خبيث مثلها^(١١)، فالولد من غير نكاح لغية، والحية لا تلد إلا حية^(١٢)، وهذه الطائفة الآخذة بالظاهر في العقائد، هي في طرف التشبيه، كالأولى في التعطيل، وقد بليت بهم في رحلتي [و ٧٨ أ] وتعرضوا لي كثيراً دون بغيتي، وأكثر ما شاهدتهم بمصر والشام وبغداد، يقولون^(١٣): إن الله تعالى أعلم بنفسه وصفاته، وبمخلوقاته منا، وهو معلمنا، فإذا أخبرنا بأمره آمنا به، كما أخبر، واعتقدناه، كما أمر. وقالوا حين سمعوا: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة﴾ [البقرة: ٢١٠] ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾ [الفجر: ٢٢] ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ [النحل: ٢٦] ﴿وينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا﴾^(١٤)، أنه يتحرك وينقل، ويحيى ويذهب من موضع إلى موضع، ولما

(١) د: المستقلون.
(٢) ز: كتب على الهامش: قف وتأمل:
ليس بعد هذا البيان والتحقيق بيان،
كما قيل: لا عطر بعد عروس.

(٣) و (٤): كاد.

(٥) ز: كتب على الهامش: قف لتعرف

وتحذر أعاذنا الله وعصمنا.

(٦) ب، ج، ز: - إحداهما.

(٧) ب، ج، ز: المتبع.

(٨) يرى الشيخ ابن باديس وجوب حذف

كلمة الأصول لأنه رأى تكراره في

الطائفة الثانية، ويبدو أنه قد غاب عنه

ما يقصد بالأصول هنا وهي الأحكام

أو أصول الأعمال التي تبني عليها

الفروع الفقهية.

(٩) ب: كل.

(١٠) ج، ز: خبيثان.

(١١) ب، ج، ز: وما تفرغ عنه خبيث

مثلها.

(١٢) ب، د: الحية.

(١٣) ج: ويقولون.

(١٤) أخرجه البخاري عن أبي هريرة.

سمعوا قوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥] قالوا: إنه جالس عليه، متصل به، وأنه أكبر بأربع أصابع، إذ لا يصح أن يكون أصغر منه، لأنه العظيم، ولا يكون^(١) مثله، لأنه ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى: ١١] فهو أكبر من العرش بأربع أصابع. ولقد أخبرني^(٢) جماعة من أهل السنة بمدينة السلام^(٣)، أنه ورد بها الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، الصوفي، من نيسابور^(٤)، فعقد مجلساً للذكر، وحضر فيه كافة الخلق، وقرأ القاريء: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾. قال لي أخصهم: فرأيت - يعني^(٥) الحنابلة - يقومون في أثناء المجلس ويقولون: قاعد، قاعد بأرفع صوت، وأبعده^(٦) مدى^(٧)، وثار إليهم أهل السنة من أصحاب القشيري، ومن أهل الحضرة، وتشاور^(٨) الفئتان، وغلبت العامة، فأجحزهم^(٩) المدرسة النظامية، وحصروهم فيها، فرمهم بالنشاب، فمات منهم قوم، وركب زعيم الكفاة، وبعض الدارية، فسكنوا ثورتهم، وأطفوا^(١٠) ثورتهم^(١١)، وقالوا: إنه يتكلم بحرف وصوت، وعزوه إلى أحمد بن حنبل^(١٢)، وتعدى بهم الباطل، إلى أن يقولوا: إن الحروف قديمة، وقالوا: إنه ذو يد، وأصابع، وساعد وذراع، وخاصرة، وساق، ورجل، يطاء بها حيث شاء، وأنه يضحك ويمشي ويهرول، وأخبرني من أثق به من مشيخي أن أبا يعلى محمد بن الحسين الفراء^(١٣)، رئيس الحنابلة [و٧٨ ب] ببغداد، كان يقول إذا

-
- (١) د: - يكون.
(٢) د: أخبرني.
(٣) ج: - بمدينة السلام.
(٤) د: نيشاغور.
(٥) د: بعيني.
(٦) ب، ج، ز: أنفذه.
(٧) ز: شكل على أنه «مدأ».
(٨) ج: تشاوروا.
(٩) ج، ز: فأجحزهم.
(١٠) ب، ج، ز: طلوا.
(١١) ب: ثورتهم. ج: ثورتهم. ز: ثورتهم.
(١٢) إمام أهل السنة، توفي سنة ٤٢١ هـ / ٨٥٥ م (الذهبي، العبر، ج ١ ص ٤٣٥. مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي، ص ٤٠٩).
(١٣) ب، ج، ز: الحسن وهو تحريف. وهو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف البغدادي، فقيه ومحدث، توفي سنة ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م (الذهبي، العبر، ج ٣ ص ٤٤٣. مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي، ص ٥٢٠) وفيه ذكر أنه كان يملئ الحديث بجامع المنصور (طبقات الحنابلة لأبي الحسين

ذكر الله تعالى، وما ورد من هذه الظواهر في صفاته، يقول: الزموني ما شئتم فإني ألزمه إلا اللحية والعورة، وانتهى^(١) بهم القول إلى أن يقولوا: إن أراد أحد أن يعلم الله، فلينظر إلى نفسه^(٢) فإنه^(٣) الله بعينه، إلا أن الله^(٤) منزّه عن الآفات قديم^(٥) لا أول له، دائم لا يفنى، لقول النبي ﷺ: «إن الله خلق آدم على صورته»^(٦) وفي رواية: «على صورة الرحمن» وهي صحيحة، فله الوجه بعينه لا تنفيه^(٧)، ولا نتأوله^(٨) إلا محالات لا يرضى بها ذو نهي. وكان رأس هذه الطائفة^(٩) بالشام أبو الفرج الحنبلي^(١٠) بدمشق، وابن الرميلى^(١١) المحدث ببيت المقدس، والقطرواني بنواحي نابلس، والفاخوري بديار مصر، ولحق منهم ببيغداد أبا الحسين بن أبي يعلى الفراء^(١٢)، وكل منهم ذو أتباع من العوام،

الفقه على أبي يعلى، وبث مذهب أحمد بن حنبل بالشام كان أصولياً، مجتهداً، توفي سنة ٤٨٦ هـ / ١٠٩٤ م (العبر، ج ٣ ص ٣١٢)، ويذكر أبو الحسين بن أبي يعلى في طبقات الحنابلة أنه كانت له وقعات مع الأشاعرة وأنه ظهر عليهم بالحجة في مجالس أمراء الشام، وكان من دعاة الحنابلة، منكراً لتأويل أخبار الصفات (الطبقات، ج ٢ ص ٢٤٨ - ٢٤٩).

(١١) هو مكي بن عبد السلام أبو القاسم بن الرميلى المقدسي محدث حافظ استشهد بالقدس سنة ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ م (العبر، ج ٣ ص ٣٣٤).

(١٢) محمد بن أبي يعلى، توفي سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣١ م (الذهبي، ج ٤ ص ٦٩. مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي، ص ٥٢٩) وكتب في النسخ ب، ج، ز: أبا الحسن والتصحيح من المناقب، والعبر، ويذكر الذهبي أنه كان كثير الهجوم على الأشاعرة. وهو صاحب طبقات الحنابلة.

محمد بن أبي يعلى وهو ابنه، ص ١٩٣ - ٢٣٠) حيث ذكر أنه ألف في الرد على الكرامية والأشعرية والباطنية والمجسمة، وكتاب إبطال التأويلات لأخبار الصفات، وغير ذلك من المصنفات وبين أن مذهب الحنابلة قائم على نفي التشبيه والتعطيل، وإثبات الصفات وعدم التأويل.

(١) ب، ج، ز: فانتهى.
(٢) ب: في الهامش: ذاته.
(٣) ب، ج، ز: فان. وفي هامش ز: فانه.
(٤) ج، ز: - إلا أن الله.
(٥) ب، ج، ز: - قديم.
(٦) أخرجه الشيخان وأما الحديث بلفظ: الرحمن فقد ذكر المحدثون أنه روي بالمعنى وأوردوا فيه عللاً قاذحة.

(٧) ج: تنفيه.
(٨) ج: تناوله.
(٩) ز: كتب في الهامش: قف لتعرف رؤوس غلاة الظاهرية: أعادنا الله من الزيغ بمنه وفضله.

(١٠) هو عبد الواحد بن محمد بن علي أخذ

جمعاً غفيراً^(١)، عصبية^(٢) عصبية^(٣) عن^(٤) الحق، وعصبية^(٥) على الخلق. ولو كانت لهم أفهام، ورزقوا معرفة بدين الإسلام، لكان لهم من أنفسهم وازع، لظهور التهافت على مقالاتهم، وعموم البطلان لكلماتهم. ولكن الفدامة^(٦) استولت عليهم، فليس لهم قلوب يعقلون بها، ولا أعين يبصرون بها، ولا أذان يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل^(٧). ولقد أخبرني غير واحد عن أبي حامد أحمد بن أبي طاهر الاسفراييني^(٨) أنه خرج يوماً على أصحابه مسروراً فسأله، فقال: ناظرت اليوم عامياً فظهرت عليه. فقيل له: وأنت تظهر على الأئمة، فكيف تفرح بالظهور على العوام؟ فقال: العالم يرده علمه، وعقله^(٩)، ودينه، والعامي^(١٠) لا يرده فهم، ولا يردعه^(١١) دين، فغلبته نهزة^(١٢) ونادرة.

قال القاضي أبو بكر^(١٣) رضي الله عنه: وأنبتكم بغربة أي^(١٤) ما لقيت طائفة إلا وكانت لي معهم وقفة في مقالاتهم، عصمني الله بالنظر بتوفيقه منها [و ٧٩ أ] إلا الباطنية والمشبهة، فإنها زعنفة^(١٥)، تحمقت^(١٦) أنه ليس وراءها معرفة. فقدفت نفسي كلامها من أول مرة. وسائر الطوائف لا بد أن يقف الفكر عقلاً وشرعاً من أي وجه طلبت الدليل حتى يرشده^(١٧) العقل والشرع،

في سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م.

- | | |
|--|--|
| (١) ب، ج، ز: غفراً. | (٩) د: يرجعه إلى عقله. |
| (٢) د: غصبة. | (١٠) ج: والعام. |
| (٣) د: عصبية. | (١١) د: يزعه. |
| (٤) د: على. | (١٢) د: نزعة. |
| (٥) د: عصبية، ج: عصبية. | (١٣) د: قال أبي. |
| (٦) ز: كتب على الهامش: قال في القاموس: القدم: العي عن الكلام في ثقل ورخاوة وقلة تفهيم. انتهى المراد منه. | (١٤) ب: - وأنبتكم بغربة أي. ج، ز: أتيكم. |
| (٧) اقتباس من القرآن. | (١٥) د: رغبة. |
| (٨) ب، ج، ز: الإسفراييني. وهو توفي | (١٦) د: + و. |
| | (١٧) ب: يرشد. |

إلى مأخذ النجاة، وقد كان صاحبنا أبو منصور ساتكين^(١) التركي نزير الشجر، وأبو محمد عبدالعزيز^(٢) قاضي البسكرة^(٣) في ديار^(٤) المشرق معنا^(٥)، ولقد كانا أوتيا فهماً، ورزقا، ذكاء، ونبلاً، فغلبت^(٦) عليهما صحبة ابن المناني، فاختارا^(٧) مذهب^(٨) القدرية، ولقد دخلت إليه، وسرّ بي، وسألني عن اعتقادي، فأخبرته، فقال لي: ما منعك من اعتقاد الحق، من مذهب أهل التوحيد، يعني نفسه، وأصحابه من القدرية. وهو مذهب مستند من ابن الفرج، إلى أبي^(٩) الحسين، إلى عبد الجبار، إلى أبي هاشم إلى^(١٠) الجبائي^(١١) إلى آل^(١٢) علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(١٣)، إلى رسول الله ﷺ. فعلمت أنه قد تبطن الباطن، ولصق بأهل البيت، وأخذ مذهب القدرية ستره خلاف^(١٤) أبيه^(١٥) رضي الله عنه، الذي كان يسميه القاضي أبو بكر بن الطيب^(١٦) «مؤمن آل فرعون». إذ كان حنفي الفروع، أشعري الأصول.

وما^(١٧) رأي قط بخراسان، ولا بالعراق^(١٨) حنفي^(١٩) إلا معترلياً، أو

-
- | | |
|---|---|
| (١) د: سالكني. وهو ساتكين بن أرسلان مالكي له مقدمة في النحو كان مقيماً بالقدس توفي سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م (تاريخ ابن عساكر، ج ٦ ص ٤٢). | (١٣) د: - رضي الله عنه. |
| (٢) ب، ج، ز: عبد الغني. وكتب في هامش ب، ز عبد الغني. | (١٤) ج، ز: بخلاف. |
| (٣) د: النبكرة. | (١٥) أبوه هو: محمد بن أحمد بن محمد أبو جعفر القاضي السمناني، توفي سنة ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م (ابن عساكر، تبين كذب المفتري، ص ٢٥٩). |
| (٤) ب: بديار. | عبد القادر الحنفي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ج ٢ ص ٢١). |
| (٥) د: معاً في ديار المشرق. | (١٦) الباقلائي صاحب التمهيد، توفي سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م. |
| (٦) ج، د، ز: فغلب. | (١٧) ب، ج، ز: لا. وكتب على هامش ب، ز: ما. |
| (٧) د: فاختاروا. | (١٨) ب، ج، ز: العراق. |
| (٨) د: مذاهب. | (١٩) د: حنفياً. وكتب على هامش ب، ج، ز: حنفياً. |
| (٩) ج: ابن. | |
| (١٠) ب، ج، ز: - إلى. | |
| (١١) ج، ز: - الجبائي. | |
| (١٢) ب، ج، ز: - آل. | |

كروامياً، خلا ما وراء النهر، ببلخ^(١)، فإنهم إلى منقطع^(٢) المعمور سنية^(٣)، على أوفى طريقة في الحق، وقمت عنه، وتركته، وكان فحلاً من فحول الفقه، سمعت كلامه في جامع المنصور مع الشاشي في مسألة القضاء على الغائب، فرأيت رجلاً قد أحكم الأدلة في مسائل الأحكام، وحكمها على الطريقة العراقية.

عاصمة:

قال القاضي أبو بكر^(٤) رضي الله عنه: وقبل وبعد، فينبغي^(٥) أن تعلموا أن هذه البطائفة^(٦) في حفظ ظاهر هذه الأخبار، لا يقال: إنها بنت قصرأ، أو^(٧) هدمت مصرأ، بل هدمت الكعبة، واستوطنت البيعة، وحذار^(٨) أن تنشؤوا معهم دليلاً، ولا تستأنفوا معهم من الكلام نقيراً ولا فتيلأ^(٩)، فليسوا لذلك^(١٠) أهلاً، ولا ينجع فيهم أن ينشر ذلك معهم، إلا أن تدخل إليهم من بابهم، وهو أيسر طريق إليهم في الكشف لضلالتهم ولا تلتزم معهم مذهبا إلا أن تبطل رأيهم، ولا يظهر لك اعتقاد إلا رد الكلام إلى القرآن والسنة، وما أجمعت عليه هذه الأمة، وهو قد خالفوا الكل، فالمهم إفساد مقالتهم، وبيان ضلالتهم، فيقال لهم: ما لكم أصحاب إلا اليهود، فإنها ألقت^(١١) في التوراة: حين خلق الله السموات والأرض، ذكر فيه أنه خلقها في ستة أيام، واستراح يوم السبت، فكذبهم الله في قوله فقال: ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾ [ق: ٣٨]، فأخذوا لفظ الراحة بظاهره، وهو إعفاء النفس من كد التعب، بعد تسخيرها فيه، واعتقدته بحاله فكفرهم الله، وكذبهم.

(٦) ب: الطريق، ج، ز: الطريقة.
(٧) ب، د: - أ.
(٨) د: حذاراً.
(٩) د: فتيلأ ولا نقيراً.
(١٠) بداية سقوط نحو أربعة أوراق من د.

(١) د: بلخ.
(٢) د: منقطع.
(٣) ب: - سنية.
(٤) د: قال أبي.
(٥) ب، ج، د: ينبغي.

(١١) ز: ألقت.

ثم نعطف عنان القول فنقول: قوله: ﴿هل ينظور إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة﴾ وأنتم قد قلتم: إنه أكبر من العرش مقداراً، كيف يشتمل^(١) عليه ظل الغمام؟ وكيف يأتي الحق مع الخلق يوم الفصل أو يأتي البنيان وهو أكبر من العرش، والعرش أكبر من السموات والأرض؟ وقوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ يقال لهم: قال الله: ﴿ثم استوى على العرش﴾ ما العرش؟ وما معنى استوى؟ وينبغي أن تعلموا كلكم أنتم وهم قبل وبعد أن بناء «ظهر» مفيد في العربية لكل شيء خرج عن حد الخفاء والجهل إلى العلم، كان من المحسوس يخفى على البصر والسمع وسائر الحواس، أو من المعاني يخفى^(٢) على العقل. فاحذروا من يأخذ الظاهر فيجعل له في حد الباطن بتأويله له، أو يحكم بظاهر على معنى هو خفي، فلما قال: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كان معناها هنا في المطلوب ثلاثة^(٣) معان: معنى الرحمن، ومعنى استوى، ومعنى العرش، فأما الرحمن فمعلوم لا خلاف فيه ولا كلام. وأما العرش فهو في العربية لمعان فأياها تريدون، وكذا استوى عليه، يشتمل^(٤) خمسة عشر معنى في اللغة، فأياها تريدون؟ أو أيها تدعون ظاهراً منها؟ ولم قلتم: إن العرش ها هنا المراد به مخلوق مخصوص؟ فادعيتموه على العربية والشرعية، ولم قلتم: إن معنى استوى، قعد أو جلس؟ فتحكمون باتصاله به، ثم تقولون إنه أكبر منه من غير ظاهر، ولم يكن عظيماً بقدر^(٥) جسمي حتى تقولوا: إنه أكثر^(٦) أجزاء منه. ثم تحكمكم^(٧) بأنه أكبر منه بأربع أصابع، تحكم لا معنى له. وكنت أقضي عجباً من هذه النازلة حتى وردت من المشرق سنة خمس وتسعين^(٨) فرأيت غريبة مغربية دفعها^(٩) إلى عبد الله^(١٠) بن منصور القاضي، فيها كلام لبعض منتحلي صناعة الكلام.

(٦) ب: أكبر.

(٧) ب: تحكمكم.

(٨) أي سنة ٤٩٥ هـ.

(٩) ز: في الهامش: عله: رفعها.

(١٠) ب، ز: كتب على الهامش: في

نسخة: عبد الملك.

(١) ب: يشمل.

(٢) ز: كتب على الهامش: خفي عن

العقل.

(٣) كذا في جميع النسخ.

(٤) ب: ولفظ استوى معه محتمل.

(٥) ز: بقدرن.

بالمغرب يقول فيها: إن الباري في جهة، وأنه فوق العرش، وإن العرش هو الذي يليه من مخلوقاته، فرأيت قوماً، قد استولت عليهم الغفلة، وغلبهم الجهل، حتى قالوا: إن الباري يحاذي المخلوقات، والذي أوقعهم في ذلك، أنهم رأوا أحاديث ليست بصحيحة أن النبي ﷺ عدد السموات فذكرها حتى انتهى إلى السماء السابعة، قال فيه^(١): «والعرش فوق ذلك، والله فوق ذلك»^(٢). وسمعوا القدرية يقولون: إن الله في كل مكان، وتكاثر في ذلك الأقوال من المؤلف والمخالف، فأنكروا ذلك عليهم، وقالوا: إن أطلق لفظ في هذا المعنى فالذي ينطلق أنه على العرش وسامحوا^(٣) في «فوق» لأنه بمعنى علا وجل، ورددوها^(٤) في الحديث المذكور آنفاً، ثم جاءت طائفة ركبت عليه، فقالت: إنه فوق العرش بذاته وعليها شيخ المغرب أبو محمد عبدالله بن أبي زيد^(٥) فقالها للمعلمين فسدكت بقلوب الأطفال والكبار^(٦)، ثم جاء هذا الثاني^(٧) فقال: وأنا ماذا أزيد مما يظهر منزلي بأن أقول: وهو الذي يليه من مخلوقاته يعني ليس بينه وبينه موجود، وهو يحاذيه، وجعل يفيض في المحاذاة والجهة، وما يبيض بكلمة صحيحة، ولم يتفق بعد أن أنكر^(٨) على أهل بغداد، وبين أضلاعي هذا الداء فنفت^(٩) عنهم المسألة، وأوردتها، وأصدرت، وأملت وجعت. ولبابه: إن الله تعالى لا يوصف إلا بما وصف به نفسه شرعاً وعقلاً، وإن كان في ذلك تفصيل حققته في موضعه، ونحن نعلم قطعاً أنه كان موجوداً قبل إيجاد العالم كله، على اختلاف أصنافه، ثم خلقه مثني وفرادي، فلم تتغير له صفة، ولا حدثت له إضافة، محدثة^(١٠)، أو صفة

(٥) القيرواني، توفي سنة

٣٨٩ هـ / ٩٩٨ م (العبر، ج ٣

ص ٤٣).

(٦) ز: في الهامش: قف وانظر مقالة ابن

أبي زيد في عقيدة الرسالة.

(٧) ب: - الثاني.

(٨) ب: نكر.

(٩) ز: كتب على الهامش: فتبت.

(١٠) ز: + آفة في الهامش.

(١) ب: فيها.

(٢) سند الحديث فيه عبدالله بن عميرة،

الذي قال فيه البخاري: لا يعرف له

سماع من الأحنف الذي ادعى أنه

سمع منه وقال الذهبي فيه جهالة

(البيهقي الأسماء والصفات، ص ٣٩٩).

(٣) ز: وسامحوه.

(٤) ب، ز: كتب على الهامش: علّ

صوابه: وأوردوها.

مخلوق^(١)، وهو مدلول عليه، ثابت دليلاً وعلماً، واجعل العرش مخلوقاً مفرداً
أضعاف المخلوقات فهو مخلوق، فإن صفته بعد خلقه في ذاته، كصفته قبل
خلقه، لم تتغير له ذات ولا قامت بذاته منه صفة لم تكن. فإن شيئاً من
المخلوقات لا تتغير^(٢) للباري سبحانه به صفة ولا ذات. فإذا ثبت هذا
فقوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ إن علمنا معناه علماً آمناً قولاً،
ومعنى، وإن لم نعلم معناه، قلنا كما قال مالك: (الاستواء معلوم، والكيف
مجهول، والسؤال عنه بدعة) فكيف بتفسير^(٣) تعلقه بالله، لا يقال: إنه بدعة
بل أشد من البدعة عنده، فكيف لو سمع من يقول: إن الله فوقه؟ فكيف
بمن يعين فوقية الذات؟ فكيف بمن يقول: إنه^(٤) يناديه ويليه؟ تباً له.
والحديث الذي فيه: والله فوق ذلك، لا حجة فيه لأن في الحديث بعينه، وقد
عدد الأرضين أيضاً، حتى^(٥) ذكر الأرض السابعة، ثم قال: (والذي نفسي
بيده لو دليتم حبلاً لبط على الله)^(٦) ولم يقتض ذلك أنه تحت الأرض. فإن
قيل: فقد قال النبي ﷺ لسعد بن معاذ^(٧) حين حكم في بني قريضة بأن يقتل
مقاتلهم، وتسبى ذرارهم: «لقد حكمت فيهم^(٨) بحكم الملك من فوق سبعة
أرقة»^(٩) قلنا: لم يصح، ومع حاله، فلا متعلق فيه، لأن قوله: «من فوق
سبعة أرقة» حرف جر يتعلق بحكمت^(١٠) أو بحكم المصدر المتصل، لا
بقوله: (الملك) فافهموا ذلك فهو من الصناعة، وقد استوفينا بيانه في
«الإملاء» و«المشككين».

وأما قوله: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا» فإن الحركة والانتقال
وإن كان محالاً عليه عقلاً، فإنه يلزمهم على محالهم أن يكون محالاً، فإنهم قد

-
- (١) ب: مخلوقة.
(٢) ب: يتغير.
(٣) ب: كتب في الهامش: نفسر. ز:
كتب في الهامش: يفسر.
(٤) ز: كتب على الهامش: هو.
(٥) ز: كتب على الهامش: حين.
(٦) أورده البيهقي في الأسماء والصفات،
ص ٤٠٠ وضعفه.
(٧) استشهد يوم الخندق ٥ هـ / ٦٢٦ م.
(٨) ج، ز: - فيهم.
(٩) أخرجه البخاري عن أبي سعيد
الخدري في باب مرجع النبي ﷺ من
الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة.
(١٠) كذا في جميع النسخ.

قالوا: إنه أكبر من العرش بمقدار يسير، فكيف ينزل إلى السماء وهو أكبر من جميعها؟ أي حتى^(١) بحمله تعالى على الوجهين، ولم يفهموا أن النبي إنما خاطب بذلك العرب والفصحاء اللسن، وقد ثبت فيها أن التنزيل^(٢) على الوجهين نزول حركة، ونزول إحسان وبركة، فإن من أعطاك قد نزل إليك^(٣) إلى درجة النيل المحبوبة عندك عن درجة^(٤) المنع المكروهة، كما أنه نزل من وده^(٥) لك^(٦) عن حال البغضاء والإعراض عنك، وهو نزل حقيقة في بابه، كما أن نزول المرء على الجبل إلى السفح حقيقة في بابه ألا ترى إلى قول عنتره:

ولقد نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة الحب الأكرم^(٧)

وقال عمر رضي الله عنه في الإسلام: (وما ينزل بعبد مسلم من منزل شدة) وهو معنوي، لا حركة فيه ولا انتقال، وفائدته أن الكريم إذا حل بموضع، ونزل بأرض، ظهرت فيها أفعاله، وانتشرت بركته وابتدأت آثاره^(٨)، فما بث الله من رحمته من السماء^(٩) الدنيا على الخلق في تلك الساعة عبر عنه بالنزول فيه، عربية صحيحة^(١٠).

وأما قولهم: إنه يتكلم بحرف وصوت فهو معنى أصلته القدرية لقولها بخلق القرآن، وإن الله خلق في الشجرة كلاماً فهمه موسى كما يفهم كلام الإنسان، فجرى أولئك على فصل من البدعة فاسد الأصل، معلوم المعنى. فلما جاءت هذه الطائفة، ووجدت^(١١) القول بخلق القرآن كفراً، أقروا الحرف والصوت، وأنكروا الخلق، وقضوا بقدح الحرف والصوت، فجاءوا بما

-
- | | |
|--|-----------------------------------|
| (١) ب، ز: كتب على الهامش: حين. | (٥) ج، ز: وذلك. |
| ب، ج: يحمله. | (٦) ز: له. ج: - له. |
| (٢) ب، ز: كتب على الهامش: النزول. | (٧) ب: المكرم. |
| (٣) ب، ز: إشارة إلى أن «إليك» أثبتت في بعض النسخ وأسقطت في الأخرى. | (٨) ب: آثاره. |
| (٤) ب، ز: كتب على الهامش: مرتبة. | (٩) ج: سماء. |
| | (١٠) ب، ز: كتب على الهامش: فصيحة. |
| | (١١) ج: وجدت. |

لا يعقل، ولا هو في حد النظر والمجادلة، ولهم ظواهر لا أصل لها في الصحة، ليس فيها ما يعول عليه، ولا ثبتت صفة به^(١) أمثله: حديث عبدالله بن أنيس^(٢): (يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد فيناديهم بصوت) ذكره البخاري في التراجم مقطوعاً. ومعناه أن مناديه ذو صوت، ليس هو الذي له الصوت صفة. وقد يضاف إلى الباري^(٣) ملكه كما تضاف^(٤) إليه صفته، فما جاز عليه حمل الأخبار عنه، على الصفة، وما كان غير جائز، حمل الأخبار عنه به على الملك، وإلا ففي الخبر: (ينادي بصوت) وليس فيه يتكلم بصوت. فلم تركتم الظاهر، وجعلتم الكلام والصوت واحداً، وهما قد وردا في موطنين؟ وبين الكلام والنداء ما بين السماء والأرض. وقد قال في حديث القيامة بعينه: (فيأتيهم في صورة ثم يأتيهم في صورة^(٥) أخرى) أفيحمل^(٦) ذلك على أن الله يتبدل ويتنقل ويتحول؟ تعالى الله عن ذلك، فكما أن ذكر الصورة محمول على المعنى، كذلك النداء بصوت محمول على المعنى. فإن قالوا بالصورة والصوت والتعبير بالحوادث، لم يكونوا من أهل القبلة، وحكم بخروجهم أصلاً وفرعاً من^(٧) الملة، ولم يفهم هذه الحقيقة أحد، فهم البخاري^(٨) رحمه الله فإنه قال: باب قول الله تعالى: ﴿ لا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ [طه: ١٠٩] الآية. ويذكر عن جابر بن عبدالله^(٩) عن عبدالله بن أنيس أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا

(١) ج: - به. (٧) ب، ز: كتب على الهامش: عن.

(٨) أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري صاحب

الصحيح، ولد سنة

١٩٤ هـ / ٨٠٩ م وتوفي سنة

٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م.

(٩) ابن عمرو بن حرام الأنصاري من

أهل بيعة الرضوان، توفي سنة

٧٨ هـ / ٦٩٧ م.

(١) ج: - به.

(٢) عبدالله بن أنيس الجهتي حليف

الأنصار، شهد العقبة، توفي سنة

٥٣ هـ / ٦٧٢ م.

(٣) ب، ز: كتب على الهامش: الملك.

(٤) ج، ز: يضاف.

(٥) ج، ز: صفة. وكتب على هامش ز:

صورة.

(٦) ج، ز: فيحمل.

الملك أنا الديان» ثم قال عن أبي سعيد^(١) الخدري بالسند الصحيح قال قال النبي ﷺ يقول الله عز وجل: «يا آدم يقول: لييك وسعديك فينادي بصوت، أن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار» فيبين سبحانه أن المنادي عنه غيره لقوله: «إن الله يأمرك» والحمد لله.

وأما أحمد بن حنبل فأما أبي أن يقول: إن القرآن مخلوق، وحمله الظالم على أن يناظره، وقال له: القرآن شيء أو غير شيء فإن قلت: إنه غير شيء فقد^(٢) كفرت، وإن قلت: إنه شيء فقد قال الله أنه^(٣): «خالق كل شيء» [الأنعام: ١٠٢] فهل يدخل القرآن فيه أم لا؟ فأبى أن يناظره حتى لا يتزل الحق والباطل^(٤) في منزلة سواء، ولو جاء القائل أن القرآن مخلوق إلى أحمد بن حنبل مجيء المسترشد لأرشدته وأجابه. ولما نزل منزلة القدرة^(٥)، وعضده السلطان، سكت عنه لثلا يقع منه ما يفتن به الملك والناس، ورأى فداء الدين بنفسه فكانت منزلة سنية لم تكن لأحد في الإسلام. وقد ورد في الصحيح حديث صحيح: (إذا قضى الله في السماء أمراً سمعت الملائكة كهيئة السلسلة على الصفوان فيخرون سجداً، حتى إذا فرغ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق، فيقولون: الحق الحق) فتعلق به بعض هؤلاء المبتدعة، وقالوا^(٦): هذا نص في أن كلام الله صوت، وقد بيناه في شرح الحديث وغيره. وتحقيق القول فيه أن الله تعالى أوحى إلى رسوله إذا قضى الله، ولم يقل تكلم الله، ولا إذا قال الله. والقضاء في اللغة والشرع يرد على معان كثيرة، وقد يحتمل أن يكون المعنى إذا قال الله بواسطة، ففهم عنه تكلم إليهم، فيغشون لثقل قوله على الملائكة كما قال^(٧): يغلب النبي ثقل القول فيغشى عليه. كأنه الجرس، وهو نحو من السلسلة على الصفا، وبعض الملائكة أقوى من بعض كما أن بعض الأدميين أقوى من بعض، ففوة جبريل

(١) سعد بن مالك الأنصاري، فقيه
 صحابي، توفي سنة ٧٤ هـ / ٦٩١ م.
 (٢) ب: - فقد.
 (٣) ب: - إنه.
 (٤) ج، ز: الباطل والحق.
 (٥) ز: كتب على الهامش: عله.
 القدرية.
 (٦) ب، ز: قال.
 (٧) ز: كتب على الهامش: كان.

في الملائكة على القبول من الله يناسب قوة محمد ﷺ في الآدميين على قبول القول من جبريل، ولو كان كلام الله صوتاً، لما كان صوت جبريل لمحمد ﷺ كالجرس، وكلام الله لجبريل كالسلسلة لا يصح بهذا التقدير، نعم، ولا كالرعد، ولا أعظم منه. وأما كونه له يد ويمين فإنه له^(١)، ثابت قطعاً، إذ هو نص القرآن وكذلك ذو عين، فإنه ثابت قطعاً، ولما جاء في القرآن كلاهما قال علمائنا المتقدمون: أن اليمين صفة ثابتة في القرآن ليس لها كيفية، وحملها المتأخرون من أصحابنا على القدرة. والذي قال في آدم: ﴿لما خلقت بيدي﴾ [ص: ٧٥] قال: ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ [الملك: ١] وقال: ﴿بل يدها ميسوظنان﴾ [المائدة: ٦٤] وقال: ﴿والسماوات مطويات بيمينه﴾ [الزمر: ٦٧] وفي الحديث الصحيح: «وكلنا يديه يمين»^(٢) والذي خلق به آدم ويطوي به السماوات هو الذي به الملك، وهو يقبض به الأرض. في البخاري: يقبض الله الأرض، ويطوي السماء بيمينه. وذكر الحديث وذلك كله عبارة عن القدرة، وضرب الله اليد^(٣) مثلاً إذ هي آلة التصرف عندنا، والمحاولة، فإنها المراد هنا^(٤)، وأوضح^(٥) العلم لنا منا، وذلك تصديق قوله: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ [الذاريات: ٢١] وأما بعض أصحابنا فقد قال: إن معنى قوله: ﴿والسماوات مطويات بيمينه﴾ أي^(٦) بقسمه أن يفني الخلق، فقول ضعيف، وإنما هي كناية عن القدرة كما بينا. وهبك وجد^(٧) للقسم ها هنا محتملاً، فهاذا يصنع^(٨) بذكر اليمين في الحديث الصحيح.

وأما ذكر الكف فلم يرد في القرآن، ولكنه ورد في الحديث الصحيح، ولعلمائنا نكتة بديعة، وذلك أنه ما جاء في القرآن من أحوال الصفات الثابتة نقلاً قطعاً، قالوا: إنها صفات لا تتأول، وما جاء في أخبار الآحاد أولوها،

(١) ز: - له، في بعض النسخ كما أشار

(٥) ج: واضح.

الناسخ.

(٦) ز: - أي. وكتب على الهامش أنه

موجود في نسخة أخرى.

(٢) رواه مسلم.

(٧) ج، ز: وجدت.

(٣) ج، ز: إليك.

(٨) ج، ز: تصنع.

(٤) ز: كتب على الهامش: لنا.

ولم يوجبوا الله منها^(١) صفة. وقوله: «إن الصدقة تقع في كف الرحمن»^(٢) كلام صحيح يشهد له القرآن والسنة، فإن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ [البقرة: ٢٤٥] فعبر عن نفسه الكريمة بالمستقرض، فمن دفع إليه شيئاً فقد وقع ما دفع في كف المستقرض كما أنه قال: (فلم تعدني)^(٣) أف يكون^(٤) المرض صفة؟ ولا شك^(٥) في أنه لا يكون، كذلك الكف.

وأما الساعد فليس في حديث صحيح، وكذلك ذكر الذراع، فلم يصح في الحديث أن النبي ﷺ قال: «أكثر من غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً، وأن ضرسه مثل أحد، وأن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة» وهو صحيح. وقال: «ولو أن رصاصة مثل هذه - وأشار إلى الجمجمة - أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً، الليل والنهار قبل أن يبلغ قعرها أو أصلها». فأما ذكرها مضافاً إلى الجبار فباطل، وأراد بساعد الله إن صح الذي يتقمم الله به، كما أن سيف الله الذي ينتقم به من الكفار^(٦) ويستوفي به القبض، وأراد بالذراع مملوكة كبيرة المساحة فأمر أن يذرع بها ما عنده من المساحة، فإنه كما قال: ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ [الحج: ٤٧] و﴿كخمسین ألف سنة﴾^(٧) [المعارج: ٤] فالأزمة^(٨) تكون عنده في طول المساحة ما يشبه به^(٩) فيأمره^(١٠) بمقدار يناسبه. وأما ذكر الأصابع فصحيح، ولكن لم ترد مضافة إليه، وإنما ورد: «أنه

-
- | | |
|---|--|
| (١) ب: كتب على الهامش إشارة إلى أن هذا اللفظ وجد في نسخة. | نسخة: الكفار. |
| (٢) أخرجه البخاري ومسلم. | (٧) ينتهي ما نقص من د ولكنه كمل في ورقة (١٣٠ ب). |
| (٣) ز: يعدني. | (٨) د، ز: في الأزمة. |
| (٤) ز: في الهامش: في نسخة: فيكون. | (٩) د: له. |
| (٥) ز: يشك. | (١٠) ب، ز: أشير إلى أنه في بعض النسخ: فيأمر له. |
| (٦) ب، ز: الكفر. في هامشها: في | |

يضع السموات على أصابع والأرضين^(١) على أصبع ثم يهزهن^(٢) الحديث، ولا ينكر أن يكون لله أصابع، ولكن ليست صفات له، ولا متصلة له^(٣)، ولا يقتضي الظاهر ذلك، فلا نرده^(٤) باطناً فيضيفوها^(٥) إلى الله، وقولوها مطلقة كما جاءت تكونوا آخذين بالظاهر. والمعنى فيه أن الجامع^(٦) للمخاطب الأصابع، فضرب له المثل به. فاحفظوا^(٧) نكتة بديعة وهي أن الشرع جاء باليدين واليد والكف والأصابع، وقل بالساعد^(٨) والذراع مفردات فلا تصلوها، وتجعلوها عضواً، وتضيفوها وتركبوها^(٩) بعضها إلى بعض فإنكم تخرجون من الظاهر إلى باطن التشبيه والتمثيل الذي نفاه عن نفسه، فما فرق لا يجمع، وما جمع من صفاته العليا^(١٠) لا يفرق.

وأما ذكر القدم والرجل فصحيح، وردا مضافين إلى الله^(١١)، وأما الساق فلم يرد مضافاً إليه، لا في حديث صحيح ولا سقيم، وإنما قال الله: ﴿يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] ما الساق؟ وأي ساق؟ ولمن^(١٢) من ذوي^(١٣) السوق؟ وأما الوطء بالقدم فلم يرد في حديث صحيح، أما أنه ورد في الحديث الضعيف^(١٤) و(آخر^(١٥) وطأة وطئها الله تعالى بوج^(١٦)) يعني الطائف^(١٧).

-
- (١) د: الأرض.
 (٢) رواه البخاري في الصحيح عن آدم بن شيبان.
 (٣) ب، ز: - له. وكتب على الهامش ما يشير إلى أنها مثبتة في نسخة أخرى.
 (٤) ج، ز: ترده. د: تردوه.
 (٥) ج، د، ز: فتضيفوها.
 (٦) ب، ج، ز: كتب على الهامش ما يشير إلى أنه قد زيد في نسخة أخرى: للمتفرق المأخوذ المخاطب د + نفس النص في المتن.
 (٧) ب: واحفظوا.
 (٨) ب: الساعد.
 (٩) د: تركبوا.
 (١٠) د: العلية.
 (١١) د: إليه.
 (١٢) د: + لمن.
 (١٣) ب، ج، ز: - لمن.
 (١٤) د: الظاهر.
 (١٥) ج، ز: أمر.
 (١٦) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات، ص ٤٦١ - ٤٦٢.
 (١٧) وقيل واد بالطائف.

إشارة إلى أنها آخر غزوة انتقم فيها من الكفار، وذلك مشهور في لسان المخاطبين بالقرآن، قال الشاعر:

وطئنا^(١) وطياً على حنق وطي^(٢) المقييد ثابت الهرم

ولا يبعد أن يكشف عن ساق من يقول: إنه ذو ساق، ومن الذي يمنعهم أن يقولوا: إنه هذا الساق؟ قال الشاعر^(٣):

عجبت من نفسي ومن إشفاقها^(٤) ومن طرادي^(٥) الطير عن أرزاقها
في سنة قد كشفت عن ساقها

وأما حديث المخاصرة^(٦) فضعيف، وهو في اللغة مأخوذ من خصر^(٧) وقد تكون^(٨) الجارحة، وقد تكون^(٩) من المخصرة وهي العصا، المعنى، يعطيه ما يعتمد عليه، أ^(١٠) ويدنيه منه بالني^(١١) والأمان، حتى يكون بمنزلة من خاصر الملك. ثم يقال لهم: قوله: «يضع السموات على أصبع، وتقلب^(١٢) القلوب بأصابع الرحمن» من أين لكم أن أصابع الوضع المطلقة هي أصابع التقلب المضافة إليه؟ ثم إنه قال: «ولتصنع على غيبي» [طه: ٣٩] وقال: «تجري بأعيننا» [القمر: ١٤] من قال لكم: إنها عينان؟ وقال: «بيدي» [ص: ٧٥] و«بيدي» [الحجرات: ١] من قال لكم: إنها أيدي؟ فإن قيل قوله: «والسماء بنيانها بأيدي» [الذاريات: ٤٧] قلنا^(١٣): اتفقت الأمة على أنها لا ياء فيها^(١٤)، فلا سبيل إلى^(١٥) أن يكون^(١٦) جمع يد، ثم يقال لكم: لم لا^(١٧) تصلون بين القدم والرجل والساق والمخاصرة والجنب؟ والجنب عبارة عن

(١) د: ووطئنا، ز: في الهامش: في (٩) ب: يكون.

(١٠) ب: أ. نسخة: ووطئنا.

(١١) أ: وطء. (١٢) ج، د، ز: بالني.

(١٣) د: العربي. (١٤) ب، د: ويقلب.

(١٥) ج، ز: أسقامها. (١٦) ب: تنافها. ج، ز: بناء.

(١٧) ب، د: طراد. (١٨) د: فلها.

(١٩) د: المخاصرة. (٢٠) ب، ج، ز: - إلى.

(٢١) د، ز: خ ص ر. (٢٢) ب: تكون.

(٢٣) ب: يكون. (٢٤) د: - لا.

جهة القصد، لأنه قال: «فرطت في جنب الله» [الزمر: ٥٦] ولا يكون ذلك أبداً إلا من جهة (١) طاعة، ولا تفريط في الجارحة (٢) منا (٣)، ولا في الصفة منه سبحانه. ثم تصلون (٤) الأصبع بالكف، والذراع والساعد، وتجمعون (٥) صورة فرقها العقل والشرع؟ إن هذا هو الكفر العظيم، والخسران المبين. ثم (٦) الوطء هو وضع القدم بنقل (٧)، وليس الباري ذا أجزاء تنتقل (٨)، فإن قيل ففي الحديث: «إن العرش ليئط به أطيظ الرجل براكبه» قلنا: هذه باء السبب، والمخلوقات كلها تثط به أي من أجله، فإن قيل: أجمعت الأمة على أن أصابع الوضع هي أصابع تقليب القلب، قلنا: أجمعت الأمة على أنها ليست هي. فإن قيل عمن؟ قيل له: وقل أنت عمن؟ وتحقيق المسألة أن أحداً لم يقل قط أن الأصابع والكف صفة، و(٩) إنما اختلفوا فيما جاء به (١٠) القرآن. فأما ما جاء من طريق الأحاد، فلا يثبت العلماء بها (١١) صفة، وإنما اقتحم ذلك هذه (١٢) الطائفة العوجاء (١٣) وأما الضحك والفرح فحديث صحيح، ولكن أجمعت الأمة على أنها ليست بصفات، وإنما الضحك عبارة عما يكون من فضله، وفيض من عطائه، كما يقال: ضحكت الأرض إذا أبرزت زيتها. قال (١٤) أبو نصير:

يضاحك الشمس منها كوكب شرق موزر بعميم النبت مكتهل

وقال آخر:

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكاً علقت لضحكته (١٥) رقاب المال والفرح عبارة عما يظهر عنده من الجود والسخاء والبشر والقبول وإلا

- | | |
|----------------------------------|--------------------------------------|
| (١) د: - من. | (٩) ب، ج، ز: - و. |
| (٢) ج، ز: الخارجة. | (١٠) د: في. |
| (٣) ب، ج، ز: منك. | (١١) ز: في الهامش: في نسخة: به. |
| (٤) د: يصلون. | (١٢) ج، ز: - هذه. وأشير في ز إلى أنه |
| (٥) د: يجمعون. | قد أثبت ذلك في نسخة أخرى. |
| (٦) د: - ثم، + و. | (١٣) د: الغواء. |
| (٧) ب، ج، ز: بنقل. ز: في الهامش: | (١٤) د: وقال. |
| في نسخة: بنقل. | (١٥) د: بضحكته، ز: في نسخة |
| (٨) د: تستقل. | نضحكته. |

فيقال^(١) لهم: علام^(٢) تقولون: إنه يفرح ويمشي ويهرول، ويأتي وينزل؟ فهل يجوع ويعطش ويمرض ويحتاج ويمر؟ فإن قالوا: لا، قلنا: فقد قال: «عبدى مرضت فلم تعدنى، جعت فلم تطعمنى، عطشت فلم تسقني» وفي رواية: «استكسيتك فلم تكسني»^(٣) فيقول: فكيف^(٤) يكون ذلك وأنت رب العالمين؟ يقول: كان ذلك بعبدى فلان، ولو فعلت به ذلك لوجدتني عنده، في حديث طويل، هذا معناه. فإن قالوا: لا نقول بهذه لأنها آفات، وهذه صفات. قلنا لهم بل هي جوارح، وأدوات وهي كلها نقص وآفات، فإن هذه الجوارح^(٥) كلها إنما وضعت للعبد جبلة لنقصه يتوصل، ويتوصل بها إلى قصده، ومن له الحول والقوة؟ وإنما هو إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون بلا^(٦) آلة له^(٧) ولا جارحة، فكما أضاف هذه الألفاظ الجوارحية^(٨) عندنا إلى نفسه، كذلك [و١٣٢ أ] أضاف البيت والدار إليه، فهل بيته الذي هو الكعبة على قدره أو أكبر منه؟ وهل يدخله أم لا؟ وداره هل يسكنها أو يدخلها؟ وأنتم معشر الغافلين أو قل الجاهلين وإن صرتم فأصب^(٩) بالضالين الكافرين مقتل الخطاب الصحيح فيهم: الأرض كلها لله، والمساجد لله، والكعبة بيت الله، والجنة دار الله، وإذا أراد الله أن يشرف بيتاً أو داراً، أو آدم أو عيسى قال: إنه منه، وله، ويده كان، وإلى جنبه يقعه، وعلى عرشه ينزله معه، وكل ملك له، ويده^(١٠) ورجله وقدمه، وذراعه وساعده، ولا سيما إذا تصرف في طاعتهم ألا ترى إلى^(١١) قوله في الحديث الذي رويتم: «فساعد الله أشد، وموساه أحد» فجعل له ساعداً وموسى، والإضافة واحدة والكل صحيح المعنى حق.

-
- (١) ب، ج، ز: الإقبال. وفي هامش
ج، ز: صوابه: ألا يقال لهم.
(٢) د: له هل.
(٣) ج: تكسني.
(٤) ب، د: وكيف.
(٥) ج: جوارح.
(٦) د: فله.
(٧) ب، ج، ز: إن صرتم فأصب.
(٨) ج: الجارحية.
(٩) د: فله.
(١٠) ج: في.
(١١) ج: في.

وأما قوله ﷺ^(١): «إن الله خلق آدم على صورته» فقد تكلمنا على الحديث في مواضع، وأملينا فيه ما شاء الله أن يمل^(٢)، ولم يتفق لأحد فيه^(٣) من الجمع ما اتفق لنا، ولبابه أن أصل القول، معناه ثلاثة أوجه الأول: أن يكون المراد به صورة الرحمن. الثاني: أن المراد صورة آدم نفسه. الثالث: أن المراد صفة^(٤) صورة العبد المظلوم^(٥) الذي جاء الحديث على سببه، حين لطم وجهه فقال: «اجتنبوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورته» فرجع^(٦) الثلاثة الأقوال إلى اثنين وهما أن يعود الضمير إلى آدم أصلاً أو تبعاً، أو يعود إلى الله^(٧)، فإن قلنا: إنه يعود إلى آدم كان معناه: أكرمه فإن أباك على صورته، وكان ذلك أوعظ له من أن يقول له^(٨): فإنك على صورته، لأن المرء يمكن^(٩) أن يمتن من نفسه ما لا^(١٠) يمتن من أبيه، فإن الموجود إذا أشبه من له حرمة عندك راعيت شبهة جبلة^(١١) وشرعية^(١٢) ومزوءة^(١٣)، [و ١٣٢ ب] ألا ترى إلى قول القائل^(١٤):

أحب لحبها السودان حتى أحب لحبها سود الكلاب
وقال الآخر^(١٥):

أشبهت أعدائي فصررت أحبهم إذ صار^(١٦) حظي منك^(١٧) حظي منهم
وإن قلنا يعاد الضمير^(١٨) إلى الله كان معناه تشريف العضو بأن فيه طرق العلم كلها، البصر والسمع والشم والذوق واللمس، وفيه شروط^(١٩)

-
- | | |
|----------------------------|---|
| (١) د: صلى الله عليه وسلم. | (١١) ج، ز: حمله. |
| (٢) د: غلبي. | (١٢) د: شرعة. |
| (٣) د: فيه لأحد. | (١٣) د: صورة. |
| (٤) ب، ج، ز: - صفة. | (١٤) ج، ز: هو العربي. د: قول العربي. |
| (٥) د: المظلوم. | (١٥) ج: قول الآخر. ز: قول آخر. د: وقال. |
| (٦) د: وترجع. | (١٦) ز: في نسخة: كان. |
| (٧) د: + تعالى. | (١٧) ز: في نسخة أخرى: مثل. |
| (٨) د: - له. | (١٨) ج، ز: - الضمير. د: وإن قلت له. |
| (٩) ب: ممكن. | يعود إلى الله. |
| (١٠) ب، ز: - ما لا. | (١٩) د: شرط. |

قيام العقل بالقلب، أو هو محل العقل، على اختلاف غير ضار^(١) في الدين، ولا يصح أن يكون آدم، ولا أحد على صورة الرحمن بإجماع، وإذا بطل الظاهر، فلا معنى لاعتقاد المحال الذي يبطله العقل في الباطن، فإن العقل يزكي الشرع^(٢)، والشاهد بعдалته^(٣)، ومن المحال أن يأتي الشاهد بجرحه المزكي وتكذيبه، فإن ذلك عائد بإبطال قوله. وقد بينا ما كان يقوله أبو يعلى بن الفراء الحنبلي: أنه يلتزم في صفة الباري كل شيء إلا اللحية والفرج، فانظروا نبهكم^(٤) الله إلى هذا المفترى^(٥) على الشريعة في جنب الله تعالى، ويقال له: فأين^(٦) التزام الظاهر؟ وأين صفات المعاني من العلم والقدرة^(٧) والكلام والإرادة، والحياة^(٨) والسمع والبصر؟ وإذا ثبت^(٩) الجوارح الظاهرة^(١٠) فأين الباطنة من القلب ونحوه؟ فإن^(١١) قال: هذه صفات نقص. يقال له: تكون صفات كمال بأن تذهب^(١٢) عنه الآلام واللذات، والقاذورات، كما ذكر تعالى عن صفات أهل الجنة، وكما فعلتم في الجوارح الظاهرة، وإذا بلغتكم إلى^(١٣) هذا المقام فاحدوا الله على ما وهبكم من العصمة عن هذه البدعة^(١٤) بل الكفر الصراح^(١٥). ومن استطاع على التأويل، وفهم المعنى فيها ونعمت، ومن قصر نظره التزم الإيمان، ونفى التشبيه، واعتقد تقديس الرب^(١٦) عن الآفات والنظير، ولا^(١٧) تصفوه إلا بما صح، ولا تنسبوا إليه إلا ما ثبت، فأنتم^(١٨) تعلمون أنه لا يقبل على أحد [و ١٣٣ أ] من الخلق إلا العدل، فكيف^(١٩) تقبلون على ربكم، من لم يعرف^(٢٠) عنه، ولم تثبت عدالته

- (١) ز: في نسخة: ضائر.
(٢) د: مزك للشرع.
(٣) ج، ز: يعدله.
(٤) ب، ز: في نسخة: ثبتكم الله. د: تبتكم.
(٥) د: الاقتراء.
(٦) د: أين.
(٧) د: - والقدرة.
(٨) د: الحياة.
(٩) د: ثبت.
(١٠) د: - الظاهرة.
(١١) د: وإن.
(١٢) ب، د: يذهب.
(١٣) ج، ز: - إلى.
(١٤) د: البدع.
(١٥) ب، ج، ز: - بل الكفر الصراح.
(١٦) د: الباري.
(١٧) د: فلا.
(١٨) د: وأنتم.
(١٩) ج، ز: وكيف.
(٢٠) ب، د: تعرف.

فيضاف إليه، ويحكم به عليه. والأحاديث الصحيحة في هذا الباب على ثلاث^(١) مراتب، المرتبة^(٢) الأولى^(٣): ما^(٤) ورد من الألفاظ كمال محض ليس للآفات والنقائص فيه حظ، فهذا يجب اعتقاده. الثانية: ما ورد وهو نقص محض، فهذا ليس لله فيه^(٥) نصيب فلا يضاف إليه^(٦) إلا وهو محبوب عنها في المعنى ضرورة كقوله: «عبدى مرضت فلم تعدنى» وما أشبهه.

الثالثة: ما يكون كملاً، ولكنه يوهم تشبيهاً. فأما الذي ورد كملاً محضاً كالوحدانية، والعلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر، والإحاطة والتقدير والتدبير، وعدم المثل والنظير فلا كلام فيه، ولا توقف. وأما الذي ورد بالآفات المحضة والنقائص كقوله: «من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً» [الحديد: ١١] وقوله: «جعت فلم تطعمني»^(٧) وعطشت» فقد علم المحفوظون، والمفوضون، والعالم، والجاهل أن ذلك كناية، وأنه واسطة عمن تتعلق^(٨) به هذه النقائص، ولكنه أضافها إلى نفسه الكريمة المقدسة، تكرامة لوليه، وتشريفاً، واستلطافاً للقلوب وتلييناً^(٩). وهذا أيها العاقلون^(١٠) تنبيه لكم على ما ورد من الألفاظ المحتملة، فإنه ذكر الألفاظ الكاملة المعاني السالبة، فوجت له، وذكر الألفاظ الناقصة، و^(١١) المعاني الدنيئة فتنزه^(١٢) عنها قطعاً، فإذا جعلت الألفاظ المحتملة التي تكون للكمال بوجه، وللنقصان بوجه، وجب على كل مؤمن حصيف^(١٣) أن يجعله كناية عن المعاني التي تجوز عليه، وينفي^(١٤) عنه ما لا يجوز عليه، فقوله في اليد والساعد والكف والأصبع عبارات^(١٥) بديعة [و ١٣٣ ب] تدل على معان شريفة، فإن الساعد عند

(٩) د: تبييناً.

(١٠) د، ز: الغافلون.

(١١) د: - و.

(١٢) ب، ج، ز: فترة.

(١٣) ج، ز: حصيف.

(١٤) د: تنفي.

(١٥) ج، ز: عبارة.

(١) ب: ثلاثة.

(٢) ب، ج، ز: - المرتبة.

(٣) ب، ج، ز: الأول.

(٤) د: فما.

(٥) د: فيها.

(٦) ج، ز: إليها.

(٧) د: - فلم تطعمني.

(٨) ج، ز: يتعلق.

العرب عليه كانت تعول^(١) في القوة والبطش والشدّة، ألا ترى^(٢) إلى قول الزبير^(٣) وقد ضرب، فأبان المضروب وفصله وتجاوز إلى ما تحته فقال له قائل: إن هذا السيف^(٤) فقال: ما هو السيف^(٥)، إنما هو الساعد، ولهذا قال النبي^(٦) في حديث أبي الأحوص^(٧) عن أبيه فيجدع هذه فيقول: «ضرر^(٨)»، ويقول^(٩) بحيرة فساعد الله أشد، وموساه أحد^(١٠) تهديداً^(١١) له على ما أتى من الفعل القبيح، وتحذيراً له من النقمة والجزاء. وأضاف الساعد إلى الله، لأن الأمر كله لله، كما أضاف موسى إليه. وكذلك قوله: «إن الصدقة تقع في كف الرحمن» عبر بها عن كف المسكين، تكرمة له، حتى لقد قال بعضهم: إن قوله: «اليد العليا خير من اليد السفلى» المراد باليد العليا^(١٢) يد^(١٣) السائل المعطى^(١٤) الآخذ لهذا المعنى، وأضافها إليه تكرمة، كما قال: «ناق الله» [الشمس: ١٣] وأمثاله كثيرة. وقد بينا ذكر الأصابع وحكمته في ذكر التقليل به^(١٥)، وما يقلب بالأصابع^(١٦)، يكون أيسر وأهون، ويكون أسرع، فأراد الباري أن يهون عند قدرته، مقدار السموات والأرض^(١٧)

فنتقطع آذانها وتقول هي بحر، وتشقها

أو تشق جلودها وتقول هي حرم

فتحرمها عليك وعمل أهلك؟ قال

قلت: نعم، قال: فكل ما أتاك الله

لك حل، وساعدك وموسى الله أحد من موساك

(الأسماء والصفات، ص ٣٤٢).

(١١) ب: في نسخة: تسديداً. ب، ج،

ز: تشديداً.

(١٢) ج: - باليد العليا. ز: بيد.

(١٣) د: - يد.

(١٤) د: المعطى.

(١٥) د: - به.

(١٦) د: - بالأصابع.

(١٧) د: الأرضين.

(١) ج: تقول.

(٢) د: ترون.

(٣) الزبير بن العوام، استشهد سنة

٣٦ هـ / ٦٥٦ م.

(٤) ب، ز: في نسخة: لسيفا.

(٥) ز: في نسخة: بالسيف.

(٦) ج، ز: + صلى الله عليه وسلم.

د: + عليه السلام.

(٧) سلام بن سليم أبو الأحوص. توفي

سنة ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م.

(٨) د: فتقول: ضربنا.

(٩) د: تقول.

(١٠) أورده البيهقي في الأسماء والصفات

بلفظ آخر: هل تتج إبل قومك

صاحباً آذانها فتعمد إلى موسى

والمخلوقات، وأراد في جعل ^(١) القلب بين أصبعين، الإشارة ^(٢) بذلك إلى سرعة تقلبيه ^(٣) وخفائه وحقارته، وهو والمخلوقات سواء في هوان ^(٤) ذلك عنده، وحقارته ^(٥) بالإضافة إلى قدرته. وقيل كنى بالأصبعين عن اللتين لمة من الملك له في الإيعاد بالخير، وتصديق الحق، و ^(٦) من الشيطان لمة في الإيعاد بالشر والتكذيب بالحق. وأما الذراع فقله بينا بأنه إنما ورد مطلقاً غير مضاف إلى الله ^(٧)، قال الله سبحانه: ﴿ذُرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٢] والحديث الذي فيه ^(٨) بذراع الجبار، لم يصح، كما قدمنا [و ١٣٤ أ]، وإنما الصحيح في إسناده عن أبي هريرة ^(٩): «غلظ جلد الكافر أربعون ذراعاً» ^(١٠) مطلقاً غير مضاف، فلا يلتفت إلى حديث الإضافة.

عاصمة:

نما يتعلق بهذا ويستذكر به، وجرى فيه توقف وغلط، أحاديث يعارض ظاهرها المقتضى بالعقل، لا تتعلق بالباري ولا صفاته، ولكنها تتعلق بما أخبر

كيفية المخاطبة تكون ولا بد تابعة لحال المخاطب في إدراكه وعقله وعلمه ومعهوداته وإلا لو لم يكن الأمر كذلك لتعطلت الشرائع والأحكام وانسد باب المعارف الدنيوية والأخروية لأن الله جل جلاله وتنزه وتعالى، ذاته لا تشبه الذوات، وصفاته ليست كصفات الخلق في الكم والكيف وأفعاله لا تشبه أفعال المخلوقات. وبهذا والحمد لله تندفع جميع الإشكالات والحمد لله أولاً وآخراً.

(٨) ب، ج، ز: - فيه.

(٩) توفي سنة ٥٩ هـ / ٦٧٨ م (العبير، ج ١ ص ٦٣).

(١٠) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات، ص ٣٤٢.

(١) ج، ز: وأرى أن في جعل.

(٢) د: إشارة.

(٣) ب، ج، ز: تقلبه.

(٤) ب: حقارة.

(٥) ج: - وهو والمخلوقات سواء في هوان ذلك عنده وحقارته.

(٦) د: - و.

(٧) ز: كتب على الهامش: قلت الذي

يظهر لهذا العبد الضعيف وهو

المخلص الواضح الذي ليس بعده

توقف ولا إشكال، وذلك أن

خطاب الله لخلقه، والتعبير على شؤونه

سبحانه وتعالى يلزم أن يكون على

أسلوب مخاطبتهم ومعاملة بعضهم

لبعض، كما يلزم أيضاً في بيان شؤونه

وفهامهم إياها، أن تكون على نحو

صفات البشرية من جميع الوجوه لأن

عنه من المعاني، وقد سبق بيانها^(١) بأن^(٢) العقل والشرع صنوان، وأن العقل مزكي الشرع، ولا يخرج الشاهد المزكي ولا يكذبه، فإن ذلك إبطال له. وأحكام العقل ثلاثة واجب وجائز^(٣) ومستحيل، فأما الواجب والمستحيل فالشرع لا يثبتهما ولا ينفيهما، لأنه لم يأت لبيان المحسوسات والضروريات، وإنما جاء لتعيين جائز أو تبين حكم ابتدائي^(٤)، وعلى الواجب والمستحيل بنى الشرع الأدلة، وبهذا وقع^(٥) احتجاجه، وإليها في النظر كان مرجع البيان^(٦) منه، فإذا جاء ما ينفي العقل ظاهره فلا بد أيضاً من تأويله، لأن حمله على ظاهره محال، فيكون غير مفهوم والشرع لا يأتي به، فلا بد من تأويله. والأخبار على ثلاثة أقسام^(٧): متواتر وهو قليل بل عزيز. ومستفيض وهو كثير. وآحاد، وهو جملة أخبار الشرع، وفي القرآن من التواتر ما يغني، والمستفيض والآحاد إذا جاء في الآثار، يرد الآحاد جماعة، منهم مالك رضي الله عنه في مواضع تعارضها^(٨) أصول الشرع. والقدرية لا تلتفت إليها. ولكنها تتناقض فيها، وقد بينا حقيقة الأخبار في كتب الأصول، ونحن نورد من ذلك أمثلة مختلفة المباني.

خبر:

قال النبي ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني في اليقظة إن الشيطان لا يمثلي بي»^(٩) فهذا يعلم قطعاً أنه لا يرى ذات النبي^(١٠) لوجهين: أحدهما أن ذاته لا تدرك في اليقظة فضلاً عن المنام. الثاني: أنه يراه في صورة تخالف صورته الكريمة. فدل على أن هنالك محذوفاً تقديره: من رأى مثالي فقد رآني، أي يكون ذلك دليلاً على أنه رأى الحق، كما قال في رواية أخرى: «فقد رأى

-
- (١) ز: في نسخة: بيانه.
(٢) ز: في نسخة: فإن.
(٣) د: جائز وواجب.
(٤) ب، د: ليعين جائزاً، أو يبين حكماً.
(٥) ب: في نسخة: وبها أوقع.
(٦) ج، ز: كان في النظر مرجع البيان.
(٧) ز: في الهامش، في نسخة: أضرب.
(٨) د: يعارضها.
(٩) رواه الشيخان.
(١٠) هنا يبدأ النقص في د.

الحق، إذ الشيطان وإن لعب بالإنسان في يقظته أو^(١) منامه، فلا يلعب به بواسطة النبي، فكان ذلك المثال الذي يرى في المنام، هو مثال النبي ضرب عنه حقاً.

وقد سألت دانشمند^(٢) عن الرجل يرى النبي في المنام فيقول له: كان كذا، أو افعل كذا، بما يوافق الحق، أو يخالف ما روي عنه، أو ما يقتضيه القياس فقال لي: ذلك لا يوجب حكماً، ليس بشك في حقيقة المثال، وتصديق الرؤيا، ولكن لأن الذي رأى النبي ﷺ في منامه لا يوثق به في تحصيل ما رأى، فإن المستيقظ قد يفوته التحصيل، ويذهب عن الوعي، بغفلة، أو ذهول، أو نسيان، فكيف بحال النوم؟ انتهى قوله.

قال القاضي أبو بكر رضي الله عنه: وقد بينا أن الرؤيا أوهام، أو حقيقة إدراك، على الاختلاف في ذلك. وعندي أنه حقيقة إدراك، ولكن الملك يضرب بها المثل، وذلك مختص بحالة النوم تصرف فيه الأشياء عن ظواهرها، وتجري الكنايات والمجازات البعيدة فيها، بإذن صاحب الشريعة ووضعه، كما أنه منع الكنايات في بيان التوحيد، ووضع الأحكام وجرى كل على حكمه وبابه.

خبر:

قال النبي ﷺ: «أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فكتب ما يكون إلى يوم الساعة»^(٣) قال القاضي أبو بكر رضي الله عنه: فقد أخبر الله أنه خلق العرش والكرسي والقلم واللوح، وأمر القلم فكتب فاختلفت ها هنا خمسة معان: المعنى الأول: العرش، ولا خلاف بين المصلين أن العرش مخلوق جسم محدث عن أول سابق بعدم^(٤)، ولكنهم اختلفوا هل هو عبارة عن

(٢) ب: نشمند. ج: دانشمند. كلمة

فارسية بمعنى عالم العلماء. ز: كتب في الهامش: قف على سؤاله لشيخه أبي حامد الغزالي.

(٤) ب: لعدم.

(١) ب: - أ. ز: على الهامش: في نسخة: أو.

(٣) رواه أبو داود في كتاب القدر.

المخلوقات أجمع أم عن مخلوق أعظم منها قدراً، وأعلى منها مكاناً، والصحيح إنها جميعاً صحيحان موجودان.

المعنى الثاني: الكرسي، وقد اختلف الناس فيه فمتمم من قال: إنه العلم، وقيل: إنه موضع القدمين^(١)، ومعناه أن العرش منصوب كهيئتي الدست، والكرسي، موجود تحته كهيئة الكرسي الموضوع للملك في الدنيا يرقى إلى الدست عليه، ويضع إذا جلس قدميه فيه، وهي جلسة الجبارين فيما شاهدتهم عليه، ولم يرد في هيئته حديث يعول^(٢) عليه، فلا يلتفت إليه أما أنه من الجائز أن يكون كذلك والله^(٣) أعلم بوجه الحكمة في خلقه، إذ لا يصح بحال من المعقول أن يكون مقراً له، ونحن لا نعلم الحكمة في خلق الذر، فكيف أن نعلم^(٤) الحكمة في خلق العرش والكرسي، فلا معارضة بين القولين، فيجب الإيمان بالورود والتجويز للمعنيين، واعتقاد وجوب سعة العلم للكل، وتنزيه الرب عن الحلول والاتصال، ونكون حينئذ من الراسخين بفضل الله. المعنى الثالث: القلم، ليس يمتنع أن يكون جسماً مؤلفاً، ولا خلاف بين الأمة أنه كذلك، وقد تظاهرت الأخبار والآثار أنها أقلام، وقد سمع النبي ﷺ في رواية الصحيح، صريفها في ليلة الإسراء، في العلو الأعلى، ويحتمل أن يكون أول مخلوق قلماً واحداً، فكتب، ثم خلقت سائر الأقلام بعده، ويحتمل أن يكون قوله: «أول ما خلق الله القلم» عبارة عن الجنس لا عن الواحد، والظاهر عندي أنه واحد خلقت بعده أقلام سواه، والله أعلم.

المعنى الرابع: أنه قال له: اكتب، قد بينا في «قانون التأويل» وجه الحاجة إلى الكتابة، وفصل الله فيها على الخلق، وما يدفع من مضرتهم، ويرفع من حاجتهم، ولما قال في الحديث: «فقال له اكتب» دل على أن هنالك مكتوباً فيه، وهو المعنى الخامس عبر في آية باللوح^(٥) وفي آخر^(٦) بالرق

(٤) ج: تعلم.

(١) ب: القدس.

(٥) ج، ز: في حديث بأنه اللوح.

(٢) ب: يعول.

(٦) كذا في جميع النسخ، وصوابه:

(٣) ب، ز: في نسخة: ربنا.

أخرى، بناء على أنه وصف للآية.

المنشور، ويحتمل أن يكون^(١) لفظين لمعنى واحد، ويمكن أن يكونا لفظين لمعنيين، والظاهر أنها واحد له اسمان، بل له أسماء المذكور منها هذان الاسمان، وعند الانتهاء إلى هذا المقام قالت طائفة: إن هذه^(٢) عبارة عن انتقاش المعلومات في قلوب العالمين، وعبر عنه بالقلم والكتب مجازاً، إذ معنى الكتابة تثبيت صور العلوم، وذلك كله ثابت في قلوب العالمين فعبر^(٣) به^(٤) عنه. وهذا المعنى وإن كان جائزاً في ذاته صحيحاً في وجوده، فلا نقف بالقول فيه، بل نقول: إنه مكتوب في جسم بجسم^(٥)، وفي مؤلف بمؤلف، ويكون ذلك كله من خلق الله وحكمه، وحكمته بأن كتبه محسوساً ومعقولاً، وجعله بالمعنيين موصولاً. وإذا كان كل ذلك جائزاً فهذا هو الظاهر، فإن الله قال: إنه أول ما خلق، القلم، وقال له: اكتب، ولم يكن هنالك^(٦) عالم ينتقش في قلبه معلوم، فعبر عنه بأنه مكتوب، وإنما خلق ما خلق، وكتب ما كتب، ثم أنشأ الخلق أطواراً، وعلمهم بالقول البيان، وبالقلم الكتاب، وأخبر عن الوجهين بقوله: ﴿الرحمن علم القرآن خلق الإنسان، علمه البيان﴾ [الرحمن: ٣] ويقول: ﴿اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم﴾ [العلق: ٤] وقد زاد بعضهم بأن هنالك^(٧) دواة، وجعلها مذكورة في قوله: ﴿ن والقلم﴾ [القلم: ١] وهذه دعوى من غير برهان، فإن المداد مادة لنا في تصوير القلم لما يكتبه في وجه اللوح، وكتاب قلم الله، لا يحتاج إلى مادة، أما أنه لو ثبت طريق وجودها لقلنا به، وإن لم يثبت فقد استغنى عنه.

تكملة:

وتبقى ها هنا نقطة، وهي أن كتابه يحتمل أن يكون بخلاف كتابة الخلق، ويحتمل أن يكون مثلها، فقد روى الترمذي^(٨) وغيره عن عبدالله بن

(١) كذا في النسخ الثلاثة ب، ج، ز
وصوابه: يكونا.

(٢) ب، ز: في نسخة هذا.

(٣) ج، ز: في نسخة: فعبروا.

(٤) ب، ز: + به في نسخة.

(٥) ج، ز: بجسم في جسم.

(٦) ب، ج: هنالك.

(٧) ز: هناك.

(٨) أبو عيسى محمد بن عيسى توفي سنة

٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م.

عمر^(١) أن النبي ﷺ خرج يوماً على أصحابه، وفي يده كتابان فقال عن الذي في يده اليمينى : «هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجل^(٢) على آخرهم، فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً^(٣)، ثم قال للذي في شماله: هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجل^(٤) آخرهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً، ثم قال بيديه، فنبذهما ثم قال: فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة، وفريق في السعير» ولو أراد أحد أن يكتب أسماء أهل بلد في قراطيس تسع بيته، ما وسعت فيه، فكيف كفه؟ ولكن كتابة الباري على ما تقتضيه قدرته^(٥). وخذوا^(٦) دستوراً في كلامه العربي، الذي نظمته لرسوله الأمي الذي أتاه جوامع الكلم^(٧)، وأنزل عليه القرآن معجزاً للخلق، فذكر قصة نوح في خمس وعشرين آية، أملىنا عليكم فيها خمسمائة مسألة، وذكر قصة موسى في تسعة آية، أملىنا عليكم فيها ثمانمائة مسألة، وأفرد ليوسف سورة، أملىنا عليكم فيها ألف مسألة. وليس يقدر أحد من الخلق على أن يجمع في قدر ذلك من الحروف، مقدارها من العلوم، فإذا شاهدتم هذه القدرة في المؤلف بين أظهركم، فماذا تستغربون من أمر فيما غاب عنكم، فقد نرى على أن الأقلام أجسام تكتب في الألواح^(٨) فوق السموات بصرير، وتصريف، وتقدير، وتصوير، وأن ذلك المكتوب يكتب في قلوب الملائكة، وينتقل منه إلى قلوبنا، ويثبت بصفته في كل موضع بحسب حاله والكل جائز مقدور. والحديث^(٩) فيه صحيح مأثور.

خبر:

ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «يؤق يوم القيامة بالموت

-
- (١) توفي سنة ٧٤ هـ / ٦٩٣ م.
(٢) ج، د، ز: أجل.
(٣) ب: - أبداً.
(٤) ج، د، ز: أجل.
(٥) رواه الترمذي في صحيحه،
(٦) ج، ز: وجدوا.
(٧) ب: الكلام.
(٨) ج، ز: ألواح. وكتب على هامش ز:
في نسخة: ألواح.
(٩) ج، ز: الخبر.
ج ٨ ص ٣٠٨.

في صورة كبش أملح، فيوقف على الصور بين الجنة والنار، ثم يقال: يا أهل الجنة فيشرثبون ينظرون، ثم يقال: يا أهل النار، فيشرثبون ينظرون، فيقال لهم: أتعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا^(١) هو الموت فيذبح، ثم ينادي منادي يا أهل الجنة خلود، فلا موت، ويا أهل النار خلود، فلا موت، فلولا أن الله قضى لأهل الجنة الحياة، والبقاء، لما توار فرحاً، ولولا أن الله قضى لأهل النار الحياة فيها والبقاء، لما توار ترجأ.

قال القاضي أبو بكر رضي الله عنه: لما سمع الناس هذا الحديث، من ذهاب الصدر الأول، قالت طائفة: لا نقبله، فإنه خبر واحد، وأيضاً فإنه جاء بما يناقض العقل، فإن الموت عرض، والعرض لا ينقلب جسماً، ولا يعقل فيه ذبحاً، ولما استحال ذلك عقلاً، وجب أن يمنح الحديث رداً. وقالت طائفة أخرى: إن كان ظاهره محالاً، فإن تأويله جائز، واختلفوا في وجه تأويله على أقوال قد بينها في كتاب «المشككين»، أصلها^(٢) قولان: أحدهما أن هذا مثل، كما لو رأى أحد ذلك في المنام في زمان وباء، فيقال له: هذا الوباء قد زال، ويقع في قلبه في المنام، أن ذلك هو الوباء، وأنه بذبحه يرتفع عن المكان الذي هو فيه. وهذا له رونق، وربما^(٣) تلفق وتنمق، وآخر الأمر لا يستمر ولا يتحقق.

الثاني: أن الذي يؤتى به متولي الموت، وكل ميت يعرفه، فإنه تولاه^(٤)، فإذا استقرت المعرفة به، أعدم لهم، العدم الذي عهدوه ولو شاء ربنا^(٥) لخلق لهم العلم بذلك ضرورة، ولكنه رتب لهم هذه القصة بهذه الحكمة، ويعبر عن المتولي لذلك الشيء باسم ذلك الشيء^(٦) قال فصيحتهم:

يا أيها الراكب المزجي^(٧) منطيته سائل بني أسد ما هذه الصوت
وقل لهم بادروا بالعدر والتمسوا قولاً يبريكم أي أنا^(٨) الموت

(٥) ز: في نسخة: ربك.

(٦) ب: وقال.

(٧) ج، ز: المرص.

(٨) ج: أنني.

(١) ج، ز: - هذا.

(٢) ج، ز: أصلها.

(٣) ج: فما.

(٤) ب: يتولاه.

والذي يعضد هذا التأويل، وبحقيقته^(١) قوله تعالى: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، ووجد الله عنده، فوفاه حسابه﴾ [النور: ٣٩] فأخبر عن جزائه^(٢) بذاته الكريمة، فكذلك يخبر عن الموت بمتوليه فاعلموا ذلك، وقد مهدنا القول مستوفى في تفاصيل الخبر، في كتاب «المشكلين» بما لبابه: إن خروج الروح من الجسد إن لم يكن موتاً، إذ^(٣) كان الموت لا يكون حياة إلا برجوعه إلى الجسد، فإذا ذبح الكبش، ولم تخرج^(٤) روحه، فلا يرى أحد الموت، وإن رآه بعد خروج روحه، فلم تذبح^(٥) الموت، وإن رآه وقد خرج بعضه فليس بموت، والموت في حقيقته لا يتبعض، وإن توقفنا في الروح هل يدخل أو يخرج^(٦)، وإن قال: أرى مقدماته، عاد إلى المجاز، وأهل القيامة لم يبق^(٧) لهم غريبة لم يروها، ولا عادة منخرقة إلا عاينوها، فإنهم رأوا الأجسام الثقالة تعلو، وعانوا في الصراط الأجسام الثقالة تمشي على المحدد^(٨) الدحض^(٩) ثابتة، وتجري كجري الخيل، وتسير سير الريح، وتخطو خطو البرق، وأحسوا بالظما قد ارتفع من شرب الحوض، ورأوا العرق يسيل^(١٠)، فيأخذ^(١١) كل إنسان عرقه على مقدار^(١٢) ذنوبه، فيكون الشخصان متجاورين كخبزة النقي^(١٣)، وأحدهما قد غرق في العرق، حتى شرق، وجاره قد بلغ إلى نصف ساقه، ورأوا المقيطين على كراسي في الهواء قعوداً^(١٤) إلى غير ذلك من عظم الآيات، وأعظم منه الحياة بعد الموت، والقيام من الوفاة إلى الحياة، فقد تحققوا الحياة أولاً، وثالثاً، والموت ثانياً، فلا سالف إلا وقد حصل عندهم في باب كان، وسحبوا عليه ذيل العرفان، فلو ذبح لهم الموت قبل البعث لقال

-
- (١) ج، ز: وتحقيقه.
(٢) ز: كتب على الهامش: في نسخة.
(٣) ج: إذا.
(٤) ب: يخرج.
(٥) ب: يذبح.
(٦) ج، ز: هل يخرج أو يدخل.
(٧) ج، ز: يبق.
(٨) ب: المجوز. ز: في نسخة: الحد.
(٩) ز: الدحض.
(١٠) ج، ز: تسيل.
(١١) ز: كتب على الهامش: عله: يخرج.
(١٢) ز: قدر.
(١٣) ب: النقي.
(١٤) ب: قعود.

من رآه ولم يميت: إني قد استرحت من الموت، وإنما يرى الموت قد ذبح، وهو قد ذبح قبل ذلك، وقطع آراباً ثم عاد حياً، فكيف يمتنع عنده أن يعود الموت بعد الذبح حياً؟ فكيف يئس^(١) بذبحه مع تجويز عوده؟ فأنى لهم نفس مطمئنة؟ أم كيف يتحققون الخلود في نار أو جنة؟ هيهات ليست الحقائق في هذه الطرائق، ولا تنال المعاني بالأمانى، ولا تؤخذ التحف من الصحف، وإنما هي منقولة من الفؤاد إلى الفؤاد، بواسطة اللسان والأذان، وبذو المحال، بشد الرحال، وأعمال المطي، إلى المكان القصي، وملاحظة الأعيان بالعيان، وتحقيق القول في ذلك أن الروح تخرج^(٢) من الجسد في الدنيا على أنواع، تجمعها حالتان: إحداهما^(٣): أن تنتفض البنية، وتنفك الرتبة، والثانية: أن تزهر الروح والبنية بحالها، من وقص أو رفس، ومع عمل من الآدمي كالخفق، ولدم القلب، ورض الاثنين، وغير ذلك من الأنواع الخفي على الناس وجه اتصالها بالموت، والموت وإن اعتقده المعتقدون خروج الروح من الجسد، وأن الروح جسم لا بد له من منفذ لصفته^(٤) المذكورة، فإذا وقع الخفق، فمن أين تخرج^(٥) والمنفذ مستد؟ وإن قال: هو جسم لطيف. قلنا: اللطيف والكثيف له محله، وسبيله بصفته، والذي يدل عليه أن الريح التي هي شبيه^(٦) الروح في الحروف تأليفاً، وفي الاشتقاق وزناً، وتصريفاً، وفي الكيفية ظناً وتحميناً، إذا سد^(٧) عليها المنفذ، لم يكن لها مخرج، ولقد روى أن الخزانة فتحت على عاد^(٨) منفذ الريح في مسلك محصور مثل حلقة الخاتم، وعتت، حتى فعلت ما فعلت بقدره من مكنها فتمكنت، فأفاد أنه لا يكون سلوكها إلا على مسلك بقدر فعلها، ومن يظن الروح لها دخول وخروج كدخول الأجسام وخروجها في المعتاد فيها، هيهات له هيهات المدى، بل له معنى بدني يبرزه النظر، ويشهد له الخبر، فإن قيل: فقد روي أن يحيى ذبح أو نشر ولم يميت:

(١) ب: يأنس. هامش ز في نسخة: لصفته.

(٢) ج، ز: يخرج.

(٣) ج، ز: أحدهما.

(٤) ب، ج، ز: لصفته. وكتب على (٧) ج: شد.

(٨) ج: - عاد.

قلنا أخبار من^(١) غير أخبار، ولو صحت لقلنا: إنه ذبح ثم أحيى، وقد أحيى بعد الموت في الدنيا جماعة، ولابن البهاء^(٢) كتاب فيهم، كبير مفيد، وقد يمكن أن يذبح الحي فلا يموت، فإن قيل: فحركة المذبوح بعد الذبح، ما هي؟ قلنا لهم: هي عندهم مستعارة، وحقيقتها نبينها إن شاء الله تعالى^(٣).

فإن قيل: فكيف يأكل أهل الجنة من لحم حيوانها أمع^(٤) بقاء الحياة؟ فقد روي أنه يقع بين أيديهم مشوياً. قلنا: ويجوز أن يكون مع ذلك حياً سورياً، ويلقم وهو يتكلم، وكما الشواء^(٥) من غير استواء، كذلك يؤكل حياً مع الاستواء^(٦)، وسقطت الذكاة لأن الجنة ليست بدار تكليف، ولما سقطت الذكاة، سقطت متعلقاتها والله أعلم. وطريقة الكلام في المسألة المتقدمة أن الله يخلق لهم العلم اليقيني، في دار اليقين، بأن الموت لا يعود أبداً. ولو خلق لهم هذا العلم ابتداء دون ذبح شيء لكان ذلك واقعاً موقعه، ولكنه بحكمته جعله مخلوقاً منوطاً بسبب، كما كان عند العلم اليقيني في الدنيا، أن من ذبح أو مات لا يعود فيها أبداً، فرتب لهم سبحانه شيئاً يشبهه، حتى يكون العلم الثاني على ما رتب عليه العلم الأول، وثبت^(٧) [و ٧٩ أ] في نفوسهم العلم بالمراد كما أثبتته من قبل، وكان عود الحياة بعد الموت الأول بخبره، كذلك يكون امتناع العود إلى الموت الثاني بخبره، وتطمئن نفوس أهل الجنة بالخلود، ويزيدهم قوله لهم^(٨): أحل عليكم رضائي^(٩) فلا أسخط بعده أبداً. ويقع اليأس لأولئك، وتطبق^(١٠) عليهم النار، وينفذ^(١١) الحكم، ويقع الفصل، ويظهر الوعد الصديق، والله يختم لنا ولكم بالحسنى برحمته.

- | | |
|---|---|
| (١) ب، ز: في نسخة: عن. | (٥) ب: انشوا. |
| (٢) ب: ابنها. والصحيح أنه ابن أبي الدنيا عبد الله بن محمد | (٦) ب: من غير اشتواء. |
| (+ ٢٨١ هـ / ٨٩٤ م) وكتابه يسمى: من عاش بعد الموت مخطوط | (٧) د: انتهاء ما سقط وهو يوازي من ص ٢٢ إلى ٥٥ ج ٢، من طبعة ابن باديس. |
| (الأعلام للزركلي، ج ٤ ص ٢٦٠). | (٨) د: - لهم. |
| (٣) ب، ز: - تعالى. | (٩) ب: رضواني. |
| (٤) ب: مع. | (١٠) ج: تصيق. |
| | (١١) د: ينفذ. |

خبر:

ثبت أن النبي ﷺ رأى الأنبياء ليلة الإسراء رؤيا عين، لا رؤيا قلب، في المنام، وذكر فيه أنه رأى جميع الأنبياء في السماء، ورأى موسى عند قبره يصلي مع أنه رآه في السماء، وروي أنه رآهم في المسجد الأقصى، وصلى بهم^(١)، ورأى عيسى يهادي بين رجلين كأنما خرج من ديماس^(٢) ورأى، أو قال كأي^(٣) أنظر إلى يونس يلبي، وتحية الجبال، وعليه عباءتان قطوانيتان، ولأجل هذا قال جماعة: بأن الإسراء بالنبي ﷺ كان مناماً، فأنكروا صحيحاً جائزاً، لأنه تعذر عليهم ثقل يعلو، وميت^(٤) يحيا من طريق العادة، واطمأنت به نفوس العلماء فإن اعتلاء الثقل كثروله، وإذا نزل جبريل مع خفته^(٥) جاز أن يعلو محمد مع ثقله، والذي يمسك السموات بغير عمد، والأرض معها بغير أمد محدد^(٦)، يجوز في حكمته^(٧)، ويتيسر في قدرته أن يعلو بالثقل إلى ذلك المنتهى، ويجوز أن يحيا له الأنبياء فيردهم^(٨) الله إلى هيتهم، ويريمهم^(٩) إياه في مواضع مختلفة^(١٠)، وفي أوقات متباينة ونحن إنما نتكلم مع أهل الملة، ومن يتوجه إلى القبلة، فإن^(١١) تكلم معنا سواهم، رجعنا معه إلى الأصل المتقدم، ويجوز أن يقول النبي^(١٢) في يونس: كأي أراه يلبي كما تقول أنت اليوم^(١٣): كأي بالنبي محمد^(١٤) في [و ٨٠ أ] عرفة^(١٥) في حجته. والناس حوله، وأسامة رديفه^(١٦)، لأنك قد تحققت، والأول^(١٧) في جهة النبي^(١٨)

- | | |
|---|-------------------------------|
| (١) ب، ج، ز: معهم. | (٩) ب: فريم. ج: فريم. |
| (٢) ج: كتب على الهامش: قوله: ديماس هو الحمام. | (١٠) ب، ج، ز: - و. |
| (٣) ج: - كأي. | (١١) ب: + من. |
| (٤) ج، ز: ميت. وكتب على الهامش: عله: ميت. | (١٢) د: + صلى الله عليه وسلم. |
| (٥) د: ثقله. | (١٣) د: - اليوم. |
| (٦) ب، ج، ز: مجدد. | (١٤) د: + صلى الله عليه وسلم. |
| (٧) د: حكمه. | (١٥) د: بعرة. |
| (٨) د: ويردهم. | (١٦) د: ردفه. |
| | (١٧) ج: الأولي. |
| | (١٨) د: + صلى الله عليه وسلم. |

أصح إذ^(١) قال: رأى، وهو^(٢) جائز إذ^(٣) قال: «كأنى».

خبير:

ومن ذلك قوله في حديث الكسوف: «رأيت الجنة والنار في عرض هذا^(٤) الحائط، ودنت، فأردت أن أتناول منها عنقوداً» فقد علمنا أن عرض الحائط لا يتسع^(٥) لأقل^(٦) حائط بالمدينة، فكيف للجنة؟ وإنما أراد أنه رآها في جهة القبلة، وهذا مما لا يؤمن به القدرية أبداً، لأن الرؤية عندهم إنما هي اتصال الأشعة من نور البصر إلى المرئي^(٧) على خطوط مستقيمة أو معوجة بحسب اختلاف المناظر، وهي بواطل قد بينها في غير موضع من كتبنا. وإنما الرؤية إدراك يخلقه الله تعالى^(٨)، يجوز عندنا أن يجعله في الرأس والرجل والخذ والظفر، وإن كان أجرى العادة أن يكون في المقلة. فالمعنى في الحديث^(٩) أن الله^(١٠) خلق لرسوله^(١١) الإدراك، وهو في عرض الحائط، وخطر بباله أن يتناول منها عنقوداً، فلو حاول ذلك لأخذه، كما قال، لأنه قد كان ألقى في نفسه أو سمعه، أنه إن شاء أن يتناول تمكن^(١٢)، وليس من شرط التمكن اللمس، بل بمد^(١٣) يده وإرادته يأتي ذلك^(١٤) إلى يده من مكان بعيد بل بإرادته^(١٥) وحدها. وهذا كله وإن كان خلاف العادة، فإنه مقتضى القدرة، ولما بعد ذلك عند القدرية، قالوا: صقلت له صفحة الحائط فتمثلت له الجنة والنار، في ذلك الجسم الصقيل. فإيا^(١٦) عجباً لهم هذا خلاف العادة، مما تقتضيه القدرة، وليست القدرة في صحة ما يتعلق بها من الجائزات موقوفة

-
- | | |
|-----------------|------------------------------------|
| (١) د: إذا. | (٩) ب، ج، ز: - في الحديث. |
| (٢) د: هذا. | (١٠) د: + تعالى. |
| (٣) ج، د: إذا. | (١١) د: + محمد صلى الله عليه وسلم. |
| (٤) د: - هذا. | (١٢) د: ويمكن. |
| (٥) د: يسع. | (١٣) ب، ج، ز: بمد. |
| (٦) د: لحمل. | (١٤) د: ذلك يأتي. |
| (٧) د: المرء. | (١٥) ب: بإرادته. |
| (٨) د: - تعالى. | (١٦) د: ويا. |

على ما قالوه من الصقل^(١) خاصة، بل هي جائزة في الصقل والنقل^(٢)، وإذا جاز صقل الحائط فلا يرى [و ٨٠ ب] فيه^(٣) الجنة ممن قابله إلا محمداً^(٤)، جاز أن يخلق له الإدراك وحده بها. ويحتمل أن يكون قوله: «رأيت الجنة والنار في عرض الحائط» أي مستقرب يوازي في القرب عرض الحائط بما أطلع عليه منها، وألقى إليه من التمكن^(٥) بها، وإذا أمكن المرء من البعيد صار قريباً، كما أنه إذا لم يمكن، كان أبعد من السماء، وإن كان مصاباً له، وهذا لا يخفى على ناظر منصف، يعضده ما روى عن النبي ﷺ لما أسري به، وقال لقريش: «كنت البارحة في بيت المقدس»^(٦) فقالوا له: صفه لنا، قال: «فكرت كربة لم يصبني قط مثلها، فأراني^(٧) الله إياه عند دار أبي جهم، فطفقت أنظر إلى بابه^(٨)، وأخبرهم عنه» فإن كان نقل^(٩) رؤية^(١٠)، فقدرة وآية، وإن كان خلق له الإدراك حتى صار في التبيين له، كأنه قريب منه، كقرب دار أبي جهم فأية، والكل جائز، وربنا عليه قادر.

قال القاضي أبو بكر^(١١) رضي الله عنه: وبعد هذا، أخبار كثيرة هذا دستورها، وقد يضاف إليها بالجهل، ما ليس له أصل كقولهم: (أول ما خلق الله^(١٢) العقل^(١٣)) يقال له^(١٤) أقبل الحديث. وهذا لم يصح، ولو تعدل راويه^(١٥) لكان له وجه بأن يخلقه في محل، ويكون الخبر عنه صحيحاً معقولاً، وقد بينا أنه العلم، فالإيه يرجع معناه، وإليه يتركب المراد به. وبقيت بعد ذلك معضلة وهي أن القيامة يوم عظيم فيه أعلام وأحكام، وأجسام^(١٦) فقد

- | | |
|------------------------------|-------------------------------------|
| (١) ب، ج، ز: الصقل. | (١٠) د: ولم يرد. |
| (٢) ب، د: النقل. | (١١) د: قال أبي. |
| (٣) د: فيها. | (١٢) ب: + تعالى. |
| (٤) د: + صلى الله عليه وسلم. | (١٣) د: + أو خلق الله العقل. ز: كتب |
| (٥) د: التمكن. | على الهامش: قلت لعل المراد بالعقل |
| (٦) ب: في القدس. | هنا هو محل العلم أو النور الذي يكون |
| (٧) ب: وأراني. | به إدراك العلوم. |
| (٨) د: آياته. | (١٤) د: - له. |
| (٩) ج، ز: يقل. | (١٥) د: راوية. ج، ز: رواه. |

(١٦) ز: توجد «أجسام» في نسخة.

روي^(١) في الحوض والصراط أحاديث صحيحة، وأما^(٢) الميزان فإنما ذكر في القرآن، وانفرد القرآن بذكر الميزان والوزن، وانفردت^(٣) السنة بذكر الصراط والحوض. أما أنه روي عن [و ٨١ أ] أنس^(٤) أنه قال للنبي ﷺ: (أحب أن تشفع لي يوم القيامة، قال: «أنا فاعل» قال: قلت يا رسول الله: أين أطلبك؟ قال: «أطلبني أول ما تطلبني على الصراط»، قلت: فإن لم ألقك على الصراط، قال: «فاطلبني عند الميزان»، قال: فإن لم ألقك عند الميزان، قال: «فاطلبني عند الحوض») والحديث لم يصح، بل أنه ثبت في الأحاديث الصحاح^(٥) في الشفاعة^(٦): (أخرجوا من النار من في قلبه دينار، نصف دينار، شعيرة، ذرة) وذلك مما لا يعرف إلا بالوزن، فكانه نبه بالسنة على ما صرح به^(٧) القرآن [من أمر الميزان، وصرح في السنة بما نبه به في القرآن]^(٨) من أمر الصراط والحوض، فلما كان هذا الأمر^(٩) هكذا، اختلف الناس في ذلك، فمنهم من قال: إن الأعمال توزن حقيقة في ميزان له كفتان، وشاهين في قبان، ويجعل في الكفتين صحائف الحسنات والسيئات، ويخلق الله الاعتماد فيها على حسب علمه بها، وصفة أعمال عباده لها. وانبنى ذلك على التعديل والتجوير والتحسين والتقصيح، وأن الله يفعل ما يشاء، ولا يترتب عليه حكم في فعل يناسب عملاً من أعمال^(١٠) أهل الدنيا، وإنما هو الخبر كما جاء والحكم لله العلي الكبير كما أراد. وتعارضت آيات الوعد والوعيد، وجرى فيها ما بيناه في غير موضع، ومنهم من قال - وهم المبتدعة -: إنما يرجع الخبر عن^(١١) الوزن إلى تعريف الله سبحانه^(١٢) العباد بمقادير أعمالهم. ونقل

-
- (١) د: ورد، ز: في نسخة: ورد.
(٢) د: فأما.
(٣) د: وتفردت.
(٤) أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر خادم رسول الله، توفي سنة ٩٣ هـ / ٧١١ م.
(٥) د: في.
(٦) ج: - من الشفاعة.
(٧) ج: - به.
(٨) ب: سقط ما بين القوسين.
(٩) د: أمر.
(١٠) ب: - أعمال.
(١١) د: على.
(١٢) د: - سبحانه.

الطبري^(١) وغيره عن مجاهد^(٢) أنه كان يميل إلى هذا القول، فإن كان هذا النقل عنه صحيحاً، إنه لمزلة قدم، وفاتحة لمن يرى قلب الألفاظ لغير ضرورة^(٣)، مع إمكان حملها على ظاهرها، وليس يمتنع أن يكون الميزان، والوزن على ظاهره، وإنما يبقى النظر في كيفية وزن الأعمال، وهي أعراض، فها هنا يقف من وقف، ويمشي على هدى^(٤) [و ٨١ ب] من مشي، فمن كان رأيه الوقوف، فمن الأول ينبغي أن يقف، ولثن^(٥) أراد المشي ليجدن سبيلاً ميثاء^(٦)، فإنه يجد، هاهنا ثلاثة معان: ميزاناً، ووزناً، وموزوناً، وكل واحد [منها معلوم، وبعضها مرتبط ببعض، لا يصح أن يفرد^(٧)] ^(٨) [منها واحد عن الآخر]^(٩) للملازمة التي يقتضيها اللفظ، ويقضي بها العقل، قال^(١٠) الله تعالى: ﴿وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨] فعلمنا أن هنالك وزناً، وقال: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [الأعراف: ٨] فعلمنا أن هنالك ميزاناً نصاً، وموزوناً نصاً^(١١) لأنه قال: ﴿مَوَازِينُهُ﴾ بعد قوله: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ﴾ فاقضى ثقلاً في ميزان، وذلك هو الموزون فصارت الثلاثة كلها في القرآن، واقتضى ذلك موزوناً يخف تارة، ويثقل أخرى، فيخف الميزان به^(١٢) ويثقل، ولم يبق إلا تعيين الموزون. وقد ورد في الحديث الصحيح أنه يوزن عمله من إيمانه ومن حسناته^(١٣)، وبه يخرج من النار، كما أن بعمله السيئ دخلها، فإذا ثقلت السيئات ودخل النار، روعي له عند الخروج الإيمان من ذرة إلى^(١٤) شعيرة إلى دينار، ولو روعي له ذلك في الوزن الأول، ما دخل النار لرجحانه له^(١٥)، ولكنه تأخر، إما لوزن

-
- | | |
|---|----------------------------|
| (١) أبو جعفر محمد بن جرير، توفي سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م وكان من المجتهدين. (العبر، ج ٢ ص ١٤٦). | (٦) ج، ز: ميثاء. د: بينا. |
| (٢) مجاهد بن جبير أبو الحجاج من كبار المفسرين، توفي سنة ١٠٣ هـ / ٧٢١ م. | (٧) ب: يفرد. |
| (٣) ب، ج، ز: صورة. كتب على هامش ز: عله: ضرورة. | (٨) ج: سقط ما بين القوسين. |
| (٤) ح: هذا. | (٩) د: سقط ما بين القوسين. |
| (٥) د: لمن. | (١٠) ب، ج، ز: فقال. |
| | (١١) ب، ج، ز: تكرر: نصاً. |
| | (١٢) ب: - به. |
| | (١٣) د: خيره. |
| | (١٤) ب: - إلى. |
| | (١٥) د: - له. |

السيئات ورجحها ، و^(١) إما لأنه مدخر^(٢) للخروج من النار ، وقد بينا ذلك في موضعه من «المشككين» فدل صحيح هذا الخبر، على أن أعمال الجوارح توزن وبها^(٣) ينجو من العذاب، أو يقع فيه، وأنه يخرج بما في قلبه من إيمان^(٤)، إذ الأعمال تضعفه، فإذا بقي له^(٥) مقدار^(٦) ذرة، عصم من الخلود به. ومن مشى في طريق الوزن وتبع^(٧) ألفاظه وجدده صحيحاً في كل لفظة^(٨)، حتى إذا بلغ إلى تعيين الموزون، ولم يتبين له، لا ينبغي أن يرجع القهقري، فيبطل بأن يبقى ما تقدم على حقيقته^(٩) وصحته، ويسعى^(١٠) في تأويل هذا، وتبينه^(١١). [و ٨٢ أ] وإنما يكون الرجوع في قياس الخلف النظري^(١٢) في المعقولات على الوجه الذي بيناه في أبواب النظر، فلا نقول^(١٣) إذا^(١٤) لم نعلم^(١٥) عين الموزون، يسقط الكل، وإنما وجب الرد في قياس^(١٦) الخلف، لابتناء^(١٧) بعض المقدمات على بعض، وأما ما هنا فالفاظ صحيحة، ومعان صائبة^(١٨) وإمكان موجود، فينبغي إذا عرض في أثناء ذلك التعذر أن يفرد بالنظر. وإذا ثبت هذا، قلنا: قد ثبت أن أعمال العباد مكتوبة في صحائف تنشر له، فيقع الوزن في الصحائف، ويخلق الله فيها^(١٩) الثقل، والخفة على حسب عمله بها، وهذا كله مبني على أصل يخالف^(٢٠) فيه الفلاسفة والقدرية، التي فرت من الوزن لأجله، وذلك لأن الثقل والخفة عندهم، إنما هو بكثرة الأجزاء وقتلتها، وعندنا^(٢١) بما يخلقه الله فيها، فجرت العادة في الدنيا بأن يتبع الثقل كثرة الأجزاء، والخفة قلتها، فإذا خرق العادة ارتبط الثقل

- | | |
|--------------------|-------------------|
| (١) ج: - و. | (١١) د: وتبينه. |
| (٢) ب، ج، ز: مؤخر. | (١٢) د: - النظري. |
| (٣) د: فيها. | (١٣) د: يقول. |
| (٤) د: إيمان. | (١٤) د: إذ. |
| (٥) د: لهم. | (١٥) د: يعلم. |
| (٦) د: مثقال. | (١٦) د: القياس. |
| (٧) ب، ج، ز: تبع. | (١٧) د: لابتناء. |
| (٨) د: لفظ. | (١٨) د: صحيحة. |
| (٩) ج: حقيقة. | (١٩) ب: فيه. |
| (١٠) د: يسعى. | (٢٠) د: تخالف. |

(٢١) د: + إنما هو.

والخفة بخلقه، وزمان القيامة زمان خرق العادة عندنا وعندهم، ومجاهد لا يحتاج معه إلى هذا^(١) بل يلزمه الأمر من أول كرة، لمساعدته لنا في عموم القدرة، وهذا^(٢) ربط به الثقل والخفة في الدنيا ليجعله سبيلاً إلى معرفة الخلق بالمقدار والمقدار في الآخرة إنما يكون بمادة عمله من الأعمال، لا بثقل ولا بخفة فيها، لأنها ليست بأجزاء، وقد فعل الله^(٣) سبحانه في الدنيا فعلاً من ربط الثقل، والخفة بكثرة الأجزاء، عايناه وأخبرنا أنه يفعل في الآخرة غيره، والقدرة عامة، فوجب^(٤) التصديق للخبر إذ^(٥) لا بد من الرجوع إلى علمه بها باتفاق منا، ومنهم أجمعين. فإن قيل فيعلمهم، فأني حاجة إلى الميزان؟ قلنا نصب الميزان ليس^(٦) [و ٨٢ ب] لحاجة، ولا نصب الصراط لحجة، وإنما ذلك لحكمة ليرى الخلق عياناً، ما كان أخبرهم عنه برهاناً، وللعيان تأثير لا بد منه في الدنيا والآخرة، كما أخبر به، فلا ترجعوا عن الظاهر إلى الباطن، ولا تحترسوا في^(٧) أمر لا بد لكم منه، في كيفية أحوال الأعمال في الآخرة، فإنه قد ثبت عن النبي ﷺ: «أن البقرة وآل عمران، معاً يأتیان يوم القيامة، كأنهما غماتان أو كأنهما خرقان، من طمر صواف تظلان صاحبهما»، والسورة لا تأتي، والحروف^(٨) والأصوات لا تتشكل، والخبر قد صح، وتأويل من قال يأتي ثوابها كلام مستور لا علم عنده، فيرسل^(٩) عذبة^(١٠) لسانه، في الذي ليس من شأنه بما لا يتحصل^(١١) حدوده، ولا يثبت وجوده، وإنما يحمل على معان، منها أن الصحيفة التي قرأ فيها، أو كتب الملك فيها، قراءته تظله^(١٢)، أو ينشئ الله^(١٣) له غمامة يقال: هذه سورتك التي كنت تقرأ.

فإن قيل: فهذا هو الثواب. قلنا: نعم، ولكن ليست الغمامة

- | | |
|------------------------|---|
| (١) د: بدأ. | (٨) ب، ج، ز: - والحرف. |
| (٢) ز: في نسخة: - هذا. | (٩) ب، ج، ز: في نسخة: - كتب على هامش ز: خ نسخة: في نسخة: فيرسل. |
| (٣) د: - الله. | (١٠) ب، ج، ز: عذبة. |
| (٤) ز: في نسخة: توجب. | (١١) ب، د: يتحصل. |
| (٥) ب: إذا. | (١٢) ب: تطلبه. |
| (٦) ليس نصب الميزان. | (١٣) د: - الله. |
| (٧) د: من. | |

السورة^(١)، ولم يرد تسميتها ثواباً، فكيف يخبر^(٢) عما يشكّل بما يشكّل، وإنما كان يقول: يأتي ثوابها، لو قاله النبي ﷺ، فيفسر، وأما تفسير المشكّل والمحتمل بمشكّل محتمل، فما^(٣) لا يجوز شريعة، ولا يصحّ عربية.

خبير:

روي عن النبي ﷺ أنه ذكر: آخر^(٤) أهل النار خروجاً من النار، فقال: «يؤقّ مثل الدنيا وعشرة أمثالها وذلك أقلّ أهل الجنة منزلة»، فلما سمع قوم هذا عظم ذلك عندهم^(٥) لوجهين خطأين أحدهما: جهلهم بعموم قدرة الله، وعلمه، وسعة مخلوقاته قياساً على أنفسهم، وقصراً [و ٨٣ أ] لخواطرهم القاصرة عن منتهى العلوم^(٦). الثاني: اعتقادهم أن الجنة^(٧) هي السموات وهي لا تتسع^(٨) لهذا، وكيف وهي من الدنيا؟ فذلك أبعد.

قال القاضي أبو بكر^(٩) رضي الله عنه: فقال لي أبو حامد الغزالي: إنما يؤقّ مثل الدنيا في القيمة والقدر، لا في المساحة، وقيد شبر من الجنة خير من الدنيا، بغير حصر بمثل^(١٠)، ولا بعشر: أمثالها، ولا بأكثر من ذلك، كما يقال: هذه الياقوتة خير من ألف مثقال، لا في الوزن، ولكن في القيمة والمنفعة، لأنها تساوي بالتقويم أكثر من ألف. فقلت: هذا المذكور، يؤقّ مثل الدنيا في^(١١) عشر مرات مساحة وقيمة، فإن القيمة لا تنحصر، إذ نصيف حورية، خير من الدنيا، والقدرة متسعة للمساحة والقيمة جميعاً، والخلاء يحتملها، فافترض ما شئت في العدم، وأخرجه إلى الوجود، جاز عقلاً، وصحّ، إذا خلق وجوداً^(١٢) وقد روي عن ابن عباس أنه قال: (ليس في الجنة من الدنيا إلا الأسماء) وليس هذا بإخراج لها من حدّ المحسوس إلى المعقول، كما تقوله

(٧) د: الجنات. وكتب على هامش ز في

(١) د: والسورة.

نسخة: الجنات.

(٢) ج: الخبر، د: تخبر.

(٨) د: تسع.

(٣) د: ما.

(٩) د: قال أبي.

(٤) ب: أخير.

(١٠) د: مثل.

(٥) د: عندهم ذلك.

(١١) د: - في.

(٦) د: المعلوم.

(١٢) ب: وجودان.

الفلاسفة، وإنما هو للفرق^(١) بينهما من أوجه كثيرة أحدهما: أن الجنة لا تفتنى، والدنيا تفتنى، والجنة لا تستحيل ولا تتغير، والدنيا، بخلافها^(٢)، والجنة لا آفة فيها، والدنيا كلها آفات^(٣) من لغو، وهم، وغول، وملل^(٤)، وغل، وحسد، ومنازعة، وكل ما يكدر نعم الدنيا، فالجنة منزهة عنه، في ذات وصفات وأفعال. وبذلك تم النعيم، وكمل الأخذ^(٥)، وطاب العيش. والدنيا ما يكون فيها ينشأ بتركيب وتدريب، وترتيب، والجنة إنما يقول العبد فيها للشيء^(٦) كن فيكون، وكل شيء في الدنيا ينفع ويضر^(٧)، والجنة منفعة بجميع ما فيها، لا مضرة معها، فهذه سبعة وجوه أصول، بله ما يتبعها من أعظم^(٨) التفصيل. وبالجمل [و ٨٣ ب] فإذا^(٩) أردت أن تعقل أمرك في الجنة فتصور نفسك وقدرها في جنتك، مع من تحب من أهلك لا ينقصك أمل، ولا يتوقع حول^(١٠)، وما تمت نفسك وصل إليك، وما كرهته من شيء دفع عنك، واجتمع عندك الأمران: نيل كل مطلوب على العموم، والأمن من كل مرهوب على العموم، ورضى ربك ورؤيته أعظم من أن تقدر لذته، أو تتصور، واقرأ إذا أردت أن تعلم ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ [السجدة: ١٧].

قاصمة:

قد سبق أنه انقسم حال السامعين لكلام الله إلى من جعله كله باطناً، وآخر جعله كله ظاهراً، وأن الذي جعله ظاهراً، بدأ بالباريء وصفاته فقال^(١١) فيها ما تقدم، وقمنا بفرض البيان فيه^(١٢)، بما أمكن، وعصمنا البيان فيه^(١٣)

(٨) د: عظيم، ج، ز: عظم.

(٩) ب: إذا.

(١٠) د: تتوقع حولاً، ج، ز: تتوقع حول.

(١١) د: وقال.

(١٢) د: من فرض فيه.

(١٣) د: - فيه.

(١) ب، ج، ز: الفرق.

(٢) ج، د، ز: بخلافه.

(٣) د: آفة.

(٤) ب: ملك. د: هلك.

(٥) د: الأمر. ز: في نسخة: الأمر.

(٦) ب: لشيء.

(٧) د: يضر وينفع.

بما عصمناه به، وهنالك^(١) من تعلق به في مسائل الأحكام خاصة وجعله الدليل على الأحكام وحده، وأسقط الاستنباط، لأنه مستغنى عنه، قال: لأن^(٢) الله لم يبق حكماً إلا نص عليه، ولا مشكلاً إلا بينه وأرشد إليه، فلا يؤخذ حكم إلا منه ولا يوجد بيانه إلا فيه، والحكم بالرأي، والقول بالقياس ضلال^(٣) في الدين، وعدول عن سنن المرسلين، ومشاقة لله ولرسوله^(٤) وللمؤمنين، وهي أمة سقيمة، تسورت على مرتبة ليست لها، وتكلمت بكلام لم تفهمه، تلقفوه من إخوانهم الخوارج، حين حكم علي، رضي الله عنه^(٥) يوم صفين فقالت: لاحكم إلا الله، وكان أول بدعة لقيت في رحلتي كما قلت لكم، القول بالباطن، فلما عدت وجدت القول بالظاهر^(٦) قد ملأ المغرب بسخيف^(٧) كان من بادية إشبيلية يعرف بابن حزم^(٨) نشأ وتعلق بمذهب الشافعي^(٩) ثم انتسب [و ٨٤ أ] إلى داود^(١٠)، ثم خلع الكل، واستقل بنفسه، وزعم أنه إمام الأمة يضع ويرفع، ويحكم لنفسه، ويشرع^(١١)، وينسب إلى دين الله ما ليس فيه، ويقول على^(١٢) العلماء ما لم يقولوا، تنفيراً للقلوب^(١٣) عنهم وتشجيعاً عليهم^(١٤)، وخرج^(١٥) عن طريق الشبهة في^(١٦) ذات الله وصفاته فجاء بطوام قد بينها في رسالة «الغرة» واتفق له أن يكون بين أقوام لا نظر^(١٧) لهم إلا المسائل^(١٨)، فإذا طالبهم بالدليل، كاعوا،

-
- (١) ج، ز: تهالك. وكتب في هامش ز في نسخة: هنالك.
- (٢) ب: إن.
- (٣) د: + كله، ج، ز: + كلها.
- (٤) ب، ج، ز: رسوله.
- (٥) د: - رضي الله عنه.
- (٦) د: بالباطن.
- (٧) ب، ج، ز: سخيّف. وكتب على هامش ب، ز: في نسخة: بسخيّف.
- (٨) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ذو معرفة واسعة بالكتاب والسنة وبالعلوم العربية والفلسفية والديانات والمثل، توفي سنة ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م.
- (٩) أبو عبدالله محمد بن إدريس إمام الشافعية توفي بمصر سنة ٢٠٤ هـ / ٨٢٠ م.
- (١٠) داود بن علي أبو سليمان الأصبهاني فقيه ظاهري، توفي سنة ١٧٠ هـ / ٧٨٧ م.
- (١١) د: يتشرع.
- (١٢) ب، ج، ز: عن.
- (١٣) ب: ينفر القلوب.
- (١٤) ج: عنهم.
- (١٥) ب: خروجاً.
- (١٦) ب: + فيه. د: + به.
- (١٧) د: بصر.
- (١٨) د: بالمسائل.

فتضاحك مع أصحابه منهم^(١)، وعضدته الرياسة، بما كان عنده من أدب، وشبه^(٢) كان يوردها على الملوك مع عامتهم^(٣)، فكانوا يحملونه حفظاً لقانون الملك^(٤)، ويحمونه لما كان يلقي إليهم من شبه البدع والشرك. و^(٥) حين عودتي من السرحلة ألفيت حضرتي منهم طافحة، ونار ضلالهم^(٦) و^(٧) لافحة، فقاسيتهم مع غير أقران، وفي عدم أنصار، إلى حساد يطاؤون عقي، فيدوسون ذيلي، فإذا دنوا^(٨) عدموا^(٩) جانبي^(١٠)، فتارة تذهب لهم نفس^(١١)، وأخرى تنكسر لهم ضرس^(١٢)، وأنا ما بين إعراض أو تشغيب بهم، ولم يكن هنالك من يقف الأمر، على حد المناظرة، فينصر^(١٣) الحق، ويظهر الصدق، فداريت^(١٤) الأنام، ودارت الأيام، وقد كان جائي بعض الأصحاب بجزء لابن حزم سماه «نكت الإسلام» فيه دواهي فجردت عليه نواهي، وجاءني برسالة «الدرة» في الاعتقاد، فنقضتها برسالة «الغرة» والأمر أفحش من أن ينقض، وأفسد^(١٥) من أن يفسد، إذ ليس له ارتباط، ولا ينتهي إلى تحصيل، يقولون لا قول إلا ما قال الله، ولا نتبع^(١٦) إلا رسول الله، فإن الله لم يأمر بالاعتداء بأحد، ولا بالاهتداء بهدي بشر، ولا بالانقياد إلى أحد.

عاصمة:

قال القاضي أبو بكر^(١٧) رضي الله عنه: اعلّموا أرشدكم الله إلى طريق التعليم، ويسر لكم أسباب التفهيم، أنا قد مهدنا في «النواهي» عن

- | | |
|---------------------------|--------------------------------|
| (١) د: - منهم. | (٩) ب، ج، ز: حافتي. |
| (٢) د: شبهة. | (١٠) ب، ج، ز: نفسي. |
| (٣) د: عاميتهم. | (١١) ب، ج، ز: ضربي. |
| (٤) د: الملوك. | (١٢) د: فينظر. |
| (٥) د: - و. | (١٣) ب، ج، ز: فدريت. |
| (٦) ب: بياض مكان: ضلالهم. | (١٤) ب، ج، ز: ما فسد. وكتب على |
| (٧) د: رثوا. | هامش ز بخط مخالف: وأفسد. |
| (٨) ز: في نسخة: عزموا. | (١٥) د: يتبع. |
| (١٦) د: قال أبي. | |

[٨٤ ب] الدواهي «وجه الرد عليهم»^(١) وطريق الدخول إليهم، ويجب أن تتحققوا أنهم ليس لهم دليل على قولهم^(٢)، ولا حجة على رأيهم، وإنما هي سخافة، في تهويل. فأنا أوصيكم بوصيتين: إحداهما^(٣): ألا^(٤) تستدلوا عليهم، الثانية^(٥): وأن تطالبوهم^(٦) بالدليل، فإن المبتدع إذا استدلت عليه شغب عليك، وإذا دعوته إلى الاستدلال لم يجد إليه سبيلاً، فإن الله تعالى^(٧) لم يجعل له^(٨) على الباطل دليلاً^(٩). فأما قولهم: لا قول إلا ما قال الله فحق، ولكن أرني ما^(١٠) قال الله. وأما قولهم: لا حكم إلا الله، فغير مسلم على الإطلاق، بل من حكم الله أن جعل^(١١) الحكم لغيره، فيما قاله، وأخبر به، قال النبي ﷺ في الثابت من الحديث: «إذا حاصرت أهل حصن فطلبوا أن ينزلوا إليك، فلا تنزلهم على حكم الله، فإنك لا تدري ما حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك»^(١٢) وهذا نص في مسألتين بديعتين إحداهما: أنه يجوز أن يقال: إن^(١٣) لحكم إليّ فيك شرعاً، والثانية - وتقوي الأولى - أن حكم الله لا يعلم إلا بقوله، وما لم يقل فيه شيئاً لنا^(١٤)؛ فلا نتركه دون حكم، ولكننا نحكم فيه بما يقتضيه النظر في أمثال أحكامه وأشباهاها، وإلا فكان قوله: «ولكن أنزلهم على حكمك» بمعنى أنفذ فيهم ما تشتهي وما تريد. وإنما أفاد بهذا هذه المسألة^(١٥) البديعة، وهو أنه لا يقول المجتهد: هذا حكم الله، وإنما يقول: هذا فرضي في عملي وعلمي.

- | | |
|----------------------------|----------------------------------|
| (١) ب، ج، ز: عليه. | (١١) ب: يجعل. |
| (٢) د: عقولهم. | (١٢) نقل هذا النص (من ٦٧ - ٦٩ من |
| (٣) ب، ج، ز: أحدهما. | طبعة ابن باديس) الذهبي في تذكرة |
| (٤) ب، ج، ز: لا. | الحفاظ، (ط. الهند، ١٣٣٤ هـ، |
| (٥) ب، ج، ز: - الثانية. | جـ ٣ ص ٣٢٤) وعلق على ذلك |
| (٦) ب: ولا تطالبوهم. ج، ز: | بقوله: إن أبا بكر بن العربي هضم |
| وطالبوهم. | معارف ابن حزم (هضمه حقه في |
| (٧) ب، ج، ز: - تعالى. | معارفه، ص ٣٢٧). |
| (٨) د: - له. | (١٣) ب: - إن. |
| (٩) د: ذليلاً. | (١٤) د: - لنا. |
| (١٠) د: أرى بما. | (١٥) ج، ز: الملة. |

وأما قولهم: إن الله لم يأمرنا بأن نفتدي بأحد^(١)، ولا نهتدي بغيره فكذبوا على الله وعلى رسوله^(٢)، فإنه ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بعدي، عضوا عليها بالنواجذ» وأمر بالاعتداء بسنة الخلفاء^(٣)، كما أمر [و ٨٥ أ] بالاعتداء بسنته، وإنما يقتدى^(٤) بالخلفاء فيما^(٥) لم يكن عنه فيه نص، وإلا فما كان فيه من النص، لا ينسب إلى الخلفاء، وهذا قاطع في أنه ﷺ، لم ينص على كل مسألة، إذ لو نص عليها، لما كان للخلفاء سنة غيرها، ويقال لهم أيضاً: قد صح أنه قال: «اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر» وهذا كالأول في الاقتداء بهما فيما لم يكن فيه عن النبي^(٦) نص. وقد^(٧) قال ﷺ: «اهتدوا بهدي عمار»، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدّها بأمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب^(٨)، وأقرضهم زيد بن ثابت^(٩)، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل^(١٠)، ألا وإن لكل أمة أميناً، وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح^(١١)» ولو كان كل الشريعة نصاً، ما تفاوت فيه هؤلاء الجلّة، ولكان^(١٢) دركه عندهم سواء، كما تقول أنت وشيعتك: إن كل أحد يدركه، ويستغني عن كل أحد فيه.

وغريه^(١٣) أمرهم أنهم يقولون: لا رجوع إلا إلى النص عن الله وعن رسوله، وهي كلمة مخترعة، لم تجر على^(١٤) لسان أحد قبل الشافعي أخذتها منه الشيعة، فقالت: إن النبي نص على عليّ في الإمامة والخلافة على الأمة، وكان

(٩) أبو خارجة المقرئ الفرضي توفي سنة

٤٥ هـ / ٦٦٥ م.

(١٠) الأنصاري الخزرجي توفي سنة

١٨ هـ / ٦٣٩ م.

(١١) عامر بن عبدالله بن الجراح توفي

سنة ١٨ هـ / ٦٣٩ م.

(١٢) د: ولكن.

(١٣) د: غزية.

(١٤) د: في.

(١) د: - بأحد.

(٢) د: + عليه السلام.

(٣) ج: تكرر: بسنة الخلفاء.

(٤) د: نفتدي.

(٥) د: ما.

(٦) د: + صلى الله عليه وسلم.

(٧) ب: - قد.

(٨) أبو المنذر الأنصاري سيد القراء توفي

سنة ١٩ هـ / ٦٤٠ م.

ابن حزم أولاً قد تعلق بمذهب الشافعي ستره^(١) متهمكاً مدة، ثم فصح نفسه بمذهبه آخرًا، وتعلق بكلمات من لذه منها النص. فيقال لهم: بأي نص تردون الأمر إلى النص وهم لا يجدونه أبداً، وتحقيق القول في ذلك. أن الله أنزل كتابه محكمًا، ومتشابهًا، وأوعز إلى نبيه^(٢) بأن يبين^(٣) للناس ما نزل إليهم، ولو كان مبينًا، يدركه كل أحد، لما كان^(٤) محلاً للبيان، فامتثل ما أمره الله به، والبيان على أقسام [و ٨٥ ب] كثيرة، عند العلماء، ولكل واحد^(٥) طريقة في العبارة عنه. فأما طريقة الأصوليين فقد أثبتناها في مواضعه^(٦) مقتدين بغيرنا فيها. وأما المحدثون الذين تتعلق^(٧) بحبلهم، وتزعم أنك تتفياً بظلمهم^(٨) فهو عندهم على عشر^(٩) مراتب، الأولى^(١٠): بيان التصريح، كقوله ﷺ: «إن الزمان قد استدار كهيئته^(١١) يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات^(١٢) ذو القعدة، وذو الحجة ورجب مضر^(١٣) الذي بين جمادى وشعبان» الثانية: قال البراء^(١٤): أشار النبي ﷺ بيده، ويدي أقصر من يد رسول الله ﷺ، فقال: «أربع^(١٥) لا تضح^(١٦) بهن: العوراء البين عورها، والمریضة البين مرضها والعرجاء البين ضلعها، والعجفاء التي لا تنقى». الثالثة: قال سمرة بن جندب^(١٧): قال رسول الله ﷺ: «لا تسمين عبدك أفلح، ولا نجيحاً ولا رباحاً ولا

- | | |
|------------------------------|--|
| (١) ب، ج، ز: ستره. | (١٢) د: - ثلاثة متواليات. |
| (٢) د: + صلى الله عليه وسلم. | (١٣) ز: مض. |
| (٣) ج، ز: بأي ميين. | (١٤) البراء بن معرور أول من بايع النبي |
| (٤) ب، ج، ز: + له. | ليلة العقبة، توفي في السنة الأولى |
| (٥) ب: أحد. | للهجرة وهناك البراء بن عازب، توفي |
| (٦) ج: موضعه. | سنة ٧٢ هـ / ٦٩١ م. |
| (٧) ب: تعلق. | (١٥) ب، ج، ز: أربعة. |
| (٨) د: لظلمهم. | (١٦) د: لا يضحى. |
| (٩) ب، ج، ز: عشرة. | (١٧) سمرة بن جندب الفزاري من أهل |
| (١٠) ب: الأول. | بيعة الرضوان توفي سنة |
| (١١) ز: كهيئة. | ٦٠ هـ / ٦٧٩ م. |

يساراً»^(١)، وانظر ألا تزيد^(٢) عليّ. الرابعة: قول النبي ﷺ: «أبما رجل أعمر عمري له ولعقبه من بعده، فإنها لمن^(٣) يعطاها لا ترجع إلى صاحبها أبداً». لأنه أعطى عطاء وقعت فيه المواريث. الخامسة: قام رجل عند النبي ﷺ فسأله^(٤) عن الصلاة في ثوب واحد فقال: «أو كلكم يجد ثوبين»^(٥). السادسة: قال رسول الله ﷺ: «يقبض العلم، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج»، قيل: يا رسول الله ما الهرج؟ قال: هكذا بيده، وحرفها، يريد القتل. السابعة: قال رجل في حجة الوداع: ذبحت قبل أن أرمي، فأوماً بيده وقال: «لا حرج». الثامنة: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى نقاتل أقواماً»^(٦) عراض الوجوه، ذلف^(٧) الأنوف صغار العيون، كأن وجوههم المجان المطرقة». التاسعة: جاء أبو بكر^(٨) والقوم ركوع، فركع دون الصف ثم مشى، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال: «أيكم الذي ركع دون الصف ثم مشى؟» قال أبو بكر^(٩): «أنا يا رسول الله»، قال: «زادك الله حرصاً ولا تعد». العاشرة: سؤال النبي ﷺ عن بيع الرطب بالتمر فقال: «أينقص^(١٠) الرطب إذا ييس؟» قالوا: نعم، قال: «فلا إذن».

فانظروا رحمكم الله إلى بيان النبي ﷺ للأحكام على درجات، وأين النص من هذه المراتب؟ يزيده إيضاحاً أن النبي ﷺ صح أنه قال: «اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر» وقد اختلفا في مسائل قطعاً، منها الحد، وتفضيل التفضيل في العطاء، ولا يمكن الجمع بينهما، في الاقتداء، فأين النص؟ ولكم أيّن هذه المسألة لا لهم، ومن الاقتداء بهم أن يرى الفقيه منكم، أن كل

(١) رواه مسلم عن سمرة وقال السيوطي صحيح. (الجامع الصغير، ج ٢ ص ٣٥٨) وفي جميع النسخ أثبتت الأسماء مرفوعة (نجيح، رباح، يسار).

(٢) د: تزيد.

(٣) د: لم.

(٤) د: فسأله.

(٥) ب: ثوبي.

(٦) د: قوماً.

(٧) ب، ز: لف.

(٨) و (٩) ب، ج، ز: أبو بكر. وهو

نفيج بن الحارث أو ابن مسروح، توفي سنة ٥٢ هـ / ٦٧٢ م (طبقات

خليفة بن خياط، ص ٥٤. الذهبي،

العبر، ج ١ ص ٥٨).

(١٠) د: أنتقص.

واحد منهم لم يرجع إلى صاحبه، ولا نظر^(١) كل واحد^(٢) إلا لما^(٣) يقتضيه اجتهاده، وكذلك فعل^(٤) سائر الصحابة ذونهم، وكذلك فعل التابعون، وكذلك فعل مالك، والشافعي، فليقتد بهما في ذلك، ومن الاهتداء بهدي عمار، أن فقهه كان فيما إذا عارضه أمران، أحدهما أشد من الآخر، وأكثر احتياطاً في الدين، أخذ به، وهذا صحيح منه^(٥) فاقتدى به مالك، وجماعة، فرأوا إذا تعارض الدليلان^(٦) أن يؤخذ بالأشد والأحوط منهما، ومن الاقتداء بعمر أن لا يقبل حديث النبي^(٧) من كل راو^(٨)، فتراه^(٩) قد رد على أبي موسى حديثه، وطلب منه البينة عليه. ومن الاقتداء بعلي، وهو أحد الخلفاء أنه كان لا يرى رأي أبي بكر ولا عمر^(١٠) في الحد، فقد تعارضوا، فكيف يكون الاقتداء؟ فعلى قولهم [و ٨٦ ب] ما بين النبي ﷺ ما أنزل إليه^(١١)، ولا أحال إلا على مشكل، ومن الاقتداء بعمر، ألا يمكن الناس من أن يقولوا: قال رسول الله ﷺ: «ولا يذيعوا أحاديث النبي ﷺ حتى يحتاج إليها»، وإن درست، وهذا للحكمة^(١٢) بديعة، وهي أن الله قد بين المحرمات والمفروضات في كتابه، وقال تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَ لَكُمْ تَسْأَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠١] وثبت عنه أنه قال: (إن^(١٣) الله أمركم بأشياء فامتلوها، ونهاكم عن أشياء فاجتنبوها، وسكت لكم عن أشياء رحمة منه، فلا تسألوا عنها) وقد اتفقت الصحابة على جمع القرآن لثلاث يدرس، وترك الحديث يجري مع النوازل، وأكثر قوم من الصحابة التحديث^(١٤) عن النبي ﷺ فسجنهم^(١٥) عمر، فلو درس ما درس من الحديث الوجداني، لما أثر في الشريعة، فإن كان يبقى

-
- | | |
|------------------------------|--------------------------------|
| (١) ب، ج، ز: ينظر. | (٩) ج: فتراه. د: قتراه. |
| (٢) د: أحد. | (١٠) ب، ج، ز: لا. |
| (٣) ج، ز: بما. | (١١) د: - ما أنزل إليه. |
| (٤) ج، ز: + في. | (١٢) ب، ج، ز: وهذه الحكمة. |
| (٥) د: عنه. | (١٣) ج: وأن. |
| (٦) ب: دليلان. | (١٤) ب: الحديث، ج: ز: التحديث. |
| (٧) د: + صلى الله عليه وسلم. | (١٥) ج، ز: فسجنهم. |
| (٨) ج: رأي. | |

مسكوتاً عنه، فيكون عفواً، وما ضمن^(١) الله الحفظ لحديث النبي ﷺ، وإنما ضمنه^(٢) للقرآن. على الاختلاف^(٣) أيضاً بين العلماء في تأويل قوله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر، وإنا له لحافظون﴾ [الحجر: ٩] فإنا نقول لهم: ليس المراد بالذكر ها هنا القرآن^(٤)، وإنما هو النبي ﷺ، أو الدين أو القرآن، وإنما حفظ النبي ﷺ بقوله: ﴿والله يعصمك من الناس﴾ [المائدة: ٦٧] وحفظ الدين بقوله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ [المائدة: ٣] وحفظ القرآن بأن الصحابة وفقوا لنسخه، وضبطه، وإرسال الأمهات إلى أمصار المسلمين به^(٥)، ولو كان المراد به الحديث^(٦) لكان أول من يبادر بذلك الصحابة رضي الله عنهم، حين قالوا لأبي بكر^(٧) أيا^(٨) استحر القتل بالقراء يوم اليمامة: يا أمير المؤمنين أدرك القرآن وما جاء إليه أحد [و ٨٧ أ] قال^(٩) له: أدرك حديث رسول الله^(١٠). وأنت ترى حديث النبي يأتي في كل زمان وعلى يد كل شيخ واحد بعد آخر، فلعل حفظه هو^(١١) هكذا، ولكن فيه أن الأحكام تجري على بابها، ولا ينتظر بها^(١٢) الأحاديث حتى إذا وجدت على شرطها، وتبينت^(١٣) البيان^(١٤) الشافي المراد فيها، ومنها، لم يحل لأحد أن يتعدها، ويستزيده^(١٥) بياناً، والله أعلم، يحققه أنهم يقولون على الإجماع، ولا إجماع عندهم إلا للصحابة خاصة، ولا يسمع إجماع الصحابة إلا بأن ينقل عن كل واحد منهم، وهذا مما لم يوجد، فإذا^(١٦) قالوا هم: لا حكم إلا بنص: قلنا: ولا نص على من ترك النص.

-
- | | |
|--------------------------------|---------------------------------|
| (١) و (٢) ج: ضمن. | (٩) ج: قالوا. |
| (٣) د: اختلاف. | (١٠) د: النبي. |
| (٤) هكذا في جميع النسخ ولعله: | (١١) ب، ج، ز: - هو. |
| الحديث. | (١٢) د: فيها. |
| (٥) د: الإسلام. | (١٣) د: بينت. |
| (٦) د: القرآن. | (١٤) د: الجواب. |
| (٧) د: لعمر. | (١٥) ب: + لا. ج، ز: لا يستزيده. |
| (٨) ب، ج، ز: - أيا. ج، ز: حين. | (١٦) د: وإذا. |

وهذا القول أصح^(١)، لأنه^(٢) به قال^(٣) جماعة من العلماء، والذي قاله ما قال به^(٤) أحد قط، والاختبار^(٥) في ذلك كله يكشف الحقيقة، فإن قائله أجهل الجاهل، وأضل^(٦) الضلال، فإذا طالبتهم^(٧) بنص فذكروه، وجدت الاحتمال يتطرق إليه، ضرورة، فإذا عارضتهم^(٨) فيه، لم يجدوا ملجأ، وذلك يمين يتبع^(٩) مسائل لهم، وهي كثيرة، فلا نكلمهم^(١٠) فيما ساعدتهم^(١١) عليه الشافعي، أو أبو حنيفة^(١٢) فإنهم يتكلمون بحجتهم^(١٣)، ويتقنون بهم^(١٤)، وإنما نتكلم^(١٥) معهم فيما ينفردون به، فترى^(١٦) الفضيحة المعجلة^(١٧) وما سلكوا في الظاهر إلا سبيل إخوانهم من اليهود، فإنهم قيل لهم: لا تصطادوا يوم السبت، فسكروا الأنهار في أوائلها، فلما كان في يوم الأحد أمكنهم الحوت، فإن الحوت قبل ذلك كان يأتي يوم السبت، ولا يأتي في سائر الأيام، فأخذوا بظاهر الأمر، فسدوا^(١٨) أفواه الأنهار، فلم يجد الحوت منفذاً فصادوه^(١٩)، فعوقبوا، ولم يعدلوا عن ظاهر ما أمروا حين تركوا المفهوم من ذلك، وهو تفويت الحوت، وكذلك إخوانهم الروافض، قالوا: لا تكون الإمامة إلا بالنص من النبي على أن فلاناً خليفتي، وهذا باطل قطعاً، ليس لهم في ذلك حديث يقول عليه.

مسألة:

[و ٨٧ ب] قال أهل الخيال^(٢٠): لو أن رجلاً بال في ماء دائم، لم يتوضأ

- | | |
|----------------------|-------------------------------------|
| (١) د: صح. | (١٢) ب، ج، ز: وأبو حنيفة. وهو: |
| (٢) ب، ج، ز: لأن. | - النعمان بن ثابت فقيه العراق، توفي |
| (٣) د: قال به. | سنة ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م (الذهبي، |
| (٤) د: قاله. | العبر، ج ١ ص ٢١٤ - ٢١٥). |
| (٥) د: الاختيار. | (١٣) كذا في جميع النسخ. |
| (٦) ب، ج، ز: أو أضل. | (١٤) كذا في جميع النسخ. |
| (٧) د: طالبتهم. | (١٥) د: يتكلم. |
| (٨) د: عارضتهم. | (١٦) ب: فترى. |
| (٩) ب: بأن تتبع. | (١٧) د: معجلة. |
| (١٠) د: تكلمهم. | (١٨) د: قتلوا. |
| (١١) د: يساعدهم. | (١٩) ب، ج، ز: وصادوه. |
| | (٢٠) ب، ج، ز: الخيال. |

منه، ولو جرى فيه من بول في مجاورته، لم يمتنع الوضوء به، [وكذلك لو غاط فيه لم يمنع^(١) من الوضوء به]^(٢). فانظروا رحمكم الله إلى هذا الهوس في الدين، والاعتداء على الشريعة، والاستخفاف بحرمة الرسول ﷺ. إن كان المتبع لفظ الشارع بعينه فقد قال: «لا يبولن أحد في الماء الدائم ثم يغتسل به»^(٣). فهذا يقتضي بظاهره، أن يقتصر^(٤) المنع على البائل دون غيره، ويقتضي أنه لو بال^(٥) في كوز، وصبه فيه أن لا يمنع ذلك من وضوئه^(٦) منه، ويقتضي أنه لو بال فيه قطرة من بول، لم يتوضأ به، ولو غاط فيه رطلاً لم يمتنع من الوضوء به، فانظروا^(٧) إلى ما يؤدي إليه مذهبهم، ويعطيه غرضهم، كبر كلاماً يخرج من أفواههم، إن يقولن^(٨) إلا محالاً على الشريعة، وافترأ وقبل وبعد، فليقولوا ما شاءوا وليخرجوا دقائق^(٩) «المحلى» بالحاء المهملة، فعندنا فيه نقطة واحدة فوق حائهم، وأخرى^(١٠) تحت جيمننا فتجلى^(١١) به ما يقتضي أن يكون كتابهم مزوفاً لا يلتفت إليه.

قال القاضي أبو بكر^(١٢) رضي الله عنه: وقد كنت أتبع لكم مسائل داود مسألة مسألة، إلا أن^(١٣) ابن حزم لا يبالي عن داود، ولا عن سواه، فأكون ضارباً معه في حديد بارد، ولكني أذكر لكم دستوراً تقهرونه به قهراً، بأن تقولوا له: قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣] وقال النبي ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي» وحفظنا صلاته فعلاً، وما أمر^(١٤) به غيره قولاً^(١٥)، وبقي علينا من نسي تكبيرة الإحرام، أو القراءة^(١٦) أو الركوع، أو السجود، أو الجلوس، أو السلام، أو اثنتين من

(٩) د: بفائق.

(١٠) ج: ز: اجترى.

(١١) ب: فيحلى. د: فيجل.

(١٢) د: قال أبي.

(١٣) ج: - أن.

(١٤) ج: أمرنا.

(١٥) ب: - قولاً.

(١٦) ج: والقراءة.

(١) ب، ز: يمتنع.

(٢) ج: سقط ما بين القوسين.

(٣) د: - به.

(٤) ب: نقصر. ج: يقتضي.

(٥) د: إن بال.

(٦) د: وضوء.

(٧) ب، ج: ز: فانظروا.

(٨) ب: لن يقولوا.

ذلك، ماذا عليه؟ أيجزيه^(١) أم لا يجزيه؟ والنبي ﷺ [و ٨٨ أ] فقد نسي وسجد في موضع، فهل كل موضع مثله أم لا؟ وما سجد فيه من ترك السجود وقد رفع الله عنا قطعاً ما نسينا فيه أو أخطأنا، فلا يقولون^(٢) شيئاً يقوم على ساق أبداً، لأنهم لا يجدون في كل حرف نصاً، وكذلك القول في أبواب الشريعة كلها منها^(٣).

مسألة:

هي أشدها^(٤)، قول ابن حزم: إن الله قادر على أن يتخذ ولداً وأن يخلق إلهاً إذا شاء ذلك وأراد، بقوله: ﴿لو أراد الله أن يتخذ ولداً لأصطفى مما يخلق ما يشاء﴾ [الزمر: ٤]^(٥) فانظروا إلى هذه الداهية العظمى، كيف جهل الجائز من المستحيل في العقل والمعقول المفهوم من الكلام دون ما لا يعقل، فإن هذا الكلام ليس له معنى مفهوم، إذ قوله: هل يقدر الله أن يتخذ ولداً، ليس يفهم، لأن الله هو الذي لا يتصور أن يكون له ولد، ولا يمكن، فإذا، معنى ذلك من قول القائل: هل يقدر الله الذي لا يصح أن يوجد^(٦) منه ولد، على أن يكون له ولد، فنقض آخر الكلام أوله، فلم يكن له معنى معقول في نفسه فيستحق به جواباً، و^(٧) كذلك قوله: هل يقدر الله على أن يخلق^(٨) إلهاً. لأن الله هو الذي لا يصح أن يكون معه إله سواه، فنقض آخر الكلام أوله^(٩) ومن ينتهي إلى هذا الحد، فقد سقطت مكالمته. وقال متهاكاً^(١٠) للشريعة، مستخفاً بطرق^(١١) الملة أن من ترك الصلاة متعمداً

(١) ج: يجزيه.

(٢) ب، ج، ز: تقولون.

(٣) ب، ج، ز: - منها.

(٤) ب، ج، ز: أشد.

(٥) قال ابن حزم: وكذلك من سأل:

هل الله قادر على أن يتخذ ولداً؟

فالجواب أنه تعالى قادر على ذلك، وقد

نص عز وجل على ذلك في القرآن

قال الله تعالى: ﴿لو أراد الله أن يتخذ

ولداً لأصطفى مما يخلق ما يشاء﴾...

(الفصل في الملل والأهواء والنحل،

ج ٢ ص ١٨٢ - ١٨٣).

(٦) ب: يوخذ.

(٧) د: - و.

(٨) ب: + ولد.

(٩) د: + فلم يكن له معنى معقول في

نفسه فيستحق له جواباً.

(١٠) د: مهتكا.

(١١) ب، ج، ز: بطرف.

حتى خرج وقتها، فقد سقط عنه فرضها، ولم يتوجه عليه خطاب بها، وقد رأى أصول الشريعة ثابتة في الذمة تقضي متى تعذر عملها، من صوم، وزكاة، وحج، فهلاً ارعوى، ولم يغوف من غوى، ولا ضج^(١) على الدين وعوى. فإن قيل فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ [و ٨٨ ب] عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣] فربطها بوقت، كما ربطها بطهارة، فإذا زال ربطها^(٢)، سقط الأمر بها. الجواب عن ذلك من خمسة أوجه الأول: أي^(٣) أعظكم بوحدة تكشف خفاء المسألة، وتهتك سترها، وترفع حجابها، وهو أن تناقشوهم في الألفاظ حتى لا يتمكنوا^(٤) من أن يخرجوا^(٥) عنها إلى المعاني، فإنهم مجدهم^(٦) لا يتبعون لفظاً، ولا يصح ذلك لبشر^(٧)، فبم يرون^(٨) أنهم مهتدون وهم ظالون؟ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ فلفظ موقوت^(٩)، مفعول من الوقت، والتقدير: إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً مفعولاً في وقت، ولا شك^(١٠) في أن كل عبادة وعمل شرعي موقوت^(١١)، فتفسيرهم مرتبط بوقت، لا يقتضيه اللفظ، فإن لفظة مفعول لا تقتضي^(١٢) الارتباط بوقت بينائه، ولا بمعناه. الجواب الثاني: ليس بناء وقت من الزمان خاصة بل هو موضوع لكل محدود، قد قال في الحديث الصحيح: (وَقْتُ النَّبِيِّ ﷺ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ، ذَا الْحَلِيفَةِ، وَلَأَهْلِ الشَّامِ الْجَحْفَةِ، وَلَأَهْلِ نَجْدِ قَرْنِ الْمَنَازِلِ) فاستعمل التوقيت في الأمكنة ليبين أنه لفظ موضوع للتحديد والتعيين في الأقوال والأعمال، كانت لوقت، أو لمكان، أو لوصف. الجواب الثالث: إن قوله: ﴿مَوْقُوتًا﴾ يفيد أن الوقت شرط من شروطها، كالقبلة، وستر العورة^(١٣)، وكل شرط منها كلها إذا فقد لا يمنع من

-
- | | |
|------------------------------|--------------------------------------|
| (١) د: ضج. | (٨) ب، ج، ز: ترون. |
| (٢) ب، ج، ز: ربطها. | (٩) ج: موقوتاً. |
| (٣) ب، ج، ز: إن. | (١٠) د: - في. |
| (٤) ب، ج، ز: حتى يتمكنوا. | (١١) ب: موقوف. |
| (٥) ج، ز: تخرجوا. | (١٢) د: وإن مفعولاً لا يقتضي. |
| (٦) د: بخذلتهن. | (١٣) د: كالبنية وستر العورة واستقبال |
| (٧) ب، ز: بيس. وكتب على هامش | القبلة. |
| (ز): ليس، ج: بليس. | |

فعلها بإجماع، فكذلك فقد^(١) الوقت، وليس في هذه الشروط كلها أحاديث، يتعلقون بها، وإنما هي كلها ثابتة بالقياس. الجواب الرابع: نقول: إن النبي [و ٨٩ أ] ﷺ قد أبان الحقيقة، وأوضح سواء الطريقة، في نوم أصحابه عن الصلاة بحضرته^(٢) في ثلاثة أحوال، عرضت لهم معه: «من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها»^(٣) ويفعلها^(٤) في قضائها حين لم يفعلها معهم في وقتها، وقد تساوى معهم في الترك، وإن كانوا قد اختلفوا في سبب الترك وقد بينا فيما سلف من كلامنا أن ما يعرفوه^(٥) رسول الله ﷺ من هذه المعاني التي هي جبلة الآدمي^(٦) هي بركة على الأمة، فإنها لهم فيما يصيهم سلوة، ولاتباعهم له في ذلك أسوة، وقد تفتن لذلك حبر^(٧) الأمة فيما روى عنه الأئمة قال مسروق^(٨) عن ابن عباس: (كان رسول الله ﷺ في سفر، فعرسوا من الليل قال: فلم يستيقظوا حتى طلعت الشمس. قال: فأمر بلالاً فأذن ثم صلى ركعتين فما يسرنى أن لي^(٩) بها الدنيا وما فيها)^(١٠) قال علماءنا لما كان^(١١) في ذلك من التبيان^(١٢) لمن عراه يمثل ما عراه، وشغله عن طاعة ربه، أي^(١٣) شغله حتى أذهله وأنساه ثم عاد^(١٤) إلى ذكره، ولو كان قوله: (موقوتاً) مربوطاً بوقت مخصوص معين، لم تكن^(١٥) في غيره، واقعة موقعها، لأن ذلك يبطل ارتباطه بها. فإن قيل ذلك الوقت الذي ربطت به إنما يعلم من قبله فجعله^(١٦) معيناً للعالم، وجعله^(١٧) للذاهل أو النائم^(١٨) وقت الذكر. قلنا: قد بينا أن اللفظ لا يقتضي ذلك، ولا يعطيه الاشتقاق. وقد بينا أن الشريعة لا تخص بذلك، كل

- (١) د: بعد.
(٢) ب: لحضرته.
(٣) رواه البخاري ومسلم وأحمد.
(٤) ب: بفعله. ج، ز: يفعل.
(٥) ب، ز: يعلو. ج: يعد.
(٦) د: الآدمية.
(٧) د: خير.
(٨) مسروق بن الأجدع الهمداني صاحب ابن مسعود توفي سنة ٦٣ هـ / ٦٨٣ م.
(٩) د: - أن لي.
(١٠) أخرج أحمد في مسنده الحديث. ولكنه لم يأت بقول ابن عباس فيه.
(١١) د: - كان.
(١٢) ب، د: النسيان.
(١٣) د: + شيء.
(١٤) ج: عاده.
(١٥) ب: يكن.
(١٦) ج، ز: فيجعله.
(١٧) ج، ز: يجعله.
(١٨) ب، ج، ز: والنائم.

عمل محدود، لا بد له من وقت، إلا أنه قد يكون مطلقاً، وقد يكون معيناً بحسب ما قامت عليه أدلة الشريعة من صلاة، وزكاة، وصوم، وحج وفرض ونفل. والجواب الخامس: أنه لم تزل^(١) الأمة من عصر الصحابة متفقة على أن من ترك [٨٩ ب] الصلاة بأي وجه تركها حتى يخرج الوقت الذي يقولون، إنه يلزمه قضاؤها أبداً من نسيان أو سهو، أو نوم. واختلفوا في المغلوب على عقله بالإغواء والجنون وقد تولجت تلك الأقطار الكريمة، ودخلت تلك^(٢) الأمصار العظيمة، وجبت الآفاق القاصية نيفاً على عشرة أعوام، فما رأيت أحداً تفوه بهذا الكلام، ولا وجدته مسطوراً في كتب أئمة الإسلام، ولو أن أهل بلادنا^(٣) إذ سمعوها تفلوا^(٤) عليها، ولم يلفتوا^(٥) إليها أذنأ، ولا قلباً، ولا ليتاً^(٦)، لماتت. إنما اختلفت العلماء قديماً وحديثاً فيمن ترك الصلاة متعمداً هل يكون بذلك كافراً؟ فقال أحمد بن حنبل، وابن حبيب^(٧) من المشاهير: هو كافر، لألفاظ وردت عن النبي ﷺ منها قوله: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة من تركها فقد كفر»^(٨) وهذا قول صريح في حديث صحيح، ولو لم يعارضه سواه، لقلنا به، ولكن صدنا عن ذلك معان: المعنى الأول: أن لفظ «كفر» قد يرد في الشريعة بمعنى أشرك، وخرج عن الملة، وقد يرد بمعنى لم يشكر حق النعمة، قال النبي ﷺ للنساء: «إني رأيتهن^(٩) أكثر أهل النار». قالوا^(١٠): بئس يا رسول الله؟ قال: «بكفرهن» قيل أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن الإحسان، ويكفرن العشير لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم أسأت إليها يوماً واحداً^(١١)، قالت: ما رأيت منك خيراً قط»، وقد يرد بمعنى ستر لقوله ﷺ: «أما عبد أبق من مواليه فقد كفر» قيل: ستر نفسه عمن يجب

(١) ب: يزل.

(٢) د: - تلك.

(٣) د: بلادنا.

(٤) د: تفلوا.

(٥) ب، ج، ز: يلتفتوا.

(٦) صفحة العتق.

(٧) عبد الملك بن حبيب مفتي أهل

الأندلس صاحب الواضحة في الفقه،

توفي سنة ٢٣٨ هـ / ٨٥٣ م

(الذهبي، العبر، ج ٤٢٧ - ٤٢٨).

(٨) رواه الترمذي عن بريدة ولفظه: العهد

الذي بيننا وبينكم الصلاة فمن تركها

فقد كفر.

(٩) ب، ج، ز: رأيتهن.

(١٠) د: قال.

(١١) ب، ز: يوماً واحداً. وكتب في

الهامش: أنه أثبت في نسخة أخرى.

عليه إظهارها له، وقيل: إنه كالأول في أنه كفر نعمة سيده، أي لم يشكرها كنعو قوله: ﴿واشكروا لي ولا تكفرون﴾ [البقرة: ١٥٢] فجعله من الكفر الذي هو ضد الشكر، لا ضد الإيمان الذي هو [و ٩٠] توحيد الله. المعنى الثاني: أن النبي ﷺ قال: «أخرجوا من النار من^(١) في قلبه مثقال ذرة من إيمان». المعنى الثالث: أن عبادة^(٢) روى عن النبي ﷺ قال: «خمس صلوات كتبهن الله على العباد في اليوم والليلة، من جاء بهن لم يضيع^(٣) منهن شيئاً استخفافاً بحققهن كان له عند^(٤) الله عهد أن^(٥) يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن، فليس له^(٦) عند الله عهد^(٧)، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له^(٨)» وهذا نص قاطع، فإن الكافر لا يكون في مشيئة المغفرة بما أخبر به عن ذلك سبحانه.

درجة:

أما أن العلماء اختلفوا في قتله إذا ترك الصلاة عمداً، فقال أبو حنيفة: لا يحل^(٩) إراقة دمه، لكنه يؤدب على استخراج هذا الحق منه بالسوط، وإن أدى ذلك إلى تلف نفسه. وقال مالك والشافعي: يقتل في آخر الوقت. قال متأخرو علمائنا: لا يقتل ضربة بالسيف، ولكنه ينخس بالحديد حتى تفيض نفسه، أو يقوم بالحق الذي عليه من فعلها، وبهذا أقول: قال أبو المعالي: لا أرى أن يسفك دم امرئ مسلم على ترك الصلاة بغير نص من^(١٠) كتاب الله^(١١)، ولا سنة، ولا قياس جلي تناط بمثله المحظورات والذي حمل على ذلك أبا المعالي^(١٢) نكتة فارغة، تعلق بها أهل ما وراء النهر من أصحاب أبي

- | | |
|--|---------------------------------------|
| (١) ب: ممن. | (٧) ج: عهداً. |
| (٢) عبادة بن الصامت أبو الوليد الخزرجي | (٨) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن |
| قاضي القدس، توفي سنة | ماجه. |
| ٣٤٤ هـ / ٦٥٤ م. | (٩) د: تحل. |
| (٣) ب، ج، ز: يضع. | (١٠) ج، د، ز: - من. |
| (٤) ز: في نسخة: على. | (١١) ج، د، ز: - الله. |
| (٥) ج: - أن. | (١٢) ب، ج، ز: حمل أبو المعالي على |
| (٦) ج: - له. | ذلك. |

خفيفة^(١) وهي عسيرة^(٢) المبدأ، ولكنها سهلة المنتهى، قالوا: إن الشريعة لم تنج قط^(٣) دماً بترك المفروض^(٤) كالوضوء والصوم والزكاة والحج، وإنما أباحت^(٥) الدم بفعل المحظور كالزنى والقتل والحراقة. والذي انتهى إليه التحقيق في ذلك، المتفق عليه^(٦) ما أوردناه في «مسائل الخلاف». لبابه يتحصل في ثلاثة مسالك. المسلك الأول: منع الوضوء والصوم، وارتكاب إباحة دم من تركها متعمداً. فأما الحج فهو على غير [و ٩٠ ب] الفور عند قوم، فلا يتحقق فيه الترك المتفق عليه. وأما الزكاة فمقصودها الأوكد وهو أخذ المال ممكن، وتبقى النية وهو الركن الثاني فليس^(٧) يمتنع في الشريعة استقلال الأمر بأحد ركنيه، وقد بيناه في «مسائل الخلاف»، فلا نطول به^(٨) في هذه الإشارة. المسلك الثاني: أنا نقول لهم: قد اتفقنا على قتله إلا أنكم^(٩) قلم يقتل بالسوط، وقلنا يقتل بالحديد، والحقوق تستخرج بالحديد، كما تستخرج بالسوط، ألا ترى أنا نستخرج حق الله في الإسلام من المرتد بالحديد. المسلك الثالث: أن قوله ﷺ: «من ترك الصلاة فقد كفر» وهذا وإن لم يفد حقيقة الكفر، فليفد جزاء^(١٠) الكفر، لثلا يبقى اللفظ عارياً عن إحدى فائديته وهي الحقيقة أو المجاز^(١١). فإن قيل: فكيف نقول^(١٢) في الأمثلة التي استشهدتم بها وهي قوله في النساء، وفي العبد الأبق؟ قلنا: ليس هنالك حق^(١٣) يستخرج بالفعل المؤدي إلى تلف النفس، بخلاف مسألتنا فإننا اتفقنا على أن يستخرج منه هذا الحق، وإن أدى إلى تلف نفسه وإراقة دمه، وإن اختلفنا في صفة ذلك.

- (٧) د: وليس..
(٨) ب، ج، ز: - به.
(٩) ب: - إلا أنكم.
(١٠) د: جزء.
(١١) ب: والمجاز.
(١٢) د: كيف تقولون.

- (١) د: ح.
(٢) ب: عسرة.
(٣) د: - قط.
(٤) ب، ج، ز: مفروض.
(٥) د: إباحة.
(٦) د: - المتفق عليه.

(١٣) ج: + حتى.

درجة:

فأما تخصيص التارك متعمداً^(١) بدليل على وجوب القضاء وقد قدر الله تعالى^(٢) أنه لا بد من النظر في ذلك مع هذه الطائفة الركيكة، فنأخذ ذلك من وجوه: أحدها: أن نقول: إن الأمة أجمعت^(٣) أيام عصر السلف الأول على وجوب قضاء الصلاة على المتعمد فلا يراعى ما طرأ في هذه الأوقات المغيرة^(٤) التي طرأت عليها البدع المضلة، ولقد كان أهل البدع لا يستحدثون بمثل هذه الطامة حتى أجراها الشيطان بقضاء الله وقدره على لسان من أجراها لتكون زيادة في الإضلال [و ٩١]. ولو راعينا كل خلاف يطرأ، لما استقر الدين على قاعدة. الثاني: أن داود وأصحابه الذين أحدثوا بدعته لا يختلفون في قضاء المتعمد لترك الصلاة، وذلك منصوص في كتبهم، فانظروا هنالك. الثالث: أن من الثابت انعقاد الإجماع على أن من ثبت في ذمته شيء لا بد أن يخرج عنه، ومن تعينت عليه عهدة لا غنى من^(٥) أن يتقصى عنها. وهذا متعمد^(٦) قد لزمته الصلاة، وثبتت^(٧) في ذمته فلا يخرج عنه^(٨) إلا أداؤها على حكم كل حق ثبت في الذمة. فإن قيل هي^(٩) حق مؤقت أو مربوط بوقت، فقد سبق الجواب عنه^(١٠)، على أنه يبطل بالصوم فإنه مربوط بوقت، ويقضي تاركه متعمداً، وربط الصوم بوقته أعظم من ربط الصلاة بوقتها. فإن قيل: قد زال وقت الأداء، فلا يجب القضاء، إلا بأمر ثان. قلنا: ليس لآخرها حد إلا فعلها.

جواب آخر: إنا نقول: إذا توجه الأمر بالفرض، لم ينبج المكلف من ذلك إلا فعله، كان ذلك مذكوراً في وقت، أو مطلقاً، ولا نقول: إن الأداء والقضاء غيران، الأداء هو القضاء، والقضاء هو الأداء، شرعاً وعربية. وإنما

(٦) ج، د، ز: متعمداً.

(٧) ب: ثبت.

(٨) ب: عنه.

(٩) ب، ج، ز: هي.

(١٠) ب، ج، ز: عنه.

(١) د: متعمداً.

(٢) د: - تعالى.

(٣) ب، ج، ز: - أجمعت.

(٤) د: المغيرة.

(٥) ج: لا غنى من.

ذكر الفرق بينهما المتأخرون من أصحابنا اصطلاحاً. وهذه الألفاظ التي اصطلاح عليها العلماء آخرأ، لما احتاجوا إليه من البيان لا يجوز بناء الأحكام الشرعية عليها، وإنما تبنى الأحكام الشرعية على قول الله أو قول^(١) الرسول، أو العربية^(٢) التي نزل القرآن بها، وتكلم رسول الله ﷺ بلسانها. الرابع: أنا نتعلق بظواهر الأحاديث التي يزعم الجاهلون القائلون بذلك، أنها لهم، وهي ستة أحاديث:

الحديث الأول: قوله: «من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها، لا وقت لها إلا ذلك»^(٣) فأخبر [و ٩١ ب] النبي^(٤) أن من نام عن صلاة، أو نسيها^(٥)، أو تركها، أنه يصليها متى ذكرها. والنسيان في العربية قسمان: أحدهما ذهول، والآخر تعمد، وذلك أشهر من أن يدل عليه. فبين النبي ﷺ أنها متى تركت^(٦) بغير عقل كالنوم، أو بعقل كالذهول والعمد، أنه يجب قضاؤها، ألا ترى أنه لم يقل من سها، وذكر من نسي، ليستوفي البيان ﷺ وقال: «إذا ذكرها» فالذاهل يذكر بعد ذلك فيلزمه وقت الذكر، والمتعمد ذاكرة أبداً فيلزمه أبداً، إذ هي^(٧) مرتبة على الذكر، فمن وجد منه^(٨) الذكر لزمته^(٩) حتى يفعل^(١٠) [وقد قال ﷺ: «ولا تقولن أحدكم نسيت آية كذا بل هو نسي» وذلك لقوله: «أتنتك آياتنا فنسيتها، وكذلك اليوم تنسى» طه: ١٢٦] ^(١١).

الحديث الثاني: قول النبي ﷺ وقد قال له رجل أو امرأة: إن فريضة الله في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً^(١٢) أو أُمي^(١٣) وأنه^(١٤) لا يستطيع أن

- | | |
|---------------------------------------|-------------------------------|
| (١) ب، ج، ز: وقول. | (٧) ب، ج، ز: وهي. |
| (٢) ج: والعربية. | (٨) د: - منه. |
| (٣) رواه البخاري ومسلم وأحمد ولفظه | (٩) د: لزمت. |
| واحد إلا قوله: (لا وقت لها إلا ذلك) | (١٠) د: تفعل. |
| فإنه عند الرواة الثلاث: (لا كفارة لها | (١١) د: سقط ما بين القوسين. |
| إلا ذلك). | (١٢) ب، د، ز: - شيخاً كبيراً. |
| (٤) د، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. | (١٣) ب: وأُمي. |
| (٥) د: - أو نسيها. | (١٤) د: - وأنه. |
| (٦) د: تركها. | |

يحيى، أفأحج عنه؟ قال: «أرأيت لو كان على أبيك أو أمك دين، أتقضيه»
قال: أو قالت: نعم، قال: «فدين^(١) الله أحق أن يقضى» فبين^(٢) أن كل
حق الله في ذمة العبد لا يخرج عنه إلا فعله، فإن عادوا إلى ذكر الوقت قلنا
لهم: قد بينا فسادَه.

الحديث الثالث: قول رسول الله ﷺ: «شغلونا عن الصلاة الوسطى،
صلاة العصر، حتى غابت الشمس، ملأ الله بيوتهم^(٣) وقبورهم ناراً»^(٤) ثم
قضاها بعد غروب الشمس، ولم يكن تركها سهواً، وإنما كان اشتغالاً بالحرب
والتدبير لها، والاحتراس من غرة المشركين.

الحديث الرابع: روي في الصحيح أن النبي ﷺ قال في الخندق
لأصحابه: «سيروا إلى قريظة ولا يصلين أحد منكم إلا فيها» فساروا
فجاءتهم^(٥) العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نبلغها، وقال
بعضهم: لم يوح رسول الله هذا منا، وصلوا، فصوب رسول الله ﷺ [و ٩٢] أ
الطائفتين التي صلت والتي أخرت الصلاة عن وقتها متعمدة وقضت، ولو
كانت مقصورة الوجوب على الوقت، لا فعل لها إلا فيه لبين لهم ذلك،
وأعلمهم أن ما أتوا به بعد خروج الوقت تكلف.

الحديث الخامس: قوله ﷺ، فيما ثبت وصح: «أنه سيكون بعدي أمراء
يؤخرون الصلاة عن وقته»^(٦)، قال: فنصليها معهم؟ قال: «نعم» ولم يقل:
إن الصلاة لا تفعل إلا^(٧) في وقت مخصوص.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال - وهو الحديث السادس -: «ليس
التفريط في النوم، إنما التفريط على من لم يصل الصلاة حتى دخل^(٨) وقت

(١) د: دين. (٥) ب، ج، ز: فقاتهم.

(٢) د: فبين.

(٣) ب - إلا.

(٤) د: يدخل.

(٦) د: دين.

(٧) د: فبين.

(٨) ب، ج، ز: قلوبهم.

(٩) رواه البخاري ومسلم وأحمد عن

علي.

الأخرى»^(١) وهذا نص في أن المفراط حتى يخرج الوقت يصلي، ولكنه يكون مفراطاً، وهذا القدر كاف لكم في المسألة. والذي أراه ألا يكلم^(٢) قائل هذا إلا بالاستتابة^(٣)، أو بالقتل لمخالفة إجماع الأمة. والله أعلم.

مسألة:

ومن أعظم ما جاء^(٤) من التخليط قول ابن حزم: والقرآن كلام الله تعالى وهو علمه، ويعبر بالقرآن، و^(٥) بكلام الله عن خمس مسميات يعبر بذلك عن علم الله، وعن المسموع في المحارب، قال الله^(٦): ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ [التوبة: ٦] وعن المحفوظ في الصدور، قال الله تعالى^(٧): ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ [العنكبوت: ٤٩] وعن المكتوب في الصحف. قال الله تعالى: ﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾ [البروج: ٢١] وقال: ﴿فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة﴾ [عبس: ١٦] ونهى عليه السلام عن أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو. وعن المعاني المفهومة من التلاوة. وكل^(٨) هذه الأربعة إذا أفردت، وعبر عنها بالصوت والخط - حاشا لله^(٩) - فكل ذلك مخلوق. وإذا عبر عن علم الله فهو غير مخلوق، فكل ما وقع من ذكر فرعون، والكفار، والسموات [و٩٢ب]، والأرض، في القرآن فكل ذلك مخلوق. وإذا أطلق جملة فهو غير مخلوق. قال الله تعالى: ﴿وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً﴾ [الأنعام: ١١٥] وهذا يدل على أنه غير مخلوق. وقال: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم﴾ [يونس: ١٩] فصح يقيناً أنه أراد علمه السابق، فعلمه^(١٠) هو كلامه وهو غير مخلوق. وقال: ﴿وتمت كلمة ربك﴾ [هود: ١١٩] وقال: ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي﴾

(١) رواه النسائي والترمذي وصححه (٥) ب، ج، ز: - و.

بلفظ آخر.

(٦) د: - الله.

(٧) د: - الله تعالى.

(٨) د: فكل.

(٩) د: الله.

(٢) ب، ج، ز: نكلم.

(٣) ب، ج، ز: القتل.

(٤) د: + به.

(١٠) د: - هو.

[الكهف: ١٠٩] فدل على أن الذي تم^(١)، غير الذي لا ينفد، والذي ثم^(٢) هو ترتيبه لمقادير ما خلق. وقول الله غير كلام الله، والبرهان أن التكليم^(٣) فضيلة قال الله تعالى: ﴿منهم من كلم الله﴾ [البقرة: ٢٥٣] والقول رذيلة، قال الله تعالى: ﴿اخشسوا فيها ولا تكلمون﴾ [المؤمنون: ١٠٨]^(٤).

قال القاضي أبو بكر^(٥) رضي الله عنه: ما لهذا مثل^(٦) إلا كما قال

الشاعر:

وخلا الغيبي بما^(٧) يضل نفسه كفراً كفعل الأسخط^(٨) المتهوج
عشاً يرد مقالته بمقاله فعل الجهول على الطريق الأعوج

هذا الكلام من تخليطه. قوله: كلام الله هو علمه: لا عقل ولا شرع، من أين أخذ هذا؟ أدلة العقول تنفيه، والشرع لم يرد به، ثم قال: يعبر بكلام الله عن خمس^(٩) مسميات: عن علم الله، وعن المسموع في المحاريب، والمسموع في الدور^(١٠)، والمسموع في السفر^(١١)، والمسموع في الكتبية^(١٢) إذا تلا القرآن هنالك أحد، كلام من يكون؟ ثم قال: وعلى^(١٣) المحفوظ في الصدور، قال لقوله: ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ [ولا يصح أن تكون ذات القرآن الذي هو كلام الله آيات^(١٤) ثم قال]^(١٥) ﴿في صدور الذين أوتوا العلم﴾ فإن حفظه من لم يقرأ العلم كالصبي الصغير والعجوز والأعرابي القدم، هل هو محفوظ في صدره أم لا؟ والله لم يقل: إلا في صدور

-
- | | |
|---|------------------------------|
| (١) ب، ج، ز: ثم. | (٧) ب، ج، ز: بها. |
| (٢) كذا في جميع النسخ. وصوابه: تم. | (٨) ب: الأعط. ج، ز: الأخط. |
| (٣) د: التكلم. | (٩) ج: بخمس. |
| (٤) ذكر ذلك ابن حزم في: (الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٣ ص ١٢٠٧). | (١٠) ز: في الأذن. |
| (٥) د: قال أبي. | (١١) ج: - والمسموع في السفر. |
| (٦) ب، ج، ز: مثلاً. | (١٢) ب، ج، ز: الكتب. |
| (٧) ب، ج، ز: مثلاً. | (١٣) د: عن. |
| (٨) ب، ج، ز: مثلاً. | (١٤) ب، ز: آية. |
| (٩) ج: سقط ما بين القوسين. | |

أهل العلم^(١) [و ٩٣]، فلا يزد هو عليه^(٢)، ولا يجعل الخصوص عموماً، فإنه جهل محض بالطريقة، وخروج^(٣) عن الظاهرية، ثم قال: وعن المكتوب في المصحف لقوله: ﴿في لوح محفوظ﴾^(٤) واللوح المحفوظ هو عند الله، وليس بصحف^(٥). وقال تعالى: ﴿فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة﴾ يعني ما^(٦) بأيدي الملائكة، فالذي يقتضيه القرآن أنه في صحف الملائكة. فأما في صحف بني آدم أو^(٧) ألواحهم، فيفتقر فيه إلى^(٨) نص. فإن قالوا^(٩): وأي^(١٠) فرق بينهم؟ هذا مثل ذلك. قلنا: هذا قياس وإلحاق وتقدير وتشبيه، وتنظير، وأين أصلك في أنه لا شيء إلا قول الله، وقول الرسول؟ وأما نبي النبي ﷺ عن أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو، فمتى كان ذلك الوقت مصحف يسافر به؟ وقد كتب هو ﷺ بالقرآن إلى الروم وهم أنجاس. وإذا كان في صدور الرجال، وحملوا إلى أرض^(١١) العدو، فكيف هذا ولا يحمل المصحف؟ والرجال المؤمنون أعظم حرمة. وقد قال بعض الناس: لا يغزو العلماء. قال: ويعبر بالقرآن عن المعاني المفهومة من التلاوة. ومن قال له هذا؟ وأين وجده؟ في كتاب الله، أو في سنة رسول الله^(١٢)؟ وأنى له، أن^(١٣) الآيات يراد بها المعاني؟ ولعل يراد بها الألفاظ. ثم قال: وكل هذا إذا عبر به عن غير الله، مخلوق، وإذا عبر به عن الله، غير مخلوق، فكيف^(١٤) تكون الحروف التي يكتب بها الله، ويعبر بها عنه غير مخلوقة، فإذا عبر بها عن غيره تكون مخلوقة، وكلاهما موجود عن عدم؟. وهذا الكلام^(١٥) ينفيه العقل والشرع، ولا يرضى أن يتكلم به معتوه. وقوله: إن

- | | |
|---|---|
| (١) ب، ج، ز: في صدور الذين أوتوا العلم. | (٩) ب، ج، ز: قال. |
| (٢) ب، ج، ز: يرد عليه. | (١٠) د: - و. |
| (٣) ج، ز: خروجاً. | (١١) د: - أرض. |
| (٤) ج: - و. | (١٢) د: رسوله. |
| (٥) د: بمصحف. | (١٣) ج: إنما قال بل الآيات. ز: إن قال بل الآيات. د: إنما قال من الآيات. |
| (٦) د: - ما. | (١٤) د: وكيف. |
| (٧) د: - أ. | (١٥) د: كلام. |
| (٨) ب: + دليل. | |

كلمات الله قد تمت، بمعنى مقاديره، وكلماته التي لا تنفذ ^(١) غير مخلوقة ^(٢). سخافة، وكلمات [و ٩٣ ب] الله على حقيقة واحدة تعالى أن يكون منها شيء مخلوقاً ^(٣) أو من صفاته العلى ^(٤)، أو من أسمائه الحسنی. ثم قال: وقول الله غير كلام الله. وهذه سخافة قالتها المعتزلة، ولكن بطريقة معلومة من العربية سلكوها، ومن البدع ^(٥) معقولة ذكروها ^(٦) يصح أن نسمع فيرد ^(٧) عليها. وأما هذا الذي قال: من ^(٨) أن كلام الله فضيلة، وقوله رذيلة. فهذا خذلان لا ^(٩) ينتهي إليه جهلة النسوان.

يا لك ذلاً ^(١٠) من جعل ^(١١) بمرحض خلا لك الجب فدحرج وارحض ونفها من قذر وحيض ^(١٢)

مسألة غريبة:

وهي أن الله سبحانه قال: ﴿والذين يظاهرون من نسائهم، ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة﴾ فأوجب الكفارة بالعود بعد الظهار، فقال البائس داود: إن ^(١٣) معنى ذلك: يظاهر مرة أخرى بلسانه، ولم يحتشم من العربية ^(١٤)، ولا من الله، ولا من رسوله ^(١٥)، ولا من الناس، وأنا أكلمه لكم ^(١٦) ظاهرياً، حتى أبرزه لكم برياً ^(١٧)، من المعرفة عربياً. قال الله: ﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا﴾ فتتزل معه منزلة فنقول: أخبرني يا داود، كيف الظهار الذي أخبر الله عنه؟ هل هو قول بالجنان أو قول باللسان؟

-
- | | |
|-------------------------------------|-------------------------------------|
| (١) ج: + عن. | (٩) د: ولا. |
| (٢) ب، ج، ز: مخلوقاته. | (١٠) ب، ج، ز: - ذا. |
| (٣) ب، ج، ز: شيئاً منها مخلوقاً. د: | (١١) د: جفل وصححت بخط آخر. |
| منها شيء مخلوق. | (١٢) ب، ج: لم يكتب هذا في صورة شعر. |
| (٤) ب: تعالى. | (١٣) ب: - إن. |
| (٥) د: البدعة. | (١٤) د: اللغة. |
| (٦) ب، د: ذكروها معقولة. | (١٥) د: + صلى الله عليه وسلم. |
| (٧) د: ويرد. | (١٦) د: - لكم. |
| (٨) ب، ج، ز: - من. | (١٧) د: قوياً. |

وجئني بذلك^(١) نصاً عن^(٢) النبي ﷺ في حديث صحيح أو سقيم، ولن تجد ذلك أبداً، وأخبرني بما داود عن صفة تربيته في الاعتقاد، وفي نظم الحروف عن النبي ﷺ^(٣)، أو عن أحد من الصحابة. وهذه مسألة قد استرحنا معك فيها، فإنها ليست بإجماع، فإذا عين ما عين^(٤) أو قال ما قال، قيل له: و^(٥) من أين تقول ذلك، وأنت لا تتكلم إلا بنصر؟ ولا سبيل أبداً إلى^(٦) أن تتكلم بحرف مما تقوله^(٧) إلا^(٨) وفيه من الله قول، أو رسوله، فإن زاد على قول الله أو قول رسوله، حرفاً فرد أنت حرفين [و ٩٤٣ أ].

منزلة أخرى^(٩):

إنا نقول لك في الظهار إنه قول الرجل لزوجته في تشبيه ظهرها بظهر أمه، هل هو قول محدد^(١٠) أو أي قول كان؟ بأي صيغة^(١١) ظهر منه وورد؟ فإن^(١٢) قال: هو مثل قول: أنت علي كظهر أمي. قيل له: بل هو قوله: أنت علي مثل ظهر أمي أو أنت^(١٣) ظهر أمي تكون^(١٤) علي^(١٥) أو بطنك علي كظهر أمي، أو فرجك أو جملتك كظهر أمي، أو يسقط الظهر من أمه، و^(١٦) يجعله في الزوجة، ويقول^(١٧) ظهرك علي كأمي. وهذا هو صريح القرآن فيلزمه أن يجعل الظهار شيئاً غير هذا، ولو قال: إنه ظهرك علي كظهر أمي كان أميل إلى قرب^(١٨) القرآن، وينبغي^(١٩) أن يقال له: إنه إذا قال ظهرك، فمن حرم عليه بطنها أو سائر أعضائها، وهو يقول: لو طلق يدها لم تطلق، وإن قال: تطلق

(١٠) د: مجرد.

(١١) ج، ز: صفة.

(١٢) د: وإن.

(١٣) ج، ز: وأنت.

(١٤) ج، ز: دون.

(١٥) ج، ز: - علي.

(١٦) ب، د: أمي.

(١٧) ب: أو.

(١٨) ج: أقرب.

(١٩) د: ويقي.

(١) ب، ج، ز: بنصر.

(٢) ب، ج، ز: من.

(٣) د: - صلى الله عليه وسلم.

(٤) ب: - ما عين.

(٥) د: - و.

(٦) ب: - إلى.

(٧) ب: نقوله.

(٨) د: - إلا و -.

(٩) د: + أين.

وقع في أشد من ذلك، وأطم، وطولب بالدليل، فإن رام أن يتعلق بالإجماع لم يجده إلا من الفقهاء، ولا قدر لهم عنده، وإنما الإجماع الذي يرى، إجماع الصحابة.

ويجب أن تعلموا أن البخاري ومسلماً^(١) لم يدخلوا في الظهار حرفاً واحداً من الحديث. أما أن^(٢) الأئمة أدخلوا منها جملة فذكر أبو داود، والطبري حديث خويلة^(٣): قالت: ظاهر مني زوجي، وذكرت نزول القرآن، وروى الترمذي أن رجلاً أتى النبي ﷺ، وقد ظاهر من امرأته، وروى أبو داود أن رجلاً جعل امرأته كظهر أمه، وهذا أقرب الألفاظ إلى التفسير^(٤)، فإنه لم يذكر أحد منهم لفظه ولكن ظاهر هذا يقتضي أن نقول^(٥)، امرأتي كظهر أمي، فينبغي أن يقتصر^(٦) يا داود عليه، ولئن فعلت ذلك لنقولن لك: هل^(٧) جعلها بقوله، أو باعتقاده ذلك فيها؟ فإن قيل: ومن أين علمت ذلك؟ قلنا: قال لها: اعتقدت فيك ألا أعلوك، كما لا أعلو أمي، أو قال لها: فرجك كفرج أمي.

منزلة أخرى: [و ٩٤ ب]

ثبت عن الترمذي وغيره أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال له^(٨): يا رسول الله: ظهرت من امرأتي، فوقعت عليها قبل أن أكفر، قال: «وما حملك على ذلك يرحمك الله؟» قال: رأيت خلخالها في ضوء القمر، قال له^(٩): «فلا تقر بها حتى تفعل ما أمرك به». فأعلمه ببقاء كفارة الظهار عليه، وإن^(١٠) كان قد وطئ، وبقي النظر في العود الذي أحال عليه^(١١) رسول الله ﷺ^(١٢).

- | | |
|------------------------------|--------------------------------|
| (١) أبو الحسن مسلم بن الحجاج | (٦) جد: تقتضي. |
| القشيري صاحب الصحيح في | (٧) جد: + لك موثقة. ز: كتب على |
| الحديث، توفي سنة | الهامش: في نسخة: لك موثقة. |
| ٢٦١ هـ / ٨٧٥ م. | (٨) د: - له. |
| (٢) ب، ج، ز: - أن. | (٩) ب: - له. |
| (٣) ب: خولة. | (١٠) ب، ج، ز: إنما. |
| (٤) ب، ج، ز: التقصير. | (١١) جد: عليه. |
| (٥) ب، ج، ز: يقول. | (١٢) د: - صلى الله عليه وسلم. |

بته^(١) فيرجع^(٢) إليه، فنقول^(٣): إن الله سبحانه قال: ﴿ثم يعودون لما﴾ [المجادلة: ٣] وأنت لم يتعين لك بعد قولهم الذي يرتبط به الحكم، بي^(٤) أن يكون العود إليه، هل هو قول القلب أم قول اللسان؟ وما صفة ذلك القول؟ أو رأيت إن قاله ثم نسيه وأنت قد غيبتة؟ وإن قلت^(٥): أخذ بالعموم فيه. فكل قول يكون ذلك فيه^(٦)، أقول به مهما كان فيه ذكر الظهر. قلنا له: ويكون فيه ذكر الظهر^(٧) فيها جميعاً أو^(٨) في الزوجة وحدها، أو في الأم^(٩) وحدها.

منزلة أخرى:

يقال له: أرأيت إن لم يعد لما^(١٠) قال، ولا كلم الزوجة؟ فليس له ما يقول مما فيه أثر عن النبي ﷺ. وانظروا رحمكم الله إلى قول النبي ﷺ للذي وقع على امرأته^(١١) المظاهر منها قبل أن يكفر: «لا تقر بها حتى تفعل ما أمرك الله به» وقال للآخر الذي وقع على امرأته قبل أن يكفر: «أعنت رقبة أو أطعم» ولم يقل له: عد لما قلت، لأنه قد رآه عاد لما قال، ومعنى الآية قد بيناه في «الأحكام»^(١٢) وتحقيقه: أنه لما قال: ﴿ثم يعودون لما قالوا﴾ أنهم لا يعودون إليه لأنه لما قال لها: أنت^(١٣) علي كظهر أمي، قد قال: أنه لا يطأها، فلما عاد إلى الوطء لزمته الكفارة، أو إلى التمسك بالزوجة، أو إلى العزم^(١٤) على ما بيناه هنالك والله أعلم. [و ٩٥ أ] أي^(١٥)، وهكذا فخذ مسائلهم تجدها كما قلناه بتوفيق الله، وتنخل^(١٦) من ذلك كله، المعنى المطلوب وهو تنزيل الشريعة منازلها، وتوفيتها مقاديرها، وعصمها بعواصم من

(١) د: بينه. ج: يشبه.

(٢) د: فارجع.

(٣) ب: بما.

(٤) ب، ج، ز: فيقول.

(٥) د: المرأة.

(٦) د: فسرى. وكتب على هامش ز:

(٧) هو كتابه: أحكام القرآن.

فترى يكون.

(٨) ب، ج، ز: لأنه لو قال أنت.

(٩) ز: في نسخة: قال.

(١٠) ج، ز: الغرم.

(١١) د: يكون فيه ذلك فيه.

(١٢) د: - أي.

(١٣) د: الظهار.

(١٤) ب، ز: ينخل، ج: ينجل.

(١٥) ب، ج، ز: - في.

مطالبها^(١) أو أعدائها^(٢)، حتى قام عمود الدين على أسه، واطرد نصره^(٣) على رسه،
واتسق بنيانه برصه، ورأى الطالب^(٤) الأعظم أن مداخل الإلحاد لا تتحد، فعددها
بعد ذلك سبلاً^(٥) من الباطل، أسلك^(٦) فيها أمماً، ونصل^(٧) إليها عصبا،
وجرّ^(٨) إليها خلقاً كثيراً.

أصلها^(٩):

بعد^(١٠) أن استأثر الله بنبيه ﷺ، وقد أكمل له^(١١) ولنا دينه، وأتم عليه
وعلينا^(١٢) نعمته، كما قال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم
نعمتي، ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ [المائدة: ٣] وما من شيء في الدنيا
يكمل إلا وجاءه النقصان، ليكون الكمال الذي يراد به وجه الله خاصة،
وذلك العمل الصالح، والدار الآخرة، فهي دار الله الكاملة. قال أنس: (ما
نقضنا أدينا من تراب قبر رسول الله ﷺ حتى أنكرنا نفوسنا)^(١٣) واضطربت
الحال، ثم تدارك الله الإسلام ببيعة أبي بكر، فكانت موة^(١٤) النبي ﷺ،
قاصمة الظهر^(١٥)، ومصيبة العمر. فأما علي فاستخفى في بيته مع فاطمة. وأما
عثمان فسكت. وأما عمر فأهجر^(١٦) وقال: (ما مات رسول الله ﷺ، وإنما

وقعة صفين وغيرها.

(١٠) من هنا يتبدى النص الذي نشره
الشيخ محب الدين الخطيب السلفي
المعاصر معتمداً فيه على ما نشره
الشيخ عبد الحميد بن باديس
(+ ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م).

(١١) د: لناوله.

(١٢) د: علينا وعليه.

(١٣) أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد
بلفظ: قلونا (العواصم من
القواصم، ط. محب الدين الخطيب،
ص ٣٧) د: ثرب.

(١٤) ج، ز: موت.

(١٥) د: قاصمة من الدهر.

(١٦) ب: فأهجز.

(١) ب، د: مطالبها.

(٢) ب، ج، ز: وأعدائها.

(٣) ب، ج، ز: نظره.

(٤) ب، ج، ز: الطالب.

(٥) ج، ز: سبلاً.

(٦) ب، ج، ز: سلك.

(٧) د: نضل.

(٨) ب، ج، ز: جرى.

(٩) ج، د، ز: اتصل الكلام فيها ولم

يجعل «أصلها» شبه عنوان وضبط في

(د) أصلها على أنه فعل ماض فاعله

المطالب. واختارنا هنا أن نجعله

عنواناً أي أصل هذه السبل الإلحادية

ومداخل الباطل وهو ما سيذكره بعد

من الفتن وأنوع الدس التي سببت

وعده الله كما وعد موسى، وليرجعن رسول الله^(١) فليقطعن أيدي ناس وأرجلهم^(٢). وتعلق بالعباس^(٣) وعلي بأمر أنفسهما في مرض النبي ﷺ^(٤)، فقال العباس لعلي: (إني أرى الموت في وجه بني عبدالمطلب، فتعال حتى نسأل^(٥) رسول الله ﷺ فإن كان هذا الأمر فينا علمناه)^(٦). وتعلق بال^(٧) علي والعباس^(٨) بمرأتهما، فيما تركه النبي^(٩) من فذك، وبني النضير، وخير [و ٩٥ ب] واضطرب أمر الأنصار يطلبون الأمر لأنفسهم، أو الشركة فيه مع المهاجرين، وانقطعت قلوب الجيش الذي كان قد برز مع أسامة بن زيد^(١٠) بالجرف.

عاصمة:

فندارك الله الإسلام والأنام، وانجابت^(١١) انجياب الغمام ونفذ وعد الله، باستئثار رسول الله، وإقامة دينه على التمام، وإن كان قد أصاب، ما أصاب من الرزية^(١٢) الإسلام - بأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان إذ^(١٣) مات النبي غائباً في ماله بالنسخ^(١٤) فجاء إلى منزل ابنته عائشة رضي الله عنها، وفيه مات النبي ﷺ، فكشف عن وجهه، وأكب عليه يقبله وقال: (بأبي أنت^(١٥)) وأمي يا رسول الله^(١٦) طبت حياً وميتاً، والله لا يجمع الله عليك الموتين. أما

(١٠) أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي

توفي سنة ٥٤ هـ / ٦٧٣ م.

(١١) أضاف محب الدين الخطيب

(الغمة)، ص ٤١.

(١٢) ج: + في.

(١٣) ب: إذا.

(١٤) ب: بالنسخ. ج: بالنسخ. ز:

بالنسخ.

(١٥) ب، ج، ز: - أنت.

(١٦) د: - يا رسول الله.

(١) ج، ز: + صلى الله عليه وسلم.

(٢) أخرجه البخاري وأحمد في المسند.

(٣) العباس عم النبي، توفي سنة

٣٢ هـ / ٦٥٢ م.

(٤) د: - صلى الله عليه وسلم.

(٥) ج، ز: نسائل.

(٦) أخرجه البخاري وأحمد.

(٧) ج: بال.

(٨) ب: العباس وعلي.

(٩) د: + صلى الله عليه وسلم.

الموتة التي كتب الله عليك فقدمتها^(١) ثم خرج إلى المسجد والناس فيه، وعمر يأتي بهجر من القول كما قدمنا، فرقي المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أما بعد، أيها الناس^(٢)) من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت) ثم قرأ: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾ [آل عمران: ١٤٤] فخرج الناس يتلون في سكك المدينة، كأنها لم تنزل إلا ذلك اليوم^(٣). واجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة، يتشاورون ولا يدرون ما يفعلون، فقالوا: نرسل إليهم يأتوننا، فقال أبو بكر: بل غمضي^(٤) إليهم، فسار إليهم المهاجرون منهم^(٥) أبو بكر وعمر وأبو عبيدة، فراجعوا^(٦) الكلام، فقال بعض الأنصار: منا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر كلاماً كثيراً مصيباً يكثر، ويصيب منه: نحن الأمراء وأنتم [و٩٦] الوزراء، إن رسول الله ﷺ قال: «الأئمة من قريش»^(٧)، يقال: «أوصيكم بالأنصار خيراً أن تقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا^(٨) عن سيئهم»^(٩) وإن الله سنانا الصادقين، وسماكم المفلحين، وقد أمركم أن تكونوا معنا حيث ما كنا فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ [التوبة: ١١٩] إلى غير ذلك من الأقوال المصيبة، والأدلة القوية. فتذكرت الأنصار ذلك، وانقادت إليه، وبايعوا أبا بكر الصديق رضي الله عنه، وقال أبو بكر لأسامة: أنفذ لأمر رسول الله. فقال له^(١٠) عمر: كيف^(١١) ترسل هذا الجيش والعرب قد اضطربت عليك؟ فقال: لو لعبت الكلاب بخلاخيل^(١٢) نساء أهل المدينة ما رددت جيشاً أنفذه

(٧) أخرجه البخاري وأحمد والطبراني

في مسنده.

(٨) ب، ج، ز: تجاوزوا.

(٩) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي.

(١٠) ب: إن.

(١١) ب، ج، ز: - له.

(١٢) د: وكيف.

(١٣) د: خلاخل.

(١) ب: قدمتها.

(٢) د: فمن.

(٣) أورده البخاري في صحيحه.

(٤) ب، ز: غمضي.

(٥) د: فيهم، ز: في الهامش: في نسخة

بهم.

(٦) د: وتراجعوا.

رسول الله ﷺ، وقال له عمر وغيره: إذا منعك^(١) العرب الزكاة فاصبر^(٢) عليهم. فقال: والله لو منعوني عقلاً^(٣) كانوا يؤدونه^(٤) إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه^(٥) والله لأقاتلن من فرق بين الزكاة والصلاة^(٦). قيل له^(٧): ومع من تقاتلهم؟ قال: وحدي، حتى تنفرد سالفتي، وقدم الأمراء على الأجناد: والعمال في البلاد، مختاراً لهم، مرتثاً فيهم، فكان ذلك من أسد^(٨) عمل، وأفضل مقدمة للإسلام^(٩)، وقال لفاطمة وعلي والعباس: إن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث، ما تركناه صدقة»^(١٠) فذكر الصحابة ذلك، وقال: سمعته يقول: «لا يدفن نبي إلا حيث يموت»^(١١) وهو في ذلك كله رابط الجأش، ثابت العلم، والقدم في الدين. ثم استخلف عمر، فظهرت بركة الإسلام، ونفذ الوعد الصادق في الخليفتين، ثم جعلها عمر شورى فأخرج عبدالرحمن بن عوف^(١٢) نفسه من الأمر، حتى ينظر ويتحرى فيمن يقدم، فقدم عثمان، فكان عند الظن به، ما خالف له^(١٣) عهداً، ولا نكث عهداً، ولا اقتحم مكروهاً، ولا خالف سنة. وقد كان النبي ﷺ [و٦٠ ب] أخبر بأن عمر شهيد، وبأن عثمان شهيد، وبأن^(١٤) له الجنة على بلوى تصيبه، وهو وزوجه رقية ابنة رسول الله ﷺ أول مهاجر بعد إبراهيم الخليل ﷺ. دخل به في باب: أول من^(١٥)... وهو علم كبير جمعه الناس^(١٦). ولما طحت

- | | |
|---------------------------------------|--|
| (١) د: إذ منعك. | (١٠) أخرجه البخاري. |
| (٢) د: اصبر. | (١١) رواه مالك في الموطأ. |
| (٣) د: عناقاً. وهي رواية. | (١٢) الزهري ترفي سنة ٣٢ هـ / ٦٥٧ م. |
| (٤) د: يؤدونها. | (١٣) د: - له. |
| (٥) د: - عليه + والله لقاتلتهم. | (١٤) د: أن. |
| (٦) د: الصلاة والزكاة. وهو رواية. | (١٥) يريد: المصنفات التي ألفت في الدين |
| (٧) ب، ج، ز: - له. | كانوا الأوائل في الأعمال الجليلة، في |
| (٨) ب، ج، ز: أشد. | تاريخ الإسلام، حيث يعقدون فيها |
| (٩) غير عبد الدين الخطيب النص | أبواباً خاصة بكل عمل تاريخي |
| اجتهاداً منه فكتب (عمله وأفضل ما | فيقولون مثلاً: أول من أسلم، أو |
| قدمه للإسلام) وهو في جميع النسخ | أول من هاجر. |
| كما أثبتنا. ولكنه لم يبنه إلى ما عمله | (١٦) ج: - الناس. |
| في النص (ص ٤٧). | |

أمامته قتل مظلوماً، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، ما نصب حرباً، ولا جيش عسكراً، ولا سعى إلى فتنة، ولا دعا إلى بيعة، ولا حاربه^(١) ولا نازعه من هو من أضرابه، ولا أشكاله، ولا يرجوها لنفسه. ولا خلاف أنه ليس لأحد أن يفعل ذلك في غير عثمان، فكيف في عثمان رضي الله عنه؟ وقد سموا من قام عليه فوجدناهم أهل أغراض سوء، حيل^(٢) بينهم وبينها. فوعظوا، وزجروا، وأقاموا بحمص^(٣) عند عبدالرحمن بن خالد بن الوليد^(٤) يؤنبهم ويؤدبهم^(٥)، حتى تابوا، وأرسل بهم إلى عثمان فتابوا، وخيرهم، فاختراروا التفرق في البلاد فأرسلهم، فلما سار كل إلى ما اختار أنشأوا الفتنة وألبوا^(٦) الجماعة، وجاءوا إليه في جملتهم، فاطلع عليهم من حائط داره، ووعظهم وذكرهم، وورعهم عن دمه، وخرج طلحة^(٧) يبكي، ويورع الناس، وأرسل علي ولديه، وقال الناس لهم^(٨): إنكم أرسلتم إلينا: أقبلوا إلى من غير سنة الله، فلما جئنا، قعد هذا في بيته، يعنون علينا، وخرجت أنت تفيض عينيك، والله لا يرحنا حتى نريق دمه. وهذا قهر عظيم وافتيات علي الصحابة، وكذب في وجوههم، به، لهم، ولو أراد عثمان لكان مستنصراً بالصحابة^(٩)، ولنصروه في لحظة، وإنا جاء القوم مستجيزين^(١٠) متظلمين، فوعظهم فاستشاطوا، فأراد الصحابة إليهم^(١١)، فأوعز إليهم عثمان ألا يقاتل

الجميل قتله مروان. (الذهبي،

العبر، ج ١ ص ٣٧).

(٨) د: إليهم.

(٩) ب: الصحابة.

(١٠) د: مستجيزين.

(١١) كذا في جميع النسخ. (إلا أن الشيخ

عب الدين غيره إلى «الهم» أي

طعنهم دون أن يشير إلى ذلك.

والظاهر أن النص كما هو مثبت

والمقصود منهم أنهم أرادوا القيام

إليهم ومدافعتهم عن عثمان.

(ص ٦٠).

(١) د: حارب.

(٢) د: حين.

(٣) ب، ج، ز: - بحمص.

(٤) عبدالرحمن بن خالد بن الوليد مات

بحمص سنة ٤٦ هـ / ٦٦٦ م وقبل

سنة ٤٩ هـ / ٦٦٩ م (النجوم

الزاهرة، ج ١ ص ١٣١).

(٥) ب: - يؤنبهم ويؤدبهم. ج، ز:

فويخهم وتوعدهم.

(٦) ب: ألفوا.

(٧) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي

توفي سنة ٣٦ هـ / ٦٥٦ م في وقعة

أحد بسببه أبدأ، فاستسلم وأسلموه برضاه، وهي مسألة من الفقه كبيرة، هل يجوز للرجل أن يستسلم أم يجب عليه أن يدافع عن نفسه؟ [و ٩٧] وإذا استسلم، وحرم على أحد أن يدافع عنه بالقتل هل يجوز لغيره أن يدافع عنه^(١)، ولا يلتفت إلى رضاه؟ اختلف العلماء فيها. فلم يأت عثمان منكرًا، لا في أول الأمر، ولا في آخره، ولا جاء الصحابة بمنكر. وكل ما سمعت من خبر باطل، إياك أن تلتفت إليه.

قاصمة:

قالوا معتدين^(٢) متعلقين برواية كذايين: جاء عثمان في ولايته، بمظالم ومناكير، منها: ضربه لعمار^(٣) حتى فتق أمعاءه، ولابن مسعود^(٤) حتى كسر أضلعه، ومنعه عطاءه، وابتدع في جمع القرآن وتأليفه، وفي حرق المصاحف، وحمي الحمى، وأجل أبا ذر^(٥) إلى الربرة، وأخرج إلى الشام أبا الدرداء^(٦)، ورد الحكم^(٧) بعد أن نفاه رسول الله ﷺ، وأبطل سنة القعقر في الصلوات في السفر، وولي معاوية ومروان^(٨) ممن لم يكن^(٩) من أهل الولاية، وأعطى مروان خمس أفريقية، وكان عمر يضرب بالدرّة، وضرب هو بالعصا، وكتب مع عبده على جهله كتاباً إلى ابن أبي سرح^(١٠) في قتل من ذكر فيه،

(١) د: عليه.

(٢) ب، ج، ز: مبعدين وكتب على هامش ز في نسخة مقترين. وغيرها

الشيخ نحب الدين الخطيب إلى:

متعدين. ولم يشر إلى ذلك (ص ٦١).

(٣) عمار بن ياسر استشهد في وقعة صفين سنة ٣٨ هـ / ٦٥٨ م.

(٤) عبدالله بن مسعود الذهلي توفي سنة ٣٢ هـ / ٦٥٢ م.

(٥) أبو ذر الغفاري، واسمه جندب توفي سنة ٣٢ هـ / ٦٥٢ م.

(٦) أبو الدرداء غويمر بن زيد الأنصاري توفي بدمشق سنة ٣٢ هـ / ٦٥٢ م.

(٧) الحكم بن أبي العاص بن أمية توفي

سنة ٣١ هـ / ٦٥١ م وهو عم عثمان وابن عم أبي سفيان.

(٨) مروان بن الحكم كان كاتب سر عثمان

توفي سنة ٦٥ هـ / ٦٨٤ م. وأضاف الشيخ محب الدين الخطيب

عبدالله بن عامر بن كريز وزعم أنه سقط من الأصل والواقع أنه لا يوجد

في جميع النسخ. (ص ٦٢).

(٩) ب، ج، ز: لم يكن.

(١٠) عبدالله بن أبي سرح توفي سنة

٣٦ هـ / ٦٥٦ م (حسن المحاضرة، ج ١ ص ٩٧).

وعلا على درجة رسول الله ﷺ، وقد انحط عنها أبو بكر وعمر، ولم يحضر
بدرًا وانهمز [يوم حنين، وفر] (١) يوم أحد، وغاب عن بيعة الرضوان، وولى
الوليد بن عقبة (٢) وهو فاسق ليس من أهل الولاية، ولم يقتل عبيد الله بن
عمر (٣) بالهرمزان (٤) الذي أعطى السكين لأبي لؤلؤة (٥) وحرّضه على عمر حتى
قتله (٦).

عاصمة:

هذا كله باطل سنداً ومتناً. أما قولهم: جاء عثمان بمظالم ومناكير فباطل.
وأما ضربه لعمار وابن مسعود، ومنعه عطاءه فزور، وضربه لعمار إفاك مثله،
ولو فتق (٧) أمعاء ما عاش أبداً. وقد اعتذر عن ذلك العلماء (٨) بوجوه، لا
ينبغي أن يشتغل بها، لأنها مبنية على باطل، ولا يبنى حق على باطل، ولا
يذهب الزمان في محاشاة الجهال (٩) فإن ذلك لا آخر له.

وأما جمع القرآن فتلك حسنة العظمى، وخصلته الكبرى [و ٩٧ ب]،
وإن كان وجدها كاملة، ولكنه أظهرها (١٠)، ورد الناس إليها، وحسم مادة
الخلافاً فيها، وكان نفوذ وعد الله بحفظ القرآن على يديه، حسبما بيناه في

ذكر فيه) وختم به التهم الموجهة إلى
عثمان وقال: إنه رتب التهم وأجوبتها
على نسق ولكن جميع النسخ جاء
النص فيها على النحو الذي أثبتناه
(ص ٦٢) وهكذا فعل فيما بعد في
ترتيب الرد على التهم فقدم وأخر
صفحات بأكملها. مع أن جميع
النسخ تخالف ما قام به من الترتيب
الذي اعتقد أنه أقرب إلى النص وهو
بعيد عنه.

(١) سقط ما بين القوسين من طبعة

محب الدين (ص ٦٢).

(٢) الوليد بن عقبة بن أبي معيط توفي سنة

٦١ هـ / ٦٨٠ م.

(٣) عبيد الله بن عمر بن الخطاب توفي

سنة ٣٧ هـ / ٦٥٧ م (النجوم

الزاهرة، ج ١ ص ١١٢).

(٤) الهرمزان قتل سنة ٢٣ هـ / ٦٤٣ م.

(٥) أبو لؤلؤة المجوسي قاتل عمر، قتل

سنة ٢٣ هـ / ٦٤٣ م.

(٦) تصرف محب الدين الخطيب فأخر

قوله: (وكتب مع عبده على جهله

كتاباً إلى ابن أبي سرح في قتل من

(١٠) ج: أخرها.

(٧) د: فزور وإفاك ولو فتق.

(٨) د: العلماء عن ذلك.

(٩) د: الخيال.

«كتب القرآن»^(١) وغيرها. روى الأئمة بأجمعهم أن زيد بن ثابت^(٢) قال: (أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال^(٣) أبو بكر: إن عمر أتاني^(٤) فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن قلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر^(٥)). قال زيد: قال لي^(٦) أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال، ما كان أثقل عليّ مما أمروني^(٧) به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال^(٨) عمر^(٩) هذا والله خير فلم يزل أبو بكر^(١٠) يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، فتتبع القرآن أجمعه من العصب واللخاف^(١١)، وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي^(١٢) خزيمة الأنصاري^(١٣) لم أجدها مع أحد غيره ﴿لقد

وأمرني. (الراز، تاريخ واسط، ص ٢٨١).

(٨) د: قالوا.

(٩) د: - عمر.

(١٠) د: - أبو بكر.

(١١) وفي رواية: من الرقاع والاكتاف

والعصب. والكف عظم عريض

المنكب يكتب عليها والعصب جمع

عصب عبارة عن جريدة النخل

(الراز، تاريخ واسط، ص ٢٨١).

(١٢) طبعة حب الدين: - أبي.

(١٣) ذو الشهادتين قتل في معركة صفين

٣٨ هـ / ٦٥٨ م (الإصابة ٢٢٤٧

وقعة صفين، ص ٤١٣).

(١) أي المصنفات التي ألفها أبو بكر بن العربي في التفسير وما يتصل به كقانون التأويل، وأحكام القرآن وأنوار الفجر والمشككين أي مشكل القرآن ومشكل الحديث.

(٢) زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري المقرئ توفي سنة ٤٥ هـ / ٦٦٥ م.

(٣) د: قال.

(٤) طبعة حب الدين: أنا. ولم ينبه على أنه تابع في ذلك بعض الروايات من كتب الحديث. (ص ٦٧).

(٥) أورده البخاري وأحمد وغيرهما من أئمة الحديث.

(٦) ب، ج، ز: - لي.

(٧) د: أمرني. وفي رواية: كلفاني

جاءكم رسول من أنفسكم﴾ [التوبة: ١٢٨] حتى خاتمة براءة^(١)، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة^(٢) بنت عمر حتى قدم حذيفة بن اليمان^(٣) على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع^(٤) حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك [٩٨٣هـ] هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير^(٥)، وسعيد بن العاص^(٦)، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام^(٧) فنسخوها في المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف^(٨) إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف^(٩) أن يحرق. قال ابن شهاب^(١٠): (وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت^(١١) سمع زيد بن ثابت، قال: فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا الصحف، قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها فالتمسناها فوجدنا^(١٢) مع

العاص يقول الذهبي: أقيمت عربية

القرآن على لسانه. توفي سنة

٥٩ هـ / ٦٧٨ م.

(٧) المخزومي المدني توفي سنة

٤٣ هـ / ٦٦٣ م.

(٨) ب: المصحف.

(٩) ب: ومصحف.

(١٠) أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيدالله

توفي سنة ١٢٤ هـ / ٧٤١ م.

(١١) الأنصاري أحد الفقهاء السبعة توفي

سنة ١٠٠ هـ / ٧١٨ م.

(١٢) ب، ج، ز: فوجدناها.

(١) ج: - براءة.

(٢) حفصة بنت عمر العدوية أم المؤمنين

توفيت سنة ٤١ هـ / ٦٦١ م وقيل

٤٥ هـ / ٦٦٤ م.

(٣) حذيفة بن اليمان صاحب سر

رسول الله توفي سنة

٣٦ هـ / ٦٥٦ م. ج، د، ز:

اليمني.

(٤) ب، ج، ز: فحدثه.

(٥) قتل سنة ٧٣ هـ / ٦٩٢ م وكان ذا

شجاعة وفروسية.

(٦) سعيد بن العاص بن سعيد بن

خزيمة بن ثابت الأنصاري: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ [الأحزاب: ٢٣] فألحقناها في سورتها في المصحف^(١) وأما ما روى أنه حرقها أو خرقها^(٢) - بالخاء المهملة أو الخاء^(٣) المعجمة وكلاهما جائز - إذا كان في بقائها فساد، أو كان فيها ما ليس من القرآن، أو ما نسخ منه، أو على غير نظمه، وقد^(٤) سلم في ذلك الصحابة كلهم. إلا أنه روى عن ابن مسعود أنه خطب بالكوفة، فقال: (أما بعد فإن الله قال: ﴿ومن يغلل يأتي بما غل يوم القيامة﴾ [آل عمران: ١٦١] وإني غال مصحفي، فمن استطاع منكم أن يغلل مصحفه فليفعل) وأراد ابن مسعود أن يؤخذ بمصحفه، وأن يثبت ما يعلم فيه، فلما لم يفعل ذلك له^(٥)، قال ما قال، فأكرهه عثمان على دفع^(٦) مصحفه، ومحا رسومه، فلم تثبت^(٧) له قراءة أبداً، ونصر الله عثمان، والحق، بمحوها من الأرض.

وأما نفيه^(٨) [و ٩٨ ب] أباً ذر إلى الربذة فلم يفعل. كان أبو ذر زاهداً، وكان يقرع عمال عثمان، ويتلو عليهم: ﴿والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله نبشرهم بعذاب أليم﴾ [التوبة: ٣٤] الآية ويراهم يتسعون في المراكب، والملابس حين وجدوا، فينكر ذلك عليهم، ويريد تفريق جميع ذلك من بين أيديهم، وهو غير لازم. قال ابن عمر وغيره^(٩) من الصحابة وهو الحق^(١٠): إن ما أدت زكاته فليس بكنز، فوقع بين أبي ذر، ومعاوية كلام بالشام، فخرج إلى المدينة فاجتمع إليه الناس، فجعل يسلك تلك الطريق فقال له عثمان: لو اعترلت، [معناه: أنك على مذهب لا

(١) أخرجه البخاري في الصحيح.

(٢) ج، د، ز: خرقها أو حرقها.

(٣) د: والخاء.

(٤) كذا في جميع النسخ ويبدو أن

صوابها: فقد. أصلها الشيخ

عبد الدين ولكنه لم ينص على ذلك.

(ص ٧١).

(٥) د: - له.

(٦) ب: رفع.

(٧) ب: يثبت.

(٨) د: بعثه.

(٩) د: سواء.

(١٠) د: - وهو الحق.

يصلح لمخالطة الناس، فإن للخلطة شروطاً^(١)، وللعزلة مثلها. ومن كان على طريق أبي ذر، فحاله يقتضي أن ينفرد بنفسه، أو يخالط ويسلم لكل أحد حاله مما ليس بحرام في الشريعة^(٢). فخرج إلى الربذة زاهداً فاضلاً، وترك جلة فضلاء. وكل على خير، وبركة، وفضل. وحال أبي ذر أفضل ولا تمكن لجميع الخلق. فلو^(٣) كانوا عليها لهلكوا، فسبحان مرتب المنازل ومن العجب أن يؤخذ عليه في أمر فعله عمر! فقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سجن ابن مسعود في نفر من الصحابة سنة^(٤) بالمدينة حتى استشهد، فأطلقهم عثمان، وكان سجنهم، لأن القوم أكثروا الحديث عن رسول الله ﷺ، ووقع بين أبي ذر ومعاوية كلام، وكان أبو ذر يطلق^(٥) من الكلام بما لم يكن^(٦) يقوله في زمان عمر، فأعلم معاوية بذلك عثمان، وخشي من^(٧) العامة أن تثور منهم فتنة. فإن أبا ذر كان يحملهم على التزهّد، وأمور لا يحتملها^(٨) الناس كلهم، وإنما هي مخصوصة ببعضهم فكتب إليه عثمان كما قدمنا: أن يقدم^(٩) المدينة. فلما قدم اجتمع إليه الناس فقال لعثمان: أريد الربذة فقال^(١٠) له: افعّل. فاعتزل، ولم يكن يصلح له إلا ذلك، لطريقته. ووقع بين أبي الدرداء^(١١) ومعاوية كلام، وكان أبو الدرداء زاهداً فاضلاً^(١٢) قاضياً لهم، فلما اشتد في الحق، وأخرج طريقة عمر في قوم لم يحتملوها [و ٩٩] عزلوه، فخرج إلى المدينة. وهذه كلها مصالح لا تقدح في الدين، ولا تؤثر في منزلة أحد من المسلمين بحال. وأبو الدرداء، وأبو ذر^(١٣) براءة^(١٤) من^(١٥) عاب^(١٦)

٣٢ هـ / ٦٥٢ م وكان قاضياً

بدمشق.

(١٢) د: - فاضلاً.

(١٣) د: وأبو ذر وأبو الدرداء.

(١٤) كذا في جميع النسخ وقد صححها

عبد الدين هكذا: بريشان ولم يشر

إلى ذلك (ص ٧٧).

(١٥) ج، ز: عن.

(١٦) العباب كالعباب والمعيب: الوصمة

(القاموس المحيط).

(١) ج، ز: شروط.

(٢) د: سقط ما بين القوسين.

(٣) د: ولو.

(٤) د: ستة.

(٥) د: ينطلق.

(٦) ج، ز: - يكن.

(٧) ز: في نسخة: عن.

(٨) د: يحملها.

(٩) ب، ج، ز: تقدم.

(١٠) د: قال.

(١١) عومر بن زيد الأنصاري توفي سنة

وعثمان بريء وأعظم براءة، وأكثر نزاهة. فمن روى أنه نفي، وروى سيباً^(١) فهو كله باطل.

وأما رد الحكم فلم يصح. وقال علماؤنا في جوابه: قد كان أذن له فيه رسول الله ﷺ، وقال^(٢) لأبي بكر وعمر، فقالا له: إن كان معك شهيد رددناه، فلما ولي قضى بعلمه في رده. وما كان عثمان ليصل مهجور رسول الله ﷺ، ولو كان أباه، ولا لينقض^(٣) حكمه.

وأما ترك القصر^(٤) فاجتهاد، إذ^(٥) سمع أن الناس افتتنوا بالقصر، وفعلوا ذلك في منازلهم، فرأى أن السنة ربما أدت إلى إسقاط الفريضة فتركها مصلحة^(٦) خوف الذريعة، مع أن جماعة العلماء قالوا: إن المسافر مخير بين القصر والإتمام، واختلف في ذلك الصحابة.

وأما معاوية فعمرو ولأه، وجمع له الشامات كلها وأقره عثمان، بل إنما ولأه أبو بكر الصديق رضي الله عنه لأنه ولي أخاه يزيد، واستخلفه يزيد فأقره عمر، لتعلقه بولاية أبي بكر، لأجل استخلاف واليه له، فتعلق عثمان بعمر وأقره. فانظروا إلى هذه السلسلة^(٧) ما أوثق عراها، وأقدر سردها^(٨)، ولن يأتي^(٩) مثلها بعدها أبداً.

وأما عبدالله بن كريز^(١٠) فولاه كما قال، لأنه كريم العمت والخالات.

(١) انتظام الحلق في السلسلة أو غيرها،

ويطلق على جودة سياق الحديث.

(القاموس المحيط). ب، ج، ز.

ترك بياض مكان: سردها.

(٩) ب، ج، ز: + أحد.

(١٠) عبدالله بن عامر بن كريز توفي سنة

٥٩ هـ / ٦٧٨ م على أصح الروايات

(الذهبي، العبر، ج ١ ص ٦٧).

ب، ج، ز: ابن أبي كريز.

(١) د: - وروى سيباً.

(٢) أي قال عثمان. (عبد الدين

الخطيب، ص ٧٧).

(٣) د: لينقض.

(٤) ز: كتب على الهامش: أي في

الصلاة.

(٥) د: أو.

(٦) ب، ج، ز: - مصلحة.

(٧) د: المسألة.

وأما تولية الوليد بن عقبة - فلأن^(١) الناس على فساد في^(٢) النيات
أسرعوا إلى السيئات قبل الحسنات، فذكر الإسفرائينيون^(٣) أنه إنما ولاه للمعنى
الذي تكلم به. قال عثمان: ما وليت الوليد لأنه أخي، وإنما وليته لأنه ابن أم
حكيم البيضاء عمة رسول [و ٩٩ ب] الله ﷺ، وتوأمة أبيه، وسيأتي بيانه إن
شاء الله. والولاية اجتهاد. قد عزل عمر^(٤)، سعد^(٥) بن أبي وقاص^(٦)، وقدم
أقل منه درجة.

وأما إعطاؤه خمس أفريقية لواحد، فلم^(٧) يصح، على أنه قد ذهب مالك
وجماعة إلى أن الإمام يرى رأيه في الخمس، وينفذ فيه ما أداه إليه اجتهاده،
وأن عطاءه لواحد جائز^(٨). وقد بينا ذلك في مواضعه.

وأما قولهم: إنه ضرب بالعصا، فما سمعته ممن أطاع ولا عصا، وإنما
هو باطل يحكى، وزور يثنى، فيا لله وللنبي.

وأما علوه على درجة رسول الله ﷺ. فما سمعته ممن فيه تقية^(٩)، وإنما
هي إشاعة منكر، ليروى^(١٠) ويذكر، فيتغير بها^(١١) قلب من يتغير. قال علماؤنا:
ولو صح ذلك فما في هذا ما يحل دمه، ولا يخلو أن يكون ذلك حقاً، فلم
ينكره^(١٢) الصحابة عليه، إذ رأت جوازه ابتداء، أو لسبب اقتضى ذلك، وإن
كان لم يكن فقد انقطع الكلام.

وأما انهزامه يوم حنين، وفراره يوم أحد، ومغيبه عن بدر، وبيعة
الرضوان، فقد بين عبد الله بن عمر، وجه الحكم في شأن البيعة، وبدر،

(١) ب، ج، ز: فأن.

(٢) ب، ج، ز: - في.

(٣) ب، ج، ز: الإسفرائينيون. وأصلحه

عبد الدين هكذا: الإفترائيون.

ولكنه لم يشر إلى ذلك كعادته.

(٤) ج: عمن.

(٥) ب، د: سعيد.

(٦) أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص

الزهري توفي سنة ٥٥ هـ / ٦٧٤ م.

(٧) د: فلا.

(٨) ب، ج، ز: وأما إعطاؤه لواحد

جائز.

(٩) د: بقية.

(١٠) د: ليرى.

(١١) ب: - بها.

(١٢) د: تنكره.

وأما^(١) يوم حنين فلم يبق إلا نفر يسير مع رسول الله ﷺ، ولكن لم يجر في الأمر تفسير من بقي ممن مضى في الصحيح، وإنما هي أقوال، منها أنه ما بقي معه إلا العباس وابناه عبدالله، وقثم^(٢)، فناهيك بهذا^(٣) الاختلاف، وهو أمر قد اشترك فيه الصحابة، وقد^(٤) عفا الله عنه ورسوله، فلا يحل ذكر ما أسقطه الله ورسوله، والمؤمنون. خرّج البخاري: (جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن عثمان فذكر محاسن عمله، فقال: لعل ذلك يسوؤك [و ١٠٠] أ، قال: نعم، قال: فأرغم الله أنفك، ثم سأله عن علي فذكر محاسن عمله، قال: هو ذاك^(٥) بيته أوسط بيوت النبي. ثم قال: لعل ذلك يسوؤك، قال: أجل، قال: فأرغم الله أنفك، فانطلق^(٦) فاجهد علي جهدك) وقد تقدم في حديث بني الإسلام على خمس زيادة فيه للبخاري^(٧) في علي وعثمان. وقد أخرج البخاري^(٨) أيضاً من حديث عثمان بن عبدالله بن موهب^(٩)، قال: جاء رجل من أهل مصر يريد حج البيت، فرأى قوماً جلوساً فقال: من هؤلاء القوم؟ فقالوا^(١٠): هؤلاء قريش، قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا^(١١): عبدالله بن عمر، قال: يا ابن عمر إني سائلك عن شيء فحدثني، هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال: نعم، قال: تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد؟ قال: نعم، قال: تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدا؟ قال: نعم، قال: الله أكبر. قال ابن عمر: تعال آيين لك، أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله قد عفا عنه، وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته زينب^(١٢) بنت

(٨) د: للجبائي.

(٩) د: الجبائي.

(١٠) عثمان بن عبدالله بن موهب الأعرج

أبو عبدالله توفي سنة

١٦٠ هـ / ٧٧٦ م (طبقات خليفة بن

خياط، ص ٢٧٣. وابن حجر

تهذيب التهذيب، ج ٧ ص ١٣٣).

(١١) د: قال: صحيح البخاري: قالوا.

(١٢) د: قال.

(١) ب: - يوم.

(٢) د: النبي.

(٣) قثم بن العباس بن عبدالمطلب توفي

سنة ٥٦ هـ / ٦٧٥ م وقد وقت على

قبره في سمرقند سنة ١٩٦٧ م.

(٤) د: - قد.

(٥) د: من هذا.

(٦) د: لك.

(٧) د: انطلق.

(١٣) ب: - زينب.

رسول الله ﷺ، وكانت مريضة، فقال له رسول الله ﷺ: إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا، وسهمه. وأما تغيبه عن بيعة الرضوان، فلو كان أحد أعز بطن مكة من عثمان لبعثه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان (وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان)^(١) إلى مكة فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: (هذه يد عثمان) فضرب بها على يده، وقال: (هذه لعثمان) ثم قال ابن عمر: اذهب بها الآن معك.

وأما أمر الحمى فكان قديماً، فيقال: إنه عثمان زاد فيه لما زادت الرعية. وإذا جاز أصله للحاجة إليه جازت الزيادة فيه لزيادة الحاجة.

وأما امتناعه من قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب بالهرمزان فإن ذلك باطل. فإن^(٢) كان لم يفعل فالصحابه متوافرون، والأمر في أوله، وقد قيل: إن الهرمزان [ب ١٠٠ ب] سعى في قتل عمر، وحمل الخنجر، وظهر تحت ثيابه، وكان قتل عبيد الله له وعثمان لم يل بعد. ولعل عثمان كان لا يرى على عبيد الله حقاً. لما ثبت عنده من حال الهرمزان وفعله، وأيضاً فإن أحداً لم يتم بطلبه، فكيف^(٣) يصح مع هذه الاحتمالات كلها، أن ينظر في أمر لم يصح.

وأما قول القائل في مروان، والوليد، فشديد عليهم، وحكمهم عليهم بالفسق، فسق منهم. مروان رجل عدل من كبار الأمة عند الصحابة، والتابعين، وفقهاء المسلمين. أما الصحابة فإن سهل بن سعد الساعدي^(٤) روى عنه. وأما التابعون فأصحابه في السن^(٥) وإن كان جازهم^(٦) باسم الصحبة في أحد القولين. وأما فقهاء الأمصار فكلهم على تعظيمه، واعتبار خلافة^(٧)، والتلفت^(٨) إلى فتواه، والانقياد إلى روايته. وأما السفهاء من المؤرخين، والأدباء، فيقولون على أقدارهم.

٩١ هـ / ٧٠٩ م.

(١) ب، ج، ز: سقط ما بين القوسين.

(٥) ج: السر.

(٢) د: وإن.

(٦) ب: حارهم. د: ما رسم.

(٣) ب، ج، ز: وكيف.

(٧) ب، ج، ز: خلافته.

(٤) أبو العباس سهل الأنصاري آخر من

(٨) ج: والتفت.

مات من الصحابة بالمدينة سنة

وأما الوليد فقد روى بعض المفسرين أن الله سماه فاسقاً في قوله: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنِیًّا فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ [الحجرات: ٦] فإنها في قولهم نزلت فيه، أرسله النبي ﷺ مصداقاً^(١) إلى بني المصطلق فأخبر عنهم أنهم ارتدوا، فأرسل رسول الله ﷺ إليهم خالد بن الوليد^(٢)، فثبت في أمرهم، فبين بطلان قوله، وقد اختلف فيها، فقيل نزلت في ذلك، وقيل في علي، والوليد في قصة أخرى، وقيل: إن الوليد سبق يوم الفتح في جملة الصبيان إلى رسول الله ﷺ فمسح رؤوسهم، وبرك عليهم إلا هو، فقال: إنه كان على رأسي خلوق، فامتنع من مسه فمن يكون في هذا السن يرسل مصداقاً؟ وبهذا الاختلاف يسقط العلماء الأحاديث القوية. فكيف^(٣) يفسق رجل يتمثل هذا الكلام؟ فكيف رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم؟

[و ١٠١ أ] وأما حده في الخمر، فقد حدَّ عمر، قدامة بن مظعون^(٤) على الخمر وهو أمير وعزله، ثم قيل له^(٥): صالحه، وليست الذنوب مسقطاً للعدالة إذا وقعت منها التوبة. وقد قيل لعثمان: إنك وليت الوليد، لأنه أخوك لأملك أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس فقال: بل لأنه ابن عمه رسول الله ﷺ أم حكيم البيضاء جدة عثمان، وجدة الوليد لأمه، أروى المذكورة، وكانت^(٦) أم حكيم توأمة عبدالله أبي رسول الله ﷺ. وأي حرج على المرء أن يولي أخاه أو قريبه؟ وأما تعلقهم بأن الكتاب وجد مع راكب، أو مع غلامه ولم يقل أحد قط^(٧) إنه كان غلامه - إلى^(٨) عبدالله بن سعد بن أبي سرح يأمره بقتل حامله^(٩)، فقد قال لهم عثمان: أما أن تقيموا

(١) ب: - مصداقاً.

(٢) خالد بن الوليد المخزومي توفي سنة ٢١ هـ / ٦٤١ م.

(٣) ب، ج، ز: وكيف.

(٤) قدامة بن مظعون بن حبيب بن وهب

الجمحي توفي سنة ٣٦ هـ / ٦٥٦ م.

(٥) طبقات خليفة بن خيساط،

ص ٢٥.

(٥) كذا في جميع النسخ وأصلحه

عبد الدين: قيل إنه. ولم يشر إلى ذلك.

(٦) ب، ج، ز: - وكانت.

(٧) د: قط أحد.

(٨) د: إلا بني.

(٩) ج، ز: حامله.

شاهدين^(١) عليّ بذلك^(٢)، وإلا فيميني أني ما كتبت ولا أمرت، وقد يكتب على لسان الرجل، ويضرب على خطه، وينقش على خاتمه. فقالوا: تسلم لنا^(٣) مروان. فقال: لا أفعل. ولو سلمه لكان ظالماً، وإنما عليهم أن يطلبوا حقهم عنده على مروان وسواه، فما ثبت كان هو منفذه، وأخذه إن كان له أخذه^(٤) والممكن لمن يأخذه بالحق^(٥). ومع سابقته وفضيلته^(٦)، ومكانته، لم يثبت عليه ما يوجب خلعه، فضلاً عن قتله. وأمثلة ما روى في قصته أنه بالقضاء السابق، تألب عليه قوم، لأحقاد اعتقدوها، من^(٧) طلب أمراً فلم يصل إليه، وحسد حسادة أظهر داءها^(٨)، وحمله على ذلك، قلة دين، وضعف يقين، وإثارة للعاجلة^(٩) على الأجلة، وإذا نظرت إليه ذلك صريح ذكرهم^(١٠)، على دناءة قدرهم^(١١)، ويطلان أمرهم، كان الغافقي المصري أمير القوم^(١٢)، وكنانة بن بشر التجيبي^(١٣)، وسودان بن حمران^(١٤) وعبدالله بن بدليل بن ورقاء الخزاعي^(١٥) [و ١٠١ ب] وحكيم بن جبلة^(١٦) من أهل البصرة، ومالك بن الحارث الأشتر^(١٧) في طائفة، هؤلاء رؤوسهم، فناهيك

الأصل. قتل في سنة

٣٦ هـ / ٦٥٦ م (ابن الأثير، الكامل

في التاريخ، ط. بيروت، ١٩٦٥ م،

ج ٢١٨ - ٢١٩).

(١٣) من الذين اتهموا بضرب الخليفة

عثمان. توفي سنة ٣٨ هـ / ٦٥٨ م

(الطبري، ج ٦ ص ٥٨ - ٦٠)

وقيل قتل سنة ٣٦ هـ / ٦٥٦ م.

(١٤) أغلب الظن أنه قتل يوم الجمل

٣٦ هـ / ٦٥٦ م.

(١٥) من الذين كانوا مع علي في صفين.

قتل سنة ٣٨ هـ / ٦٥٨ م.

(١٦) قتل يوم الجمل ٣٦ هـ / ٦٥٦ م.

(١٧) هلك في طريقه إلى مصر سنة

٣٨ هـ / ٦٥٨ م.

(١) د: شهيدين.

(٢) ب، ج، ز: على ذلك.

(٣) د: إلينا.

(٤) ب، ج، ز: - إن كان له أخذه.

(٥) د: أو الممكن لأخذه بالحق.

(٦) د: فضله.

(٧) ج: فمن.

(٨) ب، ج، ز: حساده وأظهروها.

وأشير في هامش ب، ز إلى أنه يوجد

في نسخة أخرى العبارة التي أثبتناها.

(٩) ب، ج، ز: العاجلة.

(١٠) ج: - ذكرهم.

(١١) ب: قلبهم وصحبها عجب الدين،

ولم يشر إلى ذلك (ص ١١١). د:

قلوبهم.

(١٢) الغافقي بن حرب المعكي بمخي

بغيرهم^(١)، وقد كانوا آثاروا فتنة، فأخرجهم عثمان بالاجتهاد، وضاروا في جماعتهم عند معاوية، فذكرهم بالله، وبالتقوى، لفساد الحال، وهتك حرمة الأمة، حتى قال له زيد بن صوحان^(٢) يوماً - فيما يروى -: كم تكثر علينا من الأمرة^(٣)، وبقريش، فما زالت العرب تأكل من قوائم سيوفها، وقريش تجار. فقال له معاوية: (لا أم لك، أذكرك بالإسلام، وتذكرني بالجاهلية، قبح الله من كثر على أمير المؤمنين بكم، فما أنتم عن ينفع، ولا يضُر، اخرجوا عني)^(٤). وأخبره ابن الكواء بأهل الفتنة في كل بلد، ومؤامراتهم فكتب إلى عثمان يخبره بذلك، فأرسل إليه بإشخاهم عليه، فأخرجهم معاوية، فمروا بعبدالرحمن بن خالد بن الوليد فحبسهم وويخهم، وقال لهم: اذكروا لي^(٥) ما كنتم تذكرون لمعاوية^(٦). وحصرهم، وأمشاهم بين يديه أذلاء، حتى تابوا بعد حول، وكتب إلى عثمان بخبرهم، وكتب^(٧) إليه أن سرحهم إليّ، فلما مثلوا بين يديه جددوا التوبة، وحلفوا على صدقهم، وتبرأوا مما نسب إليهم فخبرهم حيث يسرون، فاختار كل واحد ما أراد من البلاد: كوفة، وبصرة، ومصر، فأخرجهم، فما استقروا في جنب^(٨) ما ساروا حتى ثاروا. وألبوا، حتى انضاف إليهم جمع، وساروا إليه، على أهل مصر: عبدالرحمن بن عديس البلوي^(٩)، وعلى أهل البصرة: حكيم بن جبلة العبدي^(١٠)، وعلى أهل الكوفة: الأشتر مالك بن الحارث النخعي^(١١). فدخلوا المدينة هلال ذي القعدة سنة خمس وثلاثين، فاستقبلهم عثمان، فقالوا ادع بالمصحف، فدعا به، فقالوا: افتح

السابعة^(١) - يعني يونس - فقالوا له^(٢): اقرأ، فقرأ، حتى انتهى إلى قوله^(٣): ﴿الله أذن لكم [و ١٠٢ أ] أم على الله تفترون﴾ [يونس: ٥٩] قالوا له: قف. قالوا له: أرأيت ما حيت من الحمى؟ أذن الله لك^(٤) أم على الله افتريت؟ قال: امضه، إنما نزلت في كذا، وقد حى عمر، وزادت الإبل، فزدت. فجعلوا يتبعونه هكذا، وهو ظاهر عليهم، حتى قال لهم: ماذا^(٥) تريدون؟ فأخذوا ميثاقه، وكتبوا عليه ستاً أو خمساً: إن المنفي يقلب^(٦)، والمحروم يعطي، ويوفر الفيء، ويعدل في القسم، ويستعمل ذو^(٧) الأمانة والقوة. فكتبوا^(٨) ذلك في كتاب، وأخذ عليهم ألا يشقوا عصاً، ولا يفرقوا جماعة، ثم رجعوا راضين، وقيل: أرسل إليهم علياً فاتفقوا على الخمس^(٩) المذكورة، ورجعوا راضين. فبينما هم^(١٠) كذلك، إذا راكب يتعرض لهم، ثم يفارقهم مراراً^(١١)، قالوا: مالك؟ قال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر، ففتشوه فإذا هم بالكتاب على لسان عثمان، عليه خاتمه، إلى عامل مصر، أن يصلبهم، ويقطع أيديهم وأرجلهم، فأقبلوا حتى قدموا المدينة، فأتوا علياً، فقالوا له: ألم تر إلى عدو الله كتب فينا بكذا؟ وقد أحل الله دمه. قالوا له: فقم معنا إليه قال: والله لا أقوم معكم. قالوا له^(١٢): فلم كتبت^(١٣) إلينا؟

ولكنه لم ينيه إلى ذلك، رغم أن الشيخ ابن باديس اقترح نفس اللفظة (يقلب) في الهامش. محب الدين، ص ١٢٥. ابن باديس، ص ١١٨ وشهدت نسخة (د) لاقتراح ابن باديس.

(٧) ب: ذوو.

(٨) د: كتبوا.

(٩) د: خمس.

(١٠) د، ز: فيناهم.

(١١) ج: فراراً.

(١٢) ب: - له.

(١٣) د: كتب.

(١) ب، ج، ز: التاسعة. قارن (الطبري، ج ٢ ص ١١٧) ويونس يأتي ترتيبها السابعة في مصحف ابن مسعود (محب الدين الخطيب ص ١٢٤ ت ٤٤) ونسخة (د) تتفق مع ما ورد في الطبري.

(٢) ب، ج، ز: - له.

(٣) د: أتى على قوله.

(٤) د: لك الله.

(٥) د: فما.

(٦) ب، ج، ز: يعلب. وكتبها

محب الدين: يعاد. اجتهداً منه،

قال: والله ما كتبت^(١) إليكم، فنظر بعضهم إلى بعض، وخرج علي من المدينة، فانطلقوا إلى عثمان، فقالوا له: كتبت فينا كذا قال لهم: أما أن تقيموا اثنين من المسلمين أو بيّنة، كما تقدم ذكره. فلم يقبلوا ذلك^(٢) منه، ونقضوا عهده، وحصلوه. وقد روي أن عثمان جيء إليه بالأشتر فقال له: يريد القوم منك، إما أن تخلع نفسك، أو تقص^(٣) منها، أو يقتلوك. فقال^(٤): أما خلعي فلا أترك أمة محمد بعضها على بعض، وأما القصاص فصاحباي قبلي لم يقصا من أنفسهما، ولا يحتمل ذلك بدني.

وروي أن رجلاً قال له نذرت دمك [و ١٠٢ ب]. قال له: خذ جنبي^(٥) فشرط فيه بالسيف شرطة^(٦) أراق منه دمه، ثم خرج الرجل، وركب راحلته، وانصرف في الحين، ولقد دخل عليه ابن عمر فقال: انظر ما يقول هؤلاء، يقولون اخلع نفسك أو نقتلك، فقال له: أخلد أنت في الدنيا؟ قال: لا. قال: هل يزيدون على أن يقتلوك؟ قال: لا. قال: هل يملكون لك جنة أو ناراً؟ قال: لا. قال: فلا تخلع قميص الله عنك^(٧)، فتكون سنة، كلما كره قوم خليفتهم خلعه، أو قتلوه. وقد أشرف عليهم عثمان، واحتج عليهم بالحديث الصحيح في بنيان المسجد، وحفر بئر رومة، وقول النبي حين رجع بهم أحد، وأقروا له به في أشياء ذكرها. وقد ثبت أن عثمان أشرف عليهم، وقال: أفيكم ابنا محدوج؟^(٨) أنشدكما الله، ألسنا تعلمان أن عمر قال: إن ربيعة فاجر أو^(٩) غادر، وإني والله لا أجعل فرائضهم وفرائض قوم جاءوا من مسيرة شهر^(١٠)، وإنما مهر أحدهم عند طنيه^(١١)، وإني زدتهم في غزاة واحدة

(١) د: كتب. ورواية خليفة بن خياط:

(٧) د: عليك.

كتبت (تاريخ خليفة بن خياط، ج ١

(٨) ج، ز: محروج.

ص ١٤٦) والمؤلف هنا اعتمد على

(٩) ج، ز: إذ..

خليفة بن خياط في رواية أخبار الفتنة

(١٠) أي سواء في الفريضة والسهم.

ووثقه فيها ونوه بإسناده.

(١١) ب، ج، ز: طسه. والبطني:

(٢) د: - ذلك.

الفجور، والتهمة. وفي رواية

(٣) ج: تقتص.

خليفة بن خياط: طنيه. وهو: سير

يوصل بوتر القوس. (تاريخ

(٤) د: قال.

خليفة بن خياط، ج ١ ص ١٤٩).

(٥) ب: جيني. د: جيني.

(٦) ب، ج، ز: شرطة بالسيف.

خمسة حتى ألحقهم بهم؟ قالوا: بلى قال: أذكر كما الله، ألسما تعلمان أنكما أتيتاني، فقلتما: إن كندة آكلة رأس، وإن ربيعة هي الرأس، وإن الأشعث بن قيس^(١) قد أكلهم فنزعته واستعملتكما؟ قالوا: بلى. قال: اللهم إنهم^(٢) كفروا^(٣) معروفي، وبدلوا نعمتي، فلا ترضهم^(٤) عن إمامهم ولا ترض^(٥) إماماً عنهم.

وقد روى عبدالله بن عامر بن ربيعة^(٦) قال: كنت مع عثمان في الدار فقال: أعزم على كل من رأى أن عليه سمعاً وطاعة، إلّا كف يده وسلاحه، ثم قال: قم يا ابن عمر - وعلى ابن عمر سيفه متقلداً - فاجر بين الناس، فخرج ابن عمر، ودخلوا فقتلوه. وجاءه^(٧) زيد بن ثابت فقال له: إن هؤلاء الأنصار [و ١٠٣ أ] بالباب يقولون: إن شئت كنا أنصار الله، مرتين^(٨) قال: لا حاجة لي في ذلك كفوا. وقال له^(٩) أبو هريرة^(١٠): اليوم طاب الضرب^(١١) معك. قال: عزمت عليك لتخرجن. وكان الحسن بن علي^(١٢) آخر من خرج من عنده، فإنه جاء الحسن والحسين^(١٣)، وابن عمر، وابن الزبير، ومروان، فعزم عليهم في وضع سلاحهم، وخروجهم، ولزوم بيوتهم، فقال له ابن

(١) الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي أبو محمد توفي سنة ٤٠ هـ / ٦٦١ م. (العبر، ج ١ ص ٤٦. دائرة المعارف الإسلامية، مجلد ١ ص ١٦).

(٢) ب: إنيما.

(٣) ج، ز: كفوا.

(٤) ج، ز: ترضيهم.

(٥) ج، ز: ترضي. نفس النص ورد في تاريخ خليفة بن خياط، ج ١ ص ١٤٩.

(٦) عبدالله بن عامر بن ربيعة، روى عن النبي، وتوفي سنة ٨٠ هـ / ٦٩٩ م (طبقات خليفة بن خياط ص ٢٣٥).

(٧) ب: جاء.

(٨) يقصدون بذلك أنهم نصروا النبي المرة الأولى، وينصرون عثمان المرة الثانية. ولا يقصد بذلك تكرار العبارة كما فهم الشيخ ابن باديس (ج ٢ ص ١٢٠).

(٩) د: - له.

(١٠) توفي أبو هريرة سنة ٥٧ هـ / ٦٧٦ م، وقيل ٥٩ هـ / ٦٧٨ م (العبر، ج ١ ص ٦٢ - ٦٣).

(١١) د: طاب أم ضرب. على لغة حمير.

(١٢) توفي الحسن بن علي بالمدينة سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م.

(١٣) استشهد بكر بلا سنة ٦١ هـ / ٦٨٠ م.

الزبير ومروان: نحن نعزم على أنفسنا ألا^(١) نبرح، ففتح عثمان الباب، ودخلوا عليه في أصح الأقوال، فقتله^(٢) الموت^(٣) الأسود، وقيل أخذ ابن أبي بكر^(٤) بلحيته وذبحه رومان^(٥)، وقيل رجل من أهل مصر يقال له حمار، فسقطت قطرة من دمه على المصحف على قوله: ﴿فسيكفيهم الله﴾ [البقرة: ١٣٧] فإنها^(٦) فيه ما حكى^(٧) إلى الآن.

وروي أن عائشة رضي الله عنها قالت: غضبت لكم من السوط، ولا أغضب لعثمان من السيف استعبتموه حتى إذا تركتموه كالغل^(٨) المصفى، ومصتموه^(٩) موص^(١٠) الإناء، وتركتموه كالثوب المنقى من الدنس ثم قتلتموه. قال مسروق: فقلت لها: هذا عملك كتبت إلى الناس تأمرينهم^(١١) بالخروج عليه فقالت عائشة: والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت إليهم

نسخة الجرائر كثيرة التحريف
(ص ١٣٥) انظر (تاريخ خليفة بن
خياط، ج ١ ص ١٥٣).

(٦) ج: فاندأ.

(٧) ج، ز: حالت.

(٨) ب، ج، ز: العبد. وأصلحه الشيخ
عبد الدين ب: القد. ولعله:
الذهب. لأنه قد ورد في تاريخ ابن
الأثير في شأن عثمان: كما يخلص
الذهب من خبثه أو الثوب من دونه
إذا ماصوه كما يماص الثوب بالماء.
ج ٣ ص ٢٠٧) وأما ما ورد في (د)
من: الغل فيطلق على النوى المختلط
بالقت (القاموس المحيط) وفي تاريخ
ابن الخياط (كالقلب) (ج ١
ص ١٥٤).

(٩) ج: مصتموه. د: موصتموه.

(١٠) الموص: الغسل بالأصابع.

(١١) ب: تأمرينهم. ج، ز: تأمرهم.

(١) ب، ج، ز: لا. وهذه الروايات
والنبصوص كلها أوردها خليفة بن
خياط في تاريخه، ج ١ ص ١٥٠ -
١٥٤.

(٢) د: فقتله.

(٣) ب، ج، ز: للمراء. وتتفق (د) مع ما
ورد في تاريخ الطبري حيث عبر عن
ذلك بالموت فقال: ودخل عليه رجل
يقال له: الموت الأسود (الطبري،
ج ٤ ص ٣٨٤) وذكر خليفة بن
خياط أنه رجل من بني سدوس يقال
له: الموت الأسود (تاريخ خليفة بن
خياط، ج ١ ص ١٥٢).

(٤) محمد بن أبي بكر الصديق قتل سنة
٣٨ هـ / ٦٥٨ م.

(٥) رومان رجل من بني أسد بن خزاعة.
وليس محرفاً كما قال عبد الدين حيث
وضع مكانه كنانة بن بشر بدعوى أن

سواداً في بياض. قال الأعمش^(١): فكانوا يرون أنه كتب على لسانها. وقد روي أنه ما قتله أحد إلا أعلاج من أهل مصر.

قال القاضي أبو بكر^(٢) رضي الله عنه: فهذا أشبه ما روي في الباب، وبه يتبين، وبأصل المسألة، وسلوك^(٣) سبيل الحق، أن أحداً من الصحابة لم يسع عليه، ولا قعد عنه ولو استنصر ما غلب ألف أو أربعة آلاف غرباء عشرين^(٤) ألفاً بلدين أو أكثر من ذلك، ولكنه ألقي بيده إلى المصيبة. وقد اختلف العلماء فيمن نزل به مثلها، هل يلقي [و ١٠٣ ب] بيده أو يستنصر، وأجاز بعضهم أن يستسلم، ويلقي بيده اقتداء بفعل عثمان، ويتوصية النبي ﷺ بذلك في الفتنة.

قال القاضي أبو بكر^(٥) رضي الله عنه: ولقد حكمت بين الناس، فالزمتهم الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى لم يكن^(٦) يرى^(٧) في الأرض منكر، واشتد الخطب على أهل الغضب^(٨)، وعظم على الفسقة الكرب، فتألبوا وألبوا، وثاروا إليّ، واستسلمت لأمر الله، وأمرت كل من حولي ألا يدفعوا عن داري، وخرجت على السطوح بنفسي، فعاثوا علي، وأمست سليب الدار، ولولا ما سبق من حسن المقدار، لكنت قتيل الدار. وكان الذي حملني على ذلك ثلاثة أمور: أحدها: وصية^(٩) النبي ﷺ^(١٠)، المتقدمة^(١١). الثاني: الاقتداء بعثمان. الثالث: سوء الأحداث التي^(١٢) فر منها رسول الله ﷺ المؤيد^(١٣) بالوحي. فإن من غاب عني، بل من حضر من

-
- (١) أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي توفي سنة ١٤٨ هـ / ٧٦٥ م.
(٢) د: قال أبي.
(٣) ب: وأصل المسألة سلوك. ج، ز:
بأصل المسألة سلوك.
(٤) ب: عشرون.
(٥) د: قال أبي.
(٦) د: تلك.
(٧) ج، د، ز: ترى.
(٨) ب، ج، ز: الغضب.
(٩) ج، ز: وصاة. د: وصاة.
(١٠) ز: في الهامش: في نسخة: المهدي.
(١١) ب: المهدي.
(١٢) ج: تكرر: التي.
(١٣) ج: تكرر: المؤيد.

الحسدة معي، خفت أن يقول^(١): إن الناس مشوا مستعينين به^(٢)، مستغيثين له، فأراق دماءهم.

وأمر عثمان كله سنة ماضية، وسيرة راضية، فإنه تحقق أنه مقتول بخبر الصادق له بذلك، وأنه بشره بالجنة على بلوى تصيبه، وأنه شهيد. وروى أنه قال له في المنام: إن شئت نصرتك، أو تفطر عندنا الليلة. وقد انتدب^(٣) المردة والجهلة إلى أن يقولوا: إن كل فاضل من الصحابة كان عليه ساعياً^(٤)، مؤلباً، وبما جرى عليه راضياً، واخترعوا كتاباً فيه^(٥) فصاحة وأمثال، كتب عثمان به مستصرخاً إلى علي، وذلك كله مصنوع، ليوغر^(٦) قلوب المسلمين، على السلف الماضين، والخلفاء الراشدين.

قال القاضي أبو بكر^(٧) رضي الله عنه^(٨): فالذي تنخل^(٩) من ذلك أن عثمان [و ١٠٤ أ] مظلوم، محجوج بغير حجة، وأن الصحابة برآء عن دمه بأجمعهم، لأنهم أتوا إرادته، وسلموا له رأيه في إسلام نفسه، ولقد ثبت زائداً^(١١) إلى ما تقدم عنهم، أن عبدالله بن الزبير، قال لعثمان: أنا معك في الدار عصابة مستبصرة، ينصر^(١٢) الله بأقل منهم، فأذن لنا، فقال: أذكر الله رجلاً أراق لي^(١٣) دمه أو قال دمماً. قال^(١٤) سليط بن أبي سليط^(١٥): نهانا عثمان

(١) د: يقولوا.

(٢) ب، ج، ز: مستعينين به.

(٣) ب: انتدبت.

(٤) ب: مشاعياً. ج، ز: شاعياً.

(٥) ب، ج، د، ز: كتباً فيها. وفي

هامش ب، ز: في نسخة: كتاباً فيه.

(٦) د: لتوغر.

(٧) د: قال أبي.

(٨) ب، ج، ز: - رضي الله عنه.

(٩) ب، ج، ز: ينحل.

(١٠) ج: قد.

(١١) ج، ز: زايلاً.

(١٢) د: مستبصرة بنصر. وفي تاريخ ابن

خياط: عصابة مستبصرة ينصر الله

(ج ١ ص ١٥٠).

(١٣) في تاريخ خليفة بن خياط: في.

(١٤) د: وقال.

(١٥) سليط بن أبي سليط بن عبدالله بن

عمرو استشهد سنة ٦٣ هـ / ٦٨٢ م

(تاريخ خليفة بن خياط، ج ١

ص ٢٣٥.

عن قتالهم، فلو أذن لنا لضربناهم حتى نخرجهم من أقطارها^(١). وقال عبدالله بن عامر بن ربيعة: كنت مع عثمان في الدار، فقال: أعزم على كل من رأى أن لي^(٢) عليه سمعاً وطاعة، إلا كف يده وسلاحه، فإن أفضلكم غناء من كف يده وسلاحه. وثبت أن الحسن والحسين وابن الزبير، وابن عمر، ومروان، كلهم شاك في السلاح، حتى دخلوا الدار، فقال عثمان: أعزم عليكم لما رجعتم فوضعتم أسلحتكم، ولزمتم بيوتكم^(٣). فلما قضى الله من أمره ما قضى، ومضى في قدره ما مضى، علم أن الحق ألا^(٤) يترك الناس سدى، وأن الخلق بعده مفتقرون إلى خليفة، مفروض عليهم النظر فيه. ولم يكن بعد الثلاث^(٥) كالرابع قدراً، وعلماء، وتقى، وديناً، فانعقدت له البيعة ولولا الإسراع^(٦) بعقد البيعة لعلي، لجري على من بها من الأوباش، ما لا يرقع خرقه، ولكن عزم عليه المهاجرون والأنصار، ورأى ذلك فرضاً عليه، فانقاد إليه، وعقد^(٧) له البيعة طلحة فقال الناس: بايع علياً يد شلاء، والله لا يتم هذا الأمر.

فإن قيل بايعا مكرهين. قلنا: حاشا لله أن يكرها لهما ولمن بايعهما، ولو كانا مكرهين ما أثر ذلك، لأن واحداً أو اثنين تنعقد بهما البيعة^(٨) وتتم، ومن بايع^(٩) بعد ذلك فهو لازم له، وهو مكره على ذلك شرعاً، ولو لم يبايعا ما أثر ذلك فيهما، ولا في بيعة الإمام. وأما [و ١٠٤ ب] من قال: يد شلاء وأمر لا يتم، فذلك ظن من القائل أن طلحة أول من بايع. ولم يكن كذلك. فإن قيل: فقد قال طلحة: «بايعت والليج»^(١٠) على قفي^(١١) قلنا: اخترع هذا الحديث من أراد أن يجعل في «القفا» لغة: «قفي»^(١٢) كما يجعل في «الهوى»

- | | |
|---|--|
| (١) ب، ج، ز: أقطارنا. وفي تاريخ خليفة بن خياط: أقطارها (ص ١٥٠). | (٨) ب، ج، ز: البيعة بهما. |
| (٢) د: - لي. | (٩) د: تابع. |
| (٣) تاريخ خليفة بن خياط، ج ١ ص ١٥٢. | (١٠) في جميع النسخ: اللج. وصوابه. وهو السيف. وقد أصلحه الشيخ محب الدين الخطيب ولم ينبه إلى ذلك. (ص ١٤٤). |
| (٤) ب، ج، ز: لا. | (١١) ج، ز: فقا. |
| (٥) د: الثلاثة. | (١٢) ج، ز: قفي. |
| (٦) د: الانتزاع. | |
| (٧) ج: وانعقد. | |

«هوى» وتلك لغة ^(١) هذيل لا فريش، فكانت كذبة لم تدبر. وأما قولهم: «يد شلاء» لو صح فلا متعلق لهم فيه. فإن بدأ شلت في وقاية رسول الله ﷺ يتم لها كل أمر، ويتوقى بها من كل مكروه، وقد تم الأمر على وجهه، ونفذ ^(٢) القدر بعد ذلك على حكمه، وجهل المبتدع ذلك، فاخترع ما هو حجة عليه. فإن قيل بايعوه على أن يقتل قتلة عثمان. قلنا: هذا لا يصح ^(٣) في شرط البيعة وإنما ^(٤) بايعوه ^(٥) على الحكم بالحق، وهو أن ^(٦) يحضر الطالب للدم، ويحضر المطلوب، وتقع الدعوى، ويكون الجواب، وتقوم البيعة، ويقع الحكم، فأما على الهجوم عليه بما كان من قول مطلق، أو فعل غير محقق، أو سماع كلام، فليس ذلك في دين الإسلام.

قالت العثمانية: تخلف عنه من الصحابة جماعة منهم سعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة ^(٧)، وابن عمر، وأسامة بن زيد، وسواهم من نظرائهم. قلنا: أما بيعته ^(٨) فلم يتخلف عنها أحد ^(٩)، وأما نصرته فتخلف عنها قوم، منهم من ذكرتم، لأنها كانت مسألة اجتهادية ^(١٠). فاجتهد كل واحد ^(١١)، وأعمل نظره، وأصاب قدره ^(١٢).

قاصمة:

روى قوم أن البيعة لما تمت لعلي، استأذن طلحة والزبير علياً في الخروج إلى مكة، فقال لهما علي: لعلكما تريدان البصرة والشام، فاقسما ألا يفعلا، وكانت عائشة بمكة، وهرب عبدالله بن عامر، عامل عثمان على البصرة إلى مكة، ويعلى [و ١٠٥ أ] بن أمية ^(١٣)، عامل عثمان على اليمن، فاجتمعوا بمكة

(١) د: بلغة. ٤٣ هـ / ٦٦٣ م.

(٢) د: نفذ.

(٣) د: لا يصح هذا.

(٤) ب، ج، ز: وإنما.

(٥) ب، ج، ز: يبايعونه.

(٦) د: وهذا بأن يحضر.

(٧) الأنصاري اعتزل الفتنة واتخذ سيفاً

(٨) د: قدرته.

(٩) د: وهذا بأن يحضر.

(١٠) د: قدرته.

(١١) د: قدرته.

(١٢) د: قدرته.

(١٣) د: قدرته.

كلهم، ومعهم مروان بن الحكم، واجتمعت بنو أمية، وحرضوا على دم عثمان. وأعطى يعلى لطلحة والزبير وعائشة، أربعمائة ألف درهم، وأعطى لعائشة «عسكراً» جلاً اشتراه باليمن بمائتي دينار، فأرادوا الشام فصدهم ابن عامر، وقال: لا ميعاد لكم بمعاوية، ولي بالبصرة صنائع، ولكن إليها، فجاءوا إلى ماء الحوآب^(١)، ونبحت كلابه، فسألت^(٢) عائشة^(٣) فقيل لها: هذا الحوآب، فردت خطامها عنه، وذلك لما سمعت النبي ﷺ يقول: «أيتكن صاحبة الجمل الأدب»^(٤)، التي تنبأها^(٥) كلاب الحوآب^(٦) فشهد طلحة والزبير أنه ليس هذا ماء^(٧) الحوآب^(٨)، وخسبون رجلاً إليهم. وكانت أول شهادة زور، دارت في الإسلام.

وخرج علي إلى الكوفة، وتعسكر الفريقان والتقوا، وقال عمار وقد دنا من هودج عائشة: ما تطلبون؟ قالوا: نطلب دم عثمان. قال: قتل الله في هذا اليوم الباغي، والطالب لغير^(٩) الحق، والتقى علي والزبير، فقال^(١٠) له علي: أتذكر^(١١) قول النبي ﷺ لي: أنك تقاتلني؟ فتركه، ورجع، وراجع ولده، فلم يقبل، وأتبعه الأحنف^(١٢) من قتله. ونادى علي طلحة من بعد، ما تطلب؟ قال: دم عثمان. قال: قتل^(١٣) الله أولانا بدم عثمان. ألم تسمع النبي ﷺ^(١٤) يقول: «اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله» وأنت أول من بايعني^(١٥) ونكث.

-
- | | |
|------------------------------------|------------------------------------|
| (١) الحوآب بنت كلب بن وبرة القضاية | (٧) جد، ز، د: الماء. |
| سمي بها ماء قريب من البصرة. | (٨) ب، جد، ز: بغير. |
| جد، ز: الجؤب. | (٩) ب، جد، ز: بغير. |
| (٢) جد، ز: وسألت. | (١٠) د: وقال. |
| (٣) د: - سألت عائشة. | (١١) د: تذكر. |
| (٤) ب: الأذب. جد: الأز. ز: | (١٢) أبو بحر الأحنف بن قيس التميمي |
| الأذب. د: الأرنب. والأدب. أي | السعدي. توفي سنة |
| الأدب وهو كثير وير الوجه. | ٧٢ هـ / ٦٩١ م. |
| (٥) جد، ز: ينبأها. | (١٣) جد، ز: قاتل. |
| (٦) جد، ز: الجؤب. | (١٤) د: - صلى الله عليه وسلم. |
| (١٥) جد: يأمني. | |

أما خروجهم إلى البصرة فصحيح لا إشكال فيه، ولكن لأي شيء خرجوا؟ لم^(١) يصح فيه نقل، ولا يوثق فيه بأحد، لأن الثقة لم ينقله^(٢)، وكلام المتعصب غير مقبول^(٣)، وقد دخل مع المتعصب من يريد الطعن في الإسلام، واستنفاض الصحابة [و ١٠٥ ب] فيحتمل أنهم خرجوا خلعة لعل، لأمر ظهر لهم. وهو^(٤) أنهم بايعوا لتسكين النائرة^(٥)، وقاموا يطلبون الحق. ويحتمل أنهم خرجوا ليتمكنوا من قتلة عثمان. ويمكن أنهم خرجوا لينظروا^(٦) في جمع طوائف المسلمين وضم تشردهم^(٧)، وردهم إلى قانون واحد، حتى لا يضطربوا فيقتلوا، وهذا هو الصحيح لا شيء سواه، وبذلك وردت صحاح الأخبار.

فأما الأقسام الأول فكلها باطلة، وضعيفة، أما بيعتهم كرهاً فباطل، وقد^(٨) بينها^(٩). وأما خلعتهم فباطل، لأن الخلع لا يكون إلا بنظر من الجميع، فيمكن أن يولى واحد أو اثنان، ولا يكون الخلع إلا بعد الإثبات والبيان. وأما خروجهم في أمر قتلة عثمان فيضعف، لأن الأصل قبله تأليف الكلمة. ويمكن أن يجتمع الأمران، ويروى أن في تغييبهم قطعاً^(١٠) للشغب^(١١) بين الناس، فخرج طلحة، والزبير، وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم^(١٢)، رجاء أن يرجع الناس إلى أمهم، فبرعوا^(١٣) حرمة نبيهم، واحتجوا عليها^(١٤).

(١) ب، ج، ز: ولم.

(٢) د: تنقله.

(٣) ب، ج، ز: لا يسمع. ب: في الهامش: زيادة «غير مقبول» في نسخة. ز: في الهامش: في نسخة: غير مقبول.

(٤) د: وهم.

(٥) ب، ج، ز: النائرة.

(٦) ب، ج، ز: - لينظروا.

(٧) ب، ج، ز: نشرهم.

(٨) ب، ج، ز: قد (سقوط الواو).

(٩) غير محب الدين الخطيب هذه اللفظة إلى: بينها. دون أن يشير إلى ذلك.

(١٠) ب، ج، ز: قطع. د: يروا أن في تعيينهم قطعاً.

(١١) ج: الشغب.

(١٢) د: - رضي الله عنهم.

(١٣) د: وبرعوا.

(١٤) د: - عليها.

بقول الله تعالى (١): ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مِنْ أَمْرٍ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤] وقد خرج النبي ﷺ في الصلح، وأرسل فيه، فرجت المثوبة، واغتنمت الفرصة (٢)، وخرجت حتى بلغت الأقضية مقاديرها. وأحسن (٣) بهم أهل البصرة، فحرض من كان فيها (٤) من المتألمين على عثمان الناس (٥)، وقال: اخرجوا إليهم حتى تروا ما جاءوا إليه، فبعث عثمان بن حنيف (٦)، حكيم بن جبلة، فلقي طلحة والزبير بالزابوقة (٧)، فقتل حكيم، ولو خرج مسلماً، مستسلماً لا مدافعاً، لما أصابه شيء، وأي خير كان له في المدافعة؟ وعن أي شيء كان يدافع؟ وهم ما جاءوا مقاتلين، ولا ولاة، وإنما جاءوا ساعين في الصلح، راغبين في تأليف الكلمة [و ١٠٦ أ]، فمن خرج إليهم فدافعهم (٨)، وقتلهم، دافعوه (٩) عن مقصدهم، كما يفعل في سائر الأسفار والمقاصد. فلما وصلوا إلى البصرة، تلقاهم الناس بأعلى المربد (١٠)، مجتمعين، حتى لو رمي حجر، ما وقع إلا على رأس إنسان. فتكلم طلحة، وتكلمت عائشة رضي الله عنهما (١١)، وكثر اللغط، وطلحة يقول: انصتوا، فجعلوا يركبونه، ولا ينصتون (١٢)، فقال: أف، أف، فراش نار (١٣)، وذباب (١٤) طمع (١٥)، وانقلبوا عن غير بيان، وانحدروا إلى بني

خياط، ج ١ ص ١٦٠.

- (٨) ب، ج، ز: ودافعهم.
 (٩) ب: دافعوا. ج: دافعوهم.
 (١٠) مكان قرب البصرة طرات عليه عدة تطورات. (عبد الدين الخطيب، ص ١٥٤) إذ كان سوقاً للإبل ثم سوقاً لمفاخرات الشعراء ثم حياً من أحياء البصرة، ثم أصبح خراباً.
 (١١) د: - رضي الله عنها.
 (١٢) ب، ج، ز: يتصتوا. وأصلحها عبد الدين ب: «يتصتون» ولم يشر إلى ذلك.
 (١٣) د: آثار.
 (١٤) د: ذبان.
 (١٥) د: طمع.

- (١) د: - تعالى.
 (٢) ب، د: القصة.
 (٣) ج، ز: أحسن.
 (٤) ب، ج، ز: بها.
 (٥) ب، ج، ز: للناس. وأصلحها عبد الدين ب: «الناس». ولم يشر إلى ذلك (ص ١٥٢).
 (٦) مات في آخر خلافة معاوية (خليفة بن خياط، الطبقات، ص ١٣٥).
 (٧) مكان قرب البصرة وقعت فيه مناوشات من معركة الجمل (القاموس المحيط) ب، ج، د، ز: الرابوقة. ويقول خليفة بن خياط أنها مدينة الرزق بحضرة كلاء البصرة (تاريخ خليفة بن

نهد، فرماهم الناس بالحجارة، حتى نزلوا الجبل، والتقى طلحة، والزبير، وعثمان بن حنيف^(١) عامل علي، على البصرة، وكتبوا بينهم أن يكفوا عن القتال، ولعثمان دار الإمارة، والمسجد، وبيت المال، وأن ينزل طلحة والزبير من البصرة، حيث شاء^(٢)، ولا يعرض بعضهم لبعض^(٣)، حتى يقدم علي. وروى أن حكيم بن جبلة، عارضهم حينئذ، فقتل بعد الصلح. وقدم على البصرة، وتدانوا لبراءوا^(٤)، فلم يتركهم أصحاب الأهواء، وبادروا بإراقة الدماء، واشتجر^(٥) بينهم^(٦) الحرب، وكثرت الغوغاء على البوغاء^(٧)، كل ذلك حتى لا يقع برهان، ولا تقف الحال على بيان، ويخفى^(٨) قتلة عثمان. وأن واحداً في جيش يفسد تدبيره^(٩)، فكيف بألف؟

وقد روي أن مروان لما وقعت عينه في الاصطفاف، على طلحة، قال: لا أطلب^(١٠) أثراً بعد عين، ورماه بسهم فقتله. ومن يعلم هذا، إلا علام الغيوب، ولم يقتله ثبت؟ وقد روي أنه^(١١) أصابه سهم بأمر مروان، لا^(١٢) أنه رماه. وقد خرج كعب بن سور^(١٣) بمصحف منشور بيده، يناشد^(١٤) الناس أن لا يريقوا^(١٥) دماءهم، فأصابه سهم غرب فقتله، ولعل طلحة مثله. ومعلوم أن عند الفتنة، و^(١٦) في ملحمة القتال، يتمكن أولو الإحن والحقود، من حل العرى، ونقض العهود، وكانت آجالاً حضرت، ومواعيد^(١٧) انتجرت.

- | | |
|---|---|
| (١) عثمان بن حنيف بن وهب توفي بعد ٤١ هـ / ٦٦١ م. | (٨) ج، ز: تخفى. |
| (٢) ج، ز: شاءوا. | (٩) ج، ز: بتدبيره. |
| (٣) د: بعضاً. | (١٠) ب، ج، ز: نطلب. |
| (٤) د: لبراءوا. | (١١) ب: - أنه. |
| (٥) ج، ز: استجر. | (١٢) د: - لا. |
| (٦) ب، ج، ز: - بينهم. | (١٣) كعب بن سور قتل يوم الجمل ٣٦ هـ / ٦٥٦ م. |
| (٧) ب: البوغاء. ج، د: البوغاء. ز: البوغاء. وأما البوغاء فهي حقى الناس، والاختلاط. ويطلق أيضاً على التربة الرخوة (القاموس المحيط). | (١٤) ب، د: أن يريقوا. |
| | (١٥) ج: تكرر: أن عند الفتنة. |
| | (١٦) ج: - و. |
| | (١٧) ج: قواعد. وجعلها محب الدين ومواعيده. ولم ينبه إلى ذلك (ص ١٥٩). |

فإن قيل: فلم خرجت [و ١٠٦ ب] عائشة^(١) وقد قال النبي^(٢) لهن في حجة الوداع: «هذه ثم^(٣) ظهور الحصر»؟ قلنا: حدّث حديثين^(٤) امرأة، فإن أبت فأربعة. يا عقول النسوان! ألم أعهد إليكم ألا ترووا أحاديث البهتان، وقدمنا لكم على صحة خروج عائشة البرهان. فلم تقولون ما لا تعلمون؟ وتكررون ما وقع الانفصال عنه، كأنكم لا تفهمون، وإن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون» [الأنفال: ٢٢]. وأما الذي ذكرتم من الشهادة على ماء الحوآب^(٥)، فقد يؤتم في ذكرها بأعظم حوب^(٦)، ما كان قط شيء^(٧) مما ذكرتم. و^(٨) لا قال النبي ﷺ ذلك الحديث، ولا جرى ذلك الكلام^(٩)، ولا شهد أحد بشهادتهم، وقد كتبت شهادتكم بهذا الباطل، وسوف تسألون^(١٠).

قاصمة:

ودارت الحرب بين أهل الشام، وأهل العراق، هؤلاء يدعون إلى علي بالبيعة^(١١)، وتألّف الكلمة على الإمام. وهؤلاء يدعون إلى التمكن من^(١٢) قتلة عثمان، ويقولون: لا نبايع من يأوي القتلة. وعلي يقول: لا أمكن طالباً من مطلوب، ينفذ فيه مراده، بغير حكم ولا حاكم، ومعاوية يقول: لا نبايع متهماً بقتله أو قاتلاً له، هو^(١٣) أحد^(١٤) من نطلب^(١٥)، فكيف نحكمه، أو نبايعه؟ وهو خليفة عدا، وتسور. وذكروا في تفاصيل ذلك كلمات، آلت إلى

-
- (١) ج، ز: + رضي الله عنها.
 (٢) ب، ج، ز: - النبي + صلى الله عليه وسلم.
 (٣) ج، ز: تم.
 (٤) د: حديثي.
 (٥) ج، ز: الجؤب.
 (٦) ج: جؤب.
 (٧) ج، ز: شيئاً.
 (٨) د: - و.
 (٩) د: الكلم.
 (١٠) ب، ج، ز: يطلب.
 (١١) ب، ج، ز: تعلمون. ب، ز: في هامش: في نسخة: تسألون.
 (١٢) ج، د، ز: في البيعة. ب، ز: في نسخة بالبيعة.
 (١٣) ب، ج، ز: في. وجعلها.
 (١٤) ج، ز: أخذ وفي هامش: صوابه: أحب الدين «من» ولم يبه إلى ذلك.
 (١٥) ج، ز: يطلب.
 (١٦) ج، ز: وهو.
 (١٧) ج، ز: أخذ وفي هامش: صوابه: أحب الدين «من» ولم يبه إلى ذلك.
 (١٨) ج، ز: يطلب.
 (١٩) ج، ز: يطلب.
 (٢٠) ج، ز: يطلب.

استفعل رسائل، واستخراج أقوال، وإنشاد^(١) أشعار، وضرب أمثال، تخرج
عن سيرة السلف يقرأها الخلف، وينبذها الخلف.

عاصمة:

أما وجود الحرب بينهم فمعلوم قطعاً، أما كونه بهذا السبب فمعلوم
كذلك قطعاً. وأما الصواب فيه فمع علي، لأن الطالب للدم لا يصح أن
يحكم، وتهمة الطالب للقاضي، لا توجب^(٢) عليه أن يخرج عليه، بل يطلب
عنده فإن [و ١٠٧ أ] ظهر له قضاء، وإلا سكت، وصبر، فكم من حق
يحكم الله فيه. وإن لم يكن له دين فحيثئذ يخرج عليه، فيقوم له عذر في
الدنيا. ولئن اتهم علي بقتل عثمان، فليس في المدينة أحد من أصحاب النبي
إلا وهو متهم به، أو قل معلوم قطعاً أنه قتله، لأن ألف رجل لا يغلبون
أربعين ألفاً، جاءوا^(٣) لقتل عثمان. وهبك أن علياً، وطلحة، والزبير تظافروا
على قتل عثمان، فباقي الصحابة من المهاجرين والأنصار، ومن اعتد فيهم،
وضوى^(٤) إليهم، ماذا صنعوا بالقيود عن نصرته؟ فلا^(٥) يخلو أن يكون لأنهم
رأوا أولئك طلبوا حقاً، وفعلوا حقاً، فهذه شهادة قائمة على عثمان، فلا كلام
لأهل الشام. وإن كانوا قعدوا عنه استهزاء بالدين، وأنهم لم يكن لهم رأس
مال^(٦) في الحال، ولا مبالاة عندهم بالإسلام، ولا فيما يجري فيه من اختلال،
فهي^(٧) ردة ليست معصية. لأن التهاون بحدود الدين والإسلام، وتعرض
حرمات^(٨) الشريعة للتضييع كفر. وإن كانوا قعدوا لأنهم لم يروا أن يتعدوا
حد عثمان إشارته، فأى ذنب لهم فيه؟ وأي حجة لمروان، وعبدالله بن الزبير،
والحسن، والحسين، وابن عمر، وأعيان العشرة معه في داره، يدخلون إليه،
ويخرجون عنه في الشكة والسلاح، والمطالبون^(٩) ينظرون؟ ولو كان لهم بهم قوة

(٦) ب، ج، ز: - مال. وجعل

عبد الدين الخطيب «رأس» رأى

دون أن ينيه إلى ذلك. (ص ١٦٦).

(٧) ج، ز: وهي.

(٨) ب، ج، ز: وإسلام حرمات.

(٩) ب: الطالبون.

(١) ب: إنشاء.

(٢) ب: يوجب.

(٣) ج: جاء.

(٤) د: صوا.

(٥) ب: ولا. د: لا.

أو آووا^(١) إلى ركن شديد، لما مكنوا أحداً أن يراه منهم، ولا يداخله، وإنما كانوا نظارة. فلو قام في وجوههم الحسن، والحسين، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير، ما جسروا، ولو قتلوهم ما بقي على الأرض منهم حي^(٢). ولكن عثمان سلم نفسه، فترك ورأيه، وهي مسألة اجتهاد، كما قدمنا. وأي كلام كان يكون لعلي لو كتبت عنده البيعة^(٣)، وحضر عنده ولي عثمان، قال له: يا أيها [و ١٠٧ ب] الخليفة؟ - وما تمالأ^(٤) عليه ألف نسمة حتى قتلوه وهم معلومون - ماذا كان يقول إلا «أثبت وخذ» وفي يوم كان يثبت، إلا أن يثبتوا هم أن عثمان كان مستحقاً للقتل. وتالله^(٥) لتعلمن يا معشر المسلمين، أنه ما كان يثبت^(٦) على عثمان ظلم أبداً، وكان يكون الوقت أمكن للطلب، وأرفق في الحال، وأيسر وصولاً إلى المطلوب.

والذي يكشف الغطاء في ذلك أن معاوية لما صار إليه الأمر، لم يمكنه أن يقتل من قتله عثمان أحداً، إلا بحكم، إلا من قتل في حرب بتأويل، أو دس عليه فيما قيل، حتى انتهى الأمر إلى زمان^(٧) الحجاج^(٨). وهم يقتلون بالتهمة، لا بالحقيقة فتبين لكم أنهم ما كانوا^(٩) في ملكهم يفعلون، ما أضحوا^(١٠) له يطلبون. والذي تثلج به صدوركم، أن النبي ﷺ ذكر في الفتن، وأشار، وبين، وأنذر الخوارج وقال: (تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق)^(١١) فيين أن كل طائفة تتعلق بالحق، ولكن طائفة علي أدنى إليه. وقال تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما

(١) ب: أووا.

(٢) د: بقي منهم.

(٣) غير محب الدين هذه العبارة فكتب:

«لما تمت له البيعة» ولم يشر إلى ذلك.

وهو مخالف للنص في جميع النسخ

(ص ١٦٧). وهذا أدى إلى تغيير

المعنى الذي قصد إليه المؤلف.

(٤) غير محب الدين النص هنا أيضاً

هكذا: وقال له: إن الخليفة قد تمالأ

عليه.. وهو مخالف لجميع النسخ

ومؤد إلى تغيير في المعنى. والغريب

أنه لم يشر إلى أنه غير أو بدل أو

اقترح. (ص ١٦٧).

(٥) ب، ج، ز: بالله.

(٦) ج، ز: ثبت.

(٧) ج، د: زمن.

(٨) الحجاج بن يوسف الثقفي توفي سنة

٩٥ هـ / ٧١٣ م.

(٩) د: كان.

(١٠) ب، ج، ز: أصبحوا.

(١١) أخرجه البخاري ومسلم.

على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله، فإن فاءت فأصلحوا
بينهما بالعدل، وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴿[الحجرات: ٩] فلم يخرجهم
عن الإيمان بالبغي بالتأويل، ولا سلبهم اسم الأخوة بقوله بعده: ﴿إِنَّمَا
الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠] وقال في غمار^(١):
(تقتله الفئة الباغية)^(٢)، وقال في الحسين: (ابني هذا سيد، ولعل الله أن
يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) فحسن له خلعه نفسه وإصلاحه.

وكذلك يروي أنه أذن في الرؤيا لعثمان في أن يستسلم، ويفطر عنده
الليلة. فهذه كلها أمور جرت على رسم النزاع^(٣)، ولم تخرج عن طريق من
[و ١٠٨ أ] طرق^(٤) الفقه^(٥)، ولا تعدت^(٦) سبيل الاجتهاد، الذي يؤجر فيه
المصيب عشرة، والمخطيء أجراً واحداً. وما وقع من روايات في كتب
التاريخ^(٧) - عدا ما ذكرنا - فلا تلتفتوا إلى حرف^(٨) منها، فإنها كلها باطلة.

قاصمة التحكيم:

وقد تحكم الناس في التحكيم، فقالوا فيه ما لا يرضى^(٩) الله، وإذا
لاحظتموه^(١٠) بعين المروءة، دون الديانة، رأيتم أنها سخافة، حمل على سطرها
في الكتب^(١١) - في الأكثر - عدم الدين، و - في الأقل - جهل ميين^(١٢). والذي
صح من ذلك ما روى الأئمة كخليفة بن خياط^(١٣)، والدارقطني^(١٤) أنه لما

- | | |
|--------------------------------------|-------------------------------------|
| (١) كتب على هامش ز: صوابه: في عثمان. | (٩) د: يرضاه. |
| (٢) أخرجه البخاري. | (١٠) د: لحظتموه. |
| (٣) ج، ز: كتب في الهامش: عله: الشرع. | (١١) د: - في الكتب. |
| (٤) ب، ج، ز: طريق. وأصلحها | (١٢) ب، ج، ز: متين. |
| محب الدين دون أن يشير إلى ذلك. | (١٣) أبو عمرو خليفة بن خياط. |
| (ص ١٧١). | العصفري بصري من الحفاظ له |
| (٥) ز: في الهامش: في نسخة: العقد. | «التاريخ»، و«الطبقات» توفي سنة |
| (٦) ب، ج، ز: عدت. | ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م (الذهبي، العبر، |
| (٧) د: التواريخ. | ج ١ ص ٤٣٢). |
| (٨) د: لحرف. | (١٤) أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني |
| | من كبار المحدثين ببغداد توفي سنة |
| | ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م. |

خرج الطائفة العراقية ^(١) في مائة ألف، والشامية في سبعين أو تسعين ألفاً، ونزلوا على الفرات بصفين، اقتتلوا في أول يوم - وهو الثلاثاء ^(٢) - على الماء فغلب أهل العراق عليه، ثم التقوا يوم الأربعاء لسبع خلون من صفر سنة... ^(٣) ويوم الخميس، ويوم الجمعة، وليلة السبت، ورفعت المصاحف من أهل ^(٤) الشام، ودعوا إلى الصلح، وتفرقوا على أن يجعل ^(٥) كل طائفة أمرها إلى رجل، حتى يكون الرجلان يحكمان بين الدعوتين بالحق، فكان من جهة علي، أبو موسى الأشعري ^(٦)، ومن جهة معاوية عمرو بن العاص ^(٧)، وكان أبو موسى رجلاً تقياً ^(٨)، ثقفاً ^(٩)، فقيهاً، عالماً، حسيماً بيناه في كتاب «سراج المريدين» ^(١٠) أرسله النبي ﷺ إلى اليمن مع معاذ ^(١١)، وقدمه عمر، وأثنى عليه بالفهم [و ١٠٨ ب].

وزعمت ^(١٢) الطائفة التاريخية الركيكة أنه كان أبله ضعيف الرأي، مخدوعاً في القول، وأن ابن العاص ^(١٣) كان ذا دهاء ^(١٤)، وأدب ^(١٥)، حتى ^(١٦)

(٧) ب، ج، ز: العاصي. وهو أبو

عبدالله عمرو بن العاص السهمي

توفي سنة ٤٣ هـ / ٦٦٣ م.

(٨) ز: تقياً. وفي الهامش: عله: تقياً

تقة. د: لقنا.

(٩) د: لفقاً.

(١٠) من مؤلفات أبي بكر بن العربي وهو

في الزهد والتصوف السني وتوجد منه

نسخة بدار الكتاب المصرية تحت رقم

٢٠٣٤٨ ب وقد صور من مكتبة

الأستاذ الصديق بن العربي بالمغرب

الأقصى.

(١١) د: مع معاذ إلى اليمن.

(١٢) د: فزعمت.

(١٣) ب، ج، ز: العاصي.

(١٤) ز: بهاء.

(١٥) ب، د: أرب.

(١٦) ج، ز: جني.

(١) ب: - في.

(٢) د: - وهو يوم الثلاثاء.

(٣) بياض في جميع الأصول. وهي سنة

٣٨ هـ / ٦٥٨ م على الأصح.

(٤) د: - أهل.

(٥) ج، ز: يجعل.

(٦) د: + الذي بين في سراج المريدين ما

روي عن أنس قال: أرسلني أبو

موسى إلى عمر فأتيته فسألني عنه،

فقلت تركته يعلم الناس. فقال: أما

إنه كيس، ولا تسمعها إياه، وقال:

ولآه عمر البصرة، ويعشه

رسول الله ﷺ إلى اليمن نصيراً

وبجعله قرين معاذ وقال علي فيه: أبو

موسى صبيغ في العلم صيغة وكان من

جهة. وتوفي أبو موسى عبدالله بن

نيس الأشعري سنة

٤٤ هـ / ٦٦٤ م.

ضربت الأمثال بدهائه، تأكيداً لما أرادت^(١) من الفساد. وتبع^(٢) في ذلك بعض الجهال بعضاً، وصنعوا^(٣) فيها حكايات. وغيره من الصحابة كان أحذق منه، وأدهى. وإنما بنوا ذلك على^(٤) أن عمراً لما غدر أبا موسى في قصة التحكيم^(٥)، صار له بذلك الذكر في الدهاء والمكر^(٦)، وقالوا: إنها لما^(٧) اجتمعوا بأذرح من دومة الجندل، وتفاوضا اتفاقاً^(٨) على أن يخلعا الرجلين، فقال عمرو لأبي موسى: اسبق بالقول، فتقدم فقال: إني نظرت فخلعت علياً عن الأمر، ولينظر^(٩) المسلمون لأنفسهم، كما خلعت سيفي هذا عن عاتقي^(١٠) وأخرجه من عنقه، فوضعه في الأرض، وقام عمرو فوضع سيفه بالأرض^(١١) وقال: إني نظرت فأنبت معاوية في الأمر، كما أثبت سيفي هذا في عاتقي، وتقلده، فأنكر^(١٢) أبو موسى فقال عمرو: كذلك^(١٣) اتفقنا، وتفرق الجمع على ذلك من الاختلاف.

عاصمة:

قال القاضي أبو بكر^(١٤) رضي الله عنه: هذا كله كذب صراح، ما جرى منه قط حرف، وإنما هو شيء اخترعته^(١٥) المبتدعة، ووضعت^(١٦) التاريخية للملوك، فتوارثه^(١٧) أهل المجانة والجهالة^(١٨) بمعاصي الله والبدع. وإنما الذي روى الأئمة الثقات الأثبات أنها لما اجتمعوا للنظر في الأمر في عصبة كريمة من

- | | |
|---------------------------------------|--|
| (١) د: للإرادات. | عاتقي. في هامش ز: نسخة: عن |
| (٢) ب، ج، ز: اتبع. وفي هامش ز: عاتقي. | |
| (٣) في نسخة: وتبع. | (١١) ج، ز: في الأرض. |
| (٤) ب، ج، ز: صنعوا. | (١٢) د: فأنكره. |
| (٥) ج، ز: على ذلك. | (١٣) د: كذلك. |
| (٦) د: الحكمين. | (١٤) د: قال ابن العربي. |
| (٧) د: الفكر. | (١٥) ب، ج، ز: أخبر عنه. |
| (٨) د: - لما. | (١٦) د: ووصفته. |
| (٩) ج: اتفقنا. | (١٧) ب، ج، ز: فتوارثته. وكتب |
| (١٠) ب، ج، ز: ينظر. | عبد الدين: «فتوارثته» ولم يشر إلى ذلك. |
| (١١) ب، ج، ز: من عاتقي أو من ذلك. | |
| (١٨) د: الجهار. | |

الناس، منهم عبدالله^(١) بن عمر، ونحوه، عزل عمرو معاوية^(٢).

ذكر الدارقطني سنده^(٣) عن حصين بن المنذر قال: لما عزل عمرو معاوية^(٤) [و ١٠٩ أ] جاء فحضر فسطاطه قريباً من فسطاط معاوية ثم جعل يتكلم^(٥) فبلغ^(٦) ثناء معاوية، فأرسل إلي^(٧) فقال إنه بلغني عن هذا كذا وكذا، فاذهب فانظر ما هذا الذي بلغني^(٨) عنه، فأتيته فقلت: أخبرني عن الأمر الذي وليت أنت، وأبو موسى، كيف صنعتما فيه؟ قال: قد قال الناس في ذلك ما قالوا، والله ما كان الأمر على ما قالوا، ولكن قلت لأبي موسى: ما ترى في هذا الأمر؟ قال: أرى أنه في النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض. قلت: فأين تجعلني أنا ومعاوية؟ فقال: أن يستعن بكما ففيكما معونة^(٩)، وأن يستغن عنكما، فطلما استغنى أمر الله عنكما. قال: فكانت^(١٠) هي التي قتل^(١١) معاوية نفسه منها^(١٢)، فأتيته فأخبرته أن الذي بلغه عنه كما بلغه، فأرسل إلى أبي الأعور الذكواني^(١٣) فبعثه في خيلة، فخرج يركض فرسه، ويقول: أين عدو الله؟ أين هذا الفاسق؟ قال أبو يوسف: أظنه قال: إنما يريد حوباً نفسه، فخرج إلى رس تحت فسطاطه فجال^(١٤) عريانا^(١٥)

-
- (١) ب، ج، ز: - عبدالله.
(٢) ج، د: + أخبرنا الحسن الأزدي عن العشاري عن الدارقطني نا إبراهيم بن حمام، نا أبو يوسف الفلوسي يعقوب بن عبدالرحمن بن جرير، نا الأسود بن شيبان عن عبدالله بن مضارب عن حصين بن المنذر قال: لما. ونفس النص تقريباً زائد في هامش ب، ز.
(٣) هكذا في جميع النسخ. وكتبها عب الدين «بسند» ولم يشر إلى ذلك.
(٤) د: عزل معاوية عمرو بن العاصي.
(٥) ب: - ثم جعل يتكلم. د: + بكلام.
(٦) د: يبلغ.
(٧) ب، ج، ز: إليه.
(٨) ج، ز: يبلغني.
(٩) د: معاوية.
(١٠) د: وكانت.
(١١) ب: قتل.
(١٢) ب، ج، ز: منها نفسه.
(١٣) أبو الأعور هو عمرو بن سفيان السلمي من قبيلة ذكوان لا يعرف تاريخ وفاته على ما نعلم.
(١٤) د: فجال.
(١٥) د: عريا. وفي هامش ب، ز: في نسخة: عريا.

يركضه نحو فسطاط معاوية وهو يقول: «إن الضجور^(١) قد تحتلب^(٢) العلبة^(٣)، يا معاوية إن الضجور قد تحتلب^(٤) العلبة؟» فقال معاوية: «احسبه، وتريد^(٥) الحالب فتدق أنفه، وتكفأ إناؤه» قال الداوقني^(٦) - وذكر سنداً عدلاً وساق الحديث - ثم^(٧) قال: ثنا^(٨) محمد بن عبدالله بن إبراهيم ودعلج بن أحمد قالوا: حدثنا^(٩) محمد بن أحمد بن النضر، ثنا^(١٠) معاوية بن عمرو ثنا^(١١) زائدة عن عبد الملك^(١٢) بن عمير^(١٣) عن ربعي عن^(١٤) أبي موسى عن عمرو بن العاص^(١٥) قال: والله لئن كان أبو بكر وعمر تركا هذا المال، وهو يحل لهما منه شيء لقد غبنا، ونقص رأيهما. وأيم الله ما كانا مغبونين، ولا ناقصي الرأي، ولئن كانا امرأين يحرم عليهما من هذا المال الذي أصبناه بعدهما، لقد هلكنا [و ١٠٩ ب]. وأيم الله! ما جاء الوهم إلا من قبلنا. فهذا كان بدء الحديث ومنتهاه. فأعرضوا عن الغاوين، وازجروا العاوين، وعرجوا عن سبيل الناكثين إلى سنن المهتدين، وأمسكوا الألسنة عن السابقين إلى الدين. وإياكم أن تكونوا يوم القيامة من الهالكين بخصومة أصحاب

كوفي توفي سنة ١٣٦ هـ / ٧٥٣ م.

(١٤) د: ابن.

(١٥) ج، ز: العاصي. وقد ذكر هذا

السند الشيخ محب الدين الخطيب

ولكنه لم ينتبه إلى أن عبدالله بن عمر

لا يروي عن ربعي بن حراش المتوفي

سنة ١٠١ هـ / ٧١٩ م وإنما الصحيح

أن الراوي هو عبد الملك بن عمير.

وربعي وعبد الملك كوفيان. وأيضاً

فإن زائدة بن قدامة الثقفي الكوفي لا

يروى عن عبدالله بن عمر إذ توفي

قدامة سنة ٢٦١ هـ / ٨٧٤ م وتوفي

عبدالله بن عمر سنة ٧٤ هـ / ٦٩٣ م

(عبد الدين ص ١٨٠) كما أن ابن

باديس لم ينتبه إلى ذلك. وحلت

نسخة (د) هذا الإشكال.

(١) الضجور : الناقة التي تضجر عند

الحلب.

(٢) ج، ز: تحيلت.

(٣) قدح كبير.

(٤) ج، ز: تحيلت.

(٥) ب: تزيد. د: تزييز وكتبها

عبد الدين الخطيب: تزيد. ولم ينبه

إلى ذلك.

(٦) ج: + وثنا.

(٧) ب: في الهامش: - ثم.

(٨) د: نا.

(٩) د: نا.

(١٠) د: نا.

(١١) د: نا.

(١٢) ب، ج، ز: عبدالله.

(١٣) عمر. وعبد الملك بن عمير محدث

رسول الله ﷺ، فقد هلك من كان أصحاب النبي خصمه، ودعوا ما مضى، فقد قضى الله فيه ما قضى. وخذوا لأنفسكم الجدة^(١) فيما يلزمكم اعتقاداً وعملاً، ولا تسترسلوا بالستكم فيما لا يعينكم مع كل ما جن اتخذ الدين هملاً^(٢)، وأحسنوا^(٣) فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ورحم الله الربيع بن خثيم^(٤)، فإنه لما^(٥) قيل له: قتل الحسين. قال: أقتلوه؟^(٦) قالوا: نعم. فقال: اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون^(٧) [الزمر: ٤٦] ولم يزد على هذا أبداً. فهذا العقل والدين، والكف عن أحوال المسلمين، والتسليم لزب العالمين.

قاصصة:

فإن قيل: إنما يكون ذلك في المعاني التي تشكل، وأما هذه الأمور كلها فلا إشكال فيها لأن النبي ﷺ نص على استخلاف علي بعده، فقال: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»^(٨) «اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله»^(٩) فلم يبق بعد هذا خلاف لمعاند، فتعدى عليه أبو بكر واقتعد^(١٠) في غير موضعه، ثم خلفه في التعدي عمر، ثم رجي أن يوفق عمر للرجوع إلى الحق فأبهم الحال، وجعلها شورى قصداً للخلاف الذي سمع من النبي ﷺ، ثم تحيل ابن عوف حتى ردها عنه، إلى عثمان، ثم قتل عثمان لتسوره على الخلافة، وعلى أحكام الشريعة، وصار الأمر إلى علي بالحق الإلهي النبوي، فنازعه من عاقده، وخالف عليه [و ١١٠ أ] من بايعه^(١١)، ونقض عهده من شدة، وانتدب أهل

(١) ج، ز: بالجد. (٥) د: - لا.

(٢) د: ما عن هملأ. في هامش ب، ز: (٦) د: قتلوه.

(٧) ب، ج، ز: - فيما كانوا فيه في نسخة: ناعق.

(٣) ب، ج، ز: - أحسنوا. يختلفون. + الآية.

(٤) توفي سنة ٦٤ هـ / ٦٨٣ م. ب، (٨) أخرجه البخاري ومسلم.

(٩) أخرجه أحمد في مسنده (عبد الدين ج، ز: خيثم، وهو خطأ، الخطيب، ص ١٨١).

والتصحيح من طبقات ابن الحيات (١٠) د: واعتقد.

(ص ١٤١).

(١١) د: تابعه.

الشام مع معاوية إلى الفسوق في الدين، بل الكفر. وهذه حقيقة مذهبهم أن الكل منهم كفرة. لأن من مذهبهم التكفير بالذنوب. وكيف تقول^(١) هذه الطائفة التي تسمى بالإمامية: أن كل عاص بكبيرة كافر على رسم القدرية، ولا أعصى من الخلفاء المذكورين، ومن ساعدتهم على أمرهم. وأصحاب محمد أحرص الناس على دنيا، وأقلهم حماية على دين، وأهدمهم لقاعدة شريعة. **عاصمة:**

قال القاضي أبو بكر^(٢) رضي الله عنه: يكفيك من شر سمعه، فكيف التملل به. خمسمائة عام كملاً^(٣) إلى يوم مقالي هذا لا ينقص منها^(٤) يوم، ولا يزيد يوم^(٥) وهو مهل شعبان سنة^(٦) ست وثلاثين^(٧) وخمسمائة، ماذا يرجي بعد التمام إلا النقص ما رضيت اليهود والنصارى^(٨) في أصحاب موسى وعيسى بما^(٩) رضيت به الروافض في أصحاب محمد ﷺ حين حكموا عليهم بأنهم قد اتفقوا على الكفر والباطل. فما يرجي من هؤلاء، وما يستبقى منهم؟ وقد^(١٠) قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ [النور: ٥٥] وهذا قول صدق، ووعد حق. وقد انقرض عصرهم، ولا خليفة فيهم، ولا تمكين، ولا أمن ولا سكون إلا في ظلم، وتعد^(١١)، وغضب، وهرج، وتشتت كلمة، وإثارة ثائرة.

وقد أجمعت الأمة على أن النبي ﷺ ما نص على أحد يكون من بعده، وقد^(١٢) قال العباس لعلي فيما روى عبدالله ابنه قال عبدالله بن عباس: خرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي

- | | |
|---|--|
| (١) د: فكيف ويقولون. | (٦) د: من سنة. |
| (٢) د: قال أبي. | (٧) ب، ز: - ثلاثين، + يلز. وهو تاريخ تأليف هذا الكتاب. |
| (٣) ب، ج، ز: كلا. وكتبه حب الدين وعداء دون أن يتيه إلى ذلك. | (٨) ب، ج، ز: النصارى واليهود. |
| (ص ١٨٤). | (٩) ب: ما. |
| (٤) د: منه. | (١٠) ب: وقد. |
| (٥) ب، ج، د، ز: يوماً. وكتب حب الدين: ننقص... يوماً... | (١١) ج، ز: تعدى. |
| نزيد يوماً. | (١٢) ج، ز: وقال. |

فيه، فقال الناس: يا أبا حسن كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ قال: أصبح بحمد الله بارئاً. فأخذ بيده عباس بن عبدالمطلب، فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا [و ١١٠ ب] وإني ^(١) والله ^(٢) لأرى رسول الله ^(٣) سوف يتوفى من وجعه هذا، إني لأعرف وجوه بني عبدالمطلب عند الموت، اذهب بنا إلى رسول الله ^(٤) فلنسأله فيمن يكون ^(٥) هذا الأمر بعده ^(٦)، فإن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمناه ^(٧) فأوصي بنا ^(٨). فقال علي: أنا والله لئن سألتها رسول الله ^(٩) فمنعناها ^(١٠) لا يعطيناها الناس بعده، وإني والله لا أسأله رسول الله ^(١١).

قال القاضي أبو بكر ^(١٢) رضي الله عنه: رأي العباس عندي أصبح، وأقرب إلى الآخرة، والتصريح بالتحقيق. وهذا يبطل قول مدعي ^(١٣) الإشارة باستخلاف علي، فكيف أن يدعي فيه نص؟! فأما أبو بكر فقد جاءت امرأة ^(١٤) إلى النبي فسألته شيئاً فأمرها أن ترجع إليه قالت له: فإن لم أجدك - كأنها تعني الموت - قال ^(١٥): تجدين أبا بكر ^(١٦). وقال النبي لعمر وقد وقع بينه وبين أبي بكر كلام، فتعفّر وجه النبي ^(١٧)، حتى أشفق من ذلك أبو بكر، وقال النبي ^(١٨): هل أنتم تاركوا لي صاحبي - مرتين - إني بعثت إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر: صدقت، ألا إني أبرأ إلى كل خليل من خلته ^(١٩)،

-
- | | |
|------------------------------------|---|
| (١) ب، ج، ز: لأني. | (١١) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. |
| (٢) ب: - والله. | (١٢) د: قال أبي. |
| (٣) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. | (١٣) د: من يدعى. وفي هامش ز في نسخة: من يدعى. |
| (٤) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. | (١٤) ج: - فقد جاءت امرأة. |
| (٥) د: - يكون. | (١٥) ج: + لها. |
| (٦) د: - بعده. | (١٦) أخرجه البخاري. |
| (٧) ب: علمنا. | (١٧) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. |
| (٨) ج: فأوصانا. ز: فأوصاً بنا. | (١٨) ج: - النبي. ب، ز: + صلى الله عليه وسلم. |
| (٩) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. | (١٩) د: خلّه. |
| (١٠) ج: فمنعناها. | |

وقال النبي^(١): «لو كنت متخذاً^(٢) في الإسلام خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخي وصاحبي، وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً، لا تبقيين^(٣) في المسجد خوخة إلا خوخة أبي^(٤) بكر». وقال قال النبي^(٥): «بينما أنا نائم رأيتني على قلب^(٦) عليها دلو فتزعت منها ما شاء الله ثم أخذها ابن أبي قحافة فتزع منها ذنوباً^(٧) أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له، ثم استحالت غرباً^(٨) فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عبقرياً من الناس ينزع نزع عمر، حتى ضرب الناس بعطن»^(٩).

وقد ثبت أن النبي ﷺ صعد أحداً، وأبو بكر وعمر وعثمان^(١٠) فرجف بهم فقال: «اثبت أحد فيأتما عليك نبي وصديق وشهيدان»^(١١) وقال^(١٢): [١١١ أ] ﷺ: «إنه^(١٣) كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن في أمتي منهم أحد فعمر»^(١٤) وقال النبي^(١٥) لعائشة^(١٦) في مرضه: «أدعي^(١٧) لي أباك^(١٨) وأخاك حتى أكتب كتاباً، فأني أخاف أن يتمنى متمن ويقول: أنا أولى، ويسأى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»^(١٩) وقال ابن عباس: (إن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني أرى الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل، فأرى الناس يتكففون بأيديهم، فالمستكثر والمستقل، وأرى سيباً واصلاً من السماء إلى الأرض، فأراك أخذت به^(٢٠) فعلوت ثم أخذ به رجل (من بعدك فعلاً، ثم

- | | |
|------------------------------------|-------------------------------------|
| (١) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. | (١٠) ب، ج، ز: + رضي الله عنهم. |
| (٢) ج: - متخذاً. | (١١) أخرجه مسلم. |
| (٣) ب: يقيين. | (١٢) ج: + النبي. |
| (٤) ج: أبا. | (١٣) في لفظ البخاري: لقد. |
| (٥) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. | (١٤) أخرجه البخاري. |
| (٦) بثر. | (١٥) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. |
| (٧) الدلو العظيمة. | (١٦) ب، ج، ز: رضي الله عنها. |
| (٨) الدلو الواسعة. | (١٧) ب، ج، د، ز: ادع. |
| (٩) أخرجه البخاري. | (١٨) ب، ج، ز: أبا بكر. |
| | (١٩) أخرجه أحمد في مسنده. |

(٢٠) د: منه.

أخذ به رجل آخر فعلاً ثم أخذ به رجل^(١). آخر فانقطع. ثم وصل له فعلاً - وذكر الحديث - ثم عبرها أبو بكر فقال: أما^(٢) السبب الواصل من السماء^(٣) فالحق الذي أنت عليه، فأخذته^(٤) فيعليك الله ثم يأخذ به رجل آخر^(٥) من بعدك^(٦)، فيعلو به ثم يأخذه^(٧) رجل آخر، فيعلو به^(٨)، ثم يأخذه^(٩) رجل آخر فينقطع به^(١٠)، ثم يوصل له فيعلو به^(١١)، وصح أن النبي^(١٢) قال ذات يوم: «من رأى منكم رؤيا؟» فقال رجل: أنا رأيت كأن ميزاناً نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت، ووزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر ثم رفع الميزان، فرأينا الكراهية في وجه رسول الله^(١٣).

وهذه الأحاديث جبال في البيان، وجبال^(١٤) في التسيب^(١٥) إلى الحق لمن وفقه الله، ولو لم يكن معكم أيها السنية إلا قوله: ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار﴾^(١٦) [التوبة: ٤٠] فجعلهم^(١٧) في نصيب^(١٨)، وجعل أبا بكر في نصيب^(١٩) آخر. وقام معه^(٢٠) جميع الصحابة. وإذا تبصرتم هذه الحقائق فليس يخفى عنها حال الخلفاء في جلالهم^(٢١)، وولايتهم، وترتيبهم خصوصاً وعموماً [و ١١١ ب] وقد قال تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في

- | | |
|-------------------------------------|--|
| (١) ب، ج، ز: - ما بين القوسين. | (١٣) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. أخرجه الترمذي وأحمد وأبو داود. |
| (٢) ب، د: وأما. | (١٤) ب: جبال. |
| (٣) ب: + إلى. | (١٥) ب، ج، ز: السبب. |
| (٤) ب: تأخذ به. | (١٦) ب، د: - إذ هما في الغار. |
| (٥) ج، ز: + يعدل. | (١٧) ب، ج، ز: فجعلها. |
| (٦) ج، ز: - من بعدك. | (١٨) ب: نصيف. |
| (٧) د: يأخذ به. | (١٩) ب: نصيف. |
| (٨) ج: ثم يأخذه رجل آخر فيعلو به. | (٢٠) د: له. في هامش ب، ز: في نسخة: به. |
| (٩) د: يأخذ به. | (٢١) ب، ج، ز: خلاهم. |
| (١٠) ج، ز: + في يده. | |
| (١١) أورده البخاري. | |
| (١٢) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. | |

الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلهم من بعد خوفهم أمناً لا يشركون بي شيئاً [النور: ٥٥] وإذا لم ينفذ هذا الوعد في الخلفاء فلمن ينفذ؟ وإذا لم يكن فيهم ففيمن^(١) يكون؟ والدليل عليه انعقاد الإجماع أنه لم يتقدمهم في الفضيلة أحد إلى يومنا هذا وما^(٢) بعدهم مختلف فيه، فأولئك مقطوع بهم، متيقن إمامتهم، ثابت نفوذ وعد الله لهم، فإنهم ذبوا عن حوزة المسلمين وقاموا بسياسة الدين. قال علماءنا: ومن بعدهم تبع لهم من أئمة^(٣) الدين^(٤)، الذين هم أركان الملة، ودعائم الشريعة، الناصحون لعباد الله، الهادون من استرشد إلى الله، فأما من كان من الولاة الظلمة فضرره^(٥) مقصور على الدنيا وأحكامها. وأما^(٦) حفاظ الدين فهم الأئمة العلماء الناصحون لدين الله، وهم أربعة أصناف.

الصف الأول: حفظوا أخبار رسول الله^(٧)، وهم بمنزلة الخزان لأقوات المعاش..

الصف الثاني: علماء الأصول، ذبوا عن دين الله، أهل الغناد، وأصحاب البدع، فهم شجعان الإسلام، وأبطاله المداعسون^(٨) عنه في مآزق الضلال.

الصف الثالث: قوم ضبطوا أصول العبادات، وقانون المعاملات، وميزوا المحللات من المحرمات، وأحكموا الجراح^(٩) والديات، وبينوا معاني الأيمان والمنذورات^(١٠)، وفصلوا الأحكام في الدعاوى، فهم في الدين بمنزلة الوكلاء المتصرفين^(١١) في الأموال.

-
- | | |
|--|---|
| (١) ب: فيمن. وكتبها بحب الدين: | (٧) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. |
| (٢) كذا في جميع النسخ. وكتبها بحب الدين: من. | (٨) أي المدافعون. |
| (٣) ب، ج، ز: الأئمة. | (٩) ب، ج، ز: الجراح. |
| (٤) ب، ج، ز: - الدين. | (١٠) ب: المنذورات. وكتبها بحب الدين: المنذورات. |
| (٥) ب، ج، ز: ضرورة. | (١١) ب: المتصرفون. ج، ز: المتصرفون. |
| (٦) د: فأما. | |

الصنف الرابع: تجردوا للخدمة، ودأبوا على العبادة، واعتزلوا الخلق، وهم في الآخرة كخواص الملك في الدنيا.

وقد أوضحنا في كتاب «سراج» [و ١١٢] المريدين في القسم الرابع من علوم القرآن أي المنازل^(١) أفضل من هؤلاء الأصناف، وترتيب درجاتهم^(٢).

قال القاضي أبو بكر^(٣) رضي الله عنه: فهذه^(٤) كلها إشارات أو تصريحات أو دلالات أو تنبيهات، و^(٥) مجموع ذلك يدل على صحة ما جرى، وتحقيق ما كان بين الفضلاء^(٦)، ونقول - بعد هذا البيان - على مقام آخر: لو كان هنالك نص على أبي بكر يذكر^(٧) أو على علي لم يكن بد من احتجاج علي به، أو يحتاج له به^(٨) غيره من المهاجرين والأنصار، فأما حديث غدير خم فلا حجة فيه، لأنه إنما استخلفه في حياته على المدينة، كما استخلف موسى هارون في حياته عند سفره للمناجاة، على بني إسرائيل، وقد اتفق الكل من إخوانهم اليهود قاطبة^(٩) على أن موسى مات بعد هارون، فأين الخلاف؟.

وأما قوله: «اللهم وال من والاه» فكلام صحيح، ودعوة مجابة، وما نعلم أحداً^(١٠) عاداه إلا الرافضة، فإنهم أنزلوه في غير منزلته^(١١)، ونسبوا إليه ما لا يليق بدرجته، والزيادة في الحد^(١٢) نقصان من المحدود، ولو تعدى عليها^(١٣) أبو بكر، ما كان المتعدي وحده بل جميع الصحابة، كما قلنا؛ لأنهم ساعدوه على الباطل. ولا تستغربوا هذا من قولهم، فإنهم يقولون: إن النبي كان

-
- | | |
|---------------------------------------|----------------------------------|
| (١) د: المنزلتين. | (٨) ب، ج، ز: + على. |
| (٢) ج، ز: - وترتيب درجاتهم. | (٩) ب: - قاطبة. |
| (٣) د: قال أبي. | (١٠) ب: يعلم أحد. |
| (٤) ب، ج، ز: وهذه. | (١١) د: منزله. |
| (٥) ب، ج، ز: - و. | (١٢) ب: الحق. |
| (٦) ب: من العقلاء. ج، ز: بين العقلاء. | (١٣) د: عليه. وفي هامش: ب، ج، ز: |
| (٧) ب، ج، ز: - يذكر. د: يذكر. | في نسخة: عليه. |
| وفي هامش ب، ز: في نسخة: | |
| يذكر. | |

مدارياً لهم^(١) وممتحناً^(٢) بهم^(٣) على نفاق وتقية، وأين أعظم^(٤) من قوله^(٥) - حين سمع قول عائشة رضي الله عنها^(٦) مروا^(٧) عمر فليصل بالناس - إنكن^(٨) لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر. وقوله - حين سمع صوت^(٩) عمر - : يأي الله ذلك والمسلمون، مروا أبا بكر فليصل بالناس^(١٠). وما قدمنا من تلك الأحاديث. لقد اقتحموا عظيماً، ولقد^(١١) افتروا كبيراً، وما جعلها عمر شورى إلا اقتداء بأبي بكر^(١٢) إذ قال: (إن أستخلف^(١٣) فقد استخلف من هو خير مني [و ١١٢ ب] وإن لم أستخلف فإن رسول الله^(١٤) لم يستخلف)^(١٥) فما رد هذه الكلمة^(١٦) أحد. وقال: (اجعلها شورى في النفر الذين توفي رسول الله^(١٧) وهو عنهم راض)^(١٨) وقد رضي عن أكثر منهم، ولكن^(١٩) كانوا خيار الرضا، وشهد لهم بالأهلية للخلافة^(٢٠). وأما قولهم: تحيل ابن عوف حتى رذها لعثمان. فلئن كانت حيلة، ولم يكن سواها، فلأن الحول ليس إليه، وإنما كل^(٢١) عمل العباد حيلة، ولو^(٢٢) كان القضاء بالحول^(٢٣) فالحول^(٢٤) والقوة لله. وقد علم كل أحد أنه لا يليها إلا واحد،

-
- (١) د: لها.
(٢) ب: منحنياً. وكتبها عب الدين:
(٣) د: بها.
(٤) ب، ج، ز: أنت.
(٥) ب، ج، ز: النبي صلى الله عليه وسلم.
(٦) د: - رضي الله عنها.
(٧) د: مر.
(٨) د: - إنكن.
(٩) ب، ج، ز: صلاة.
(١٠) أخرجه البخاري.
(١١) د: - لقد.
(١٢) ب، د: بالنبي وكتب على هامش ب: صح بأبي بكر.
(١٣) ب: استخلفت.
(١٤) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم.
(١٥) أخرجه مسلم وأحمد بن حنبل في مسنده.
(١٦) ب، ج، ز: الكلمات.
(١٧) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم.
(١٨) أخرجه البخاري.
(١٩) ب، ج، ز: لكنهم.
(٢٠) د: بالخلافة.
(٢١) ب، ج، ز: إذا كان.
(٢٢) كتبها عب الدين: أو (ص ١٩٣).
(٢٣) د: بالحق. وفي هامش ب، ج، ز: في نسخة: بالحق.
(٢٤) د: والحول.

فاستبد عبدالرحمن بن عوف بالأمر، بعد أن أخرج نفسه على أن يجتهد للمسلمين في الأسد والأشد فكان كما فعل، و^(١) ولاها من استحقها، ولم يكن غيره أولى منه بها حسبما بيناه^(٢) في «مراتب الخلافة» من «أنوار الفجر»^(٣) وفي غيره من الحديث. وقتل عثمان فلم يبق على الأرض أحق بعلي منها^(٤)، فجاءته على قدر، في وقتها ومحلها، وبين الله على يده^(٥) من الأحكام والعلوم ما شاء أن يبين. وقد قال عمر: لولا علي هلك^(٦) عمر. وظهر من فقهه وعلمه في قتال أهل القبلة، من استدعائهم ومناظرتهم، وترك مبادأتهم^(٧)، والتقدم إليهم قبل نصب الحرب معهم، وندائه: لا تبدأوا^(٨) بالحرب، ولا يتبع مول، ولا يجهز على جريح، ولا تهاج امرأة، ولم^(٩) يغنم^(١٠) لهم مالا، وأمره بقبول شهادتهم، والصلاة خلفهم، حتى قال أهل العلم: لولا ما جرى، ما عرفنا حكم قتال أهل البغي.

وأما خروج طلحة والزبير، فقد تقدم بيانه، وأما تكفيرهم للخلق، فهم الكفار. وقد بينا أحوال أهل الذنوب الذين ليس منهم عليها^(١١) شر^(١٢) في غير ما كتاب، وشرحناها في كل باب. فإن قيل: فقد قال العباس في علي ما رواه الأئمة [و ١١٣ أ] أن العباس وعلياً اختصما عند عمر في شأن أوقاف رسول الله ﷺ^(١٣) فقال العباس لعمر: يا أمير المؤمنين: اقض بيني وبين هذا الظالم، الكاذب، الغادر، الآثم، الخائن^(١٤). فقال الرهط لعمر^(١٥): يا أمير

- (١) د: - و.
(٢) ب: بينا.
(٣) كتب في هامش ج: تفسير المصنف في مائة جزء كما في الديباج لابن فرحون.
(٤) ب، ج، ز: أحق منها بعلي. وكتب في هامش ج: صوابه: بها من علي. وهكذا كتبها محب الدين ولم يثبت على ذلك (ص ١٩٤).
(٥) ب، ج، ز: يديه.
(٦) كتبها محب الدين: لهلك.
(٧) (ص ١٩٤).
(٨) ب، ج، ز: مبادرتهم. وفي هامش ب، ز: في نسخة: مبادأتهم.
(٩) ب: نبدا.
(١٠) ب، ج، ز: لم.
(١١) كتبها محب الدين: نغم.
(١٢) ب، ج، ز: منها.
(١٣) ب: سبر. وكتبها محب الدين: سب. (ص ١٩٤). د: بشر.
(١٤) د: - صلى الله عليه وسلم.
(١٥) ب، ج، ز: الجائر.
(١٦) د: - لعمر.

المؤمنين^(١) اقض بينهما، وأرح أحدهما من الآخر. فقال عمر: تشدكم^(٢) أنشدكم^(٣) الله الذي بإذنه تقوم السماء^(٤) والأرض هل تعلمون أن رسول الله^(٥) قال: «لا نورث ما تركناه»^(٦) صدقة يريد بذلك نفسه؟ قالوا: قد قال ذلك. فأقبل على علي والعباس^(٧) فقال: أنشدكما^(٨) الله أن رسول الله^(٩) قال ذلك؟ قالوا: نعم. قال عمر: إن الله خص رسوله^(١٠) في هذا الفيء بشيء، لم يعطه أحداً غيره، فعمل فيها رسول الله^(١١) حياته^(١٢)، فقال أبو بكر: أنا ولي رسول الله^(١٣) فقبضها سنتين من إمارته، فعمل فيها بما عمل رسول الله^(١٤)، وأنتما تزعمان أن أبا بكر كاذب، غادر، خائن^(١٥)، والله ليعلم^(١٦) أنه لصادق بار^(١٧)، راشد، تابع للحق. وذكر الحديث. قلنا: أما قول العباس لعلي، فقول الأب للابن، وذلك على الرأس محمول، وفي سبيل المغفرة مبذول، وبين الكبار والصغار - فكيف الآباء والأبناء - مغفور موصول. وأما قول عمر: إنها اعتقدا أن أبا بكر ظالم خائن غادر، وكذلك اعتقدا فيه، فإنما ذلك خبر عن الاختلاف في نازلة وقعت من الأحكام رأى فيها هذان رأياً، ورأى فيها أولئك رأياً، فحكم أبو بكر وعمر بما رأيا، ولم ير العباس وعلي ذلك، ولكن لما حكما سلماً لحكما كما يسلم لحكم القاضي في المختلف فيه^(١٨) والمحكوم عليه يرى أنه قد وهم^(١٩)، ولكنه^(٢٠)

-
- | | |
|---|--|
| (١) د: + نعم. | (١١) ج: - حياته. |
| (٢) ب، ج، ز: - تشدكم. | (١٢) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. |
| (٣) ب، ج، ز: أنشدكما. | (١٣) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. |
| (٤) د: السموات. | (١٤) د: كان كاذباً آثماً غادراً، خائناً. |
| (٥) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. | (١٥) د: يعلم. |
| (٦) د: تركناه. | (١٦) ج: وبار. |
| (٧) ب، ج، ز: العباس وعلي. | (١٧) أضاف محب الدين: «أما» مما يجعل المعنى يتغير. (ص ١٩٦). |
| (٨) د: نشدكما. | (١٨) ج، ز: فرا وأنه قد وثم. |
| (٩) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. | (١٩) ب: لكن. |
| (١٠) ب، ج، ز: رسول الله صلى الله عليه وسلم. | |

سكت وسلم. فإن قيل: إنما يكون ذلك - في أول الحال، والأمر لم يظهر^(١) - إذا كان الحكم باجتهاد، وإنما^(٢) كان^(٣) هذا الحكم على منع فاطمة والعباس الميراث بقول^(٤) [و ١١٣ ب] النبي: «لا نورث ما تركناه»^(٥) صدقة وعلمه أزواج النبي وأصحابه العشرة، وشهدوا به. فبطل ما قلموه قلنا: يحتمل أن يكون ذلك في أول الحال والأمر لم يظهر بعد، فرأيا أن خبر الواحد في معارضة القرآن، والأصول والحكم المشهور في الدين^(٦)، لا يعمل به حتى يتقرر^(٧) الأمر، فلما تقرر^(٨) سلماً، وانقادا بدليل ما قدمنا من الحديث الصحيح إلى آخره. فليُنظر فيه. وهذا أيضاً ليس بنص في المسألة، لأن قوله: «لا نورث ما تركناه»^(٩) صدقة يحتمل أن يكون: لا يصح ميراثنا، ولا أنا أهل له، لأنه ليس لي ملك، ولا تلبست بشيء من الدنيا، ينتقل عني إلى غيري^(١٠). ويحتمل أن يكون^(١١) (لا نورث) حكم^(١٢). وقوله: «ما تركنا صدقة» حكم آخر معين، أخبر به أنه قد أنفذ الصدقة فيما كان بيده من سهمه^(١٣) المتصير إليه بتسوية الله له. وكان من ذلك مخصوصاً بما^(١٤) لم يوجف^(١٥) المسلمون عليه بخيل ولا ركاب. وكان له سهمه^(١٦) مع المسلمين فيما غنموه^(١٧) مما^(١٨) أخذ^(١٩) عنوة. وتحتمل أن تكون «صدقة» منصوباً على أن

-
- (١) د: - في أول الحال والأمر لم يظهر. (٢) ج، ز: وإنما. (٣) ب، ج، ز: أدى. وقد غير حب الدين الكلام: إذ كان الحكم باجتهاد وأما بعد أن أدى هذا الحكم إلى منع... (ص ١٩٦). (٤) د: فقول. (٥) د: تركنا. (٦) ب، ج، ز: الزمن الذي. (٧) د: تقرر. (٨) ج: تقرر. (٩) د: تركنا. (١٠) ب، ج، ز: إلى غيري عني. (١١) ب، ج، ز: - أن يكون. (١٢) كذا في جميع النسخ. ولعله: حكماً. وكذلك. حكماً آخر. الآتي بعده. (١٣) د: من سهمه بيده. (١٤) ب، ج، ز: بما. (١٥) ج: يوجب. (١٦) في هامش ج، ز: في نسخة: سهمهم. (١٧) ب، ج، ز: غنموا. (١٨) ب، ج، ز: بما. (١٩) ب، ج، ز: أخذوا.

يكون حالاً من المتروك. و^(١) إلى هذا أشار أصحاب أبي حنيفة وهو ضعيف، وقد بيناه في موضعه، بيد أنه يأتيك من^(٢) هذا أن المسألة مجرى الخلاف، ومحل الاجتهاد، وأنها ليست بنص من النبي. فتحتمل^(٣) التصويب والتخطئة بين^(٤) المجتهدين والله أعلم.

قاصمة:

ثم قتل علي، قالت الرافضة: فعهد إلى الحسن فسلمها الحسن إلى معاوية فقتل له: (مسود وجوه المؤمنين) وفسقته جماعة من الرافضة، وكفرت طائفة لأجل ذلك.

عاصمة:

قال القاضي أبو بكر^(٥) رضي الله عنه: أما قول الرافضة إنه عهد إلى الحسن فباطل، ما عهد إلى أحد [و ١١٤ أ]، ولكن البيعة للحسن منعقدة، وهو أحق من معاوية، ومن كثير من غيره^(٦) وكان خروجه لمثل ما خرج إليه أبوه، من دعاء الفئة الباغية إلى الانقياد إلى الحق، والدخول في الطاعة، قالت الوساطة^(٧) إلى أن تحلى عن الأمر صيانة لحق^(٨) دماء الأمة، وتصديقاً لوعده نبي الملحمة، حيث قال على المنبر: (ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به^(٩) بين فئتين عظيمتين^(١٠) من المسلمين) فنفذ الميعاد، وصحت البيعة لمعاوية، وذلك لتحقيق رجاء النبي ﷺ، فمعاوية خليفة، وليس بملك فإن قيل فقد روي عن سفينة^(١١) أن النبي ﷺ قال: «الخلافة ثلاثون سنة ثم يعود ملكاً» فإذا عددنا من ولاية أبي بكر إلى تسليم الحسن كانت ثلاثين، لا تزيد، ولا تنقص يوماً. قلنا:

(١) ب: إلى. (بسقوط الواو).

(٧) د: الوساطة.

(٨) ج: لخص.

(٩) ج: - به.

(١٠) ج: عصمتين.

(١١) سفينة مولى أم سلمة زوج النبي ﷺ

ويسمى صالحاً.

(٤) ب: من.

(٥) د: قال أبي.

(٦) د: غيرهما.

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به في طلعة البدر^(١) ما يغنيك عن زجل هذا الحديث في ذكر الحسن بالبشارة، والثناء عليه، لجريان^(٢) الصلح على يديه، وتسليمه الأمر لمعاوية عقد منه له. وهذا حديث لا يصح، ولو صح فهو معارض بهذا^(٣) الصلح^(٤) المتفق عليه فوجب الرجوع إليه. فإن قيل: ألم يكن في الصحابة أقعد بالأمر من معاوية؟ قلنا: كثير، ولكن معاوية اجتمعت فيه خصال وهي أن عمر جمع له الشامات كلها، وأفرده بها^(٥)، لما رأى من حسن سيرته، وقيامه بحماية البيضة^(٦) وسد الثغور^(٧)، وإصلاح الجند، والظهور على العدو وسياسة الخلق، وقد شهد له النبي ﷺ في صحيح الحديث بالفقه^(٨)، وشهد بخلافته في حديث أم حرام^(٩) أن ناساً من أمته يركبون ثبج هذا البحر الأخضر ملوكاً على الأسرة، أو هطل الملوك على الأسرة^(١٠) فكان^(١١) ذلك في ولايته، ويحتمل أن تكون^(١٢) مراتب في الولاية خلافة ثم [و ١١٤ ب] ملك، فتكون^(١٣) ولاية الخلافة للأربعة، وتكون ولاية الملك لابتداء معاوية وقد قال الله^(١٤) في داود - وهو خير من كل معاوية -: ﴿وَاتَّاهَ اللَّهُ الْمَلِكَ وَالْحَكِمَةَ﴾ [البقرة: ٢٥١] فجعل النبوة ملكاً. فلا تلتفتوا إلى أحاديث ضعف سندها ومعناها^(١٥). ولو اقتضت الحال النظر في الأمور لكان - والله أعلم - رأي آخر للجمهور. ولكن انعقدت البيعة لمعاوية بالصفة التي شاءها الله، على الوجه الذي وعد به رسول الله^(١٦)، مادحاً له، راضياً

-
- (١) د: الشمس.
(٢) د: بجريان.
(٣) ب: لهذا.
(٤) د: - بهذا الصلح. + للحديث الصحيح.
(٥) د: به.
(٦) د: في الهامش + بيضة الإسلام.
(٧) د: الثغر.
(٨) ورد ذلك في صحيح البخاري وجامع الترمذي من شهادة ابن عباس له بذلك. (محب الدين، ص ٢٠٥-٢٠٦).
(٩) أم حرام بنت ملحان صحابية مجاهدة، استشهدت في قبرص سنة ٢٧ هـ / ٦٤٧ م وقبرها معروف بها.
(١٠) أخرجه البخاري.
(١١) ج، ز: وكان.
(١٢) ب، ج، ز: يكون.
(١٣) ب: فيكون.
(١٤) ب: + تعالى.
(١٥) كتب محب الدين: متها. بدل: معناها.
(١٦) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم.

عنه، راجياً هدية الحال فيه لقبول^(١) النبي ﷺ: «ابني^(٢) هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به»^(٣) بين فئتين عظيمتين من المسلمين». وقد تكلم العلماء في إمامة الفضول مع وجود من هو^(٤) أفضل منه. فليست المسألة في الحد الذي تجعله^(٥) فيه العامة، وقد بينها في موضعها. فإن قيل فقد قتل حجر بن عدي^(٦) وهو من الصحابة، مشهور بالخير، صبراً أسيراً بقول زياد^(٧). وبعثت إليه عائشة في أمره فوجدته قد فات بقتله. قلنا: قد علمنا قتل حجر كلنا، واختلفنا فقاتل يقول: قتله ظلماً، وقائل يقول: قتله حقاً. فإن قيل الأصل قتله ظلماً إلا أن يثبت^(٩) عليه ما يوجب قتله. قلنا: الأصل أن قتل الإمام بالحق، فمن ادعى أنه بالظلم فعليه الدليل^(١٠)، ولو كان ظلماً محضاً لما بقي بيت إلا لعن^(١١) فيه معاوية وهذه مدينة السلام^(١٢) دار خلافة بني العباس، وبينهم وبين بني أمية ما لم يخف على الناس، مكتوب على أبواب مساجدها: «خير الناس بعد رسول الله^(١٣) أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم^(١٤) معاوية خال المؤمنين^(١٥) رضي الله عنه». ولكن حجراً^(١٦) فيما يقال رأى من زياد أموراً منكراً، فحصبه، وخلعه، وأراد أن يقيم الخلق للفتنة^(١٧)، فجعله معاوية ممن سعى في الأرض [و ١١٥ أ] فساداً، وقد كلمته عائشة في أمره حين حج، فقال لها: دعيني وحجراً حتى نلتقي عند الله. و^(١٨) أنتم معشر المسلمين أولى أن تدعوهما حتى يقفا بين يدي الله مع صاحبهما العدل، الأمين

- | | |
|--|-------------------------------------|
| (١) د: يقول. | (٩) ب، ج، ز: ثبت. |
| (٢) د: - ابني. | (١٠) ج، ز: بالدليل. |
| (٣) ب: - به. | (١١) د: يلعن. |
| (٤) د: - من هو. | (١٢) د: الإسلام. |
| (٥) ب، ج، ز: تجعلها. | (١٣) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. |
| (٦) قيل صحابي وقيل تابعي توفي سنة ٥١ هـ / ٦٧١ م. | (١٤) د: - ثم. |
| (٧) زياد بن أبيه استلحقه معاوية وزعم أنه أخوه من أبيه. توفي سنة ٥٣ هـ / ٦٧٣ م. | (١٥) د: خال علي. |
| (٨) ب، ج، ز: - قد. | (١٦) ج، ز: حجر. |
| | (١٧) د: الناس الفتنة. |
| | (١٨) ج: - و. |

المصطفى، المكين. وأنتم^(١) ودخولكم حيث لا تشعرون، فما لكم لا تسمعون^(٢). فإن قيل قد دس على الحسن من سمه. قلنا: هذا محال من وجهين: أحدهما أنه^(٣) ما كان ليتقي من الحسن بأساً وقد سلم إليه^(٤) الأمر. الثاني: أنه أمر مغيب لا يعلمه إلا الله، فكيف يحملونه بغير بينة على أحد من خلقه في زمان متباعد لم تثق^(٥) فيه بنقل ناقل، بين يدي قوم ذوي أهواء، وفي حال فتنة، وعصبية، ينسب كل واحد^(٦) إلى صاحبه ما لا ينبغي؟ فلا يقبل منها^(٧) إلا الصافي، ولا يسمع فيها^(٨) إلا من العدل الصميم^(٩). فإن قيل: فقد^(١٠) عهد إلى يزيد، وليس بأهل، وجرى بينه وبين عبدالله بن عمر، وابن الزبير والحسين ما نصه^(١١): عن وهب^(١٢) بن جرير^(١٣) بن حازم عن أبيه وعن غيره لما أجمع^(١٤) معاوية على^(١٥) أن يبايع لابنه يزيد، حج فقدم مكة في نحو ألف رجل، فلما دنا من المدينة خرج ابن عمر وابن الزبير، وعبدالرحمن بن أبي بكر^(١٦)، فلما قدم معاوية المدينة صعد المنبر فحمد الله، وأثنى عليه، ثم ذكر ابنه يزيد فقال^(١٧): من أحق بهذا الأمر منه؟ ثم ارتحل، فقدم مكة فقضى طوافه، ودخل منزله، فبعث إلى ابن عمر، فتشهد وقال: أما بعد يا ابن عمر فقد كنت تحدثني أنك لا تحب أن تبیت ليلة سوداء ليس عليك أمير، وإني أحذرك أن تشق عصا المسلمين، وأن تسعى في فساد ذات بينهم. فلما سكت تكلم ابن عمر، فحمد الله^(١٨) وأثنى عليه ثم قال: أما بعد

(١١) ب، ز: قصه. وكتب على هامش ز: عله: نصه.

(١٢) أبو العباس وهب بن جرير حافظ بصري توفي سنة ٢٠٦ هـ/٨٢١ م

(١٣) أبو النضر جرير بن حازم محدث بصري توفي سنة ١٠٧ هـ/٧٢٥ م.

(١٤) د: اجتمع.

(١٥) ب، ج، ز: - على.

(١٦) عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق توفي سنة ٥٣ هـ/٦٧٢ م بمكة.

(١٧) ج: - فقال.

(١٨) ج: تكرر: فحمد الله.

(١) كذا في جميع النسخ. واقترح ابن باديس: أن يكون: وما أنتم (جـ ٢

ص ١٥٦).

(٢) د: - فما لكم لا تسمعون.

(٣) د: أنه.

(٤) ب، ج، ز: - إليه.

(٥) ب: يثق.

(٦) د: أحد.

(٧) ج، ز: فيها. د: فيه.

(٨) د: فيه.

(٩) ب، ج، ز: المصمم.

(١٠) ب، ج، ز: قد.

فإنه قد كانت قبلك خلفاء^(١) [و ١١٥ ب] لهم أبناء، ليس ابنك بخير^(٢) منهم، فلم يروا في أبنائهم، ما رأيت في ابنك، ولكنهم اختاروا للمسلمين حيث علموا الخير، وإنك تحذرنى أن أشق عصا المسلمين، ولم أكن لأفعل، إنما أنا رجل من المسلمين، فإذا اجتمعوا على أمر^(٣)، فإنما أنا واحد^(٤) منهم، فخرج ابن عمر، وأرسل إلى عبدالرحمن بن أبي بكر، فتشهد، ثم أخذ في الكلام، فقطع عليه كلامه، فقال: إنك والله لوددت أنا وكلناك في أمر ابنك إلى الله، وأنا والله لا نفعل، والله لتردن هذا الأمر شورى في المسلمين أو لتفررنها^(٥) عليك جذعة^(٦) ثم وثب فقام. فقال معاوية: اللهم اكفيه^(٧) بما شئت. ثم قال: على رسلك أيها الرجل، لا تشرفن على أهل^(٨) الشام فإني أخاف أن يسبقوني بنفسك، حتى أخبر العشيبة أنك قد بايعت ثم كن بعد^(٩)، على ما بدا لك من أمرك. ثم أرسل إلى ابن الزبير فقال: يا ابن الزبير، إنما أنت ثعلب رواغ، كلما خرج من جحر دخل في آخر، وإنك عمدت إلى هذين الرجلين، فنزخت في مناخرهما. فقال ابن الزبير: إن كنت قد مللت الإمارة فاعتزلها، وهلم ابنك فلنبايعه. أرأيت إذا بايعنا ابنك معك، لأيكما نسمع، لأيكما نطيع، لا تجتمع البيعة لكما أبداً. ثم قال. فخرج معاوية فصعد المنبر فقال: إنا وجدنا أحاديث الناس ذوات عوار^(١٠)، زعموا^(١١) أن ابن عمر، وابن الزبير، وابن أبي بكر، لم يبايعوا يزيد^(١٢). قد سمعوا، وأطاعوا، وبايعوا له. فقال أهل الشام: لا والله لا نرضى حتى يبايعوا على رؤوس

-
- (١) ج: خلقا.
(٢) ج: بخيره. ز: بخيره.
(٣) ب: في الهاشم: في نسخة: رجل.
(٤) د: رجل.
(٥) ج، ز: لتفررنها. د: لتفررنها.
يقال: فر فلان الدابة إذا كشف عن أسنانها لمعرفة سنّها. وفر عن الأمر كشف عنه. ويقال: عينه فواره: مثل يضرب لمن يدل ظاهره على باطنه (القاموس المحيط).
(٦) د: خدعة.
(٧) ب، ج، ز: اكفّفه.
(٨) ب: لأهل.
(٩) ب، ج، ز: + ذلك. وفي هامش ب: في نسخة: على ما بدا لك.
(١٠) ج: أعوار.
(١١) ب، ج، ز: وزعموا.
(١٢) د: يزيدا.

الأشهاد، وإلا ضربنا أعناقهم. فقال: سبحان الله! ما أسرع الناس إلى قریش بالشر^(١). لا أسمع هذه المقالة من أحد بعد اليوم. ثم نزل، فقال: [١١٦ أ] الناس: بايعوا، ويقولون هم لم^(٢) نبايع، ويقول الناس قد بايعتم. وروى وهب من طريق أخرى^(٣) قال: خطب معاوية، فذكر ابن عمر وقال^(٤): والله ليبايعن أو لأقتلنه، فخرج عبدالله بن عبدالله بن عمر^(٥) إلى أبيه، وسار^(٦) إلى مكة ثلاثاً وأخبره، فبكى ابن عمر، فبلغ الخبر إلى عبدالله بن صفوان^(٧)، فدخل على ابن عمر فقال: أخطب هذا بكذا؟^(٨) قال: نعم. قال^(٩): فما تريد؟ أتريد قتاله؟ قال: يا ابن صفوان الصبر خير من ذلك. فقال ابن صفوان: والله^(١٠) لئن أراد ذلك لأقاتلنه^(١١). فقدم معاوية مكة فنزل ذا^(١٢) طوى، وخرج إليه عبدالله بن صفوان فقال: أنت الذي تزعم أنك تقتل ابن عمر إن لم يبايع لابنك؟ قال: أنا أقتل ابن عمر؟ إني والله لا أقتله. وروى وهب من طريق ثالثة^(١٣) قال: إن معاوية لما راح عن بطن مر^(١٤) قاصداً إلى مكة قال لصاحب حرسه: لا تدع أحداً يسير معي إلا من حملته، فخرج يسير وحده، حتى إذا كان وسط الأراك، لقيه الحسين بن علي، فوقف وقال: مرحباً وأهلاً بابن بنت رسول الله^(١٥)، سيد شباب المسلمين. دابة لأبي عبدالله يركبها، فأتي ببرذون فتحول عليه، ثم طلع عبدالرحمن ابن أبي بكر، فقال: مرحباً وأهلاً بابن شيخ قریش، وسيدهم، وابن صديق هذه الأمة. دابة لأبي محمد يركبها، فأتي ببرذون فركبه. ثم طلع

-
- (١) د: ما أسرع الناس بالسوء إلى قریش.
(٢) ج: لي. ز: لن.
(٣) ب، ج، ز: آخر.
(٤) ب: فقال.
(٥) ج: - ابن عمر.
(٦) د: صار.
(٧) عبدالله بن صفوان بن أمية. قتل مع ابن الزبير سنة ٧٣ هـ / ٦٩٢ م.
(٨) ج: بكلام. وفي هامش ز: في نسخة: بكلام.
(٩) ج، ز: - قال.
(١٠) ج: - والله.
(١١) ج: لأقتلنه.
(١٢) ب: ذات. ج، ز: دار.
(١٣) ب، ج، ز: ثالث.
(١٤) ج، ز: فر.
(١٥) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم.

ابن عمر فقال: مرحباً وأهلاً بصاحب رسول الله^(١)، وابن الفاروق، وسيد المسلمين، ودعا له بداية فركبها، ثم طلع ابن الزبير فقال: مرحباً وأهلاً بابن حواري رسول الله^(٢) وابن الصديق، وابن عمه رسول الله^(٣)، ودعا له بداية فركبها. ثم أقبل يسير بينهم، لا يسايره غيرهم حتى دخل مكة [و ١١٦ ب] ثم كانوا أول داخل، وآخر خارج، ليس في الأرض صباح إلا لهم فيه حياء^(٤) وكرامة، لا يعرض لهم بذكر شيء مما هو فيه، حتى قضى نسكه، وترحلت أثقاله، وقرب مسيره إلى الشام، وأنيخت^(٥) رواحله، فأقبل بعض القوم على بعض فقالوا: أيها القوم لا تتحدعوا، إنه^(٦) والله ما صنع هذا بكم لحبكم ولا لكرامتكم وما^(٧) صنعه إلا لما يريد، فاعدوا له جواباً، وأقبلوا على الحسين، فقالوا^(٨): أنت يا أبا عبدالله. قال: وفيكم شيخ قريش وسيدها، وهو^(٩) أحق بالكلام. فقالوا: أنت يا أبا محمد لعبدالرحمن بن أبي بكر، فقال: (لست هناك، وفيكم صاحب رسول الله^(١٠))، وابن سيد المسلمين^(١١) - يعني ابن عمر - فقالوا لابن عمر: أنت. فقال: لست بصاحبكم، ولكن ولوا الكلام ابن الزبير يكفكم^(١٢). قالوا: أنت يا ابن الزبير. قال: نعم. إن أعطيتموني عهدكم، ومواثيقكم أن لا تخالفوني كفيتكم الرجل. قالوا^(١٣): فلك ذلك. فخرج الأذن فأذن لهم، فدخلوا، فتكلم معاوية فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: لقد علمتم سيرتي فيكم، وصلتي لأرحامكم، وصفحني عنكم، وحلي^(١٤) لما يكون منكم، ويزيد ابن أمير المؤمنين أخوكم، وابن عمكم، وأحسن الناس لكم رأياً، وإنما أردت أن تقدموه باسم الخلافة وتكونوا^(١٥) أنتم الذين تنزعون، وتأمرون، وتحبون،

- | | |
|------------------------------------|-------------------------------------|
| (١) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. | (٩) ب، ج، ز: وهذا. |
| (٢) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. | (١٠) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. |
| (٣) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. | |
| (٤) ج: صياء. د: حياء. | (١١) ج، ز: - ما بين القوسين. |
| (٥) ج، ز: أنيحت. | (١٢) ج، د، ز: يكفكم. |
| (٦) د: فإنه. | (١٣) د: فقالوا. |
| (٧) ب، ج، ز: ولا. | (١٤) ج، ز: أو حلي. |
| (٨) د: وقالوا. | (١٥) د: تكونون. |

وتقسمون، لا يدخل عليكم في شيء من ذلك. فسكت القوم، فقال: ألا تحبونني؟ فسكت القوم^(١). فقال: ألا تحبونني؟ فسكتوا^(٢). فأقبل على ابن الزبير، فقال: هات يا ابن الزبير، فإنك لعمرى صاحب خطبة القوم، فقال: نعم يا أمير المؤمنين أخبرك بين ثلاث خصال أيها أخذت فهي لك رغبة. قال: لله أبوك أعرضهم^(٣). قال: إن شئت صنعت ما صنع [و ١١٧ أ] رسول الله^(٤)، وإن شئت صنعت ما صنع أبو بكر، فهو خير هذه الأمة بعد رسول الله^(٥)، وإن شئت صنعت ما صنع عمر فهو خير هذه الأمة بعد أبي بكر. قال: لله أبوك، وما صنعوا؟ قال: قبض رسول الله^(٦) ولم^(٧) يستخلف أحداً، فارتضى المسلمون أبا بكر، فإن شئت أن تدع أمر هذه الأمة حتى يقضي الله فيه^(٨) قضاءه، فيختار^(٩) المسلمون لأنفسهم. فقال إليه^(١٠): ليس فيكم اليوم مثل أبي بكر، وإني لا آمن عليكم الاختلاف. قال: فاصنع كما صنع أبو بكر، عهد إلى رجل من قاصية قریش ليس من بني أبيه^(١١) فاستخلفه. قال: لله أبوك الثالثة. قال: تصنع ما صنع عمر، جعل الأمور شورى في ستة نفر من قریش ليس أحد منهم من ولد أبيه. قال: هل عندكم غير هذا؟ قال: لا. قال: فأنتم؟ قالوا: ونحن أيضاً. قال: أما لا، فإني أحببت أن أتقدم إليكم، أنه قد أعذر من أنذر، وأنه قد^(١٢) كان يقوم القائم منكم^(١٣) إلي فيكذبني على رؤوس الناس، فأحتمل له ذلك. وإني قائم بمقالة، فإن صدقت فلي صدقي، وإن كذبت فعلي كذبي. وإني أقسم بالله لكم لئن رد عليّ إنسان منكم لا ترجع إليه كلمته حتى يسبق إلي^(١٤) رأسه. ثم دعا

- | | |
|------------------------------------|-------------------------------|
| (١) د: فسكتوا. | (٨) ب، ج، ز: فلم. |
| (٢) تحبون. | (٩) ب، ج، ز: فيها. وفي هامش ب |
| (٣) د: - فقال ألا تحبونني فسكتوا. | في نسخة: فيه. |
| (٤) كذا في جميع النسخ. واقترح | (١٠) ج، ز: فتختار. |
| عبد الدين: اعرضهن (ص ١٦٢). | (١١) د: له. |
| (٥) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. | (١٢) ج، ز: أمية. |
| (٦) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. | (١٣) ب، ج، ز: - قد. |
| (٧) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. | (١٤) ج، ز: منكم القائم. |
| (٨) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. | (١٥) ج: إليه. |

صاحب^(١) حرسه فقال: أقم على رأس^(٢) كل رجل^(٣) من هؤلاء رجلين من حرسك فإن ذهب رجل^(٤) يرد على كلمة بصدق أو كذب فليضرباه بسيفهما. ثم خرج، وخرجوا معه حتى رقي المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: إن هؤلاء الرهط، سادة المسلمين وخيارهم، لا يستبد بأمر دونهم، ولا يقضي أمر^(٥) إلا عن مشورتهم، وإنهم قد^(٦) ارتضوا^(٧) وبايعوا ليزيد بن أمير المؤمنين من بعده، فبايعوا اسم الله، فضربوا على يده^(٨)، ثم جلس على راحلته [و ١١٧ ب]، وانصرف فلقبهم^(٩) الناس، فقالوا: زعمتم وزعمتم، فلما أَرْضِيتُمْ، وحبِيتُمْ، فعلتم. قالوا: إنا والله ما فعلنا. قال: فما منعكم أن تردوا على الرجل إذ كذب^(١٠)؟ ثم بايع أهل المدينة والناس، ثم خرج إلى الشام.

قال القاضي أبو بكر^(١١) رضي الله عنه: لساننا ننكر^(١٢) ولا تبلغ^(١٣) بنا الجهالة، ولا لنا في الحق حمية جاهلية، ولا نطوي على غل لأحد من أصحاب محمد^(١٤)، بل نقول: ﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ [الحشر: ١٠] إلى أن^(١٥) نقول^(١٦): إن معاوية ترك الأفضل في أن يجعلها

(١٢) ب، ج، ز: ننظم. في هامش ب،

ز: في نسخة: ننكر. ز: في

الهامش: في نسخة: + ولا نلعب.

(١٣) ب: في الهامش: في نسخة:

بلغت.

(١٤) ب، ج، ز: + صلى الله عليه

وسلم.

(١٥) كذا في جميع النسخ. غير أن

عبد الدين كتبها. إلا أنا. ولعل

الصواب. إلا أن تقول. بدليل رواية

نسخة د في: تقول.

(١٦) د: تقول. ولعله: إلا أن تقول.

(١) ب: بصاحب.

(٢) ب، ج، ز: - رأس.

(٣) د: واحد.

(٤) د: إلى.

(٥) ب، ج، ز: نقضي أمراً.

(٦) ب، ج، ز: - قد.

(٧) د: رضوا.

(٨) د: يديه.

(٩) ب، ج: فلقبهم.

(١٠) ج، ز: كذبه.

(١١) د: ابن العربي.

شورى، ولا يخص بها أحداً^(١) من قرابته، فكيف ولدا؟ وأن يقتدي بما أشار به عبدالله بن الزبير في الترك أو الفعل^(٢)، فعدل إلى ولاية ابنه، وعقد له البيعة، وبايعه الناس، وتحلف عنها من تحلف، فانعقدت البيعة شرعاً، لأنها تنعقد بواحد^(٣)، وقيل^(٤) باثنين. فإن قيل: لمن فيه شروط^(٥) الإمامة. قلنا: ليس السن من شروطها ولم يثبت أنه يقصر يزيد عنها. فإن^(٦) قيل: كان منها العدالة والعلم، ولم يكن يزيد عدلاً ولا علماً. قلنا: وبأي شيء نعلم^(٧) عدم علمه، أو عدم عدالته؟ ولو كان مسلوبها لذكر ذلك الثلاثة الفضلاء الذين أشاروا عليه بأن لا يفعل، وإنما رموا الأمر بعيب التحكم، وأرادوا أن تكون شورى. فإن قيل: كان هنالك من هو أحق منه عدالة وعلماً، منهم^(٨) مائة، وربما ألف. قلنا: إمامة المفضول كما قدمنا مسألة خلاف بين العلماء على ما^(٩) ذكر^(١٠) العلماء في موضعه، وقد حسم البخاري [و ١١٨ أ] الباب. ونهج جادة الصواب فروى في صحيحه ما يبطل جميع هذا المتقدم. وهو أن معاوية خطب وابن عمر حاضر في خطبته فيما رواه البخاري عن عكرمة بن خالد^(١١) عن ابن عمر قال: دخلت على حفصة ونوساتها^(١٢) تنطف^(١٣) قلت: قد كان من أمر الناس ما ترين فلم يجعل لي من الأمر شيء. فقالت: ألحق فإنهم ينتظرونك، وأخشى أن يكون في احتباسك عنهم فرقة. فلم تدعه حتى ذهب، فلما تفرق الناس خطب معاوية فقال: من كان^(١٤) يريد أن يتكلم في هذا الأمر، فليطلع لنا قرنه، فلنحن أحق به منه، ومن أبيه. قال حبيب بن مسلمة^(١٥): فهلا أجبته؟ قال عبدالله: فحللت جبوتي، وهمت أن أقول: أحق

(١١) عكرمة بن خالد بن العاص بن

هشام بن المغيرة... لا يعرف تاريخ

وفاته فيما نعلم.

(١٢) ذوات. من ونوس. أي تتحرك.

ج: ز: نوساتها.

(١٣) أي تقطر.

(١٤) ج: - كان.

(١٥) حبيب بن مسلمة بن مالك الأكبر

توفي بالشام أو أرمينية سنة

٤٢ هـ / ٦٦٢ م.

(١) ج: أحد.

(٢) ج، د: العدل.

(٣) ج: - بواحد.

(٤) د: + تنعقد.

(٥) ب: شرط.

(٦) ب، د: - فإن.

(٧) د: يعلم.

(٨) د: نعم.

(٩) ب: كما.

(١٠) د: ذكره.

بهذا الأمر منك. من قاتلك وأباك على الإسلام، فخشيت أن أقول كلمة تفرق الجمع، وتسفك الدم، وتحمل عني غير ذلك، فذكرت ما أعد الله في الجنان فقال^(١): حفظت وعصمت. وروى البخاري أن أهل المدينة لما خلعوا يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده، وقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة» وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله، وإني لا أعلم غدرًا أعظم من أن نبايع رجلاً على بيع الله ورسوله، ثم نصب^(٢) له القتال، وإني لا أعلم أحداً منكم خلعه ولا بايعه^(٣) في هذا الأمر، إلا كانت الفيل ببيني وبينه. فانظروا معشر المسلمين إلى ما روى البخاري في الصحيح، وإلى ما سبق ذكرنا له من رواية بعضهم أن عبدالله بن عمر لم يبايع، وأن معاوية كذب، وقال: قد بايع، ووكل به، من أمره^(٤) بضرب عنقه إن كذبه. وهو [و ١١٨ ب] قد قال في رواية البخاري: قد بايعناه على بيع الله ورسوله، وما بينهما من التعارض، وخذوا لأنفسكم بالأرجح، في طلب السلامة، والخلاص من بين الصحابة والتابعين. فلا تكونوا ولم تشاهدوهم، وقد عصمكم الله من فتنهم، ممن^(٥) دخل بلسانه في دمائهم، فبلغ فيها ولوغ الكلب بقية الدم على الأرض بعد رفع الفريسة بلحمها، لم يلحق^(٦) الكلب منها إلا بقية دم سقط على الأرض. وروى الثبت العدل عن عبدالرحمن بن مهدي^(٧) عن سفيان^(٨) عن محمد بن المنكدر^(٩) قال: قال ابن عمر - حين بويع يزيد -: إن كان خيراً

(٧) أبو سعيد عبدالرحمن بن مهدي

البصري أحد محدثي العراق. توفي

سنة ١٩٨ هـ / ٨١٣ م.

(٨) سفيان الثوري أبو عبدالله. توفي سنة

١٦١ هـ / ٧٧٧ م. وهو فقيه كوفي.

(٩) محمد بن المنكدر التميمي الزاهد من

حفاظ أهل المدينة. توفي سنة

١٣٠ هـ / ٧٤٧ م.

(١) د: قال.

(٢) ج: تنصب.

(٣) ب، ج، ز: بايع.

(٤) ب، ج، ز: - ووكل به من أمره.

وفي هامش ب، ج، ز: في نسخة:

ووكل به من أمره. ب، ج، ز: +

وتقدم إلى حرسه يأمره.

(٥) د: فمن.

(٦) د: تلحق.

رضينا^(١)، وإن كان شراً^(٢) صبرنا.

وثبت عن حميد بن عبد الرحمن^(٣) قال: دخلنا على رجل من أصحاب رسول الله ﷺ حين استخلف يزيد بن معاوية فقال: تقولون^(٤): إن يزيد بن معاوية ليس بخير أمة محمد، لا^(٥) أفقهها فيها فقهاً، ولا أعظمها فيها شرفاً، وأنا أقول ذلك، ولكن والله لئن تجتمع أمة محمد أحب إلي من أن تفترق، رأيتم^(٦) باباً دخل فيه أمة محمد ووسعهم، أكان يعجز عن رجل واحد لو كان^(٧) دخل فيه؟ قلنا: لا. قال: رأيتم لو أن أمة محمد قال كل^(٨) رجل^(٩) منهم: لا أريق دم أخي، ولا آخذ ماله، أكان^(١٠) هذا يسعهم؟ قلنا: نعم. قال: فذلك ما أقول لكم. ثم قال^(١١): قال رسول الله ﷺ: «لا يأتيك من الحياء إلا خير».

فهذه الأخبار الصحاح كلها تعطيك أن ابن عمر كان مسلماً في أمة^(١٢) يزيد، وأنه بايع، وعقد له، والتزم ما التزم الناس، ودخل فيما دخل فيه^(١٣) المسلمون، وحرم على نفسه، ومن إليه بعد ذلك، أن يخرج على^(١٤) هذا أو ينقضه، وظهر لك أن قول من قال: إن معاوية كذب في قوله: بايع ابن عمر، ولم يبايع، وإن ابن عمر وأصحابه سئلوا فقالوا: لم نبايع، فقد كذب^(١٥). وقد^(١٦) صدق البخاري في روايته [و ١١٩ أ] قول معاوية على المنبر: إن ابن عمر قد بايع بإقرار ابن عمر بذلك، وتسليمه له، وتماديه عليه. فأبي الفريقين أحق بالصدق إن كنتم تعلمون؟ الفريق الذي فيه

-
- | | |
|--|-------------------------------------|
| (١) ج: + به. وفي هامش ز: في نسخة: به. د: خير رضينا. | (٧) د: - كان. |
| (٢) د: بلاء. وفي هامش ز: في نسخة: بلاء. | (٨) ب، د: كان. |
| (٣) حميد بن عبد الرحمن الرؤاس الكوفي من محدثي الكوفة. توفي سنة ١٩٠ هـ / ٨٠٥ م. | (٩) ب، ز: في الهامش: في نسخة: واحد. |
| (٤) د: يقولون. | (١٠) د: أن كان. |
| (٥) ج: ولا. | (١١) ب، ج، ز: - قال. |
| (٦) ج، ز: آراؤهم. | (١٢) ب، ج، ز: أمر. |
| | (١٣) ب: فيه. |
| | (١٤) د: عن. |
| | (١٥) د: - فقد كذب. |
| | (١٦) ب، ج، ز: فقد. |

البخاري أو الذي فيه غيره؟ فخذوا لأنفسكم بالأحزم والأصح، أو استكتوا عن الكل، والله يتولى توفيقكم وحفظكم^(١).

والصاحب الذي كفى عنه حميد بن عبد الرحمن هو ابن عمر، والله أعلم. وإن كان غيره فقد أجمع^(٢) رجلان عظيمان على هذه المقالة، وهي تعضد ما^(٣) أصلناه لكم من أن ولاية الفضول نافذة، وإن كان هنالك من هو أفضل منه إذا عقدت له، وإلى حلها^(٤) وطلب الأفضل من استباحة ما لا يباح، وتشتيت الكلمة، وتفريق أمر الأمة. فإن قيل: كان يزيد خواراً. قلنا: لا حد^(٥) إلا بشاهدين. فمن شهد بذلك عليه؟ بل شهد العدول^(٦) بعدالته، فروى^(٧) يحيى بن بكير^(٨) عن^(٩) الليث بن سعد^(١٠)، قال الليث: توفي أمير المؤمنين يزيد في تاريخ كذا، فسماه الليث أمير المؤمنين^(١١) بعد ذهاب ملكهم وانقراض دولتهم، ولولا كونه عنده كذلك ما قال إلا توفي يزيد. فإن قيل: لو^(١٢) لم يكن ليزيد إلا قتله للحسين^(١٣) بن علي. قلنا: يا أسفي على المصائب مرة، ويا أسفي على مصيبة الحسين ألف مرة! بوله^(١٤) يجري على صدر النبي^(١٥) فلا يغسل^(١٦)، ودمه يراق على البوغاء ولا يحقن، يا لله! ويا

- | | |
|------------------------------------|-------------------------------------|
| (١) ج، ز: + أمين. | (١١) ب، ز: كتب على الهامش: قال |
| (٢) د: اجتمع. | ابن أبي الفرات في تاريخه: كنت عند |
| (٣) د: بما. | عمر بن عبد العزيز فذكر رجل يزيد |
| (٤) ب: أو. | فقال: أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، |
| (٥) ب، ج، ز: يحل. | فقال: قال أمير المؤمنين. وأمر بضربه |
| (٦) ب، ج، ز: العدل. | عشرين سوطاً. انتهى. نقله عنه |
| (٧) د: قرأ. | الشيخ البناي في شرحه للسيرة |
| (٨) يحيى بن بكير أو بكسر التميمي | الكلاعية فاعرفه. |
| السياسي: توفي سنة | (١٢) ب، ج، ز: ولو. |
| ٢٢٦ هـ / ٨٤٠ م. روى عن مالك | (١٣) د: قتلة الحسين. |
| والليث. | (١٤) ب، ج، ز: بولهم. |
| (٩) د: على. | (١٥) ب، ج، ز: + صلى الله عليه |
| (١٠) شيخ الديار المصرية أبو الحارث | وسلم. |
| الليث بن سعد الفقيه. توفي سنة | (١٦) ب، ج، ز: - فلا يغسل. |
| ١٧٥ هـ / ٧٩١ م. | |

للمسلمين! وإن أمثل ما روي فيه أن يزيد كتب إلى الوليد بن عقبة يعني له معاوية، ويأمره أن يأخذ له البيعة على أهل المدينة - وقد كانت تقدمت - فدعا مروان فأخبره^(١)، وقال^(٢): أرسل إلى الحسين بن علي، وابن الزبير فإن بايعوا وإلا فاضرب أعناقهم. قال: سبحان الله تقتل^(٣) الحسين بن علي وابن الزبير، قال: هو ما أقول لك. فأرسل إليهما، فأتاه ابن الزبير فعنى له معاوية، وسأله البيعة [و ١١٩ ب] فقال: ومثلي يبايع ها هنا، ارق المنبر، أبايعك وأنا^(٤) مع الناس علانية فوثب مروان وقال: اضرب عنقه. فإنه صاحب فتنة وشر. فقال: وإنك^(٥) هنالك^(٦) يا ابن الزرقاء؟ واستبأ. فقال الوليد: أخرجهما^(٧) عني. وأرسل إلى الحسين ولم يكلمه بكلمة^(٨) في شيء وخرجا من عنده وجعل الوليد عليهما الرصد، فلما دنا الصبح خرجا مسرعين إلى مكة فالتقيا بها فقال له ابن الزبير: ما يمنعك من شيعتك، وشيعة أبيك؟ فوالله لو أن لي مثلهم لذهبت إليهم. فهذا ما صح.

وذكر المؤرخون أن كتب أهل الكوفة وردت على الحسين وأنه أرسل مسلم بن عقيل^(٩) ابن^(١٠) عمه إليهم ليأخذ عليهم البيعة^(١١) وينظر هو في أتباعه، فنهاه ابن عباس، وأعلمه أنهم خذلوا أباه وأخاه، وأشار عليه ابن الزبير بالخروج، فخرج، فلم يبلغ الكوفة إلا ومسلم بن^(١٢) عقيل قد قتل، وأسلمه من كان استدعاه ويكفيك بهذا عظة لمن اتعظ فتمادى واستمر غضباً للدين وقياماً بالحق. ولكنه رضي الله عنه لم يقبل نصيحة أعلم أهل زمانه ابن عباس، وعدل عن رأي شيخ الصحابة ابن عمر، وطلب الابتداء في

-
- (١) ج: - فأخبره. (٢) د: فقال. (٣) د: يقتل. (٤) كتبها حب الدين: وأنا أبايع مع الناس (ص ٢٢٩). ولا ميرر لذلك. (٥) ب، ج، ز: فإنك. (٦) د: هناك. (٧) ب، د، ز: أخرجاهما. وكتب. (٨) د: - بكلمة. (٩) مسلم بن عقيل بن أبي طالب استشهد في كربلاء سنة ٦٢ هـ / ٦٨١ م. د: ابن أبي عقيل. (١٠) د: - عمه. (١١) د: البيعة عليه. (١٢) د: ابن أبي عقيل.

الانتهاء، والاستقامة^(١) من أهل^(٢) الاعوجاج، ونضارة الشبية^(٣) في هشيم المشيخة، ليس حوله مثله، ولا له من الأنصار ما يرعى حقه، ولا من يبذل نفسه دونه، فأردنا أن نظهر الأرض من خمر يزيد، فأرقنا دم الحسين، فجاءتنا مصيبة لا يجبرها سرور الدهر، وما خرج إليه أحد إلا بتأويل، ولا قاتلوه^(٤) إلا بما سمعوا من جده المهيمن على الرسل، المخبر بفساد الحال، المحذر عن الدخول في الفتن، وأقواله في ذلك كثيرة منها: [ما روى مسلم عن زياد بن علاقة^(٥)، عن عرفة بن شريح^(٦)] قوله^(٧) صلى [و ١٢٠ أ] الله عليه وسلم: «إنها ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان» فما خرج الناس إلا بهذا وأمثاله^(٨). ولو أن عظيمها وابن عظيمها، وشريفها وابن شريفها، الحسين يسعه بيته، أو ضيعته، أو إبله، ولو جاء الخلق يطلبونه ليقوم بالحق^(٩) وفي جملتهم ابن عباس وابن عمر لم يلتفت إليهم، وحضره ما أنذر به النبي ﷺ^(١٠)، وما قال في أخيه، ورأى أنها^(١١) قد خرجت عن أخيه، ومعه جيوش الأرض، وكبار الخلق يطلبونه^(١٢)، فكيف ترجع^(١٣) إليه بأوباش الكوفة وكبار الصحابة ينهونه، وينأون عنه؟ ما أدري ما هذا^(١٤) إلا التسليم لقضاء الله، والحزن على ابن رسول الله ﷺ^(١٥) بقية الدهر. ولولا معرفة أشياخ الصحابة^(١٦) وأعيان الأمة

-
- (١) ب، ج، ز: بالاستقامة.
(٢) ب: - من أهل. + في. وكتبها
عبد الدين: والاستقامة في
الاعوجاج (ص ٢٣٢).
(٣) ج: الشيب.
(٤) ب، ج، ز: قاتله.
(٥) زياد بن علاقة وكنيته أبو مالك توفي
في ولاية خالد القسري أي قبل
١٢٦ هـ / ٧٤٣ م، (طبقات
خليفة بن خياط، ص ١٥٩).
(٦) لم نعثر له على ترجمة.
(٧) ب: - الصحابة.
(٨) ب، ج، ز: - ما بين القوسين.
(٩) ز: كتب على الهامش: قف على هذا
الكلام وما بعده فقد أنكره العلماء
على ابن العربي.
(٩) د: - و.
(١٠) د: - صلى الله عليه وسلم.
(١١) أي الخلافة.
(١٢) د: - يطلبونه.
(١٣) ج، ز: يرجع.
(١٤) د: مثاي.
(١٥) ج، د: - صلى الله عليه وسلم.
(١٦) ب: - الصحابة.

بأنه أمر صرغه الله عن أهل البيت، وحال من الفتنة، لا ينبغي لأحد أن يدخلها، ما أسلموه أبداً.

وهذا أحمد بن حنبل على نقشه، وعظيم منزلته في الدين، وورعه قد أدخل عن يزيد بن معاوية في كتاب الزهد^(١) أنه كان يقول في خطبته: إذا مرض أحدكم مرضاً فابتلي^(٢)، ثم تمائل، فلينظر إلى أفضل عمل عنده فليلزمه، ولينظر إلى أسوأ عمل عنده فليدعه. وهذا يدل على عظيم منزلته عنده، حتى يدخله في جملة الزهاد من الصحابة والتابعين الذين يقتدى بقولهم، وسرعوى من وعظهم، ونعم!^(٣) وما أدخله إلا في جملة ذكر الصحابة، قبل^(٤) أن يخرج إلى ذكر التابعين. فأين هذا من ذكر المؤرخين له، في الخمر^(٥) وأنواع الفجور؟ ألا يستحيون^(٦) فإذا سلبهم الله المروءة^(٧) والحياء. ألا ترعون أنتم، وتزدجرون، وتقتدون بالأخبار والرهبان من فضلاء الأمة، وترفضون الملحدة، والمجان، من المنتمين إلى الملة؟ هذا بيان للناس، وهدى، وموعظة للمتقين، والحمد لله رب العالمين.

وانظروا^(٨) إلى ابن الزبير [و ١٢٠ ب] بعد ذلك، وما دخل فيه من البيعة له بمكة والأرض كلها عليه. وانظروا^(٩) إلى ابن عباس وعقله، وإقباله على أمر نفسه. وانظروا^(١٠) إلى ابن عمر، وسنه، وتسليمه للدنيا، ونبذه لها. ولو كان للقيام وجه، لكان الأولى^(١١) بذلك عبدالله بن عباس، فإن ولدي أخيه عبيدالله^(١٢) قد ذكر أنهما قتلا ظلماً، ولكن رأى بعقله أن دم عثمان لم يخلص إليه، فكيف بدم ولدي عبيدالله. وأن الأمر راهق^(١٣)، قد خرجا عنه^(١٤)

-
- | | |
|-------------------------|---------------------------------------|
| (١) د: - في كتاب الزهد. | (٨) د: انظر. |
| (٢) ب، ج، ز: ثم أشقى. | (٩) د: انظر. |
| (٣) ج، ز: لعمري. | (١٠) د: انظر. |
| (٤) د: بعد. | (١١) ب، ج، ز: أولى. |
| (٥) ب، ج، ز: الخمر. | (١٢) عبيدالله بن عمر بن الخطاب قتل في |
| (٦) ب، ج، ز: تستحيون. | صقن ٣٨ هـ / ٦٥٨ م. |
| (٧) د: - المروءة. | (١٣) د: زاهق. |
| | (١٤) د: قد خرجاه. |

حفظاً للأصل، وهو اجتماع أمر^(١) الأمة، وحقن دمائها، وائتلاف كلمتها، ودع الأمر يتولاه أسود مجدع حسباً أمر به صاحب الشرع، صلوات الله عليه وسلامه^(٢) وكل منهم عظيم القدر، مجتهد فيما دخل فيه^(٣)، مصيب مأجور. والله فيهم حكم في الدنيا^(٤) قد^(٥) أنفذه، وحكم في الآخرة قد أحكمه وفرغ منه. فاقدرُوا هذه^(٦) الأمور مقاديرها، وانظروا بمقابلها به ابن عباس وابن عمر^(٧) فقابلوها، ولا تكونوا^(٨) من السفهاء الذين يرسلون ألسنتهم وأقلامهم بما لا فائدة لهم فيه^(٩)، ولا يغني من الله، ولا من دنياهم شيئاً عنهم، وانظروا إلى الأئمة الأخيار، وفقهاء الأمصار، هل أقبلوا على هذه الخرافات، و^(١٠) تكلموا في مثل هذه الحماقات؟ بل علموا أنها عصبية^(١١) جاهلية، وحية باطلية^(١٢)، لا تفيد إلا قطع الجبل بين الخلق، وتشتيت الشمل، واختلاف الأهواء. وقد كان ما كان، وقال الإخباريون^(١٣) ما قالوا، فإما سكوت وإما^(١٤) اقتداء بأهل العلم، وطرح لسخافات^(١٥) المؤرخين والأدباء والله يكمل علينا وعليكم النعماء برحمته.

نكتة:

وعجباً لاستكثار^(١٦) الناس ولاية بني^(١٧) أمية، وأول من^(١٨) عقد لهم الولاية رسول الله ﷺ^(١٩)، فإنه ولي يوم الفتح عتاب^(٢٠) بن أسيد بن أبي

- | | |
|---------------------------|-------------------------------|
| (١) د: - أمر. | (١٢) ب. ج، ز: باطللة. |
| (٢) د: - وسلامه. | (١٣) ج: الإخباريون. |
| (٣) د: - فيه. | (١٤) د: - ولا. |
| (٤) ب، ج، ز: - في الدنيا. | (١٥) ج: السخافات. |
| (٥) د: فقد. | (١٦) ب، ج، ز: لاستكثار. |
| (٦) د: لهذه. | (١٧) د: ببني. |
| (٧) د: ابن عمر وابن عباس. | (١٨) ج: ما. |
| (٨) د: تكون. | (١٩) د: - صلى الله عليه وسلم. |
| (٩) د: فيه لهم. | (٢٠) ب: عثمان. وهو غلط. وتوفي |
| (١٠) د: أو. | عتاب بن أسيد أمير مكة سنة |
| (١١) ج، ز: عصبية. | ١٣ هـ / ٦٣٤ م وهو شاب. |

العيص^(١) بن أمية [و ١٢١ أ]، مكة حرم الله، وخير بلاده، وهو فتي السن قد أبقل^(٢) أو لم يبقل واستكتب معاوية بن أبي سفيان أميناً على وحيه. ثم ولى أبو بكر، يزيد^(٣) بن أبي سفيان - أخاه^(٤) - الشام، وما زالوا بعد ذلك يتوَقَّلون^(٥) في سبيل المجد، ويترقون في درج العز، حتى انتهتهم^(٦) الأيام إلى منازل الكرام. وقد روى الناس أحاديث فيهم لا أصل لها، منها حديث رؤية النبي بني أمية ينزون على منبره كالقردة، فعز ذلك^(٧) عليه فأعطي ليلة القدر، خير من ألف شهر، يملكها بنو^(٨) أمية بعده^(٩). ولو كان هذا صحيحاً، ما استفتح الحال بولايتهم، ولا مكن لهم في الأرض بأفضل بقاعها وهي مكة. وهذا أصل يجب أن تشدوا^(١٠) عليه اليد.

فإن قيل: أحدث معاوية في الإسلام الحكم بالباطل، والقضاء بما لا يحل من استلحاق زياد. قلنا: قد بينا في غير موضع أن استلحاق زياد، إنما كان لأشياء^(١١) صحيحة، وعمل مستقيم، نبينه بعد ذكر أمثل^(١٢) ما ادعى فيه المدعون، من الانحراف عن الاستقامة. إذ لا سبيل إلى تحصيل باطلهم، لأن خرق الباطل لا يرقع، ولسانه أعظم منه فكيف به^(١٣) لا يقطع.

قالوا: كان زياد ينسب^(١٤) إلى (عبيد الثقفي)، من سمية، جارية الحارث بن كلدة^(١٥)، واشترى^(١٦) (عبيداً)^(١٧) - أباه - بألف درهم فأعتقه.

-
- | | |
|--------------------------------------|---|
| (١) د: الفيض. وهو خطأ. | (١١) د: لأشياء. |
| (٢) خرج شعره. | (١٢) ب، ج، ز: - أمثل. |
| (٣) استشهد سنة ١٨ هـ / ٦٣٩ م. | (١٣) ب، ج، ز: - به. وفي هامش ب، ز: في نسخة: + به. |
| (٤) أخو معاوية. | (١٤) ب: يتسب. |
| (٥) ج، ز: يترفلون. ومعنى يتوَقَّلون: | (١٥) الحارث بن كلدة الثقفي طبيب العرب وحكيمها توفي سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م. |
| من وقل أي صعد. | (١٦) أي زياد. |
| (٦) ج: انتهتهم. | (١٧) ج: - ما بين القوسين. |
| (٧) ب، ج، ز: - ذلك. | (١٨) ج، د: عبيد. |
| (٨) ج: بني. | |
| (٩) ب، ج، ز: - بعده. | |
| (١٠) ب: تشد. | |

قال أبو عثمان التهدي^(١): فكنا نغبطه. واستعمله عمر على بعض صدقات البصرة، وقيل: بل كتب لأبي موسى فلما لم يقطع الشهادة مع اليهود على المغيرة^(٢) جلدهم وعزله، وقال: ما عزلتك لخزية^(٣)، ولكني كرهت أن أحمل على الناس فضل عقلك. ورووا أن عمر أرسله إلى اليمن في إصلاح فساد، فرجع وخطب الناس خطبة لم يسمع مثلهما. فقال عمرو [و ١٢١ ب] بن العاص^(٤): أما والله لو كان هذا الغلام قرشياً لساق الناس بعصاء، فقال أبو سفيان: أما^(٥) والله إني لأعرف الذي وضعه في رحم أمه. فقال له علي: ومن؟ قال: أنا قال: مهلاً يا أبا سفيان! فقال أبو سفيان أبياتاً من الشعر^(٦):

أما والله لولا خوف شخص^(٧) يراني يا علي! من الأعادي
لأظهر أمره صخر بن حرب ولم تكن المقالة عن زياد
وقد طالت مخاتلتي ثقيفاً وترك فيهم ثمر الفؤاد

فذلك الذي^(٨) حمل معاوية. واستعمله علي على فارس، وحمي، وجبي^(٩)، وفتح، وأصلح. وكتبه معاوية يروم إفساده، فوجه بكتابه إلى علي بشرع، فكتب إليه علي: (إني وليتك ما وليتك، وأنت أهل لذلك عندي، ولن^(١٠) تدرك^(١١) ما تريد^(١٢)) أنت فيه إلا بالصبر واليقين، وإنما كانت من أبي سفيان فلتة، ومن عمر، لا تستحق^(١٣) بها نسباً ولا ميراثاً، وأن^(١٤) معاوية يأتي المؤمن من بين يديه ومن خلفه) فلما قرأ زياد الكتاب قال: (شهد لي أبو

-
- (١) عبد الرحمن بن مل أو ملي بن عمرو توفي سنة ١٠٠ هـ / ٧١٨ م وقيل بعدهما.
(٢) المغيرة بن شعبة الثقفي توفي سنة ٥١ هـ / ٦٧١ م.
(٣) ج: ز: بخرية. د: بخرية.
(٤) ج: د، ز: العاصي.
(٥) ب، ج: ز: - أما.
(٦) د: فأن.
(٧) د: - من الشعر. ج: ز: شعره.
(٨) يقصد: عمر بن الخطاب.
(٩) د: - الذين.
(١٠) ب: ج: د: حبي.
(١١) ج: لين.
(١٢) ب: يدرك.
(١٣) ب: بما.
(١٤) ج: ز: يستحق.

حسن ورب الكعبة!) فذلك الذي جرّاً زياداً ومعاوية على ما^(١) صنعنا، ثم ادعاه معاوية سنة أربع وأربعين، وزوج معاوية ابنته من ابنه محمد، وبلغ الخبر أبا بكر^(٢) - أخاه لأمه - فألى يميناً ألا^(٣) يكلمه أبداً، وقال: (هذا زنيّ أمه، وانتفى من أبيه، والله ما رأيت سمية أبا سفيان قط، وكيف يفعل بأُم حبيبة^(٤) أيرأها فيهلك^(٥) حرمة رسول الله، و^(٦) إن حجبت فضحته) فقال زياد: «جزى الله أبا بكر^(٧) خيراً، فإنه لن^(٨) يدع النصيحة في حال» وتكلم فيه الشعراء، ورووا عن سعيد بن المسيب^(٩) أنه قال: أول قضاء كان في الإسلام بالباطل استلحاق زياد.

قال القاضي أبو بكر^(١٠) رضي الله عنه: قد بينا في غير موضع هذا الخبر، وتكلمنا عليه، بما يغني عن إعادته [و ١٢٢ أ]، ولكن^(١١) لا بد في هذه الحالة من بيان المقصود منه فنقول: كل ما ذكرتم لا نفيه ولا تثبته^(١٢)، لأنه لا يحتاج^(١٣) إليه. والذي ندره حقاً، ونقطع عليه علماً، أن زياداً من الصحابة بالمولد والرؤية، لا بالتفقه والمعرفة. وأما أبوه، فما علمنا له، أباً قبل دعوى معاوية، على التحقيق، وإنما هي أقوال غائرة^(١٤) من المؤرخين. وأما شراؤه له فمراعاة للحضانة^(١٥)، فإنه حضنه عند^(١٦) أمه^(١٧) إذ دخل عليه فيه شبهة^(١٨) بالحضانة إليه، إن كان ذلك. وأما قولهم: إن أبا عثمان غبطه بذلك،

-
- (١) ب: عما. وكتبه محب الدين: بما (ص ٢٣٧).
(٢) أبو بكر^(٢) الثقفي نفع بن الحارث توفي سنة ٥٢ هـ / ٦٧٢ م.
(٣) د: لا.
(٤) بنت أبي سفيان زوج النبي، وأخت معاوية.
(٥) ج: ز: فهتك.
(٦) ب، ج: ز: - و.
(٧) ج: ز: بكر.
(٨) ب، ج: ز: لم.
(٩) أبو محمد سعيد بن المسيب المخزومي المدني توفي سنة ٩٤ هـ / ٧١٢ م.
(١٠) د: قال أبي.
(١١) ج: ز: لكني.
(١٢) ج: تنفيه ولا تثبته.
(١٣) ج، د: ز: لأننا لا نحتاج.
(١٤) ج: ز: غابرة.
(١٥) ب، ج: ز: الحضانة. وفي هامش ب: ز: في نسخة: للحضانة.
(١٦) ب: عنه.
(١٧) ب: - أمه.
(١٨) ب، ج: ز: فله نسب.

فهو بعيد على أبي عثمان. فإنه ليس في أن يتناع أحد حاضنه^(١) أو أباه، فيعتقه من المرتبة^(٢)، بحيث يغطه عليه أبو عثمان وأمثاله، لأن هذه مرتبة يدركها الغني والفقير، والشريف والوضيع، ولا بذل من المال ما يعظم قدره، فيدري^(٣) به، قدر مروءته، في إهانة الكثير^(٤) العظيم^(٥) في صلة الولي^(٦) الحميم. وإنما ساقوا هذه الحكاية ليجعلوا له أباً، ويكون بمنزلة من انتفى من أبيه. وأما استعمال عمر له فصحيح، وناهيك بذلك تزكية، وشرفاً، ودينياً. وأما قولهم: إن عمر عزله لأنه لم يشهد بباطل (فباطل)^(٧). بل روي أنه لما شهد أصحابه الثلاثة، وعمر يقول للمغيرة: ذهب ربك، ذهب نصفك، ذهب ثلاثة أرباعك. فلما جاء زياد وقال له: إني أراك صبيح الوجه، وإني لأرجو أن لا يفضح الله على يدك رجلاً من أصحاب محمد^(٨). وأما خطبته التي^(٩) ذكروا أنه أعجب بها^(١٠) عمرو^(١١)، فما كان عنده فضل علم، ولا فصاحة يفوق بها^(١٢) عمراً^(١٣)، فمن فوقه أو دونه. وقد أدخل له الشيخ^(١٤) المفتري خطباً^(١٥) ليست في الحدد المذكور. وأما قولهم: إن أبا سفيان اعترف به، وقال شعراً فيه، فلا يرتاب ذو تحصيل في أن أبا سفيان لو اعترف به في حياة [و ١٢٢ ب] عمر، لم يخف شيئاً. لأن الحال لم تكن تخلو^(١٦) من أحد قسامين: أما أن يرى عمر ألا ظنة^(١٧) به، كما روى عنه في غيره، فيمضي ذلك. أو يرد ذلك، فلا يلزم أبا سفيان شيء باقتراف ما كان في الجاهلية.

-
- | | |
|--|----------------------|
| (١) ب: حاضنته. ج، ز: حنته. | (٩) د: الذي. |
| (٢) ب، ج، ز: المزية. | (١٠) ب، ج، ز: منها. |
| (٣) كتبها محب الدين: فيبدرأ. وهذا | (١١) ب، ج، ز: عمر. |
| يفسد المعنى تماماً. (ص ٢٣٨). | (١٢) د: - بها. |
| (٤) ج، ز: الكبير. | (١٣) ب، ج، ز: عمرو. |
| (٥) أي من المال في سبيل صلة الرحم. | (١٤) يقصد به الجاحظ. |
| (٦) ج، ز: المولى. | (١٥) ج: خطباً. |
| (٧) سقط من جميع النسخ وكتب في هامش د: علته: فباطل. | (١٦) ب: يكن يخلو. |
| (٨) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. | (١٧) ب: إلا ظنه. |

فذكرهم هذه الحكاية المخترعة، الباردة، المتهافئة الخارجة عن حد الدين والتحصيل لا معنى لها^(١). وأما تولية علي له فتركية. وأما بعث معاوية إليه، ليكون معه فصحيح في الجملة. وأما تفصيل^(٢) ما كتب معاوية أو كتب^(٣) زياد به إلى علي، أو جابوب به علي زياداً، فهذا كله مصنوع.

وأما قول علي: إنما كانت من أبي سفيان فلتة لا يستحق بها نسباً^(٤)، فلو صح لكان ذلك شهادة، كما روي عن زياد، ولم يكن ذلك مبطل لما فعل معاوية، لأنها مسألة اجتهاد بين العلماء، فرأى علي شيئاً، ورأى معاوية وغيره، وغيره. وأما نكتة الكلام وهو القول في استلحاق معاوية زياداً، و^(٥)أخذ الناس عليه في ذلك. وأي أخذ عليه فيه إن^(٦) كان سمع ذلك من أبيه؟ وأي عار على أبي سفيان في أن يليط بنفسه ولد زنا كان في الجاهلية؟ فمعلوم أن سمية لم تكن لأبي سفيان، كما لم^(٧) تكن وليدة زمعة لعتبة، لكن كان لعتبة منازع تعين القضاء له، ولم يكن لمعاوية منازع في زياد. اللهم أن هاهنا نكتة اختلف العلماء فيها^(٨) وهي أن الأخ إذا استلحق أخاً، يقول: هذا^(٩) ابن أبي، ولم يكن له منازع، بل كان وحده، فقال مالك: يرث، ولا يثبت^(١٠) النسب في جماعة^(١١)، وقال الشافعي^(١٢) في آخرين^(١٣): يثبت النسب، ويأخذ المال. هذا إذا كان المقر به غير معروف النسب. واحتج الشافعي^(١٤) بقول النبي^(١٥): «هولك يا عبد بن زمعة! الولد للفراش، وللعاهر الحجر»^(١٦).

-
- | | |
|------------------------------|----------------------------------|
| (١) كذا في جميع النسخ : وكتب | (٩) ب، ج، ز: هو. |
| عبد الدين: له. (ص ٢٣٩). | (١٠) ج، ز: يلحق. |
| (٢) ج: تفضيل. | (١١) ب: - جماعة. وحذف عبد الدين: |
| (٣) د: وكتب. | في جماعة. (ص ٢٤٠). |
| (٤) د: شيئاً. | (١٢) د: ش. |
| (٥) د: أو. | (١٣) ب، ج، ز: في إحدى القولين. |
| (٦) ج: وإن. | (١٤) د: ش. |
| (٧) ج: لو. | (١٥) ب، ج، ز: + صلى الله عليه |
| (٨) ج: فيه. | وسلم. |

(١٦) أخرجه البخاري ومالك في الموطأ.

فقضى بكونه للفراش، وإثبات [و ١٢٣ أ] نسبه^(١). قلنا: هذا جهل عظيم^(٢)، وذلك أن قوله، إن النبي^(٣) قضى بكونه للفراش صحيح. وأما قوله، بثبوت النسب فباطل لأن عبداً ادعى شيئين^(٤): أحدهما: الأخوة، والثاني: ولادة الفراش. فلو قال له النبي^(٥): «هو أخوك، الولد للفراش»، لكان إثباتاً للحكم، وذكراً للعلة^(٦). بيد أن النبي^(٧) عدل عن الأخوة، ولم يتعرض لها، وأعرض عن النسب، ولم يصرح به. وإنما في الصحيح في لفظ (هو أخوك)، وفي آخر (هو لك) معناه فأنت أعلم به. وقد مهدنا ذلك في «مسائل الخلاف»^(٨). فالخارث بن كلدة لم يدع زياداً، ولا كان إليه منسوباً، وإنما كان ابن أخته، ولد على فراشه أي^(٩) في داره، فكل من ادعاه فهو له، إلا أن يعارضه من هو أولى به منه، فلم يكن على معاوية في ذلك مغم، بل فعل فيه الحق على مذهب مالك. فإن قيل: فلم أنكر عليه الصحابة؟ قلنا: لأنها مسألة اجتهدانية. فمن رأى أن النسب لا يلحق^(١٠) بالوارث الواحد أنكر ذلك وعظمه. فإن قيل: ولم لعنوه، وكانوا^(١١) يحتجون بقول النبي^(١٢): ملعون من انتسب لغير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه؟ قلنا: إنما لعنه من لعنه لوجهين: أحدهما: لأنه أثبت نسبه من هذا الطريق. ومن لم ير لعنه لهذا، لعنه لغيره. قال^(١٣): وكان زياد أهلاً أن يلعن عندهم لما أحدث بعد استلحاق^(١٤) معاوية. فإن قيل: جعل النبي^(١٥) للزنا حرمة ورتب عليه^(١٦)

(٨) مؤلف من مؤلفاته يقع في عشرين مجلداً يعتبر في حكم المفقود.

(٩) ج: - أي.

(١٠) د: يلتحق.

(١١) ج، ز: - وكانوا.

(١٢) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم.

(١٣) ب: - قال.

(١٤) ج، ز: استلحاقه.

(١٥) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم.

(١٦) ب، ج، ز: عليها.

(١) ب، ز: في نسخة: النسب.

(٢) علق ابن باديس على هذا بقوله:

غفر الله لك لا ينبغي أن يواجه مثل

الشافعي بمثل هذه الشدة من الكلام

(ج ٢ ص ١٨٢ ت ٢).

(٣) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم.

(٤) ب: سبين.

(٥) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم.

(٦) د: لعله.

(٧) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم.

وسلم.

حكماً حين قال: (احتجبي^(١)) منه يا سودة) وهذا يدل على أن الزنا يتعلق به من حرمة الوطء ما يتعلق بالنكاح الصحيح. هكذا قال الكوفيون، ومالك في رواية ابن القاسم^(٢)، يساعدهم على المسألة، ولا يساعدهم على دليلها من هذا الوجه. وقد بينها في كتاب النكاح. وقال الشافعي^(٣): العذر في أمر النبي^(٤) لسودة بالاحتجاب مع ثبوت نسبه من زمعة، وصحة أخوته لها بدعوى عبد، أن ذلك [و ١٢٣ ب] تعظيم لحرمة أزواج النبي^(٥) لأنهم لم يكن كأحد من النساء في شرفهن، وفضلهن. قلنا: لو كان أباها بنسب ثابت صحيح كما قلتم، ويكون قول النبي^(٦) الولد للفراش، تحقيقاً للنسب، لما منع ﷺ سودة منه، كما لم يمنع عائشة رضي الله عنها^(٧) من الرجل الذي قالت: هو أخي من الرضاعة وإنما قال: (انظرون من إخوانكم) وأما ما^(٨) روي عن سعيد بن المسيب، فأخبر عن مذهبه في أن هذا الاستلحاق ليس بصحيح. وكذلك رأى غيره من الصحابة والتابعين، وقد صارت المسألة إلى الخلاف بين الأمة، وفقهاء الأمصار، فخرجت من حد الانتقاد إلى حد الاعتقاد، وقد صرح مالك في كتاب الإسلام وهو الموطأ بنسبه، فقال في دولة بني العباس: إن^(٩) زياد بن أبي سفيان. ولم يقل كما يقول المخاذل^(١٠): زياد ابن أبيه. هذا على أنه لا يرى النسب يثبت بقول واحد، ولكن في ذلك فقه بديع لم يتفطن^(١١) له أحد. وهو أنها لما كانت مسألة خلاف، ونفذ الحكم فيها بأحد الوجهين، لم يكن لها رجوع. فإن حكم القاضي في مسائل الخلاف بأحد القولين يمضيها^(١٢)، ويرفع الخلاف فيها. والله أعلم.

(٦) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم.

(٧) د: - رضي الله عنها.

(٨) ب: - ما.

(٩) ب، ز: - إن. وفي هامش ب، ز:

في نسخة: + إن.

(١٠) د: المخاذل.

(١١) ب، ج، ز: يفتن.

(١٢) ج: يمينها.

(١) د: واحتجبي.

(٢) أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم

العتقي المالكي توفي سنة

١٩١ هـ / ٨٠٦ م.

(٣) د: ش.

(٤) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم.

(٥) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم.

(٦) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم.

(٧) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم.

وأما روايتهم أن عمر قال: كرهت أن أحمل فضل عقلك على الناس. فهذه زيادة ليس لها أصل، من ناقص عقل، وأي عقل كان لزيد يزيد به^(١) على الناس في أيام^(٢) عمر، و غلام^(٣) كل واحد من الصحابة^(٤) كان أعقل من زياد وأعلم منه؟ ولهذا كل من كمل عقله أكثر من الآخر فهو أولى أن يختلط مع الناس، ويقولون: إنه كان داهية، وهي كلمة واهية الدهاء والأزب هو المعرفة بالمعاني، والاستدلال على العواقب بالمبادئ، وكل أحد من الصحابة والتابعين فوق زياد. وتلك البرودات التي^(٥) يروي^(٦) المؤرخون من كذبهم في حيل الحرب [و ١٢٤ أ] والفتك بالناس، كل أحد اليوم يقدر على مثلها وأكثر منها، والحيلة إنما تكون بديعة وتشبي^(٧) وتروي إذا وافقت الدين، وأما كل حكاية تخالف الدين، فليس من روايتها ولا في روايتها^(٨) خير ولا عقل، وكل الناس كما قدمنا - وخذ من ولاية بني أمية خاصة - أعقل من زياد وأفصح منه. فلا تلتفتوا إلى ما روي من الأباطيل.

نكتة:

و^(٩) الولايات والعزلات لها معان^(١٠) وحقائق لا يعلمها كثير من الناس لقد علمتم أن رسول الله^(١١) مات عن زهاء اثني عشر ألفاً من الصحابة معلومين، منهم ألفان أو نحوهما مشاهير في الجلالة ولّى منهم أبو بكر، سعداً، وأبا عبيدة، ويزيد، وخالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل^(١٢)، ونفوا غيرهم فوقهم، وولى أنس بن مالك ابن عشرين سنة على البحرين اقتداء بالنبي^(١٣) في

-
- | | |
|----------------------------------|--------------------------------------|
| (١) ب، ج، ز: - به. | (٨) ب، ج، ز: - ولا في روايتها. |
| (٢) ب، ج، ز: زمان. | (٩) ب، ج، ز: - و. |
| (٣) ب، ج، ز: - غلام. وفي هامش | (١٠) ب، ج، ز: معاني. |
| ب، ز: في نسخة: غلام. | (١١) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. |
| (٤) د: + من. | (١٢) عكرمة بن أبي جهل استشهد في وقعة |
| (٥) ج: - التي. | اليرموك سنة ١٥ هـ / ٦٣٦ م. |
| (٦) ج، ز: تروي. | (١٣) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. |
| (٧) ب: تشي. ج، ز: تنأى. د: تنهى. | |
| وأغلب الظن أنها: تشي. | |

عتاب، ومتى كان استوفى المشيخة حتى يأخذ من^(١) الشبان؟ وولى عمر أيضاً كذلك. وبادر بعزل خالد، وذلك كله لفقته عظيم، ومعارف بديعة بيانها في موضعها من كتب الإمامة والسياسة من الأصول، فخذوا في فن^(٢) غير هذا^(٣)، فليس هذا الباب مما تلوكه أشدق أهل الآداب وأما ما روي عن معاوية أنه استدعى شهوداً، فشهد السلوي^(٤) وسواه فسل^(٥) من الحق، ما روي عن السلوي، فإنه لم يكن قط، وأسعد بإسقاط^(٦) ما روي في القصة سعيد أو سعد^(٧). وأما كلام أبي بكر أخيه^(٨) لأمه، فغير ضائر له لأن ذلك رأي من^(٩) أبي بكر واجتهاد^(١٠). وأما قولهم فيها عن أبي بكر^(١١) (أنه زني أمه) فلو كان ذلك صحيحاً لم يضر أمه ما جرى^(١٢) في الجاهلية، في الدين، فإن الله عفا عن أمر^(١٣) الجاهلية كلها بالإسلام، وأسقط الإثم والعار^(١٤) منه، فلا يذكره إلا جاهل به.

قال القاضي أبو بكر رضي [و ١٢٤ ب] الله عنه: والناس إذا لم يجدوا عيباً لأحد، وغلبهم حسدهم عليه، وعداوتهم له، أحدثوا له عيوباً، فاقبلوا الوصية، ولا تلتفتوا إلا إلى ما صح من الأخبار، واجتنبوا - كما ذكرت لكم - أهل التواريخ، فإنهم ذكروا عن السلف أخباراً صحيحة يسيرة^(١٥)، ليتوسلوا بذلك إلى رواية الأباطيل، فيقذفوا - كما قدمنا - في قلوب الناس ما لا

-
- | | |
|---|-----------------------------------|
| (١) ب، ج، ز: - من. | (٦) د: - بإسقاط. |
| (٢) ب، د: - فن. | (٧) د: وسعد. |
| (٣) د: + الباب. | (٨) ب، ج، ز: لأخيه. |
| (٤) مالك بن ربيعة أبو مريم. | (٩) ب، ج، ز: - من. |
| (٥) ج، ز: كسل. ومعنى فسل من الحق: انزع من الحق من سل يس. | (١٠) ب، ز: اجتهداه. ج: - اجتهداه. |
| وقد قرأها حب الدين: فسل من الحق: أي أسأل من الحق. وهو لا يستقيم مع السياق. (ص ٢٤٤). | (١١) ج: - وأما قولهم فيها. |
| | (١٢) د: ما جرى. |
| | (١٣) ب، ز: أهل. ج: - أهل. |
| | (١٤) د: العذر. |
| | (١٥) ج، ز: - يسيرة. |

يرضاه الله تعالى، وليحرقوا^(١) السلف ويهونوا الدين^(٢)، وهو أعز من ذلك، وهم أكرم منا، فرضي الله عن جميعهم.

ومن نظر إلى أفعال الصحابة تبين منها بطلان هذه الفتوى^(٣) التي يخلق^(٤) أهل التواريخ، فيدسونها في قلوب الضعفاء و^(٥) هذا زياد لما أحسن بالمنية^(٦) استخلف سمرة بن جندب من كبار الصحابة، فقبل خلافته، وكيف يظن به على منزلته أنه يقبل ولاية ظالم لغير رشدة، وهو على ما هو عليه من الصحبة، وذلك من غير إكراه، ولا تقية. إن هذا هو الدليل المبين، فمع من تحبون أن تكونوا، مع سمرة بن جندب أو مع المسعودي^(٧)، والمبرد^(٨)، وابن قتيبة^(٩)، ونظرائهم؟ وهذا غاية في البيان.

قاصمة:

كانت الجاهلية منية على العصبية، متعاملة بينها بالحمية، فلما جاء الإسلام بالحق، وأظهر الله منته على الخلق، قال الله^(١٠) سبحانه: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقال لنبيه: ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم، ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾^(١١) [الأنفال: ٦٣] فكان

- | | |
|--|--|
| (١) د: ليحرقوا. | (٥) د: - و. |
| (٢) ز: كتب على الهامش: واعلم أن الإنسان يلزمه التثبت في قبول الأخبار من مدح الناس وذمهم لبعضهم بعضاً (كذا) ويتنبه للبواعث والدواعي على ذلك، لأن غالبها أغراض وأهوية فالله يعصمنا في قول الحق وقبوله. | (٦) ب: المنية. |
| (٣) ج، د، ز: المتوف. | (٧) علي بن الحسين توفي سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م. |
| (٤) ج، ز: تخلق. | (٨) محمد بن يزيد صاحب الكامل توفي سنة ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م. |
| (٥) ب، ج، ز: - عزيز حكيم. | (٩) عبدالله بن مسلم توفي سنة ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م خطيب أهل الحديث وأديبهم. |
| | (١٠) ب، د: - الله. |

بركة^(١) النبي^(٢) تحميمهم^(٣)، وتجمع^(٤) شملهم، وتصلح^(٥) قلوبهم، وتمحو^(٦) صفائهم. فاستأثر^(٧) الله برسوله^(٨) ونفرت النفوس، وتماسكت الظواهر منجزة ما دام الميزان قائماً، فلما [و ١٢٥ أ] رفع الميزان - كما تقدم ذكره في الحديث - أخذ الله القلوب عن الألفة، ونشر جناحاً من التقاطع، حتى سوى جناحين بقتل عثمان، فطار في الآفاق، واتصل الهرج إلى يوم المساق^(٩)، وصارت الخلائق عسرين، في كل واحد من العصبية^(١٠) يهيمون، فمنهم بكريّة، وعمريّة، وعثمانية، وعلوية، وعباسية، كل يزعم أن الحق معها، وفي صاحبها والباقي ظلم غشوم، مقتر^(١١) من الخير عديم، وليس بمذهب، ولا فيه مقالة، وإنما هي حماقات وجهالات، أو دسائس للضلالات^(١٢)، حتى تضمحل الشريعة، وتهزأ الملحدة من الملة، ويلهو بهم الشيطان ويلعب، وقد سار بهم في غير مسير، ولا مذهب.

قال البكريّة: أبو بكر نص عليه رسول الله^(١٣) في الصلاة، ورضيته الأمة للدنيا، وكان عند النبي^(١٤) بتلك المنزلة العليا، والمحبة الخالصة، وولي فعدل، واختار فأجاد. إلا أنه أوهم في عمر فإن أمره غلظ^(١٥)، وفظاظته غلبت، وذكروا معائب وأما عثمان فلم يخف ما عمل، وكذلك علي، وأما العباس فغير مذكور.

وقال العمريّة: أما أبو بكر ففاضل ضعيف، وعمر إمام عدل، قوي، بمدح النبي^(١٦) له في حديث الرؤيا والدلو، والعبقري كما تقدم. وأما عثمان

-
- | | |
|------------------------------------|-------------------------------------|
| (١) ب، ج، ز: بركة. | (١٠) ج: المصيبة. |
| (٢) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. | (١١) كذا في ب، ج، ز: وطمت |
| (٣) ب، ج، ز: يجمعهم. وفي هامش | النقطة في (د) من القاف أو الفاء |
| ز: في نسخة: تحميمهم. | ولعله: مقتر. |
| (٤) ب، ج، ز: يجمع. | (١٢) ج: الضلالات. |
| (٥) ب، ج، ز: يصلح. | (١٣) و(١٤) ب، ج، ز: + صلى الله عليه |
| (٦) ب، ج، ز: يحو. | وسلم. |
| (٧) ب، ج، ز: واستأثر. | (١٥) ب، ج، ز: غليظ. |
| (٨) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. | (١٦) ب، ج، ز: + صلى الله عليه |
| (٩) د: القيامة. | وسلم. |

فخارج عن الطريق ما اختار والياء، ولا وفق أحداً حقاً، ولا كف أقاربه، ولا اتبع سنن من كان قبله. وأما علي فجريء على الدماء. لقد سمعت في مجالس أن ابن جريج^(١) كان يقدم عمر على أبي بكر، وسمعت الطرطوشي يقول: لو قال أحد بتقديم^(٢) عمر لتبعته^(٣).

و^(٤) قالت العثمانية: عثمان له السوابق المتقدمة، والفضائل، والفواصل في الذات والمال، وقتل مظلوماً.

وقالت العلوية: علي ابن عمه وصهره، وأبو سبطي النبي^(٥)، وولد النبي حضنة.

وقال العباسي: [و ١٢٥ ب] هو أبو النبي^(٦) وأولاهم بالتقديم^(٧) بعده، وطولوا في ذلك من الكلام ما لا معنى لذكره لدنائه. ورووا أحاديث لا يحل لنا أن نذكرها، لعظيم الافتراء فيها، ودناءة رواتها، وأكثر الملحدة على التعلق بأهل البيت، وتقدمة^(٨) علي على جميع الخلق، حتى أن الرافضة انقسمت إلى عشرين فرقة، أعظمهم بأساً من يقول: إن علياً هو الله. والغرابية يقولون: إنه رسول الله لكن جبريل عدل بالرسالة عنه إلى محمد حمية منه معه، في كفر بارد، لا يسخنه^(٩) إلا حرارة السيف. فأما دفء المناظرة فلا يؤثر فيه.

عاصمة:

إنما ذكرت لكم هذا، لتحترزوا من الخلق، وخاصة من المفسرين، والمؤرخين، وأهل الآداب^(١٠) فإنهم أهل جهالة بحرمت الدين، أو على^(١١)

(٦) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم.

(٧) د: التقدم.

(٨) د: تقدم.

(٩) د: تسخنه.

(١٠) ج، د: الأدب.

(١١) ج: وعلى.

(١) أبو الوليد عبد الملك بن عبدالعزيز بن

جريج الرومي مولى بني أمية أول من

الف في الحجاز. توفي سنة

١٥٠ هـ / ٧٦٧ م.

(٢) د: بتقدم.

(٣) د: اتبع.

(٤) ب، ج، ز: - و.

(٥) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم.

بدعة مصرين، فلا تبالوا بما^(١) رويوا ولا تقبلوا رواية إلا عن أئمة الحديث، ولا تسمعوا لمؤرخ كلاماً إلا للطبري، وغير ذلك هو الموت الأحمر، والداء الأكبر، فإنهم ينشئون أحاديث فيها استحقاق الصحابة والسلف والاستخفاف بهم، واختراع الاسترسال في الأقوال والأفعال عنهم، وخروج مقاصدهم عن الدين إلى الدنيا، وعن الحق إلى الهوى. فإذا قطعتم أصل^(٢) الباطل، واقتصرتم على رواية العدول (سلمتم من الحبال، ولم تطووا كشحاً على هذه الغوائل)^(٣) ومن أشد شيء على الناس جاهل^(٤) عاقل، أو مبتدع محتال، فأما الجاهل فهو ابن قتيبة، فلم يبق، ولم يذر^(٥) للصحابة رسماً في كتاب «الإمامة والسياسة»^(٦) إن صح عنه جميع ما فيه^(٧) وكالمبرد في كتابه الأدبي^(٨)، وأين عقله من عقل ثعلب^(٩) الإمام المقدم^(١٠) في أماليه، فإنه ساقها بطريقة أدبية سالمة من الطعن على أفاضل الأمة. و^(١١) أما المبتدع المحتال فالمسعودي^(١٢)، فإنه بما^(١٣) يأتي منه متاخمة^(١٤) الإلحاد فيما رواه من ذلك، وأما البدعة فلا شك فيه. فإذا [و ١٢٦ أ] صنتم أسماؤكم وأبصاركم عن مطالعة الباطل، ولم تسمعوا في خليفة من نسب^(١٥) إليه ما لا يليق، ويذكر عنه ما لا يجوز فعله، (كنتم على منهج السلف سائرين، وعن سبيل الباطل ناكين)^(١٦) فهذا مالك رضي الله عنه قد احتج بقضاء عبد الملك بن مروان^(١٧) في موطنه، وأبرزه في جملة قواعد الشريعة. وقال في رواية عن زياد بن أبي سفيان، فنسبه إليه^(١٨)،

-
- | | |
|--|--|
| (١) ب، د، ز: عا. | (٩) ب، ج، د: المتقدم. |
| (٢) ب، ج، د: أهل. | (١٠) د: - و. |
| (٣) د: - ما بين القوسين. | (١١) د: كالمسعودي. |
| (٤) د: جهل. | (١٢) ب، ج، د: - بما. |
| (٥) د: ولا وذر. | (١٣) ج، د: متاخمة. |
| (٦) تأكد أن كتاب الإمامة والسياسة ليس لابن قتيبة ولذا فإنه ليس جاهلاً. | (١٤) ب: نسب. |
| (٧) ج، ز: الأدنى. | (١٥) د: - ما بين القوسين. |
| (٨) أحمد بن يحيى بن زيد لغوي الكوفة وأديبها توفي سنة ٢٩١ هـ/ ٩٠٣ م. | (١٦) عبد الملك بن مروان أبو الوليد خليفة فقيه توفي سنة ٨٦ هـ/ ٧٠٥ م. |
| | (١٧) أي نسب زياداً إلى أبي سفيان. |

وقد علم قصته ولو كان عنده - كما^(١) يقول العوام - باطلاً^(٢) لما رضي أن ينسبه، ولا يذكره في كتابه الذي أسسه للإسلام. وقد جمع ذلك كله في أيام بني العباس، والدولة لهم، والحكم بأيديهم، فما غيروا عليه، ولا أنكروا ذلك منه، لفضل علومهم، ومعرفتهم بأن مسألة زياد، مسألة قد اختلف الناس فيها، فمنهم من جوزها ومنهم من منعها. فلم يكن لاعتراضهم إليها سبيل، وكذلك أعجبهم - حين قرأ الخليفة على مالك الموطأ - ذكر عبد الملك بن مروان فيه، وإن كان من بقضائه^(٣)، لأنه إذا احتج العلماء بقضائه، فسيحتج^(٤) بقضائه أيضاً مثله، وإذا طعن فيه، طعن فيه بمثله.

وأخرج البخاري عن عبدالله بن دينار^(٥)، قال شهدت ابن عمر حيث اجتمع الناس على عبد الملك بن مروان كتب: «إني أقرأ بالسمع والطاعة لعبد الملك أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله ما استطعت، وإن بني قد أقرؤا^(٦) بمثل ذلك» وهذا المأمون^(٧) كان يقول بخلق القرآن، وكذلك الوثائق^(٨)، وأظهروا^(٩) بدعتهم، فصارت^(١٠) مسألة معلومة، إذا ابتدع القاضي أو^(١١) الإمام هل تصح ولايته^(١٢) وتنفذ أحكامه أم هي مردودة؟ وهي مسألة معروفة. وهذا أشد^(١٣) من برودات ذكرها^(١٤) أصحاب التواريخ من: أن فلاناً الخليفة شرب الخمر، أو غنى، أو فسق، وتزنى^(١٥)، فإن هذا القول في

(٨) أبو جعفر أو أبو القاسم هارون بن

المعتصم توفي سنة

٢٣٢ هـ / ٨٤٦ م.

(٩) د: فأظهروا.

(١٠) ب، د: وصارت. ز: في الهامش:

في نسخة: وصارت.

(١١) ب، ج، ز: أ.

(١٢) ب، ج، ز: أو.

(١٣) ج، ز: أشكل.

(١٤) د: - ذكرها.

(١٥) ب، ج، ز: زنا.

(١) ب، ج، ز: ما.

(٢) ب، ج، ز: حقاً.

(٣) ب، ج، ز: وإن كان بقضائه.

وقراها عب الدين وإذكاره بقضائه.

(ص ٢٥٠).

(٤) ج، ز: فستحج.

(٥) عبدالله بن دينار مولى ابن عمر توفي

سنة ١٢٧ هـ / ٧٤٤ م بالمدينة.

(٦) ج: أمروا.

(٧) توفي المأمون سنة ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م.

القرآن بدعة أو^(١) كفر على اختلاف العلماء فيه، قد اشتهروا به، وهذه المعاصي لم يتظاهروا بها، إن كانوا فعلوها، فكيف يثبت ذلك عليهم بأقوال [و ١٢٦ ب] المغنين، والبراد من المؤرخين، قصدوا^(٢) بذكر ذلك عنهم، تسهيل المعاصي على الناس، وليقولوا: إذا كان خلفاؤنا يفعلون هذا، فما يستبعد ذلك منا، وساعدتهم الرؤساء على إشاعة هذه الكتب، وقراءتها، لرغبتهم في مثل أفعالهم^(٣)، حتى صار المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، وحتى ساءحوا الجاحظ^(٤)، أن تقرأ^(٥) كتبه في المساجد، وفيها من الباطل والكذب والمناكير^(٦)، ونسبة الأنبياء إلى أنهم ولدوا لغير رشدة، كما قال في إسحق عليه السلام في كتاب الضلال والتضليل^(٧)، كما^(٨) مكنوا من قراءة كتب الفلاسفة في إنكار الصانع، وإبطال الشرائع، لما لوزرائهم، وخواصهم في ذلك من الأغراض الفاسدة، والمقاصد الباطلة.

فإن زل فقيه، أو أساء العبارة عالم: يكن ما أساء النار في رأس كيكبا^(٩)

وبالوقوف على هذه الفصول تحسن نياتكم^(١٠)، وتسلم من^(١١) التغير قلوبكم على ما سبق. وقد بينت لكم أنكم لا تقبلون على أنفسكم في دينار، بل في درهم إلا عدلاً بريئاً من التهمة^(١٢) سليماً من^(١٣) الشهوة. فكيف تقبلون في أحوال السلف، وما جرى بين الأوائل، من ليس له مرتبة في الدين، فكيف في العدالة! فرحم الله عمر بن عبدالعزيز^(١٤) حيث قال: - وقد تكلموا في الذي جرى بين الصحابة - «تلك أمة قد خلت، لها ما كسبت، ولكم ما

- | | |
|-----------------------------|------------------------------------|
| (١) د: - أ. | وتدفن منه الصالحات وأن يسيء |
| (٢) د: فصدوا. | يكن ما أساء النار في رأس كيكبا. |
| (٣) د: أفعاله. | والكيكب: جبل خلف عرفات. |
| (٤) ب، ج، ز: للجاحظ. | (١٠) ج، ز: نيتكم. |
| (٥) ج، ز: يقرأ. | (١١) ب، د، ز: عن. |
| (٦) ب، ج، ز: المناكر. | (١٢) ب، ج، ز: التهم. |
| (٧) ب، ج، ز: التضلال. ويقصد | (١٣) د: عن. |
| بذلك كتاب البيان والتبيين. | (١٤) خامس الخلفاء الراشدين أبو حفص |
| (٨) ب، د، ز: وكما. | عمر بن عبدالعزيز بن مروان الأموي |
| (٩) بيت للأعشى أوله: | توفي سنة ١٠١ هـ / ٧١٩ م. |

كسبتهم، ولا تسألون عما كانوا يفعلون»^(١) [البقرة: ١٣٤].

قاصمة وعاصمتها:

قال النبي ﷺ: «أنزل القرآن^(٢) على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه»^(٣) عظم الناس هذا الحديث، وتكلموا على معناه، واختلفوا فيه^(٤). وقد بينت أقوالهم، وحررت مقاطع الكلام في جزء مفرد، ووقع^(٥) منشوراً، حيثما جاء الكلام من «الأمالي» ومعنى الكلام [و ١٢٧ أ]: «أن الله^(٦) وسع على هذه الأمة، وأذن للصحابة في أن يقرأ كل واحد^(٧) بما استطاع من لغته، ولذلك أذن لعمر بن الخطاب^(٨)، وهشام بن حكيم^(٩)، في قراءتهما، وكانا قرشين، وأذن لأبي بن كعب الأنصاري^(١٠) ومن خالفه^(١١) في القراءة بأن يقرأ كل واحد منها بما كان قرأ. قال أبي: فدخل قلبي ما لم يدخله قط مذ أسلمت، فقال لي النبي^(١٢): «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقروا ما تيسر منه». واستمرت الحال هكذا حياة النبي رخصة من الله، وتوسعة على الخلق، إذ لو كلفوا أن يقرأوا باللغة التي نزل القرآن بها، وهي لغة قريش، لنفر قوم، وشق على آخرين، والشريعة سمحة، ولم ينزل جبريل يتعاهد النبي^(١٣) بالقرآن^(١٤) في رمضان ويدارسه^(١٥)، حتى كان العام الذي توفي فيه، دارسه به^(١٦) مرتين فقال النبي^(١٧): «أرى أجلي قد حضر» والنبي يضبط كل الذي

(١) هنا انتهى النص الذي نشره الشيخ

عبد الدين الخطيب المنوفي سنة

١٣٨٩ هـ / ١٩٧٠ م بالقاهرة.

(٢) ج: - أنزه القرآن. ذ: الفرقان.

(٣) أخرجه الطبراني والبخاري مع

اختلاف في اللفظ.

(٤) ذ: - فيه.

(٥) ج، ز: فوق.

(٦) ذ: + سبحانه.

(٧) ذ: أحد.

(٨) ب، ج، ز: + رضي الله.

(٩) هشام بن حكيم بن خزام توفي بعد

سنة ١٥ هـ / ٦٣٦ م.

(١٠) أبي بن كعب أبو المنذر توفي سنة

١٩ هـ / ٦٤٠ م.

(١١) ب: - ومن خالفه.

(١٢) ب، ج، ز: + صلى الله عليه

وسلم.

(١٣) ب، ج، ز: + صلى الله عليه

وسلم.

(١٤) ب، ج، ز: - بالقرآن.

(١٥) ج: + القرآن.

(١٦) ب، ج، ز: - به.

(١٧) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم.

يدارسه به، وعمله على كتابه، وبقيدته^(١) في الصحف ثم استأثر الله برسوله^(٢)، واشتعلت الفتنة، واشتغلت^(٣) الصحابة بتمهيد الإسلام، وتوطيد الدين، وتأليف القلوب على شعائر الإسلام، فلما كان يوم اليمامة في عهد أبي بكر، واستحر القتل بالقراء قال زيد بن ثابت: فأرسل إليّ أبو بكر فجئته فإذا عمر عنده، فقال لي أبو بكر: إن عمر جاءني فقال: إن القتل قد استحر بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بهم في المواطن كلها، فيذهب قرآن كثير. وذكر الحديث المتقدم في ذكر عثمان رضي الله عنه - إلى قوله -: ووجدت آخر سورة التوبة عند خزيمه بن ثابت. فنفذ^(٤) وعد الله في ذلك بالحفظ على يدي شريفي^(٥) الإسلام، وكريمي الدنيا والآخرة، (وسيدي كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين)^(٦). وكان هذا أصلاً في استعمال الرأي في الدين، والحكم من المصالح والمعاني بما لم يكن ذكره^(٧) النبي صلى الله عليه وآله وسلم. فلما كان زمان^(٨) قم الله^(٩) هذه البقية على يديه، فجاءه حذيفة، وكان بمغازي^(١٠) فتح أرمينية، وأذربيجان، فقال له^(١١): يا أمير المؤمنين أدرك الناس قبل أن يختلفوا في القرآن كما اختلفت اليهود والنصارى وكانت الصحف الأول^(١٢) قد استقرت عند أبي بكر، ثم عند عمر ثم عند حفصة، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسل^(١٣) إليّ بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت حفصة^(١٤) إلى عثمان بها، فأرسل عثمان إلى زيد بن ثابت، وسعيد بن العاص^(١٥)، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام، وعبدالله بن الزبير، أن انسخوا الصحف في المصاحف، فبعث عثمان إلى كل أفق بمصحف. وقال زيد: فقدت آية من سورة الأحزاب، كنت أسمع

-
- | | |
|------------------------------------|-------------------------------------|
| (١) ب: بقيده. | (٨) د: زمن. |
| (٢) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. | (٩) ب: - الله. |
| (٣) ب: وانشغلت. | (١٠) ب، ج، ز: يغازي. |
| (٤) ج، ز: فنقد. | (١١) ب، ج، ز: - له. |
| (٥) ب: شرفي. | (١٢) ز: في الهامش: في نسخة: الأولى. |
| (٦) د: - ما بين القوسين. | (١٣) ب، ج، ز: أرسل. |
| (٧) د: بما لم يذكره. | (١٤) د: تكرر حفصة. |
| | (١٥) ج، د، ز: العاصي. |

رسول الله^(١) يقرأها: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ فوجدتها^(٢) مع خزيمة بن ثابت. قال الزهري: فاختلفوا يومئذ في التابوت، أو التابوه^(٣)، فقال عثمان: اكتبوه بالتاء فإن القرآن نزل بلغة قريش.

وكتبت المصاحف^(٤)، ووجه بها عثمان إلى الآفاق. انتهى الحديث الصحيح. ثم روي بعد ذلك أنه كتب سبعة^(٥) مصاحف: مصحف لمكة، وللبيصرة، وللکوفة^(٦)، وللشام^(٧)، ولليمن، وللبحرين، وحبس عنده واحداً. فأما مصحف اليمن والبحرين فلم يسمع لهما خبر. و^(٨) يروى أنه أرسل ثلاثة^(٩) مصاحف إلى الشام والعراق واليمن. وروي أنه أرسل أربعة إلى الشام، والحجاز، والکوفة، والبيصرة، وحبس واحداً عنده^(١٠) وهو الأصح. وكانت هذه المصاحف تذكرة لثلاث يضيع القرآن، وبيصرة لثلاث يضل الخلق باختلاف فإنه لو قرأوا آخراً كما كانت قراءتهم أولاً، لم ينضبط الأمر، وكان الحرق يتسع، والاختلاف يقع، فنسخ^(١١) الإجماع الرقيق^(١٢) المتيسر في [١٢٨ أ] أول الإسلام بالمصلحة المتحققة آخر^(١٣)، في ضبط الأمر، ورده إلى القانون الذي نزل القرآن عليه، فكانت المصاحف أصلاً، وكانت القراءة رواية أقرأت الصحابة التابعين، وكان نقل المصحف إلى نسخه^(١٤) على النحو الذي كانوا يكتبونه لرسول الله ﷺ كتابة عثمان، وزيد، وأبي، وسواهم، من غير نقط، ولا ضبط. واعتمدوا هذا النقل ليبقى بعد جمع الناس على ما في المصحف، نوع من الرقيق في القراءة باختلاف الضبط، وفي أثناء النقل اختلفت^(١٥) المصاحف في أحرف يسيرة، أربعة أو خمسة، ثم زاد الأمر إلى أن اختلف^(١٦) القراء في زيادة أربعين حرفاً، منها واو، وألف، وياء. وأما

- | | |
|------------------------------------|----------------------|
| (١) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. | (٩) ج، ز: ثلاث. |
| (٢) ب: فوجدتها. | (١٠) د: - عنده. |
| (٣) ج، ز: التابوت. | (١١) د: فسح. |
| (٤) ب، ج، ز: الصحف. | (١٢) د: للرقق. |
| (٥) ب، ج، ز: سبع. | (١٣) ج: آخره. |
| (٦) د: الكوفة. | (١٤) ج: نسخة. |
| (٧) د: الشام. | (١٥) ج: اختلف. |
| (٨) د: روي. | (١٦) ب، ج، ز: اختلف. |

«كلمة» فلم تكن^(١) إلا في حرفين أحدهما في «التوبة» والآخر^(٢) في «الحديد» [فإن الله هو الغني الحميد] [الحديد: ٢٤] بزيادة «هو»، قرأت الجماعة إلا نافعا^(٣) وابن عمر^(٤) [٥] وهذا أمر يسير، لا يؤثر في الدين، ولا يحط من حفظ القرآن.

وقد رويت أحرف كثيرة زيدت من غير هذه الروايات المعروفة. فإن قيل: فهذه الروايات المعروفة، ما شأنها؟ هل عندك بيانها؟ قلنا: نعم، قد تكلم عليها العلماء وتعاطاها من أهلها، من ليس من أهلها، كما جرى في كل علم. فذكر أبو حاتم^(٦)، القراء وأقوالهم^(٧) وقراءاتهم، وأسقط حمزة^(٨) والكسائي^(٩) وابن عامر، وزاد عشرين رجلا، وجمع أبو عبيد^(١٠) قراءات، وجمع إسماعيل القاضي^(١١)، وجمع ابن مجاهد^(١٢) وعد يعقوب^(١٣) من السبعة ثم أسقطه^(١٤) بعد أن تكلم^(١٥) فيه، وذكر الكسائي، والكسائي من حمزة كيعقوب من أبي عمرو^(١٦)، وقد قرأ أبو عمرو على ابن كثير^(١٧). وقد ذكر

(١٠) القاسم بن سلام. توفي سنة

٢٢٤ هـ / ٨٥٨ م.

(١١) إسماعيل القاضي بن إسحاق الأزدي

قاضي بغداد توفي سنة

٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م.

(١٢) أبو بكر أحمد بن موسى مقرئ

العراق توفي سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٥ م.

(١٣) أبو محمد يعقوب بن إسحاق

الحضرمي مقرئ أهل البصرة توفي

٢٠٦ هـ / ٨٢١ م.

(١٤) د: أسقط.

(١٥) ج: كلم. د: أسقط إذا كلم. في

هامش ب، ز: في نسخة: إذ.

(١٦) أبو عمرو بن العلاء المازني مقرئ

البصرة توفي سنة ١٥٤ هـ / ٧٧٠ م.

(١٧) أبو معبد عبد الله بن كثير مقرئ مكة

توفي سنة ١٢٠ هـ / ٧٣٧ م.

(١) ب، ج، ز: يكن.

(٢) ج: الأخرى.

(٣) أبو عبد الرحمن أو أبو رويم اللبني

نافع بن أبي نعيم قارئ أهل المدينة.

توفي سنة ١٦٩ هـ / ٧٨٥ م.

(٤) عبد الله بن عامر ويكنى أبو عمران

دمشقي توفي بها سنة

١١٨ هـ / ٧٣٦ م.

(٥) د: - ما بين القوسين.

(٦) سهل بن محمد مقرئ لغوي نحوي

توفي سنة ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م وقيل

سنة ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م.

(٧) ب، ج، ز: - وأقوالهم.

(٨) أبو عمارة حمزة بن حبيب التيمي

الزيات توفي سنة ١٥٦ هـ / ٧٧٢ م

وهو كوفي.

(٩) أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي

الكوفي توفي سنة ١٨٩ هـ / ٨٠٤ م.

الطبري في^(١) كتاب القراءات، وذكر نحواً من عشرين قارئاً. ذلك كله^(٢) لتعلموا^(٣) أن ضبط الأمر على سبع قراء ليس له أصل في الشريعة، وقد جمع قوم ثمان قراءات، وقد جمع آخرون عشر قراءات. والأصل في ذلك كله عندي: أن^(٤) النبي ﷺ لما^(٥) قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرف» انقسم الحال بقوم، فظن جاهلون^(٦) أنها سبع قراءات، وهذا ما لا يصح في علم عالم، وتيمن آخرون بهذا اللفظ فقالوا^(٧): تعال فلنجمع سبع قراءات، وكانت الأمصار حجة^(٨)، وقد جمع قراؤها وقراءاتها، حتى خطر هذا الخاطر لمن خطر، فجمع السبع وهو ابن مجاهد، وذكر يعقوب فأسقط بالسلطان، وذكر الكسائي، وألزمت المملكة ذلك للناس، فجرى القول فيه كذلك، وجرت القراءة على حرف أبي عمرو بالعراق إلى اليوم. ولما ظهرت الأموية على المغرب، وأرادت الانفراد عن العباسية، وجدت^(٩) المغرب على مذهب الأوزاعي^(١٠) فأقامت - في قوها - رسم السنة، وأخذت بمذهب أهل المدينة في فقههم وقراءتهم، وكانت أقرب من إليهم قراءة ورش^(١١)، فحملت روايته، وألزم الناس بالمغرب حرف نافع، ومذهب مالك، فجروا عليه، وصاروا لا يتعدونه، وحمل حرف قالون^(١٢) إلى العراق، فهو فيه أشهر من ورش، وكذلك هو، فإن إسماعيل القاضي نوه بذكر قالون. فأما ورش فلم يحمل عنه من له ظهور في العلم. ودخلت بعد ذلك الكتب وتوطدت الدولة فأذن في سائر العلوم، وترامت الحال إلى أن كثرت الروايات، في هذه القراءات، وعظم الاختلاف، حتى انتهت في السبع إلى ألف وخمسة رواية، وفي شاذ السبع

(١) د: - في.

(٢) د: - كله.

(٣) د: ليعلموا.

(٤) د: بداية سقوط مقدار ورقة ونصف

منها.

(٥) ج: - لا.

(٦) ج، ز: جاهل من.

(٧) ج: فقال.

(٨) ج، ز: خمسة.

(٩) ب: وجدت.

(١٠) أبو عمرو عبدالرحمن بن عمرو

الأوزاعي إمام الشام توفي سنة

١٥٧ هـ / ٧٧٣ م.

(١١) أبو سعيد عثمان بن سعيد القيرواني

صاحب نافع توفي

١٩٧ هـ / ٨١٢ م.

(١٢) أبو موسى عيسى بن مينا الزميري

قارئ أهل المدينة وصاحب نافع.

توفي سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م.

إلى نحو الخمسائة. وأكب الخلق على الحروف ليضبطوها فأمسوها، وليحصروها فأرسلوها إلى غير غاية. وأراد بعضهم أن يردّها إلى الأصل فقرأ بكل لغة، وقال: هذه لغة بني فلان، وهذه لغة بني فلان.

قال القاضي أبو بكر رضي الله عنه: وبعد أن ضبط الله الحروف، والسور، لا تبالون^(١) بهذه التكاليفات فإنها زيادات في التشغيب، وخالية من^(٢) الأجر، بل ربما دخلت في الوزر. ولقد انتهى التكليف بقوم إلى أن روي في بعض سور القرآن، التهليل والتكبير. وما ثبت ذلك قط عن عدل، ولا نقل في صحيح. وانتهت الحال ببعضهم إلى أن يرى^(٣) البسملة عند كل ابتداء، كان في أول السورة أو لم يكن، حين رأى بعضهم قد قال: لا نبسمل^(٤) إلا في سورة مخصوصة، يتصل أول سورة بآخر أخرى، على التضاد فيفصل بالبسملة، وغفل عن نوع كثير في القرآن من ذلك كان ينبغي أن يسمل فيه، أو يستعبد، لئلا يتصل الشيء بنقيضه في المعنى. فلئن قال: إن قوله في آخر^(٥) «الفجر»: ﴿وادخلي جنتي﴾ [الفجر: ٣٠] لا بد أن يقول: بسم الله الرحمن الرحيم. وحينئذ ﴿لا أقسم﴾ [البلد: ١] لئلا يتصل قولك: (لا) بقولك: (ادخلي جنتي) يقال له: فكيف يتصل قوله: ﴿وكذلك حقّت كلمة ربك على الذين كفروا إنهم أصحاب النار، الذين يحملون العرش ومن حوله﴾ [غافر: ٦] وهذا لازم، حتى انتهت الجهالة إلى البدعة بقوم، فكان المقرء منهم^(٦) بمكة في عشر الخمسائة يسمل في سورة «براءة» ويتلوه ويرويه^(٧). وهذه بدعة خرفت إجماع الصحابة، والأمة، وهو كلة كذب موضوع، يلزم رواها الأدب، وقائلها الاستتابة.

كيفية القراءة^(٨) اليوم:

قال بعضهم: نقرأ بما اجتمعت فيه ثلاثة^(٩) شروط: ما صح نقله،

- | | |
|--------------------------------|------------------|
| (١) كذا في: ب، ج، ز. | (٥) ج: + سورة. |
| (٢) ج، ز: عن. | (٦) ز: - منهم. |
| (٣) ب، ج، ز: يرون. وفي هامش ز: | (٧) ج، ز: يرويه. |
| في نسخة: يرى. | (٨) ج: القراءات. |
| (٤) ج، ز: يسمل. | (٩) ج، ز: ثلاث. |

وصح في العربية لفظه، ووافق خط المصحف. وقال إسماعيل القاضي: ما وافق خط المصحف يقرأ به. وهذا كله إنما أوجبه، أن جمع السبع لم يكن بإجماع، وإنما كان باختيار من واحد، أو آحاد، والمختار أن يقرأ المسلمون على خط المصحف بكل^(١) ما صح في النقل، ولا يخرجوا عنه، ولا يلتفتوا إلى قول من يقول: نقرأ السورة الواحدة أو القرآن بحرف قارئ واحد، بل يقرأ بأي حرف أراد، ولا يلزمه أن يجعل حرفاً واحداً ديدنه^(٢)، ولا أصله. والكل قرآن صحيح، وضم حرف إلى حرف، وقارئ إلى قارئ، ليس له في الشريعة أصل. وما من القراء واحد، إلا وقد قرأ بما قرأ به الآخر، وإنما هذه اختياراتهم، وليس يلزمهم اختياراتهم أحداً، فإنهم ليسوا بمعصومين، ولا دل دليل على لزوم قول واحد^(٣) من الصحابة، فكيف هؤلاء القراء! ولكن لما صارت هذه القراءة صناعة، رفرقوا عليها، وناضلوا عنها، وأفنوا أعمارهم من غير حاجة إليهم، فيها. فموت أحدهم، وقد أقام القرآن، كما^(٤) يقام القدح لفظاً، وكسر معانيه كسر الإناء، فلم يلتئم عليه منها معنى، ولا فرق بين أن يقرأ كتاب أبي عبيد، أو الطبري، وهما^(٥) خير من كتاب ابن مجاهد، وأصح. فعلى أحدهما عولوا إن أردتم النظر في شيء من ضبط الحروف، فإن قيل: فما صح سنده من القراءات^(٦) وخالف خط المصحف، ماذا^(٧) ترون؟ قلنا: لا يقرأ به بحال، فإن الإجماع قد انعقد على تركه، ألا ترى إلى ابن مسعود، كره^(٨) نسخ زيد بن ثابت للمصاحف، وقال: يا معشر المسلمين أَعْزِلْ^(٩) عن نسخ كتابة المصحف، ويتولاها رجل، والله، لقد أسلمت، وإنه لفي صلب رجل كافر؟ يريد زيد بن ثابت وقال ابن مسعود: يا أهل العراق إن الله يقول: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١] وأنا غال مصحفي، فمن استطاع منكم أن يغل مصحفه فليفعل، فكره ذلك من مقالة

هامش ج: هما.

(١) ج: بل كل.

(٢) ب: القرآن.

(٣) ب: ديدانه.

(٤) ج: فما.

(٥) ز: في الهامش: في نسخة: أحد.

(٦) ج: ذكره.

(٧) ج، ز: بما.

(٨) ج: أعزل.

(٩) كذا في ب، ج، ز: وصححت على

ابن مسعود، رجال من أصحاب رسول الله ﷺ، وفي رواية: أنأمروني^(١) أن أقرأ على قراءة زيد، ولقد حفظت من في رسول الله ﷺ كذا وكذا سورة، وإنه لفي صلب كافر. قلنا: هذا كله صحيح، وقد بينا أنه كان يقرأ هو وأبيّ، وزيد، وعمر، وهشام، وكل أحد، والنبي يقرئ الكل، ثم حدث من الأمر كما قدمنا، واستقرت الحال كما بينا، فكان الواجب على ابن مسعود، وسواه، أن يرجع إلى المتفق عليه، ولا حجة لابن مسعود على عثمان في اختياره لزيد، فإن أبا بكر وعمر، قد اختاراه، وعبدالله بن مسعود حي^(٢)، حاضر، وسواه. واعلموا بهذا وغيره أن عثمان مظلوم في كل ما يؤخذ عليه فيه فإنه^(٣) اقتدى بمن سبقه من الخلفاء، وبم^(٤) يخص بالملامة دونهم؟ وهذا من فساد الناس، وقلة إنصافهم.

سبب الاختلاف:

وقد قال بعض الناس: إن سبب اختلاف القراء بعد خط المصحف، أن الناس كانت لهم قبل إرسال عثمان المصاحف، قراءات، فلما ردوا إلى خط المصحف، التزموا ذلك فيما كان محفوظاً، وقرأ كل واحد بما كان عنده ملفوظاً، مما لم يعارض الخط، وهذا ممكن ظاهر. والذي قلناه هو الأصل الذي يعول عليه. والله الموفق للصواب برحمته. والذي اختاره لنفسه إذا قرأت، أكثر الحروف المنسوبة إلى قالون، إلا الهمز فإني أتركه أصلاً، إلا فيما يحيل المعنى، أو يلبسه مع غيره، أو يسقط المعنى بإسقاطه. ولا أكسر باء «بيوت»، ولا عين «عيون» فإن الخروج من كسر إلى ياء مضمومة لم أقدر عليه، ولا أكسر ميم «مت»، وما كنت لأمدّ مدّ حمزة، ولا أقف على الساكن وقفته^(٥). ولا أقرأ بالإدغام الكبير لأبي عمرو، ولو رواه في تسعين ألفاً^(٦) قراءة، فكيف في رواية «بحرف من سبعة أحرف». ولا أمد ميم ابن كثير. ولا أضم هاء «عليهم» و«إليهم» وذلك أخف. وهذه كلها أو أكثرها عندي

(١) في: ب، ج، ز: ولعل صوابه:

(٤) ب: ثم. ز: بم.

(٥) ج: وقفة.

(٦) ج: ألف.

أنأمروني.

(٢) ج: حين.

(٣) ب: إن.

لغات، لا قراءات، لأنها لم يثبت منها عن النبي ﷺ^(١) شيء، وإذا تأملتها رأيتها اختيارات مبنية على معان ولغات^(٢).

وأقوى القراءات سنداً قراءة عاصم^(٣) عن ابن عبدالرحمن^(٤) عن علي، وعبدالله بن عامر. فما اجتمع رواة^(٥) هؤلاء عليه فهو ثابت، وقراءة^(٦) أبي جعفر ثابتة صحيحة، لا كلام فيها. وطلبت أسانيد الباقي فلم أجد فيها مشهوراً، ورأيت أمرها على اللغات، وخط المصحف مبنياً^(٧). والله أعلم.

قاصمة:

ولما نزلت هذه العواصم منازلها^(٨)، وأصاب من القواصم شواكلها، وخلصت العقائد من شبهاتها في قواعدها، وحملت سائر حملها على معاقدها التي ربطناها لها، واستعين عليها بما قرره العلماء في كتبهم، وبما أومأنا نحن إليه [و ١٢٨ ب] في تعليقنا^(٩)، عطفنا عنان القول، على^(١٠) مصائب نزلت بالعلماء في طريق الفتوى. وقد كانت على مرتبتها في الصدر الأول، ثم نزلت^(١١) حتى كثرت^(١٢) البدع، وذهب العلماء، وتستررت المبتدعة بالشرعية،

(١) ز: - صلى الله عليه وسلم.

(٢) ب: في الهامش: قال العلامة المجيد

سيدي محمد محمد بن غازي (بياض)

على البخاري، ما نصه: لعل تقف

على كلام القاضي أبي بكر بن العربي

في كتاب العواصم والقواصم حيث

طعن في بعض المقاريء السبعة

فأعطه الأذن الصماء فإن يد الله مع

الجماعة. وقد حدثنا الأستاذ أبو

عبدالله الصغير، عن شيخه الأستاذ

أبي العباس بن أبي موسى الفيلاي أنه

كان يحذر من ذلك كثيراً انتهى

فأعرقه لكاتبه أحمد بن عبدالله

السوسي غفر الله له بفضلته ورحمته

آمين.

(٣) عاصم بن أبي النجود الأسدي مقرأ

الكوفة. توفي سنة

١٢٨ هـ / ٧٤٥ م.

(٤) عبدالرحمن السلمي. توفي سنة

١١٠ هـ / ٧٢٩. (كتاب الطبقات

لخليفة بن خياط بغداد

١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م، ص ٣١٠).

(٥) ج: رواية.

(٦) ج: ز: قراءات.

(٧) ج: + عليه.

(٨) ج: نوازها.

(٩) ب، ج، ز: تعالقنا. د: تعاليقنا.

وبهذا اللفظ ينتهي ما سقط من (د).

(١٠) ج، ز: في.

(١١) د: تنزلت.

(١٢) ج: كثرة.

فتعاطت منصب الفقهاء، وتعلقت أطباع الجهال بها، فنالوها بفساد الزمان، وينفذ وعد الصادق في قوله: اتخذ الناس رؤساء جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا. ونحن نعتقد في ذلك عواصم، تكون^(١) رشحاً من الضلال، وسلاماً من الخيال، وتقياً^(٢) من^(٣) الخيال، بعون الله^(٤)، وذلك بين^(٥) في تعداد القواصم^(٦)، واتباعها في عواصمها.

قاصمة في حكاية سبب هذا الخيال:

فإن من عرف السبب أمكنه دفع^(٧) المسبب، بقطع سببه، وأما قطع المسبب مع بقاء^(٨) سببه^(٩) فمسير^(١٠). وكان سبب ذلك أن الفتن لما^(١١) ضربت رواقها، وتقاتل العباسية والأموية، وبعدت أقطار الإسلام، وتعذر ضبطها بالنظام، وانتشرت الرعية، نفذ^(١٢) إلى هذه البلاد بعض الأموية، فألقى هاهنا عصبية فثاروا به، وأظهر الحق، وقال: أحمي السنة، فلا فقه إلا فقه أهل المدينة، ولا قراءة إلا قراءة أهلهم. فالزموا^(١٣) الناس العمل بمذهب مالك، والقراءة على رواية^(١٤) نافع، ولم يمكنهم من النظر والتخير في^(١٥) مقتضى الأدلة، متى خرج ذلك عن رأي أهل المدينة، وذلك لما رأوه من تعظيم مالك لسلفهم، ولما أرادوه من صرف قلوب^(١٦) الناس^(١٧) إليهم، في تعلقهم بسيرة حرم رسول الله^(١٨)، و^(١٩) دار نبوته، ومقر سنته،

-
- | | |
|----------------------------------|-----------------------------------|
| (١) ب: يكون. | كما كان قبل قطعه. |
| (٢) ب، د: يقيناً. | (١٠) ب، ج، ز: - فمسير. |
| (٣) د: عن. | (١١) ب: - لما. |
| (٤) ب: - بعون الله. | (١٢) ب: ونفذ. |
| (٥) ب: بين. | (١٣) د: فالتزم. |
| (٦) ج: العواصم. | (١٤) ب: القراءة. ج، ز: القراءات. |
| (٧) د: رفع. | (١٥) ز: على الهامش: في نسخة: على. |
| (٨) ب: إبقاء. | (١٦) ب: القلوب. |
| (٩) ب، ز: + كما كان قبل قطعه. ج: | (١٧) ب: - الناس. |
| يعود كما كان قبل قطعه وفي هامش | (١٨) ب، ج، ز: + صلى الله عليه |
| ز: عله: يعود. ويبدو أن ناسخ ج | وسلم. |
| أخذها فجعلها في المتن. د: - يعود | (١٩) ج: - و. |

فصار التقليد دينهم، والافتداء يقينهم^(١)، فكلما جاء أحد من المشرق بعلم، دفعوا في صدره، وحقروا من أمره، إلا أن يستر عندهم بالمالكية، ويجعل ما عنده من علوم^(٢) [و ١٢٩ أ] على رسم التبعية، منهم بقي بن مخلد^(٣)، رجل فلقي علماء الأمة، وسادة^(٤) العلم، ورفعاء^(٥) الملة، كأحمد بن حنبل وأكروم، فارتبط، وظفر فاغبط^(٦)، وجاء^(٧) بعلم عظيم، ودين قويم، ولم يكن له أن يرتبط بمذهب أحد، وقد كان رقي من^(٨) العلم يقاعه، مع تفنن في العلوم، ومنة في نفسه. وجاء ابن وضاح^(٩) بمثله. فأما بقي بن مخلد^(١٠) فكان مهجوراً حتى مات. وأما ابن وضاح فلقي سحنون^(١١)، وتشرف بأصحاب مالك، وتلمذ ليحيى بن يحيى^(١٢)، وأعان المطالب لبي، شهادة^(١٣) فكأنه رقي المنازل، وطار في الدولة بجناح، وبقيت الحال هكذا، فماتت العلوم إلا عند أحاد حبي بشي^(١٤) من^(١٥) الحديث، واستمر القرون على موت العلم وظهور^(١٦) الجهل، فكل من تخصص لم يقدر على أكثر من أن يتعلّق ببذعة الظاهر، فيقول: اتبع الرسول. فكان هذا عوناً على الباطل، وذلك بقدر الله وقضائه.

ثم حدثت حوادث لم يلقوها^(١٧) في منصوص المالكية فنظروا فيها بغير

- | | |
|---|---|
| (١) ج، ز: بغيتهم. | (١٠) د: - ابن مخلد. |
| (٢) ز: على الهامش: في نسخة: العلوم. | (١١) أبو سعيد عبدالسلام بن سعيد بن حبيب المغربي المالكي. توفي سنة ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م. |
| (٣) بقي بن مخلد أبو عبدالرحمن توفي سنة ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م. | (١٢) يحيى بن يحيى الليثي المصمودي المغربي توفي سنة ٢٣٤ هـ / ٨٤٨ م. |
| (٤) د: سادات. | (١٣) د: - وأعان المطالب لبي شهادة. |
| (٥) ج، ز: رفقاء. | (١٤) ومعنى ذلك أنه شهد عليه وساعده خصومه على اتهامه. |
| (٦) د: واغبط. | (١٥) ج، ز: (في خير سير) بدل: |
| (٧) ب: جل. ج، ز: جد. | (١٦) د: ظهر. |
| (٨) ب، ج، ز: في. وفي هامش ز: في نسخة: من. | (١٧) ج، ز: يلقوها. |
| (٩) محمد بن وضاح الحافظ الأندلسي يكنى بأبي عبدالله حدث زاهد. توفي سنة ٢٨٦ هـ / ٨٩٩ م. | |

علم فتاهوا^(١)، وجعل الخلف منهم يتبع في ذلك السلف، حتى آلت الحال ألا ينظر إلى قول مالك، وكبراء أصحابه، ويقال: قد قال في هذه المسألة أهل قرطبة وأهل طلمنكة^(٢)، وأهل طليبة، وأهل طليطة، فانتقلوا من المدينة وفقائها^(٣)، إلى طليبة وطريقها وحدثت^(٤) قاصمة أخرى تعلم العلم، فصار الصبي عندهم إذا عقل، فإن سلكوا به أمثل طريقة لهم، علموه كتاب الله^(٥)، فإذا جذقه، نقلوه إلى الأدب، فإذا نهض فيه^(٦)، حفظوه «الموطأ»، فإذا لقنه، نقلوه إلى «المدونة»، ثم ينقلونه^(٧) إلى «وثنائق ابن العطار»^(٨) ثم يختمون^(٩) له بأحكام بن سهل^(١٠)، فقال: قال فلان الطليطي، وفلان المجريطي، وابن مغيث^(١١)، لا أغاث الله نداءه^(١٢)، ولا أناله رجاءه^(١٣)، فيرجع القهقري أبداً، إلى وراء^(١٤)، على^(١٥) أمه الهاوية.

ولولا أن طائفة نفرت إلى دار العلم، وجاءت بلباب^(١٦) منه، كالأصلي^(١٧)، والباقي^(١٨)، فرشت من ماء العلم^(١٩) على هذه القلوب الميتة، وعطرت [و ١٢٩ ب] أنفاس الأمة الزفرة^(٢٠)، لكان الدين قد ذهب. هذا مع

-
- | | |
|---|---|
| (١) ج، ز: - فتاهوا. | كتابه: الأعلام بنوازل الأحكام. |
| (٢) د: شلمنكة. | (١١) أحمد مغيث أبو جعفر فقيه طليطة. |
| (٣) د: فقهها. | توفي سنة ٤٥٩ هـ / ١٠٦٦ م. |
| (٤) ب، ز: حديث. وفي هامش ز بخط آخر: حدثت. | (١٢) ب، ج: نداه. ز: يده. |
| (٥) ج، ز: + تعالى. | (١٣) ب، ج، ز: رجاءه. |
| (٦) ب، ج، ز: منه. | (١٤) ب، ج، ز: ورأى. |
| (٧) ب، ج، ز: ينقلوه. | (١٥) ب: إلى. |
| (٨) ابن العطار هو محمد بن أحمد بن عبدالله. توفي سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٨ م. | (١٦) ج، ز: بلبان. |
| (٩) د: يختموا. | (١٧) أبو محمد عبدالله بن إبراهيم المغربي. |
| (١٠) ابن سهل هو عيسى أبو الأصبع بن سهل بن عبدالله الأسدي. توفي بقرنطة سنة ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م ويسمى | توفي سنة ٣٩٢ هـ / ١٠٠١ م. |
| | (١٨) سليمان بن خلف أبو الوليد الباجي. |
| | توفي سنة ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م. |
| | (١٩) د: العلوم. |
| | (٢٠) ج: في الهامش بخط آخر: يصح: الذفرة. |

أنه قد رحل ^(١) قوم من الضلال ^(٢)، كمسلمة بن قاسم ^(٣)، ومحمد بن مسرة ^(٤)، فجاءوا بكل مضرة، ومعرة، ورحل البلوطي ^(٥)، ولقي ^(٦) الجبائي، فجاء ^(٧) ببدعة القدرية في الاعتقاد، ونحلة الداودية في الأعمال. ولكن تدارك الباري بقدرته ضرر هؤلاء بنفع أولئك، وتماسكت الحال قليلاً. فإذا حلت بمسلم نازلة في اعتقاده ^(٨) ألفى ^(٩) قاصمة الدهر من عقائد البلوطي، ومسلمة، وابن مسرة، فأشركوا بالله ^(١٠) ما لم ينزل به سلطاناً، وأروه ^(١١) أنهم ^(١٢) لا يألونه تحقيقاً وبرهاناً، أو يصادف في دينه العملي داوياً، فإذا بدينه قد تدود، ونظام شرعه قد تبدد، فإن لقي مالكيّاً، وهي أشبه الحال، فيعرض ^(١٣) عليه عقيدته، فيحمله على الحق من غير قصد، فيحصل السائل على الأجر، ويؤء ^(١٤) هو بالوزر، قال النبي ﷺ: «القضاة ثلاثة، قاضيان في النار، وقاض في الجنة، رجل قضى بغير الحق ^(١٥)، وهو يعلم ^(١٦)، فذلك ^(١٧) في النار، وقاض لا يعلم، فأهلك حقوق الناس، فهو في النار، وقاض قضى بالحق هو في الجنة». وإن سأله عن مسألة من عمله في الدنيا ^(١٨) لم يقف عند سؤاله، ولكنه إن كانت في حكومة لقنه، وتلقين الخصم، فيه ما فيه. وإن كانت ^(١٩) فيما يختص به مثل يمين ^(٢٠)، سأله عن كيفية يمينه ^(٢١)،

-
- | | |
|---|--|
| (١) د: ذهب. | (٩) ب: لقي. |
| (٢) د: شطب على «قوم من الضلال». | (١٠) ج، د، ز: في الله. |
| (٣) مسلمة بن القاسم بن إبراهيم مؤرخ ومحدث أندلسي قرطبي توفي سنة ٣٥٣هـ / ٩٦٤م. | (١١) ب، ج، د، ز: راوه. وفي هامش ب، ز: في نسخة: أروه. |
| (٤) محمد بن عبد الله مسرة توفي سنة ٣١٩هـ / ٩٣١م. | (١٢) د: أنه. |
| (٥) أبو الحكم منذر بن سعيد البلوطي قاضي الجماعة بقرطبة توفي سنة ٣٥٥هـ / ٩٦٥م. | (١٣) ب: فتعرض. |
| (٦) ب، ج، د، ز: فلقى. | (١٤) ب، د: يتوء. |
| (٧) ب، ج، د، ز: وجاء. | (١٥) ب، ج، د، ز: حق. |
| (٨) د: اعتقاد. | (١٦) د: فعلم - وهو. |
| | (١٧) ب: فذاك. |
| | (١٨) د: من علمه الديني. |
| | (١٩) ج، د، ز: كان. |
| | (٢٠) د: - مثل يمين. |
| | (٢١) ج: تكرر: سأله عن كيفية يمينه. |

وسببها^(١) وهيتها^(٢)، وبساطها، ونيتها فيها، وجعل يفتله^(٣) في الذروة والغارب، لعله أن يصرفه بالخية، عما رجاه في تلك القضية^(٤)، وهذه جهالة عظمى.

قاصصة:

فإن ظهر عندهم من له معرفة، أو جاءهم بفائدة في الدين، وطريقة من سلف الصالحين، وسرد لهم البراهين، غمزوا^(٥) جانبه^(٦)، وقبحوا^(٧) عجائبه، وعيبوا^(٨) حقه استكباراً، وعتواً، وجحدوا علمه، وقد استيقنته أنفسهم^(٩) ظلماً وعلواً، وسعوا في إخمال ذكره، وتحقير قدره، وافتعلوا عليه، وردوا كل عظمة إليه [و ١٣٠ أ].

عاصمة:

هذا الذي قدمنا ذكره من فساد الزمان، وتغير الأحوال، قد أنذر به المصطفى ﷺ، قبل وقوعه كما قدمنا وأخبر بأن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، وأن المنكر يصير معروفاً، والمعروف^(١٠) منكراً. ومع هذا فإنه قال: «لا تزال طائفة من أمتي منصورين على الحق، لا يضرهم من خالفهم» وتدعي كل طائفة^(١١) ذلك، زين لها عملها، وجاءها^(١٢) كتابها وأجلها، وعلى المرء أن يجتهد في إبراز الدليل، وإظهار الحق، والهدى هدى الله، يهبه لمن يشاء، وإذا بان الدليل، يبقى خلق القبول، فلا^(١٣) أين من أدلة الله تعالى،

- | | |
|-----------------------------------|-------------------------------------|
| (١) د: - سببها. | (٩) د: نفوسهم. |
| (٢) ب، ج، ز: - هيتها. | (١٠) ب: + يصير. |
| (٣) ب، ز: يقلبه. | (١١) ز: في الهامش: أعرف هذه المقالة |
| (٤) د: القصة. | فإني ألقت في معناها رسالة سميتها: |
| (٥) ب: عدموا. ج: عرفوا. ز: | الكثر المصون في بعض ما يشير إلى |
| (٦) ب، ز: جوانبه. ج: جوانبه. | قوله تعالى: ﴿ولقد زيننا لكل أمة |
| (٧) ب: نبجوا. د: تنجوا. ز: تنجوا. | عملهم﴾ ﴿كل حزب بما لديهم |
| (٨) د: غيوا. | فرحون﴾. |
| | (١٢) ج: جاء. |
| | (١٣) ب: ولا. |

على يدي رسل الله، بآياته الباهرة^(١)، ثم يبقى القبول على قوم كثير لم يرزقوه، والذي يجب على الولي في الصبي المسلم^(٢)، كان أباً أو وصياً، أو حاضناً، أو الإمام، إذا عقل أن يلقنه الإيمان، ويعلمه الكتابة، والحساب، ويحفظه أشعار العرب العاربة، ويعرفه العوامل في الإعراب، وشيئاً من التصريف ثم يحفظه إذا استقل واشتد^(٣) في العشر الثاني، كتاب الله. وهو أمر وسط بيننا^(٤) وبين أهل المشرق، ثم يحفظه^(٥) أصول^(٦) سنن الرسول^(٧)، وهي نحو من ألفي حديث في الأبواب، تضمنها^(٨) البخاري ومسلم، هي عماد الدين، ويأخذ هو بعد ذلك نفسه بعلوم القرآن، ومعاني كلماته، ولا يشتغل برواية الحديث من كل كتاب فالباطل فيه كثير، وما الصحيح من حديث النبي^(٩) إلا كنقطة من بحر وليحذر كتب الصالحين^(١٠)، ومن ينتمي إلى الوعظ، فإنهم لم يألو في الكذب على رسول الله^(١١) بقصد، وبغير قصد، ولا كتاب يعول^(١٢) على حديث منها إلا كتاب ابن المبارك^(١٣)، وأحمد بن حنبل، وهناد بن السري^(١٤). ولا يفرط في علوم الفرائض فإنها أصل الدين، وهو أول ما يذهب من المسلمين، فبالسنة يفرضها، وبالحساب يقسمها، ولا يغفل^(١٥) نفسه عن^(١٦) الأنساب، ولا عن شيء من أصول^(١٧) الطب، وليتخذ عبارة

- | | |
|--|---|
| (١) ب، ج، ز: الظاهرة. | (١٢) ز: في الهامش: عله: فيه. |
| (٢) ج، ز: + إذا. وفي هامش ب: في نسخة: إذا كان. | (١٣) عبد الله بن المبارك أبو عبد الرحمن، فقيه، حافظ، زاهد، توفي سنة ١٨١ هـ / ٧٩٧ م. |
| (٣) ب، ج، ز: استبد. | (١٤) أبو السري هناد بن السري صاحب كتاب «الزهد» حافظ كوفي توفي سنة ٢٤٣ هـ / ٨٥٦ م. |
| (٤) ب، ج، ز: متساو. | (١٥) كذا في جميع النسخ: ولعله: لا يخل. |
| (٥) ب، ج، ز: يحفظ. | (١٦) هنا يبدأ سقوط ما سقط من (د) بمقدار ثلاث ورقات ويستمر إلى آخر الكتاب. |
| (٦) ج: - أصول. | (١٧) ب: - أصول. في هامشها: في نسخة أصول الطب. |
| (٧) د: + صلى الله عليه وسلم. | |
| (٨) ب، ج، ز: نظمها. | |
| (٩) ب، ج، ز: رسول الله صلى الله عليه وسلم. | |
| (١٠) ز: في الهامش: هذا الكلام فيه نظر. | |
| (١١) ب، ج، ز: + صلى الله عليه وسلم. | |

الرؤيا أصلاً، ولا يقل متى أحصل هذا؟ فإنه ليس المطلوب منها الغاية، فإنها لا تنالها إلا الأفراد، وإنما ينبغي لكل عاقل أن يتخصص بجزء جزء منها، ولا يفرد نفسه ببعض العلوم، فيكون إنساناً في الذي يعلم، بهيمة فيما لا يعلم، ولا سيما من أقام عمره حساباً، أو نحوياً، فقد هلك، فإنه بمنزلة من أراد صنعة شيء، فحشد^(١) الآلة عمره، ثم مات، قبل عمل صنعته، ولا يصنع إلى من يقول له: تكن مقصراً في كل علم إذا فعلت هذا، والأولى بك أن تقف نفسك على علم واحد، فإنه قول جاهل بالعلم. إذ أخذ المرء نفسه بهذا القانون الذي رسمناه، سيعتمد^(٢) على ما يراه أوكد، ويجعل الباقي تبعاً، وأنبئكم أني ما رأيت بعيني محيطاً بهذه العلوم التي ذكرت لكم، ولا مشاركاً فيها إلا واحداً^(٣)، فبان أن الإحاطة غير ممكنة، والمشاركة ممكنة، والإحاطة بعلم واحد غير ممكن. هذا النحو، ما علمت من أحاط به إلا سيويه^(٤)، والفارسي^(٥) البدعي، وقد أفسدت عليه بدعته كثيراً من نحوه. وإذا فهمت هذا، فلا تنكر أن لا تجد عالماً - إن وجدته - إلا واحداً، فإن الإسلام بدأ غربياً، وسيعود غربياً كما بدأ، حتى إنه لما بدأ من واحد، لا بد أن يعود إلى واحد، لا سيما في البلاد القاصية، والثغور النائية، وحيث يكون الثوار لبعدهم عن مقر الخلافة، ومعدن الإمامة، ولو شاهدتم الشام، والعراق في عشر تسعين وأربعمائة، لرأيتم ديناً ظاهراً، وعلماً وافراً، وأمنأ متسقاً، وشملاً منتظماً، لا تمكن^(٦) عبارة عنه لبهرة حاله، وزهرة كياله، فهبت عليه من المقادير جرجف من شمائل، وجنائب فتركت الشام كأمس الذاهب، ومحت

(١) ج، ز: فحشد. ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م ص ٧٤.

(٢) ج: يستعتمد. الذهبي، العبر، ج ١ ص ٢٧٨.

(٣) ب، ز: واحد. (٥) أبو علي الفارسي الحسن بن أحمد

النحوي وكان فيما يقول الذهبي متهاً

بالاعتزال، توفي سنة

٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م (الذهبي، العبر،

ج ٣ ص ٤). ز: في الهامش: قف

على أن أبا علي الفارسي بدعي.

(٦) ج، ز: يمكن.

(٤) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر

البصري إمام العربية وصاحب

«الكتاب» توفي سنة

١٨٠ هـ / ٧٩٦ م (محمد بن الحسن

الزبيدي، طبقات النحويين

والسفوسين، القاهرة

كلمة الإسلام عن المسجد الأقصى، وقتل فيها في غداة الجمعة لاثني عشر^(١) بقيت لشعبان سنة اثنين وتسعين وأربعمائة، ثلاثة آلاف^(٢) ما بين عابده، وعالم، ذكر وأنثى، ومعتكف من مشهور الحالة، ومذكور بالديانة، وفيها قتلت العالمة الشيرازية^(٣) بقية السلسلة، في جملة النساء، وبموت الملك العادل^(٤) في سنة ست وثمانين، وبموت المقتدي بالله^(٥)، ظهرت الفتنة بأرض خراسان قامت الباطنية، واختلفت أولاده، وتمكنت الروم فغزت الشام، واستولت على ثالث مشاهد الإسلام، وخرجت، وقد أخذت من «أبي جاد» إلى «حطي» ويلغي أنها قد استوفت^(٦) منه الظلمة الساكنة. وقد ذكرت في «ترتيب الرحلة» من سيرة القضاة، والفقهاء، وانتسابهم للأقضية والأحكام ما فيه كفاية. لقد كنت يوماً جالساً بمدرسة الشافعي «بباب الأسباب» في «المسجد الأقصى»، وقد انعقد على الطوائف، من الشافعية والحنفية، وهم في مجلس النظر، فإذا سائل قد وقف علينا، وخاطب صاحب المدرسة القاضي الرشيد يحيى بن مفرج المقدسي^(٧)، وكان أسن أصحاب نصر، فقال له: حلفت بالطلاق ثلاثاً من امرأتي ألا آكل جوزاً، ثم أكلتها ناسياً، فنظر إليهم وقال: ما تقولون؟ فقالت الحنفية عن بكرة أبيها: يحنث، واختلف قول

٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م فيما ذكره الذهبي
أو ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م كما في هذا
النص وكان يلقب بالسلطان العادل.
(٥) الخليفة العباسي أبو القاسم
عبدالله بن محمد توفي
٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م.

(٦) ب: استولت. وفي هامشها: في
نسخة: استوفت.

(٧) يحيى بن المفرج أبو الحسن اللخمي
المقدسي من أهل القرن الخامس لم
يذكر السبكي تاريخ وفاته وهو
شافعي (السبكي، طبقات الشافعية،
ج ٤ ص ٣٢٤).

(١) قال الذهبي: إن ذلك في سبع بقين
من شعبان (العبر، ج ٣ ص ٣٣٢)
وفي النجوم الزاهرة إن ذلك كان في
١٣ من شعبان (يوسف بن تغري
بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر
والقاهرة، ج ٥ ص ١٦٤).

(٢) ويقول أبو الفرج بن الجوزي في
المنتظم إنه قيل أزيد من سبعين ألف
(المنتظم في تاريخ الملوك والأمم،
ج ٩ ص ١٠٨).

(٣) الشيرازية... لم نعثرها على ترجمة.
(٤) هو السلطان ملكشاه أبو الفتح جلال
الدولة ابن السلطان ألب أرسلان
محمد بن داود السلجوقي توفي سنة

الشافعية فيها فتبسم القاضي الرشيد، وقال له: اذهب لا شيء عليك. وكنت أشاهد الإمام أبا بكر فخر الإسلام الشاشي^(١) في مجلسه بباب العامة من دار الخلافة يأتيه السائل فيقول له: حلفت ألا ألبس هذا الثوب، فيأخذ من هديته مقدار الأصبع ثم يقول له: البسه لا حنث عليك، وشاهدته إذا^(٢) جاءه رجل وقال^(٣): حلفت ألا أفعل كذا، واضطرت إليه فيقول له: قل: إذا وقع على امرأتي طلاق في فهي طالق قبله ثلاثاً. ثم يكتب له أنه قال كذا، فليفعل ما شاء، وليطلق متى شاء فإنه لا يقع عليها طلاقه. فانظر إلى لينهم للخلق، وتسهيلهم عليهم، وفي ذلك قدوة بعمرين الخطاب. قال مالك في الموطأ: إن رجلاً قال لامرأته حبلك على غاربك فكتب إلى^(٤) عمر أن يوافيه بالموسم، فبينما هو يطوف بالبيت إذ لقيه الرجل فسلم عليه، وقال له: أنت الذي أمرتني أن أقدم عليك؟ فقال له^(٥) عمر: برب هذا البيت ما أردت بقولك: حبلك على غاربك؟ قال: أردت الفراق. فقال عمر: هو ما أردت فانظر كيف رفق به على غلظته، وحلفه حين اتهمه، ولم يبق لمن وضع قيد راحلته على غاربها فيه بقية من ربط، ولا جزء من قيد، ولكن قلده دركة، وكفى به قدوة. وأما في المسألة^(٦) النماضي في رفع الحنث عن الناسي فإنه دين، وما أخذ الله الناسي بحكم في الدنيا، ولا بذنب في الآخرة، وكل من حنث ناسياً، فالحق أنه لا شيء عليه بحال.

وأما المسألة الثانية في الحنث ببعض الفعل، وعدم البر ببعضه، فمالك فيها على الحق حسبما بيناه في موضعه. وأما المسألة السريجية فهي تلاعب بالدين لا ينبغي أن يلتفت إليها، والحيل في تغيير الأحكام غير نافعة في دين الإسلام. ولكن ينبغي للفقهاء المجتهدين، لا للحافظ للمسائل المقلد، إذا جاء من وقع في أنشودة من يمين أن يخلصه بمسألة ظاهرة، بين الصحابة والتابعين

-
- | | |
|--|------------------------------------|
| (١) محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشي توفي سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٥ م (طبقات الشافعية الكبرى، ج ٤ ص ٥٧). | (٣) ب: جاء إليه رجل قال. |
| (٢) ج: إذا. | (٤) كذا في: ب، ج، ز. |
| (٥) ب: - له. | (٦) كذا في: ب، ج، ز: ولعله: مسألة. |

إذا رأى أنه إن لم يخلصه بها، وقع في أشد منها، وهو أن يستهين بالمسألة، ويفتح فيها ما لا يجوز، فالأفضل للمفتي أن يفتح له باباً ويمشي به على طريق^(١) فإنه إن سدد عليه باب الشرع، فتح هو إلى الحنث باباً يقتضيه، وأخذ في طريق من المعصية يسلكه، ورأى أنه قد وقع في ورطة لا يبالى^(٢) ما صنع بعد ذلك. وهذه سيرة العلماء المتقدمين وطريقة الأبحار الراسخين. قد كان مالك رضوان الله عليه يفتي بأن من قال: إن تزوجت فلانة فهي طالق، أنها تطلق عليه^(٣)، إذا تزوجها فلما سأله المخزومي عنها، له أو لغيره؟ قال له: لا شيء عليه. وكذلك كان ابن القاسم يفتي فيمن حلف بالمشي إلى مكة فحنث، أنه يلزمه المشي إليها. فلما وقعت المسألة لولده^(٤) أفتاه بمذهب عائشة رضي الله عنها، أنه يجزيه كفارة يمين، مخافة^(٥) أن يكلفه المشي، فلا يفعله، فيستهين بمسألة في الدين، فيكون ذلك طريقاً إلى غيرها، فيستهين أيضاً بها، فأراد أن يخرجها عنها. ويحتمل أن يكون رأي ذلك ابن القاسم، فقال له ما رأى، والله أعلم.

وكذلك مسألة «الحلال عليه حرام» على اختلاف ألفاظها، وهي عشرة، وتعدد أحكامها وهي خمسة عشر قولاً، وقد بينها في «أحكام القرآن» وغيره، و^(٦) في المدونة في بعض الأقوال أنه لا شيء فيها. ومالك لم ير بهذا القول حرمة إلا إذا قصد به الزوجة. فأما لو قال: الحلال عليه حرام، فجعلها علماً أو كناية^(٧) عن الزوجة، ينوي فيها في موضع، ولا ينوي في آخر. وقال في الحلال عليه حرام، أنه أن يحاشيها بقلبه، ويقول لم أنوها. وليس معه ما يحرم سواها، فإذا حاشاها بقي اللفظ لغواً^(٨) فلم يعده مالك بذياً^(٩) ورأى القول ساقطاً. فإذا ضعفت المسألة عند العالم، كان ما تركب عليها أضعف مثل أن يحلف بالحلال عليه حرام، ألا يأكل كذا، فأكله ناسياً، فدخلت

(١) ب: طرائق.

(٦) ج: - و.

(٢) ج: + بعد.

(٧) ج: ز: علماً وما كنى به.

(٣) ج: تكرر: تطلق عليه.

(٨) ب: لغو.

(٤) ب: لوالده.

(٩) ج: إرماء. ز: ندباً.

(٥) ج: مخافة.

مسألة النسيان على مسألة الحرام فضعفتاً^(١)، وليس في القوة كمن يخلف بالطلاق ناسياً، فيحث، كما يقال في الحرام أنه ينوي ما قصد مما لم يقصد، كذلك يقال له^(٢): إن يكن^(٣) في النسيان لم يقصده، فلا يدخل في اليمين. وهذا جزء^(٤) من الفتوى عظيم في تركيب المتفق عليه على المختلف فيه، وهو أمر خفي على علمائنا فافهموه. وكذلك مسألة الأيمان اللازمة، أعظم^(٥) القول فيها المتأخرون وانتهى الحال ببعضهم، إلى أن يلزموه الطلاق الثلاث، ويعطوه من كل أصل من الأيمان أقله، إلا الطلاق، فإنهم يلزمونه أكثره. ومالك قد أعطاه الأقل في قوله^(٦): على أشد ما أخذه أحد على أحد. قال: يطلق نساء^(٧)، ومذهب مالك الصريح إنه إذا ألزم الرجل نفسه جميع الطلاق كان لغواً، فأحرى إذا ألزم نفسه جميع الأيمان أن يكون لغواً. وهذا دستور في الفتوى ينبغي أن ينظر به سواء.

فأما إن وقعت نازلة عظيمة بالمسلمين، فلا ينبغي أن يقتصر فيها على عالم واحد، كـ كانت الصحابة تفعله، وليسأل عنها كل من يظن أن عنده علم، فإنها إن وضعت^(٨) في يدي غير أهلها، كان ذلك عائداً بفساد الحال. وربما تعدى إلى أكثر منه، وكفى بك داء أن تعرض علتك على غير طبيب، لا سيما إن كان هنالك جسارة، وعلى إثارة الدنيا على الدين هواده^(٩)، فتلك علة لا براء منها، وعثرة لا مآلاً^(١٠) لها، كحادثة بقي بن مخلد، فإنه جاء بعلم عظيم، واستأثر بمذهب لإمامته، ولم ير أن يقلد أحداً، فرمته القرطبية عن قوس واحد^(١١)، فاستقل^(١٢) ابن أبي هاشم الوزير^(١٣)، بل قد أعانته^(١٤) العزيز القدير^(١٥)

-
- | | |
|----------------------------------|------------------------------------|
| (١) ب: فضعفت. | (٨) ج: وضعت. |
| (٢) ب: - له، في الهامش: في نسخة: | (٩) ج: هواده. |
| له إن في النسيان. | (١٠) لعا. |
| (٣) ب: - إن يكن. | (١١) كذا في ب، ج، ز: والقوس مؤنثة. |
| (٤) ب: جزء. | (١٢) ج: فاشتغل. |
| (٥) ز: في الهامش: في نسخة: عظم. | (١٣) لم نهند إلى تاريخ وفاته. |
| (٦) ب، ز: + له. | (١٤) ب: أغاثه. |
| (٧) ج، ز: نساءه. | (١٥) ج: - القدير. |

وحماه، ومات على ظهور وجهه^(١). ولقد سمعت يونس بن محمد^(٢)، وكان من جلة القرطبية يقول: إن بقي بن مخلد، حضر في جنازة، احتفل فيها أهل الدولة والوزير ابن أبي هاشم حاضر، وأقاموا ينتظرون الجنازة، فجدبوا ذيل الحديث، إلى أن نظر الوزير، إلى تلك الشارة الزهراء، والأبهة العظمى والحفل^(٣) الأكبر، فقال لبقي بن مخلد: يا فقيه أين هذه الهيبة والجلال من التي رأيت بتلك البلاد؟ فقال له بقي جهراً: أنتم تزيدون عليهم بثلاثة أشياء، فاستشرق الوزير إلى سماع كلامه، مستبشراً بما صرح به من الزيادة لهذه الحال على تلك، فقال له: وما هذه الأشياء الثلاثة التي ذكرت: زدنا عليهم؟^(٤) قال: الجهل، والفقر، وقلة العقل. فحجل الوزير، وأبته الكل، واحتملها ما^(٥) كان بينه وبينه، ولأن الأصل فهو الحق، أن الله وقاه، وكذلك وجدت الحال أنا هناك، وهاهنا بعد مائتين وثمانين عاماً على تلك النسبة، وكذلك يكون إلى يوم القيامة. والله أعلم^(٦).

الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم وكان الفراغ من نسخه يوم الأحد ١٤ من محرم سنة ١٢٨٩ هـ.

وكتب في آخر (ز): تمت العواصم من القواصم بحمد الله وعونه يوم الجمعة ثاني عشر ذي الحجة الحرام، وفي شهر عام ١٢٥٨ هـ ثمان وخمسين ومائتين وألف بعد اشجرة النبوة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية. بيد الفقير إلى المحسن عبده الحاج حمودة بن حمودة بوسن التونسي مولداً الطرابلسي القرباتي أصلاً ونسباً المالكي مذهباً، الأشعري اعتقاداً كان الله له، وختم بالخير عمله أمين. نسخها نفسه ثم لمن شاء الله بعده غفر الله زلله وجبر يمنه خلله ورحم الله آباءه وأشياخه ومعلميه وجميع المسلمين أمين.

(١) ج: ز: ظهور وحياء.

(٢) يونس بن محمد أبو الوليد توفي سنة ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م.

(٣) ج: الحيل.

(٤) كذا في جميع النسخ. واقترح الشيخ ابن باديس أن يكون الكلام: ذكرت أنا زدنا عليهم (ج ٢ ص ٢١٨).

(٥) ب: بياض بالأصل. وكتب ابن باديس اقتراحاً: لما.

(٦) ب: كتب في آخرها. تمت العواصم من القواصم بحمد الله وعونه يوم الأربعاء في العشر الأوسط من شهر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وستمائة والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين، وآله وصحبه أجمعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكتب في آخر (ج): تمت العواصم من القواصم بحمد الله وحسن عونه، وتوفيقه الجميل، وحسبنا الله ونعم

ملحق

من كتاب ابن العربي «سراج المريدين»
المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٠٣٤٨ ب
(المؤلفات التي أتى بها ابن العربي من المشرق)

ومن الفائدة المذكورة كتاب ابن ماکولا^(١) في المؤلف والمختلف، كتاب جذوة المقتبس تاريخ الأندلس، اختصار تفسير القرآن للطبري، تفسير القرآن للقشيري المسمى بالطائف والإشارة^(٢)، أسماء الله لابن فورك، أسماء الله للقشيري، الأحاديث التي خولف فيها مالك للدارقطني، اللينين^(٣) للفريابي، من الأفراد للدارقطني، صحيح الحديث للإسماعيلي، نسخة أبي زكريا، يحيى بن معين من حديث يحيى بن يحيى التميمي، حديث هلال الخفصار، مشيخة علي بن شاذان، تسمية شيوخ مالك، وسفيان وشعبة لمسلم، وفاة الشيوخ للمنادلي، ونسخة همام بن منه، كتاب الشجر للجوزجاني في أسماء المحدثين، المدخل إلى معرفة كتاب البخاري للإسماعيلي، تسمية كل من روى عن مالك بن أنس ألف رجل تأليف الخطيب، الفصل للوصول المدرج في النقل له، طبقات الفقهاء للشيرازي، في أوهام البرادعي لعبدالحق، الخصال للعبيدي، الشامل لابن الصباغ، الأساليب لأبي المعالي، والغنية له، تعليقة الخنجر في تعليقة أبي المطهر المعداني خطيب أصفهان، المشجر في نكت النظر

بسيوني، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٩ م - ١٩٧٠ م طبع منه أربع مجلدات.

(٣) كذا في الأصل، ولعله: كتاب اللينين.

(١) قاضي القضاة أبو عبد الله الحسين بن علي (+ ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م) (العبر، ج ٣ ص ٢١٣).

(٢) طبع أخيراً تحت عنوان: لطائف الإشارات تحقيق الدكتور إبراهيم

للحاكم الاستراباذي السعيداني في عشرين ورقة بأدلة مسائل الفقه أجمع لم يؤلف بشر مثله يقول فيه: دليل يثبت مائة مسألة، وهي كذا وكذا، دليل يثبت تسعين مسألة، وهي كذا وكذا، دليل يثبت سبعين، دليل يثبت عشرة، وتسميتها هكذا، حتى تمت المسائل كلها، بلغة النظر للخجندي، أسرار الله في المسائل للدبوسي في عشرة أسفار، وقد كنت وردت من تلك الديار الكريمة، سنة خمس وتسعين فنزلت بتلمسان، وبفاس، وكنت أذكر منها مسائل، وأعجبهم من أغراضها، فما تحركت لذلك همه، ولا نشأت عزيمة، إلا لرجل واحد، علم أني إذا سئلت قراءتها أو إعارتها، أقول: هي من أواخر الكلم، فإذا أخذتم أوائلها، مكنتم منها وتاقت نفسه إليها، فرحل إلى العراق، وكتبها من مدرسة الحنفية، بمدينة السلام، وجاها، وكان ذلك من جميل صنع الله معي، فإنه لما ذهب ببعضها، عبد في الدار، أسفت لها، ولما مضى من أمثالها، مما لا أجبره، إلا بالرحلة، مرة أخرى، فأعلمت بأن هذا الرجل، جلبها فاستدعيتها، وجبرت ما فاتني منها، ولكن النسخة التي جلبها هذا الرجل سقيمة، لم يعرضها بالأم، ولا قرأها على شيخ، ففيها سقم كثير، فما سلم منها عندي صح منه، وبقي ما لم يكن عندي على سقمه، والله يصحح لنا أدياننا وعلومنا برحمته.

الأكسير الأحمر لقاضي العسكر في مسائل الخلاف، وأصول الفقه له، تعليقه ابن عمرو، في نصرة مذهب مالك ستون جزءاً، تعاليق مسائل الفرائض باختلاف معانيها ألفاً ودليلاً تأليف أبي عبدالله الفرضي الشقاق الزاهد، (ورقة ٢٢٨) اختصار التقريب، والإرشاد للرازي الحنفي الإسكندراني، مدارك العقول لأبي المعالي، البرهان له، المنحول، والمتنخل، والتعليقة للطوسي^(١)، شفاء الغليل له، عذر^(٢) الدرر تحقيق سؤال الكسر للشاشي، نفي السريحية لابن الصباغ، تحقيقها لشيخنا أبي بكر الشاشي، العقيدة النظامية لأبي المعالي، الجامعان الجلي والحنفي للإسفرائيني عشرة

(١) أي الغزالي.

(٢) كذا في الأصل. ويمكن أن تقرأ:

عذر.

أسفار، الأوسط لأبي المظفر صاحبه، غياث الأمم في التياث الظلم لأبي المعالي، المحك، المعيار، تهافت الفلاسفة، الأربع في شرح الزهد، إعجاز القرآن للخطابي، إعجاز القرآن لابن الطيب القاضي، نقض التسديد لعبد الجليل، الاقتصاد في الاعتقاد، نقض نقض التمهيد للطبري لمهدي الوراق. استدراك أبي عمر الزاهد على ابن قتيبة في غريب الحديث، فضل الوضوء لابن شاهين، الفقيه والمتفقه للخطيب، المجلة لأبي عبيدة المثني، ومن العربية والأشعار جملة كبيرة، مما تعود إلى تفسير القرآن، والحديث، وجردت منها جملة عظيمة، في أنوار الفجر في مجالس الذكر، معجزات محمد ألف معجزة^(١)، قانون التأويل، شرح المشكلين، الناسخ والمنسوخ، والأحكام، سراج المريدين في القسم الرابع علم التذكير، المحصول، التمهيد، العواصم من القواصم، شرح الترمذي، المتوسط في الاعتقاد، عوالي الحديث، جملة وافرة، مما نفرت إليه، ورجعت به، مما لم أسبق إليه، وتفقهت فيه، وبه، أنذرتكم به اقتداءً بمن تلزمني طاعته، خير البشر، وأكرم البدو، والحضر، رغبة في أن أكتب فيما أخبر الله عنهم، وبشر بهم، والله ينفعني وإياكم برحمته.

مخطوط بالقاهرة، إلا أنني لم أستطع العثور عليه (412 - 525) (Brock 1) وذكر بروكلمن أيضاً في الملحق (S.E) (632) أن لأبي بكر بن العربي كتاب القواعد، مخطوط بالإسكوريال. كذا في جميع النسخ ولعله: بالمفعول وهو نفس ما ورد في المقاصد: (والطبع، المحض هو الفعل المنفك عن العلم

(١) فاتني أن أذكر من بين مؤلفات ابن العربي كتاب معجزات محمد ألف معجزة، المذكور في هذا النص، وكتاب النكاح ذكره في كتاب العواصم من القواصم (ص ٣٧٠) ولعل الكتاب الأخير هو الذي ذكره بروكلمن تحت عنوان «فرائض النكاح»، وستة، وآدابه ذكر أنه

فهرست مراجع الدراسة والتحقيق

- أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي، تحقيق علي محمد الجاوي، البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م.
- الإرشاد للجويني إمام الحرمين، تحقيق محمد يوسف موسى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م. وط. باريس بتحقيق وترجمة ليساني وابن زكري، ١٩٣٨ م.
- أزهار الرياض، للمقري، القاهرة، ١٩٤٢ م.
- تاريخ حكماء الإسلام، لليهقي، مخطوط بدار الكتب المصرية.
- تاريخ الفلسفة في الإسلام، لدى بور، ترجمة محمد بن عبد الهادي أبو ريده، القاهرة، ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م.
- تاريخ الفلسفة الإسلامية، لهنري كوربان، الترجمة العربية، بيروت، ١٩٦٦ م.
- تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، لابن عساكر، دمشق، ١٣٤٧ هـ.
- التبصير في الدين، للإسفرائيني، القاهرة، ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠ م.
- تثبيت دلائل النبوة، للقاضي عبد الجبار، تحقيق عبد الكريم عثمان، بيروت، ١٩٦٦ م.
- تذكرة الحفاظ، للذهبي، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٣٤ هـ.
- التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، ترجمة عبدالرحمن بدوي، القاهرة، ١٩٦٥ م.
- التراتيب الإدارية في المدينة المنورة العلية، لعبدالحفي الكتاني، الرباط، ١٩٦٤ م.

- ترتيب الرحلة للترغيب في الملة، لأبي بكر بن العربي (قطعة منها) مجموع «كتاب الأنساب» مخطوط الرباط، رقم (ك ١٢٧٥).
- تليس إبليس، لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة (دون تاريخ).
- تفسير شيخ الإسلام، ابن تيمية، تحقيق عبدالصمد شرف الدين، بمباي، الهند، ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م.
- التمهيد، لأبي بكر الباقلاني، تحقيق الأب رتشارد مكارثي، بيروت، ١٩٥٧ م.
- التنبيه والإشراف، للمسعودي، نشر عبدالله إسماعيل الصاوي، القاهرة، ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م.
- تهافت الفلاسفة، للغزالي، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م.
- تهافت الفلاسفة، للغزالي، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦ م. وط. بيروت تحقيق بويج، ١٩٢٧ م.
- تهافت التهافت، لابن رشد، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، القسم الأول ١٩٦٤ م، والقسم الثاني ١٩٦٥ م.
- جافع مسائل الأحكام، للبرزلي، مخطوط المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم ١٣٣٣.
- جامع بيان العلم وفضله، لابن عبدالبر، القاهرة، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م.
- الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي، ط. ٤، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧ م.
- الجواهر المضئية في طبقات الحنفية، محمد عبدالقادر القرشي، حيدرآباد الدكن، الهند (١٣٣٣).
- أبو حامد الغزالي، ومعارضوه من أهل السنة، للدكتور النشار، مجلة كلية الآداب، بغداد، العدد الأول، جزيران ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م.
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، للسيوطي، القاهرة (دون تاريخ).

- دراسات في الفلسفة الإسلامية، للدكتور محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، ط. ١، القاهرة، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م.
- دراسة لجمهورية أفلاطون، للدكتور فؤاد زكريا، دار الكتاب، القاهرة، ١٩٦٧ م.
- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، للدكتور أحمد مختار العبادي، ط. الأولى، الإسكندرية، ١٩٦٨ م.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، القاهرة، ١٣٥١ هـ /
- الرد على المنطقيين، لابن تيمية، تحقيق عبدالصمد شرف الدين، بمباي، ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م.
- الرسالة اللدنية للغزالي، القاهرة، (دون تاريخ).
- رسائل إخوان الصفاء، المطبعة العربية، القاهرة، ١٩٢٨ م.
- رسائل فلسفية، لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي، نشر بأول كراوس، القاهرة، ١٩٣٩ م.
- سراج المريدين، لأبي بكر بن العربي، مخطوط دار الكتب المصرية، رقم (٣٠٣٤٨ ب).
- سانتلانا، محاضرات الجامعة المصرية، مخطوط في مكتبة أستاذنا الدكتور النشار.
- سير أعلام النبلاء، للذهبي، مصور في دار الكتب المصرية، رقم (١٢٩٥ ح).
- الشامل، لإمام الحرمين الجويني، تحقيق الدكتور النشار، ويفصل بدير عون، وسهير محمد مختار، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٩ م.
- الشجرة الزكية، في طبقات المالكية، لمحمد مخلوف، القاهرة ١٣٥٠ هـ.
- شذرات الذهب، لابن العماد، القاهرة، ١٣٥٠ - ١٣٥١ هـ.
- شرح الشفاء، لعلي القاري، ط. استانبول، ١٢٢٩ هـ.
- شرح صحيح الترمذي، لأبي بكر بن العربي، القاهرة، ١٣٥٠ هـ / ١٩٣١ م.
- الشفاء (قسم الإلهيات) تحقيق محمد يوسف موسى، وسليمان دنيا، وسعيد زايد، ومراجعة الدكتور إبراهيم مذكور، القاهرة، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م.

- طبقات الشافعية، للسبكي، ط. الأول، المطبعة الحسينية، القاهرة، ١٣٢٣ هـ.
- العبر في خبر من غبر، للذهبي، الكويت، ١٩٦٠ - ١٩٦٦ م.
- العقيدة والشريعة في الإسلام، لجولدزهر، ترجمة محمد يوسف موسى، عبدالعزيز عبدالحق، علي حسن عبدالقادر، دار الكتاب المصري، ١٩٤٦ م.
- العقيدة النظامية لإمام الحرمين، تحقيق زاهد الكوثري، القاهرة، ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م.
- الاعتصام، للشاطبي، القاهرة، ١٣٣٢ هـ / ١٩٤٨ م.
- العواصم من القواصم، ط. الشيخ عبدالمجيد بن باديس، قسنطينة، الجزائر، ج ١: ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٦ م، ج ٢: ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧ م.
- فلاسفة الإسلام في المغرب العربي، منشورات جمعية نبراس الفكر، تطوان - المغرب، ١٣٧٩ هـ / ١٩٦١ م.
- الفلسفة الإسلامية، منهج وتطبيق، للدكتور إبراهيم مدكور، ط. الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨ م.
- الفلسفة عند اليونان، أميره حلمي مطر، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٨ م.
- فهرست ما رواه عن شيوخه، أبو بكر بن خير الإشبيلي، ط. سرقطة، ١٩٨٣ م.
- في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق واليونان، للدكتور محمود قاسم، ط. ٤، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٩ م.
- القسطاس المستقيم، للغزالي، القاهرة، (دون تاريخ).
- قانون التأويل، لأبي بكر بن العربي، مخطوط دار الكتب المصرية، رقم (١٨٤ تفسير).
- كتاب الأربعين في أصول الدين، للغزالي، القاهرة، ١٣٤٤ م.
- كشف الظنون، عن أسماء الكتب والفنون، لحاجي خليفة، القاهرة، ١٣١٠ هـ.

- المأدبة لأفلاطون، دراسة وترجمة الدكتور النشار، والأب جورج شحاتة،
وعباس الشربيني، الإسكندرية، ١٩٧٠ م.
- مؤلفات الغزالي، للدكتور عبدالرحمن بدوي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون
والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م.
- المباحث المشرقية، للرازي، حيدرآباد الدكن، ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٤ م.
- مجلة الأزهر، عدد ذي الحجة ١٣٨٩ هـ / فبراير ١٩٧٠ م.
- مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الرابع، الجزء الأول، شوال
١٣٧٧ هـ / مايو ١٩٥٨ م، والمجلد الخامس، الجزء الأول، ذوالقعدة سنة
١٣٧٨ هـ / مايو ١٩٥٨ م، والجزء الثاني، جمادي الأولى ١٣٧٩ هـ /
نوفمبر ١٩٥٩ م.
- محاضرات في الفلسفة الإسلامية، ط. الأولى، الدكتور يحيى هويدي،
مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٦ م.
- مدخل الشرع، لابن الحاج، المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة،
١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م. وط. الباي الحلبي، القاهرة،
١٣٨٠ هـ / ١٩٢٩ م.
- المدينة الفاضلة، للفارابي، القاهرة، (دون تاريخ).
- المرتبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، للمالقي، نشر ليفي بروفنسال،
القاهرة، ١٩٤٨ م.
- المسالك شرح موطأ مالك، لأبي بكر بن العربي، مخطوط بالمكتبة الوطنية،
بالجزائر، رقم (٤٢٥).
- مشكاة الأنوار للغزالي، القاهرة، (دون تاريخ).
- معارج القدس في مدارج معرفة النفس، للغزالي، المكتبة التجارية
الكبرى، القاهرة، (دون تاريخ).
- الملل والنحل، لابن حزم، المطبعة الأدبية، القاهرة، ١٣٢٠ م.
- مناهج الأدلة في عقائد الملة، لابن رشد، مع مقدمة في نقد مدارس علم
الكلام، للدكتور محمود قاسم، ط. الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية،
١٩٦٤ م.

- المتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي، حيدرآباد الدكن، الهند، ١٣٥٩ هـ.
- المنقذ من الضلال للغزالي، تحقيق الدكتور عبدالحليم محمود، القاهرة، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م.
- من تاريخ الإلحاد في الإسلام، دراسات ألف بعضها، وترجم الآخر، عبدالرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٥ م.
- منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، القاهرة، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م.
- موافقة صريح المنقول لصريح المعقول، ط. القاهرة، (دون تاريخ).
- ميزان العمل، للغزالي، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤ م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ليوسف بن تغري بردي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٩ هـ - ١٣٥٩ هـ / ١٩٣٠ م - ١٩٥٦ م.
- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، للدكتور النشار، ط. ٤، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٦ م.
- نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، القاهرة، ١٣٠٢ هـ.
- نهاية الإقدام في علم الكلام، للشهرستاني، ط. ألفرد جيوم، (دون تاريخ)^(١).
- Encyclopédia de l'Islam.
- Goldziher, Education (Muslum) de Encyclopédia of religion and Ethics, ed. by J. Hastings. V.3, Edinbergh, 1913.
- Imam el - Hareamein, édité et traduit par J - D. Luciani, Librairie Ernest Leroux, Paris, 1938.
- Maurice Bouyges, Essai de chrologie des Oeuvres d' AIGazali, édité et mis à jour par Michel Allard, Imprimerie Catholique, Beyrouth, 1959, P. 159.
- Pearson, J.D. Index Islamicus, Cambridge, England, 1962.

(١) لم نشر إلى بعض المراجع هنا، اكتفاء بذكرها في الهوامش.

فهارس الكتاب

١ - فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
(أ)			
الله أذن لكم	يونس	٥٩	٢٩٣
الله الذى سخر لكم البحر	الجنائىة	١٢	١٢٨
أنتخذ أصناماً آلهة	الأنعام	٧٤	٢٠٦
أتتك آياتنا فنسيتها	طه	١٢٦	٢٦٦
اخشوا فيها ولا تكلمون	المؤمنون	١٠٨	٢٦٩
اقرأ وربك الأكرم	العلق	٤	٢٣٤
إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه			
الذين كفروا	التوبة	٤٠	٣١٧
ألست بربكم	الأعراف	١٧٢	٩٢
إنا نحن نزلنا الذكر	الحجر	٩	٢٥٦
إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا	الحجرات	٦	٢٩٠
إن شر الدواب عند الله الصم البكم	الأنفال	٢٢	٣٠٥
إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً			
موقوتاً	النساء	١٠٣	٢٦٠
إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون	الرعد	٤	١٦٢
إن فى ذلك لآية لقوم يعلمون	النمل	٥٢	١٦٢
إنما يخشى الله من عباده العلماء	فاطر	٢٨	١٨
إنما المؤمنون إخوة	الحجرات	١٠	٣٠٨

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
إنه عليم بذات الصدور * ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير إني برىء مما تشركون	الملك	١٣ ، ١٤	٢٠٢
	الأنعام	٧٨	١٩٦
(ب)			
بكلمة منه	آل عمران	٤٥	١٢٧
بل هو آيات بينات	العنكبوت	٤٩	٢٦٩ ، ٢٦٨
بل هو قرآن مجيد	البروج	٢١	٢٦٨
بل يدها مبسوطتان	المائدة	٦٤	٢٢٠
بيدي ...	ص	٧٥	٢٢٢
(ت)			
تبارك الذى بيده الملك	الملك	١	٢٢٠
تبدونها وتخفون كثيراً	الأنعام	٩١	١٧١
تجرى بأعيننا	القمر	١٤	٢٢٢
تكاد السموات يتفطرن منه	مريم	٩٠	٤٥
تلك أمة قد خلت	البقرة	١٣٤	٣٥٥
(ت)			
ثم استوى على العرش	الأعراف	٥٤	٢١٤
(ح)			
حتى يسمع كلام الله	التوبة	٦	٢٦٨
(ح)			
خالق كل شيء	الأنعام	١٠٢	٢١٩
خمسین ألف سنة	المعارج	٤	٢٢١

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
(د)			
ذرعها سبعون ذراعاً	الحاقة	٣٢	٢٣٠
(ر)			
راعنا ...	البقرة	١٠٤	٢٠١
ربنا اغفر لنا ولإخواننا	الحشر	١٠	٣٣٢
الرحمن على العرش استوى	طه	٥	٢٠٩، ٢١٤
			٢١٦
الرحمن ... علمه البيان	الرحمن	١ - ٤	٢٣٤
(س)			
سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً	الإسراء	١٠٨	١٢٩
(ص)			
ضرب الله مثلاً كلمة طيبة	إبراهيم	٢٤	١٩٥
ضرب الله مثلاً رجلاً مسلماً لرجل	الزمر	٢٩	١٩٧
(ف)			
فأتى الله بنيانهم من القواعد	النحل	٢٦	٢٠٨
فإن الله هو الغنى الحميد	الحديد	٢٤	٣٥٩
فاخلع نعليك	طه	١٢	١٩٨
فرطت في جنب الله	الزمر	٥٦	٢٢٤
فسيكفيكم الله	البقرة	١٣٧	٢٩٦
فلا تضربوا لله الأمثال	النحل	٧٤	١٩٧
فلا تعلم نفس ما أخفى لهم	السجدة	١٧	٢٤٨
فلما جن عليه الليل	الأنعام	٧٦	٢٠٤
فمن ثقلت موازينه	الأعراف	٨	٢٤٤
فمن شاء ذكره ... كرام بررة	عبس	١٢ - ١٦	٢٦٨، ٢٧٠

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
فى لوح محفوظ	البروج	٢٢	٢٧٠

(ق)

قل كل من عند الله	النساء	٧٨	١٢٧
قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى	الكهف	١٠٩	٢٦٨
قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين	النمل	٦٤	٤٣

(ل)

لا أحب الآفلين	الأنعام	٧٦	٢٠٤
لا أقسم بهذا البلد	البلد	١	٣٦١
لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم	المائدة	١٠١	٢٥٥
لا تقدموا بين يدى الله ورسوله	الحجرات	١	٢٢٣
لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له	طه	١٠٩	٢١٨
لا خير فى كثير من نجواهم	النساء	١١٤	٣٠٣
لا يسأل عما يفعل	الأنبياء	٢٣	١٣٩
لقد جاءكم رسول من أنفسكم	التوبة	١٢٨	٢٨٢
لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم	التين	٤	٨
لما خلقت بيدي	ص	٧٥	٢٢٠
اللهم فاطر السموات والأرض	الزمر	٤٦	٣١٣
لو أراد الله أن يتخذ ولداً	الزمر	٤	٢٥٩
لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً	الأنفال	٦٣	٣٥٠
ليس كمثله شىء	الشورى	١١	٢٠٩
ليهلك من هلك عن بينة	الأنفال	٤٢	٩

(م)

ما أشهدتهم خلق السموات والأرض	الكهف	٥١	١٣٣
ما لكم كيف تحكمون	الصفات	١٥٤	١٥٤

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً	البقرة	٢٤٥	
	الحديد	١١	٢٢٨، ٢٢١
من المؤمنين رجال صدقوا	الأحزاب	٢٣	٣٥٨، ٢٨٤
منهم من كلم الله	البقرة	٢٥٣	٢٦٩

(ن)

ناقة الله ...	الشمس	١٣	٢٢٩
ن والقلم وما يسطرون	القلم	١	٢٣٤

(هـ)

هذا أكبر ...	الأنعام	٧٨	٢٠٥
هذا ربي ...	الأنعام	٧٨، ٧٧	٢٠٢، ١٩٦
			٢٠٤

هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام

البقرة	٢١٠	٢١٤، ٢٠٨
--------	-----	----------

(و)

وآناه الله الملك والحكمة	البقرة	٢٥١	٣٢٥
واتقوا الله ويعلمكم الله	البقرة	٢٨٢	١٦
وادخلنى جنتى	الفجر	٣٠	٣٦١
واذكروا نعمة الله عليكم	آل عمران	١٠٣	٣٥٠
واشكروا لى ولا تكفرون	البقرة	١٥٢	٢٦٣
وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة	البقرة	٤٣	٢٥٨
وألق عصاك	النمل	١٠	١٩٨
وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا	الحجرات	٩	٣٠٧
وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون	الحج	٤٧	٢٢١
وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم	الأنعام	٨٣	٢٠٥

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
وتَمَّتْ كلمة ربك	الأنعام	١١٥	
	هود	١١٩	٢٦٨
وجاء ربك والملك صفاً صفاً	الفجر	٢٢	٢٠٨
وحاجّه قومه	الأنعام	٨٠	٢٠٥
وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه	الجالية	١٣	١٢٧، ١٢٦
			١٢٨
والسماء بئناها بأيد وإنا لموسعون	الذاريات	٤٧	٢٢٣
والسموات مطويات بيمينه	الزمر	٦٧	٢٢٠
وعد الله الذين آمنوا منكم	النور	٥٥	٣١٧، ٣١٤
وفى الأرض قطع متجاورات	الرعد	٤	٨٣
وغرثهم الحياة الدنيا	الأنعام	٧٠	١٩
وفى أنفسكم أفلا تبصرون	الذاريات	٢١	٢٢٠
وكذلك حقّت كلمة ربك	غافر	٦	٣٦١
وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض	الأنعام	٧٥	٢٠٧
وكل صغير وكبير مستطر	القمر	٥٣	١٣٩
ولتصنع على عيني	طه	٣٩	٢٢٣
والذين يظاهرون من نسائهم	المجادلة	٣	٢٧٤، ٢٧١
والذين يكتزون الذهب والفضة	التوبة	٣٤	٢٨٤
ولقد آتينا إبراهيم رشده	الأنبياء	٥١	٢٠٧
ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين	المؤمنون	١٢	٢٧
ولقد خلقنا السموات والأرض	ق	٣٨	٢١٣
ولكن حق القول منى	السجدة	١٣	١٠
والله أخرجكم من بطون أمهاتكم	النحل	٧٨	١٦١، ٢١
والله يعصمك من الناس	المائدة	٦٧	٢٥٦
والله المشرق والمغرب	البقرة	١١٥	١٩٦

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة	هود	١١٩	١١٠
ولولا كلمة سبقت من ربك	يونس	١٩	٢٦٨
وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون	الذاريات	٥٦	١٠
وما قدروا الله حق قدره	الأنعام	٩١	١٧٠
وما محمد إلا رسول	آل عمران	١٤٤	٢٧٧
ومن أظلم ممن منع مساجد الله	البقرة	١١٤	٢٠١، ١٩٥
ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً	البقرة	٢٦٩	١٨٧
ومن يغفل يأت بئاً غل يوم القيامة	آل عمران	١٦١	٣٦٢، ٢٨٤
والوزن يومئذ الحق	الأعراف	٨	٢٤٤
ويسألونك عن الروح	الإسراء	٨٥	٢٨
ويعلمهم الكتاب والحكمة	البقرة	١٢٩	١٨٧

(ي)

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله	التوبة	١١٩	٢٧٧
يحرفونه من بعد ما عقلوه	البقرة	٧٥	٢٠١
... يدى الله ورسوله	الحجرات	١	٢٢٣
يضل به كثيراً	البقرة	٢٦	١٢٩
اليوم أكملت لكم دينكم	المائدة	٣	٢٥٦، ٦١
يوم يكشف عن ساق	القلم	٤٢	٢٧٥
			٢٢٢

* * *

٢ - فهرس الأحاديث النبوية

(١)

اقتدوا بالذين من بعدى : ٢٥٢ ، ٢٥٤ .

أكثر من غلظ جلد الكافر : ٢٢١ .

إن البقرة وآل عمران معاً يأتیان : ٢٤٦ .

أنت كما أثبتت على نفسك : ١١٨ .

أنت منى بمنزلة هارون : ٣١٣ .

أنزل القرآن على سبعة أحرف : ٢٥٦ .

٣٦٠

إن رجلاً أتى النبي ﷺ : ٣١٦ .

إن الزمان قد استدار : ٢٥٣ .

إن الصدقة تقع في كف الرحمن :

٢٢٩ ، ٢٢١

انظرون من إخوانكن : ٣٤٧ .

إن العرش ليخطأ به : ٢٢٤ .

إن العين لتدخل الرجل القبر : ٢٥ .

إن الله أمركم بأشياء فامثلوها : ٢٥٥ .

إن الله خلق آدم على صورته : ٢١٠ .

٢٢٦

إن الله خلق الخلق من ظلمة : ١٩ .

إنها ستكون هنات وهنات : ٣٣٨ .

إنه سيكون بعدى أمراء : ٢٦٧ .

إنه كان فيمن كان قبلكم : ٣١٦ .

إنه ليغان على قلبي : ٣٠ .

آخر وطأة : ٢٢٢ .

ابني هذا سيد : ٣٢٤ ، ٣٢٦ .

اتخذ الناس رؤساء جهالاً : ٣٦٥ .

اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق

وشهيدان : ٣١٦ .

اجتنبوا الوجه : ٢٢٦ .

أحب أن تشفع لي : ٢٤٣ .

احتجبي منه يا سودة : ٣٤٧ .

أخرجوا من النار من في قلبه : ٢٤٣ .

٢٦٣

ادعى لي أباك : ٣١٦ .

إذا حاصرت أهل حصن : ٢٥١ .

إذا قضى الله في السماء أمراً : ٢١٩ .

إذا نشأت بحرية : ١٢٩ .

أرى أجلى قد حضر : ٣٥٦ .

أرحم أمتي بأمتي أبو بكر : ٢٥٢ .

أربع لا تضع بهن : ٢٥٣ .

أرأيت لو كان على أبيك أو أمك دين :

٢٦٧

استكسيتك فلم تكسني : ٢٢٥ .

أعنت رقبة أو أطعم : ٢٧٤ .

إنه يضع السموات على أصبع : ٢٢١ ،
٢٢٣ .

إني رأيتهن أكثر أهل النار : ٢٦٢ .

أهتدوا بهدى عمار : ٢٥٢ .

أوصيكم بالأنصار خيراً : ٢٧٧ .

أو كلكم يجد ثوبين : ٢٥٤ .

أول ما خلق الله العقل : ٢٤٢ .

أول ما خلق الله القلم : ١٣٩ ، ٢٣٢ ،
٢٣٣ .

أول من رأى الشيب إبراهيم : ١٢٩ .

أيتكن صاحبة الجمل الأدب : ٣٠١ .

أيكم الذى ركع دون الصف : ٢٥٤ .

الأئمة من قریش : ٢٧٧ .

أيما رجل أعمر عمرى له : ٢٥٤ .

أيما عبد أبى : ٢٦٢ .

أينقص الرطب إذا يس : ٢٥٤ .

(ب)

بيننا أنا نائم رأيته على قلب : ٣١٦ .

(ت)

تعرض الفتن على القلوب كالحصير :
١٧ .

تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق :
٣٠٧ .

تقتله الفئة الباغية : ٣٠٨ .

(ج)

جاء رجل إلى ابن عمر : ٢٨٨ .

جاء رجل من أهل مصر : ٢٨٨ .

جعت فلم تطعمنى : ٢٢٨ .

(خ)

الخلافة ثلاثون سنة : ٢٢٤ .

خمس صلوات كتبهن الله على العباد :
٢٦٣ .

(ذ)

ذبحت قبل أن أرمى : ٢٥٤ .

(ر)

رأيت الجنة والنار : ٢٤١ ، ٢٤٢ .

(س)

سيروا إلى قريظة : ٢٦٧ .

(ش)

شغلونا عن الصلاة الوسطى : ٢٦٧ .

(ص)

صلوا كما رأيتمونى أصلى : ٢٥٨ .

(ع)

عبدى مرضت فلم تعدنى : ٢٢٥ ،
٢٢٨ .

عليكم بسنتى : ٢٥٢ .

العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة : ٢٦٢ ،
٢٦٤ .

(غ)

غلظ جلد الكافر : ٢٣٠ .

(ف)

فساعد الله أشد : ٢٢٥ .

لا يقولن أحدكم نسيت آية كذا :
٢٦٦ .

لقد حكمت فيهم بحكم الملك : ٢١٦ .
اللهم اجعل في قلبي نوراً : ٢٠ .
اللهم وال من والاه : ٣٠١ ، ٣١٣ ،
٣١٩ .

لو كنت متخذاً في الإسلام خليلاً :
٣١٦ .
لولا بنو إسرائيل لم يختر اللحم : ١٢٩ .
ليس التفريط في النوم : ٢٦٧ .
ليس في الجنة من الدنيا إلا الأسماء :
٢٤٧ .

(م)

ما نقصنا أديتنا : ٢٧٥ .
ملعون من انتسب إلى غير أبيه : ٣٤٦ .
من رأى في المنام فقد رأى في اليقظة :
٢٣١ .
من رأى منكم رؤيا : ٣١٧ .
من نام عن صلاة أو نسيها : ٢٦١ ،
٢٦٦ .

(ن)

الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا : ١٣ .
(هـ)
هذا كتاب من رب العالمين : ٢٣٥ .
هذه ثم ظهور الحصر : ٣٠٥ .
هو لك يا عبد بن زمعة : ٣٤٥ .
هو نور يقذفه الله في القلوب : ١٩ .

فلن تعدنى : ٢٢١ .
فيأتيهم في صورة : ٢١٨ .

(ق)

القضاة ثلاثة : ٣٦٨ .
(ك)

كان رسول الله ﷺ في سفر : ٢٦١ .
كنت أقرئ رجلاً من المهاجرين : ١٩٤ .
كنت البارحة في بيت المقدس : ٢٤٢ .
كنا عند رسول الله ﷺ فوعظنا : ٣٠ .
كنا نعبد حجراً : ١١٥ .

(ل)

لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب : ١٩٩ .
لا تزال طائفة من أمتي : ٣٦٩ .
لا تسمين عبدك أفلح : ٢٥٣ .
لا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله به :
٢٧٣ ، ٢٧٤ .
لا تقوم الساعة حتى تقابل أقواماً :
٢٥٤ .
لا نورث ما تركناه صدقة : ٢٧٨ ، ٣٢٢ ،
٣٢٣ .

لا يأتيك من الحياء إلا خير : ٣٣٥ .
لا يقولن أحدكم في الماء الدائم : ٢٥٨ .
لا يدفن نبي إلا حيث يموت : ٢٧٨ .
لا يزال ناس من أمتي منصورين : ١١٢ ،
٣٦٩ .
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن :
١٧ ، ١٦٢ ، ١٨٨ .

(و)

ورأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً: ٩٣ .

والعرش فوق ذلك : ٢١٥ .

وَقَتَ النَّبِيُّ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ذَا الْحَلِيفَةِ :

٢٦٠ .

وكلتا يديه يمين : ٢٢٠ .

والذى نفسى بيده لو تدومون : ٣١ .

والذى نفسى بيده : ٢١٦ .

ولو أن رصاصة : ٢٢١٠ .

وينزل ربنا كل ليلة : ٢٠٨ ، ٢١٦ .

(ى)

يا آدم ، يقول : لبيك وسعديك : ٢١٩ .

يا رسول الله ظهرت من امرأتى ، فوقعت

عليها قبل أن أكفر : ٢٧٣ .

يؤتى مثل الدنيا وعشرة أمثالها : ٢٤٧ .

يؤتى يوم القيامة بالموت : ٢٣٥ .

يجمع الله الناس يوم القيامة : ٢١٨ .

يحشر الله العباد فيناديهم : ٢١٨ .

اليد العليا خير من اليد السفلى : ٢٢٩ .

يقبض العلم ، وتظهر الفتن : ٢٥٤ .

يقبض الله الأرض : ٢٢٠ .

ينزل ربنا كل ليلة : ٢٠٨ ، ٢١٦ .

ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة :

٣٣٤ .

* * *

٣ - فهرس الكتب

أنوار الفجر : ٢٨ ، ٧٤ ، ١١٠ ، ١٦٥ ،
٢٠١ ، ٢٨٢ ، ٣٢١ .
(ب)
البرهان : ٩٩ ، ١٠٢ .
البيان والتبيين : ١٦٦ ، ٣٥٥ .
(ت)
التاج : ٧٣ .
تاريخ ابن عساكر : ٢١٢ .
تاريخ الحكماء : ١٩٢ .
تاريخ خليفة بن خياط : ٢٩٤ ، ٢٩٥ ،
٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣٠٨ .
تاريخ الطبرى : ١٣٩ ، ٢٩٦ .
تاريخ الفلسفة الإسلامية : ١٨٣ .
تاريخ واسط : ٢٨٢ .
التبصير فى الدين : ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ .
تبیین كذب المقتري : ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ،
٢١٢ .
تحفة المجالس : ٧٠ .
تذكرة الحفاظ : ٢٥١ .
ترتيب الرحلة : ٢٤ ، ٤٥ ، ٥٣ ، ٥٦ ،
٣٧٢ .

(أ)
إبطال التأويلات لأخبار الصفات : ٢١٠ .
أحكام القرآن : ٢٧٤ ، ٢٨٢ ، ٣٧٤ .
إحياء علوم الدين : ٢٤ ، ٧٩ .
أخبار مصر (لابن ميسر) : ١٧٠ .
أدب النفس (لأفلاطون) : ١٠٨ .
الاستكمال والمناظر : ١٠٨ .
الأنباء والصفات : ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٢ ،
٢٢٩ ، ٢٣٠ .
الإصابة : ٢٨٢ .
الأصول الخمسة : ٧٢ .
الأعلام (للزركلى) : ٣٠ ، ١٠٨ ،
١٦٦ ، ٢٣٩ .
الإعلام بنوازل الأحكام : ٣٦٧ .
الأغاني : ١٦٦ .
الأفلاطونية المحدثة عند العرب : ١٠٨ .
الاقتصاد : ٣٦ .
الأمالي : ٣٥٣ ، ٣٥٦ .
الإملاء : ٢١٦ .
الإملاء على التهافت : ٣٨ .
الإمامة والسياسة : ٣٥٣ .

* الرقم الصغير رقم الصفحة ، ولكنه يشير إلى ورود الكتاب أو المكان أو العلم فى الحاشية .

التفسير : ١٣٠ .

التقريب لحد المنطق : ٧٨ .

تلبيس إبليس : ٧٣ .

التمحيص : ٢٩ ، ١٠٠ ، ١٢٧ .

التمهيد : ٨٧ ، ٢١٢ .

تهافت الفلاسفة : ٧٨ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١٠٥ ،

١٣٣ ، ١٣٤ .

تهذيب التهذيب : ٢٨٨ .

تهذيب الاستكمال : ١٠٨ .

التوراة : ٢١٣ .

(ج)

الجامع (الترمذى) : ٢١ ، ٣٢٥ .

الجامع الصغير : ٢٥٤ .

الجواهر المضية فى طبقات الحنفية : ٥٦ ،

٢١٢ .

(ح)

حجة الحق فى الرد على الباطنية : ٥٧ .

حسن المحاضرة : ٢٨٠ ، ٢٩٢ .

(خ)

خزانة الأدب : ١٦٦ .

خطط المقرئى : ٦٢ .

(د)

دائرة المعارف الإسلامية : ٢٩٥ .

الديباج (لابن فرحون) : ٣٢١ .

(ر)

الرد على الكرامية والأشعرية والباطنية

والمجسمة : ٢١٠ .

رسائل إخوان الصفاء : ١٠٩ .

رسالة الدرة : ٢٥٠ .

رسالة الغرة : ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

الروض الأنف : ١٦٦ .

(ز)

زجر النفس : ١٠٨ .

(س)

سراج المريدين : ٣٠٩ ، ٣١٩ .

سراج الملوك : ١٠٨ .

سرائر الخليفة وصناعة الطبيعة : ١٨٣ .

(ش)

الشامل : ٩٨ .

شرح السيرة الكلاعية : ٣٣٦ .

شرح الصحيحين : ١٧ ، ٢٨ .

شرح كتاب البرهان : ٩٩ .

الشفاء : ١٣٨ .

(ص)

صحيح البخارى : ٢١٨ ، ٢٢٢ ، ٢٧٧ .

٢٨٤ ، ٢٨٨ ، ٣٢٥ .

صحيح الترمذى : ٢٣٥ .

صحيح مسلم : ٢١ ، ٢٧٣ .

صفة الصفوة : ١١٥ .

(ط)

طبقات الأطباء : ١٩٢ .

طبقات الحنابلة : ٢٠٩ ، ٢١٠ .

طبقات خليفة بن خياط : ٢٥٤ ، ٢٨٨ ،

٢٨٩ ، ٢٩٥ ، ٣٠٣ ، ٣٠٨ ، ٣١٣ .

٣٢٨ ، ٣٦٤ .

طبقات الشافعية الكبرى : ٢٧ ، ٥٣ ، ٥٦ .

٥٧ ، ٦٠ ، ٧١ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ٣٧٢ .

٣٧٣ .

طبقات النحويين واللغويين : ١٦٠ ، ٣٧١ .

(ع)

العبر : ٢١ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٢ .

٦٣ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ١٠٨ ، ١١٠ .

١١١ ، ١١٥ ، ١٧٠ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ .

٢١٥ ، ٢٣٠ ، ٢٤٤ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ .

٢٦٢ ، ٢٧٩ ، ٢٨٦ ، ٢٩٥ ، ٣٠٨ .

٣٧١ ، ٣٧٢ .

العلل : ٢١ .

العواصم من القواصم : ٢٧٥ ، ٣٦٤ .

٣٧٦ ، ٣٧٩ .

(ف)

الفروق : ١٧٩ .

الفصل فى الملل والأهواء والنحل : ٦٣ .

٨٩ ، ٢٥٩ ، ٢٦٩ .

فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية :

٥٧ .

فهرست مقالات الإسلاميين : ٦٣ .

(ق)

القاموس المحيط : ٢٥ ، ٣١ ، ٤١ ، ٦٤ .

٦٥ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٩٠ ، ٩٣ .

١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٨٠ ، ١٩٦ ، ٢١١ .

٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٩٦ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

٣٢٨ .

قانون التأويل : ١٧ ، ١٩٤ ، ٢٠١ .

٢٣٣ ، ٢٨٢ .

القرآن الكريم : ٤٤ ، ١١٤ ، ١١٦ .

١٢٦ ، ١٩٤ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢١١ .

٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ .

٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٦ .

٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

٢٨٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ .

٣٧٠ .

القسطاس المستقيم : ٧٨ .

(ك)

الكاامل فى التاريخ (لابن الأثير) : ٣٠ .

٢٩١ ، ٢٩٦ .

الكتاب (كتاب سبويه) : ٣٧١ .

كتاب الدماغ : ٧٣ .

كتاب الرعاية : ٢٣ .

كتاب الزمردة : ٧٣ .

كتاب الزهد : ٣٣٩ ، ٣٧٠ .

كتاب القراءات : ٣٦٠ .

كتاب قضيب الذهب : ٧٣ .

كتاب نعت الحكمة : ٧٣ .

كتاب النكاح : ٣٤٧ .

كشف الظنون : ١٨٣ .

الكثر المصون : ٣٦٩ .

()

المتوسط : ١٨٤ .

المحلي، ٢٥٨.

المحيط : ٧٢ .

المختبر : ٧٢ .

مختلف الحديث : ٦٦ .

مدارك العقول : ٣٦ .

المدينة: ٣٦٧، ٣٧٤.

مروج الذهب : ٧٣ . .

مسائل الخلاف : ٢٦٤ ، ٣٤٦ .

المستشفى: ٢٦.

مسند أحمد بن حنبل : ۱۲۹ ، ۲۶۱ ،

مسند الضیالی: ۲۷۷.

المشكلين (مشكل القرآن ومشكل

(الحديث): ١٣٠، ٢١٦، ٢٣٦،

مصارع العشاق : ۱۱۱ .

معادلة النفس: ١٠٨ .

معیار العلم : ۷۸ .

المغنى : ٧٢ .

مقاصد الفلاسفة : ١١٧، ١١٨، ١١٩،

, 140, 142, 148, 149, 150

مقالات الإسلاميين : ٦٣ .

المقالات والفرق : ٦٣ .

مناقب الإمام أحمد بن حنبل : ٢٠٩ ،

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ٧١، ٧٣،

من تاريخ الإلحاد في الإسلام: ٧٣ .

من عاش بعد الموت : ٢٣٩ .

الموطأ : ١٢٩ ، ٢٧٨ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ ،

(ن)

نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام : ٦٣ ،

النجوم الزاهرة : ١٧٠ ، ١٩٢ ، ٢٨٩ ،

نزہۃ المناظر وتحفة الخواطر : ۱۲ ، ۳۲ .

نکتہ الاسلام : ۲۵۰ .

()

وثائق ابن العطار : ٣٦٧ .

* * *

٤ - فهرس البلدان والأماكن

(أ)

أبو جاد : ٣٧٢ .

أحد : ٢٨٠ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩٤ ،

٣١٦ .

أذربيجان : ٢٨٣ ، ٣٥٧ .

أذرح : ٣١٠ .

أرمينية : ٢٨٣ ، ٣٣٣ ، ٣٥٧ .

الإسكندرية : ٦٣ ، ٨٨ ، ١٠٨ ، ١٧٠ .

أصبهان : ٥٩ .

أصلح : ٣٤٢ .

أفريقية : ٢٨٠ ، ٢٨٧ .

الأندلس : ٢٦٢ .

(ب)

باب الأسباط : ٤٥ ، ٣٧٢ .

باجة : ١٠٨ .

البحرين : ٣٤٨ ، ٣٥٨ .

بادية أشيلية : ٢٤٩ .

البثنية : ٥٦ .

بدر : ٢٨١ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

البصرة : ٢٧ ، ٧١ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ،

٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

٣٠٤ ، ٣٠٩ ، ٣٤٢ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ .

بصري : ٥٦ .

بطن مرة : ٣٢٩ .

بطن مكة : ٢٨٩ .

بغداد : ٥٦ ، ٧١ ، ٧٩ ، ١٨٩ ، ٢٠٨ ،

٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٥ ، ٣٠٨ ، ٣٥٩ .

٣٦٤ .

بلخ : ٢١٣ .

بوع : ٢١ .

بيت المقدس : ١٧٠ ، ٢١٠ ، ٢٤٢ .

البيت المقدس : ٤٥ .

بيروت : ٨٧ ، ١٨٣ ، ٢٩١ .

(ت)

ترمذ : ٢١ .

(ث)

الثغر : ١٢ ، ٢١٢ .

ثغر صوز : ٥٣ .

(ج)

جامع الرى : ٥١ .

جامع المنصور : ٢٠٩ ، ٢١٣ .

جبي : ٣٤٢ .

الجحفة : ٢٦٠ .

جرجان : ٥٠ .
الجزائر : ٢٩٦ .

(ح)

الحجاز : ٣٥٨ ، ٣٥٢ .
حطى : ٣٧٢ .
حمص : ٢٧٩ ، ٢٩٢ .
حمى : ٣٤٢ .
حنين : ٢٨٧ ، ٢٨١ .
حوران : ٥٦ .

(خ)

خراسان : ٥٦ ، ١٢٦ ، ٢١٢ ، ٣٧٢ .
الخدق : ٢٦٧ .
خير : ٢٧٦ .

(د)

دار أبى الجهم : ٢٤٢ .
دار الخلافة : ٧٢ ، ١١١ .
دار السلام : ٥٦ .
دار الهجرة : ٥٨ ، ٧٧ .
دمشق : ٥٦ ، ١١١ ، ٢١٠ ، ٢٨٥ .
دومة الجندل : ٣١٠ .

(ذ)

ذو الحليفة : ٢٦٠ .
ذو طوى : ٣٢٩ .

(ر)

راوند : ٧٣ .
الربذة : ٢٨٥ ، ٢٨٤ ، ٢٨٠ .

رقادة المسيح : ٥٨ .
الرى : ٤٩ .

(ز)

الزابوقة : ٣٠٣ .
زقاق القناديل : ١٩٢ .
(س)

سقيفة بنى ساعدة : ٢٧٧ .
سمرقند : ٢٨٨ .
السنح : ٢٧٦ .

(ش)

شاطىء دجلة : ١١١ .
الشام : ٤٥ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ١٠٧ ، ٢١٠ ،
٢٦٠ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ،
٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ،
٣٠٩ ، ٣١٤ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ،
٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٤١ ، ٣٥٨ ،
٣٦٠ ، ٣٧٢ .

(ص)

صفين : ٢٤٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٩١ ،
٣٠٩ ، ٣٣٩ .

(ط)

الطائف : ٢٢٢ .
طبرية : ٥٤ ، ٥٦ .
طلبيزة : ٣٦٧ .
طلمنكة : ٣٦٧ .
طليطلة : ٣٦٧ .

(ع)

العراق: ١٣، ٥٧، ٥٩، ١٠٧، ٢١٢،

٢٥٧، ٢٨٣، ٣٠٥، ٣٠٩، ٣٣٤،

٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٧١،

عرفة: ٢٤٠، ٣٥٥،

عسقلان: ٣٣،

العقبة: ٢١٨،

عكا: ٤٦، ٥١، ٥٢، ٥٦،

(غ)

غدير خم: ٣١٩،

غرينا: ٥١،

غرناطة: ٣٦٧،

(ف)

فارس: ٣٤٢،

فذك: ٢٧٦،

فلسطين: ١٨٦،

(ق)

قاسان: ٧٣،

القاهرة: ٦٥، ٧٢، ٨٩، ١٠٨، ١٦٠،

٣٧١،

قبرص: ٣٢٥،

القدس: ٢١٠، ٢١٢، ٢٣٣، ٢٦٣،

قرطبة: ٣٦٧، ٣٦٨،

قرن المنازل: ٢٦٠،

قصر المحرس: ٤٨،

قلعة أصبهان: ٥٧،

القيروان: ١١٢،

(ك)

كربلاء: ٢٩٥، ٣٢٧،

الكعبة: ١٩٩، ٢٤٣،

الكوفة: ٢٨٤، ٢٩٢، ٣٠١، ٣٣٥،

٣٣٧، ٣٣٨، ٣٥٢، ٣٥٨،

(م)

ماء الحوآب: ٣٠١، ٣٠٥،

ما وراء النهر: ٢١٣،

محرس باب غزة: ٣٣،

محرس الطبرانيين: ٤٨،

محلة الخلد: ١١١،

مدرسة أبي عقبة: ٤٥،

مدرسة الشافعي: ٣٧٢،

المدرسة النظامية: ٧٢، ٢٠٩،

المريد: ٣٠٣،

المدينة: ٢٧، ٢٢١، ٢٦٠، ٢٧٧،

٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٩، ٢٩٢،

٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٠٠، ٣٠٦،

٣١٩، ٣٢٧، ٣٣٢، ٣٣٤،

٣٣٧، ٣٥٤، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٥،

٣٦٧*

مدينة السلام: ٢٤، ٥٨، ٧٢، ١١١،

٢٠٩، ٣٢٦،

المسجد الأقصى: ٢٧، ٣٣، ٥٣،

٢٤٠، ٣٧٢، ٣٧٣،

المشرق: ٢١٢، ٢١٤، ٣٧٠،

مصر: ١٠٨، ٢٠٨، ٢١٠، ٢٤٩،

نجد : ٢٦٠ .	٢٨٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ،
نجران : ١٦٦ .	٢٩٦ ، ٢٩٧ .
نيسابور : ٢٣ ، ١٢٦ ، ٢٠٩ .	المعلق : ١١١ .
(هـ)	المغرب : ٧٩ ، ٢١٥ ، ٢٤٩ ، ٣٦٠ .
هراة : ٥٧ .	المغرب الأقصى : ٣٠٩ .
همدان : ٥٧ ، ٥٨ .	مكة : ٣٧ ، ٢٢١ ، ٢٨٩ ، ٣٠٠ ،
الهند : ٢٥١ .	٣٢٧ ، ٣٣٠ ، ٣٢٩ ، ٣٣٧ ،
(ي)	٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٥٨ ،
اليرموك : ٣٤٨ .	٣٦١ ، ٣٧٤ .
اليحامة : ٢٨٢ ، ٣٥٧ .	منى : ١٩٤ .
اليمن : ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٩ ، ٣٤٢ ،	(ن)
٣٥٨ .	نابلس : ٢١٠ .

* * *

٤ - فهرس الأعلام

٨٠، ٨٧، ١١٦، ١١٨، ١٢٥، ١٢٨،

١٩٣، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢٣٩، ٢٥١،

٢٧٥، ٢٩٣، ٢٩٥، ٣٢٧، ٣٤٦،

٣٧٦.

ابن تيمية : ١٠٢ .

ابن جريج : ٣٥٢ .

ابن الجوزي : ٧١، ٧٣، ٣٠٩، ٢١٠،

٣٧٢ .

ابن الجويني = أبو المعالي .

ابن حبيب : ٢٦٢ .

ابن حجر : ٢٨٨ .

ابن حزم : ٧٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٣،

٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٨، ٢٦٩ .

ابن خلدون : ٧١ .

ابن خلكان : ٢٣، ١١٠، ١٢٦ .

ابن الراوندي : ٧٣، ٨١ .

ابن رضوان : ١٩٢ .

ابن الرميلى : ٢١٠ .

ابن سينا : ١٠٥، ١٣٨ .

ابن سهل : ٣٦٧ .

ابن شهاب : ٢٨٣ .

ابن الطيب (أبو بكر) : ٢١٢ .

(١)

آدم : ٥٨، ٩٢، ١٦٧، ٢٠٦،

٢١٦، ٢٢٠، ٢٢٥، ٢٢٦،

٢٢٧ .

آدم بن شيان : ٢٢٢ .

إبراهيم الخليل : ١٩٦، ٢٠٢، ٢٠٣،

٢٠٦، ٢٠٧، ٢٧٨ .

إبراهيم بن مالك : ٦٣ .

أبولونيوس الطوانى : ١٨٣ .

أبى بن كعب : ٢٥٢، ٣٥٦، ٣٥٨،

٣٦٣ .

ابن أبى بكر = عبد الرحمن بن أبى بكر .

ابن أبى أصيبعة : ١٩٢ .

ابن أبى الدنيا (عبد الله) : ٢٣٩ .

ابن أبى زيد القيروانى (عبد الله) : ٢١٥ .

ابن أبى سرح : ٢٨٠ .

ابن أبى الفرات : ٣٣٦ .

ابن أبى هاشم : ٣٧٥، ٣٧٦ .

ابن أم حكيم = الوليد بن عقبة .

ابن الأثير : ٣٠، ٢٩١ .

ابن باديس : ٨، ١٥، ١٦، ١٩، ٢٦،

٣٠، ٣٤، ٣٥، ٤٤، ٦٦، ٦٨، ٧٠،

- ابن عامر (عبد الله) : ٣٥٩ ، ٣٦٤ .
ابن العباس بن أبي موسى الفيلاي :
. ٣٦٤
ابن عبد الرحمن (السلمي) : ٣٦٤ .
ابن عساكر : ٧١ ، ٧٢ ، ١١٢ .
ابن العطار : ٣٦٧ .
ابن عمار : ١٧٠ .
ابن الفرغ : ٢١٢ .
ابن فرحون : ٣٢١ .
ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم) : ٦٦ ،
. ٣٥٣ ، ٣٥٠
ابن القاسم : ٣٤٧ ، ٣٧٤ .
ابن كثير (أبو معبد عبد الله) : ٣٥٩ ،
. ٣٦٣
ابن الكحال : ١٧٠ .
ابن الكواء : ٢٩٢ .
ابنا محدوج : ٢٩٤ .
ابن ماجه : ٢٦٣ ، ٢٧٥ .
ابن المبارك (عبد الله) : ٣٧٠ .
ابن مجاهد : ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ .
ابن مغيث : ٣٦٧ .
ابن المقفع : ٧٢ ، ٨١ ، ١٦٠ .
ابن المناني : ٢١٢ .
ابن ورقاء : ٧١ .
ابن وضاح : ٣٦٦ .
أبو الأحوص (سلام بن سليم) : ٢٢٩ .
أبو إسحاق الإسفرايني : ٢٣ ، ٦٠ .
- أبو الأعور الذكواني : ٣١١ .
أبو بكر بن الطيب (الباقلاني) : ٥٧ ،
. ٨٧ ، ٢١٢ .
أبو بكر الشاشي : ٥٧ ، ١٠٨ ، ٢١٣ ،
. ٣٧٣
أبو بكر الصديق : ٣٠ ، ٣١ ، ١١٦ ،
. ١٩٤ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ،
. ٢٥٦ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ،
. ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٦ ،
. ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ،
. ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ،
. ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٣١ ، ٣٤٨ ،
. ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٧ ، ٣٦٣ .
أبو بكر بن العربي : ١٢ ، ١٦ ، ١٧ ،
. ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٢ ،
. ٤٤ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٩ ، ٦٠ ،
. ٦٤ ، ٦٩ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨٢ ، ٨٩ ،
. ٩٣ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ،
. ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١٢٢ ،
. ١٢٧ ، ١٢٢ ، ١٤١ ، ١٥٤ ،
. ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦١ ،
. ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٩ ، ١٩٢ ،
. ١٩٥ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ،
. ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢٢٢ ، ٢٣٦ ،
. ٢٤٢ ، ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ،
. ٢٥٨ ، ٢٦٩ ، ٢٨٢ ، ٢٩٧ ،
. ٢٩٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٤ .

- ٣١٥ ، ٣١٩ ، ٣٢٤ ، ٣٣٢ ،
 ٣٤٣ ، ٣٤٩ ، ٣٦١ ،
 أبو بكر الفهرى : ١٣ ، ٤٥ ،
 أبو بكر بن فورك : ٢٣ ، ٧٢ ،
 أبو بكرة : ٢٥٣ ، ٣٤٣ ، ٣٤٩ ،
 أبو جعفر : ٣٦٤ ،
 أبو جعفر السمناني : ١٠٨ ، ٢١٢ ،
 أبو جهم : ٢٤٢ ،
 أبو حاتم (سهل بن محمد) : ٣٥٩ ،
 أبو حامد الغزالي : ١٢ ، ١٦ ، ٢٤ ،
 ٥٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٩ ، ٩٣ ،
 ٩٨ ، ١٠٥ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ،
 ١٣٤ ، ٢٣٢ ،
 أبو الحسين بن أبي يعلى الفراء : ٢٠٩ ،
 ٢١٠ ،
 أبو حنيفة : ١٧٠ ، ٢٥٧ ، ٢٦٣ ، ٣٢٤ ،
 أبو خزيمة الأنصارى : ٢٨٢ ،
 أبو داود : ٢٣٢ ، ٢٦٣ ، ٢٧٢ ، ٣١٧ ،
 أبو الدرداء : ٢٨٠ ، ٢٨٥ ،
 أبو ذر : ٢٨٠ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ،
 أبو ذر الهروى : ١٠٨ ،
 أبو رجاء العطاردى : ١١٥ ،
 أبو سعد الهروى : ٥٦ ،
 أبو سعيد الزنجاني : ٢٧ ،
 أبو سعيد الخدرى : ٢١٦ ، ٢١٩ ،
 أبو سفيان بن حرب : ٢٨٠ ، ٣٤٢ ،
 ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ،
 أبو طالب الزيني : ٥٧ ،
 أبو عبد الله الصغير : ٣٦٤ ،
 أبو عبيد (القاسم بن سلام) : ٣٥٩ ،
 ٣٦٢ ،
 أبو عبيدة بن الجراح : ٢٥٢ ، ٢٧٧ ،
 ٣٤٨ ،
 أبو عثمان النهدي : ٣٤٢ ، ٣٤٣ ،
 ٣٤٤ ،
 أبو على الحضرمي : ١٢ ، ٣٩ ،
 أبو عمرو بن العلاء : ٣٥٩ ، ٣٦٠ ،
 ٣٦٣ ،
 أبو عيسى الوراق : ٧٣ ،
 أبو الفتح جلال الدولة : ٥٦ ،
 أبو الفتح العكبي : ٤٦ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٥ ،
 أبو الفرج الحنبلي : ٢١٠ ،
 أبو القاسم بن المنفرج : ١٩٢ ،
 أبو لؤلؤة المجوسى : ٢٨١ ،
 أبو مالك الحضرمي : ٦٣ ،
 أبو المظفر شاهفور : ٢٧ ،
 أبو المعالى الجويني : ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٢ ،
 ١٠٣ ، ٢٦٣ ،
 أبو موسى الأشعرى : ١٥٩ ، ٢٥٥ ،
 ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ،
 ٣٤٢ ،
 أبو نصير : ٢٢٤ ،
 أبو هاشم : ٦٨ ، ١٠٣ ، ٢١٢ ،
 أبو هريرة : ١٢٩ ، ٢٠٨ ، ٢٣٠ ، ٢٩٥ ،

- أبو اليمن الحنفي : ٥٦ .
أبو يعلى (محمد بن الحسين القراء) :
٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٢٧ .
أبو يوسف : ٣١١ .
أحمد بن أبي طاهر الإسفراييني : ٢١١ .
أحمد بن إبراهيم (أبو بكر الإسماعيلي
الجزجاني) : ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ .
أحمد بن حنبل : ٢٣ ، ١٢٩ ، ٢٠٩ ،
٢١٠ ، ٢١٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ،
٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ،
٢٨٢ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ ،
٢٣٩ ، ٢٦٦ ، ٢٧٠ .
أحمد بن عبد الله السوسي : ٧٠ ، ٣٦٤ .
أحمد بن علي الحافظ (أبو بكر) :
١١١ .
أحمد بن عمر الدلال (أبو بكر) :
١١١ .
أحمد المستظهر بالله : ٥٨ .
أحمد بن هود : ١٠٨ .
الأحنف بن قيس : ٢١٥ ، ٣٠١ .
أرسطوطاليس : ٩٦ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٩ .
أرسطو : ٧٨ ، ٩٦ ، ١٠٥ ، ١١٧ ، ١٤٦ ،
١٤٨ ، ١٥٩ ، ١٧٥ ، ١٩٠ .
أروى بنت كريب : ٢٩٠ .
أسامة بن زيد : ٢٤٠ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ،
٣٠٠ .
إسحق (عليه السلام) : ٣٥٥ .
الإسفراييني = أبو إسحق الإسفراييني .
الإسكافي : ٦٧ .
الإسكندر : ١٤٠ .
إسماعيل القياضي : ٣٥٩ ، ٣٦٠ ،
٣٦٢ .
الأسواري : ٦٦ ، ٦٩ .
الأشعث بن قيس : ٢٩٥ .
الأشعري (أبو الحسن) : ٧١ ، ٦٣ ،
٧٢ ، ٧٣ ، ٨٧ ، ٩١ .
الأصمعي : ٧٠ .
الأصيلي : ٣٦٧ .
الأعشى : ١٦٦ ، ٣٥٥ .
الأعمش : ٢٩٧ .
الأفضل شاهنشاه : ١٧٠ .
أفلاطون : ٩٦ ، ١٠٨ ، ١١٧ ، ١٧٥ .
أم حبيبة : ٣٤٣ .
أم حرام : ٣٢٥ .
أم حكيم البيضاء : ٢٩٠ .
أم سلمة : ٣٢٤ .
أم عمرو : ١٣١ .
أنس بن مالك : ٢٤٣ ، ٢٧٥ ، ٣٠٩ ،
٣٤٨ .
الأوزاعي : ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٦٠ .
(ب)
الباجي : ١٠٨ ، ٣٦٧ .
البخاري : ١٧ ، ٢١ ، ١١٢ ، ١٢٩ ، ١٩٥ ،
٢٠٨ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ،

(ج)

جابر بن عبد الله : ٢١٨ .
الجاحظ : ٧٣ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٨ ، ١٦٦ ،
٣٥٥ ، ٣٤٤ .
جالينوس : ٧٥ ، ٩١ .
الجبائي : ٦٨ ، ٦٩ ، ٢١٢ ، ٣٦٨ .
جبريل : ٥٨ ، ١٩٩ ، ٢٢٠ ، ٣٥٢ ،
٣٥٦ .
جعفر بن أحمد بن الحسين (البغدادي)
١١١ .

جعفر بن محمد بن نصير : ١١١ .
جعفر بن حرب : ٦٣ ، ٦٨ .
جعفر بن مبشر : ٦٣ .
جعفر بن يحيى : ٦٢ ، ٧٠ .

(ح)

الحاج حمودة بن حمودة : ٣٧٦ .
الحارث بن أسد المحاسبي : ٢٣ .
الحارث بن كلدة : ٣٤١ ، ٣٤٦ .
حامد بن رجاء المعراني (أبو المظفر) :
٥٩ .
حامد المعتزلي الحنفي القاضي : ٣٣ ،
١٧٠ .

حبيب بن مسلمة : ٣٣٣ .
الحجاج : ٣٠٧ .
حجر بن عدي : ٣٢٦ .
حذيفة بن اليمان : ٢٨٣ ، ٣٥٧ .
الحسن بن علي : ٢٩٥ ، ٢٩٩ ، ٣٠٦ .

٢٧٣ ، ٢٦٧ ، ٢٦٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢١ ،
٢٨٤ ، ٢٨٢ ، ٢٧٨ ، ٢٧٧ ، ٢٧٦ ،
٣١٦ ، ٣١٣ ، ٣٠٨ ، ٣٠٧ ، ٢٨٨ ،
٣٣٤ ، ٣٣٣ ، ٣٢٥ ، ٣٢٠ ، ٣١٧ ،
٣٥٦ ، ٣٥٤ ، ٣٤٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٥ ،
٣٧٠ .

البراء بن عازب : ٢٥٣ .
البراء بن معرور : ٢٥٣ .
بريدة : ٢٦٢ .
بشر بن المعتمر : ٦٣ ، ٦٦ .
البغدادي : ١٦٦ .
بقراط : ١٧٥ .
بقي بن مخلد : ٣٦٦ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ .
بلال : ٢٦١ .
البلوطي : ٣٦٨ .
البناني : ٣٣٦ .
البيهقي : ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

(ت)

تاج الملك : ٥٧ .
الترمذي : ٢١ ، ١٩٩ ، ٢٠٦ ، ٢٣٤ ،
٢٣٥ ، ٢٦٢ ، ٢٦٨ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ،
٢١٧ ، ٢٧٧ .

تغري بردي : ١٩٢ .

(ث)

ثعلب (أحمد بن يحيى) : ٣٥٣ .
ثمامة بن أشرس : ٦٣ ، ٨١ ، ١١٠ ،
١٩٢ ، ١٩٣ .

الخليل بن أحمد : ١٦٠ .

خويطة : ٢٧٣ .

(د)

دانشمند : ٢٣٢ .

الدارقطني : ٣٠٨ ، ٣١١ ، ٣١٢ .

داود (عليه السلام) : ٣٢٥ .

داود الظاهري : ٢٤٩ ، ٢٥٨ ، ٢٦٥ ،

٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٣١٢ .

دعلج بن أحمد : ٤١٢ .

دقطنانوش : ١٨٣ .

الديقي : ٤٦ ، ٤٨ .

(ذ)

الذهبي : ٢١ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٧٢ ،

٧٨ ، ١٧٠ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢٥١ ،

٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٦٢ ، ٢٧٩ ، ٢٨٣ ،

٢٨٦ ، ٣٠٨ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ .

(ر)

ربيعي بن حراش : ٣١٢ .

الربيع بن خيثم : ٣١٣ .

ربيعة : ٢٩٤ .

رتشارد يوسف مكارثي : ٨٧ .

الرزاز : ٢٨٢ .

رقية (بنت رسول الله ﷺ) : ٢٧٨ .

رومان : ٢٩٦ .

ريتير : ٦٣ .

(ز)

زائدة بن قدامة : ٣١٢ .

٣٠٧ ، ٣١٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٧ .

الحسين بن علي : ٢٩٥ ، ٢٩٩ ، ٣٠٦ ،

٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ ،

٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ .

الحسين بن علي الدقاق : ٢٣ .

حصين بن المنذر : ٣١١ .

حفصة (أم المؤمنين) : ٢٨٣ ، ٣٣٣ ،

٣٥٧ .

الحكم بن أبي العاص : ٢٨٠ ، ٢٨٦ ،

حكيم بن جيلة : ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٠٣ ،

٣٠٤ .

حمار : ٢٩٦ .

حمزة (ابن حبيب التيمي) : ٣٥٩ ،

٣٦٣ .

حميد بن عبد الرحمن : ٣٣٥ ، ٣٣٦ .

حنظلة الأسدي : ٣٠ ، ٣١ .

الحوأب بنت كلب : ٣٠١ .

(خ)

خارجة بن زيد : ٢٨٣ .

خالد بن الوليد : ٢٩٠ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ .

خالد القسري : ٣٣٨ .

خاتون : ٥٧ .

خزيمة بن ثابت الأنصاري : ٢٨٤ ،

٣٥٨ ، ٣٥٧ .

خلف بن عمرو العسكري : ١١١ .

خليفة بن خياط : ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٣٠٣ ،

٣٠٨ .

سعيد بن العاص : ٢٨٣ ، ٣٤٩ ، ٣٥٧ .
 سعيد بن المسيب : ٣٤٣ ، ٣٤٧ .
 سعيد بن منصور : ١١١ .
 سفيان : ٣٣٤ .
 سفينة : ٣٢٤ .
 سقراط : ١٧٥ .
 السكاك : ٦٣ .
 السكوني : ٧٢ .
 السلولي (مالك بن ربيعة) : ٣٤٩ .
 سليط بن أبي سليط : ٢٩٨ .
 سليمان بن أيوب الرازي : ٥٣ .
 سليمان دنيا : ٨٩ ، ٩١ .
 سمرة بن جندب : ٢٥٣ ، ٣٥٠ .
 سمية : ٣٤٣ ، ٣٤٥ .
 سهل بن سعد الساعدي : ٢٨٩ .
 سهل بن محمد الصعلوكي : ١٢٦ .
 سودان بن خمران : ٢٩١ .
 سودة : ٣٤٧ .
 السيوطي : ١٢٩ ، ٢٥٤ ، ٢٩٢ .
 (ش)
 الشافعي : ٢٤٩ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ .
 ٢٥٧ ، ٢٦٣ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ .
 ٣٧٢ .
 شاهفور = طاهر بن محمد الإسفرايني .
 شعبة : ١١٢ .
 الشهرستاني : ٦٣ ، ٨٩ .
 الشيال : ١٧٠ .

الزبيدي (محمد بن الحسن) : ١٦٠ .
 ٣٧١ .
 الزبير بن العوام : ٢٢٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ .
 ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ .
 ٣٢١ .
 الزركلي : ٣٠ ، ١٠٨ ، ٢٣٩ .
 زمعة : ٣٤٥ ، ٣٤٧ .
 الزهري : ٣٥٨ .
 زياد بن أبي سفيان : ٣٢٦ ، ٣٤١ .
 ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ .
 ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ .
 ٣٥٣ ، ٣٥٤ .
 زياد بن علاقة : ٣٣٨ .
 زيد بن ثابت : ٢٥٢ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ .
 ٢٩٥ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦٢ .
 ٣٦٣ .
 زيد بن صوحان : ٢٩٢ .
 زينب (بنت رسول الله ﷺ) : ٢٨٨ .
 (م)
 ساتكين التركي : ٢١٢ .
 سارية : ٣٦ .
 السبكي : ٩٩ ، ١٠٢ ، ٣٧٢ .
 سيويه : ٢٨ ، ٣٧١ .
 شحتون : ٣٦٦ .
 سعد بن أبي وقاص : ٢٨٧ ، ٣٠٠ .
 ٣٤٨ ، ٣٤٩ .
 سعد بن معاذ : ٢١٦ .

(ص)

الصاحب بن عباد : ٧٢ .

صالح بن عبد الملك : ٧ .

الصباح بن الوليد المرجعي : ٦٣ .

صخر بن حرب : ٣٤٢ .

الصديق بن العربي : ٣٠٩ .

(ط)

طاهر بن محمد الإسفرايني (شاهفور) :

٦٨ ، ٦٥ .

الطبراني : ٣٥٦ .

الطبري : ١٣٩ ، ١٩٩ ، ٢٤٤ ، ٢٧٣ ،

٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٦ ، ٣٥٣ ،

٣٦٠ ، ٣٦٢ .

الطرطوشي : ١٨ ، ٣٥٢ .

طلحة : ٢٧٩ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ،

٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٢١ .

الطيالسي : ٢٧٧ .

(ع)

عائشة (أم المؤمنين) : ٢٧٦ ، ٢٩٦ ،

٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٥ ،

٣١٦ ، ٣٢٠ ، ٣٢٦ ، ٣٤٧ ، ٣٧٤ .

عاصم (ابن أبي النجود) : ٣٦٤ .

العباس (عم النبي ﷺ) : ١١٦ ، ٢٧٦ ،

٢٧٨ ، ٢٨٨ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ،

٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٥١ .

عبادة بن الصامت : ٢٦٣ .

عبد الجبار الهمداني : ٢١٢ .

عبد الرحمن بن أبي بكر : ٢٩٦ ،

٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ .

عبد الرحمن بدوي : ٧٣ ، ١٠٨ .

عبد الرحمن بن الحارث بن هشام :

٢٨٣ ، ٣٥٧ .

عبد الرحمن بن خالد بن الوليد : ٢٧٩ ،

٢٩٢ .

عبد الرحمن بن زياد : ١١١ .

عبد الرحمن بن عديس : ٢٩٢ .

عبد الرحمن بن عوف : ١٩٤ ، ٢٧٨ ،

٣١٣ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ .

عبد الرحمن بن مهدي : ٣٣٤ .

عبد بن زمعة : ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ .

عبد العزيز قاضي السكره : ٢١٢ .

عبد القادر الحنفي : ٢١٢ .

عبد الكريم القشيري : ٢٣ ، ٢٠٩ .

عبد الله (والد النبي ﷺ) : ٢٩٠ .

عبد الله بن أبي زيد : ٢١٥ .

عبد الله بن أنيس : ٢١٨ .

عبد الله بن بديل : ٢٩١ .

عبد الله بن دينار : ٣٥٤ .

عبد الله بن الزبير : ٢٨٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ،

٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ،

٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ،

٣٣١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٥٧ .

عبد الله بن سعد بن أبي سرح : ٢٨٠ ،

٢٨١ ، ٢٩٠ .

عتاب بن أسيد : ٣٤٩ ، ٣٤٠ .

عتبة : ٣٤٥ .

عثمان بن حنيف : ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

عثمان بن عبد الله بن موهب : ٢٨٨ .

عثمان بن عفان : ١١٦ ، ٢٥٢ ، ٢٧٥ .

٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ .

٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ .

٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ .

٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٣ ، ٣١٦ .

٣١٧ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٩ .

٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ .

٣٦٣ .

عرفجة بن شريح : ٣٣٨ .

عكرمة بن أبي جهل : ٣٤٨ .

عكرمة بن خالد : ٣٣٣ .

علي بن أبي طالب : ٥٨ ، ٢١٢ .

٢٤٩ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ ، ٢٦٧ .

٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ .

٢٩٤ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ .

٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

٣٠٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٣ ، ٣١٤ .

٣١٥ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ .

عبد الله بن صفوان : ٣٢٩ .

عبد الله بن عامر بن ربيعة : ٢٩٥ .

٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٦٤ .

عبد الله بن عامر بن كريز : ٢٨٠ ، ٢٨٦ .

عبد الله بن عباس : ١٤ ، ١٩٤ ، ٢٤٧ .

٢٦١ ، ٢٨٨ ، ٣١٤ ، ٣١٦ .

٣٢٥ ، ٣٢٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ .

٣٤٠ .

عبد الله بن عبد الله بن عمر : ٣٢٩ .

عبد الله بن عمر : ٢٣٤ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧ .

٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

٣١١ ، ٣١٢ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ .

٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٥٤ ، ٣٥٩ .

عبد الله بن عمرو : ٢١ .

عبد الله بن عميرة : ٢١٥ .

عبد الله بن مسعود : ١٩٨ ، ٢٨٠ .

٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٩٣ .

٣٦٢ ، ٣٦٣ .

عبد الله بن منصور : ٢١٤ .

عبد الملك بن عمير : ٣١٢ .

عبد الملك بن مروان : ٣٥٣ ، ٣٥٤ .

عبيد الثقفي : ٣٤١ .

عبيد الله بن عمر : ٢٨١ ، ٢٨٩ .

٣٣٩ .

(ف)

- فؤاد السيد : ١٧٠ .
الفاخوري : ٢١٠ .
الفارسي (أبو علي) : ٣٧١ .
فاطمة (بنت النبي ﷺ) : ٢٧٥ ،
٣٢٣ ، ٢٧٨ .

(ق)

- قالون (أبو موسى الزهري) : ٣٦٠ ،
٣٦٣ .
قثم بن العباس : ٢٨٨ .
قدامة بن مظعون : ٢٩٠ .
القرافي : ١٧٩ .
القرشي (عبد القادر) : ٥٦ .
قس (ابن ساعدة) : ١٦٦ .
القطرواني : ٢١٠ .
القفطي : ١٩٢ .

(ك)

- الكسائي : ٣٦٠ ، ٣٥٩ .
كعب بن سور : ٣٠٤ .
كنانة بن بشر : ٢٩٦ ، ٢٩١ .
الكندي : ٧٨ .

(ل)

- ليبد : ١٦٦ .
الليث بن سعد : ٣٣٦ .

(م)

- المأمون : ٣٥٤ .
المؤتمن : ١٠٨ .

٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٤٢ ، ٣٤٥ ،

٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٦٤ .

- علي بن مقسم : ٦٣ .
علي بن منصور : ٦٣ .
عمار : ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ،
٣٠٨ ، ٣٠١ .

عمر بن الخطاب : ٣٦ ، ١٩٤ ، ٢٠١ ،

٢١٧ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ،

٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ ،

٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥ ،

٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩٣ ،

٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٥ ،

٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ،

٣٢٢ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٣١ ،

٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ،

٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ،

٣٥٨ ، ٣٦٣ ، ٣٧٣ .

عمر بن عبد العزيز : ٣٣٦ ، ٣٥٥ .

عمرو بن العاص : ٤٤ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ،

٣١١ ، ٣١٢ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ .

عمر (المقرئ) : ٣٦٣ .

عترة بن شداد : ٢١٧ .

عيسى (عليه السلام) : ٥٨ ، ١٢٦ ،

١٢٧ ، ١٧٦ ، ٢٢٥ ، ٢٤٠ ،

٣١٤ .

(غ)

الغافقي المصري : ٢٩١ .

المازري : ٩٩ .

مالك بن أنس : ١٦ ، ٥٨ ، ١٢٩ ،

٢١٦ ، ٢٥٥ ، ٢٦٣ ، ٢٧٨ ،

٢٨٧ ، ٢٢٦ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ،

٢٤٧ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٦٠ ،

٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٧٣ ،

٣٧٤ ، ٣٧٥ .

مالك بن الحارث (الأشتر النخعي) :

٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ .

المبرد (محمد بن يزيد) : ٣٥٠ ،

٣٥٣ .

مجاهد : ٢٤٤ ، ٢٤٦ .

محب الدين الخطيب : ٢٧٥ ، ٢٧٦ ،

٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ،

٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ ،

٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠٢ ،

٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ،

٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ،

٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ،

٣٢٥ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ،

٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٩ ، ٣٥٤ ،

٣٥٦ .

محمد إبراهيم أبو الفضل : ١٦٠ .

محمد بن أحمد بن النضر : ٣١٢ .

محمد جواد مشكور : ٦٣ .

محمد بن الحسن الزبيدي : ٣٧١ .

محمد بن خالد : ٦٢ .

محمد زاهد الكوثري : ٦٥ .

محمد بن زياد : ٣٤٣ .

محمد بن عبد الله بن إبراهيم : ٣١٢ .

محمد (رسول الله ﷺ) : ٧ ، ٣٧ ،

٥٠ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٧٤ ، ١٠٣ ،

١٠٨ ، ١٢٦ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ،

١٧٥ ، ١٩٣ ، ٢٢٠ ، ٢٤٠ ،

٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٧٧ ، ٢٩٠ ،

٢٩٤ ، ٣١٤ ، ٣٢٢ ، ٣٣٥ ،

٣٤٤ ، ٣٥٢ ، ٣٧٦ .

محمد محمد بن غازي : ٣٦٤ .

محمد بن مسرة : ٣٦٨ .

محمد بن مسلمة : ٣٠٠ .

محمد بن المنكدر : ٣٣٤ .

محمد بن الهذيل العلاف (أبو الهذيل) :

٦٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٨٨ .

المخزومي : ٣٧٤ .

المردار (أبو موسى بن صبيح) : ٦٧ .

مروان بن الحكم : ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٩ ،

٢٩١ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ،

٣٠١ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٣٧ .

مسروق : ٢٦١ ، ٢٩٦ .

المسعودي (علي بن الحسين) : ٦٣ ،

٧٣ ، ٣٥٠ ، ٣٥٣ .

مسلم بن عقيل : ٣٣٧ .

الإمام مسلم : ٣ ، ١٢٩ ، ١٦٢ ، ١٩٥ ،

٢٢١ ، ٢٥٤ ، ٢٦١ ، ٢٦٦ ، ٢٧٣ ،

٢٤٠ ، ٢٧٧ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ،

٣١٩ .

موسى بن ميمون : ١٠٨ .

(ن)

النافعة : ١٦٦ .

نافع : ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٥ .

النسائي : ٢٦٣ ، ٢٦٨ .

النشار : ٦٣ ، ٨٨ ، ٩٨ .

نصر بن إبراهيم المقدسي (أبو الفتح) :

٥٣ ، ٣٧٢ .

النظام (إبراهيم بن سيار) : ٦٣ ، ٦٦ ،

٦٩ ، ٧٣ ، ٨٨ .

نظام الملك (خواجه بزرگ) : ٥٧ .

نوح (عليه السلام) : ٥٨ ، ٢٣٥ .

(هـ)

هارون (عليه السلام) : ٣١٣ ، ٣١٩ .

هارون الرشيد : ٦٢ ، ٧٠ .

الهرمزان : ٢٨١ ، ٢٨٩ .

هشام بن حكيم : ٣٥٦ .

هشام بن الحكم : ٦٣ .

هشام (المقرئ) : ٣٦٣ .

هناد بن السرى : ٣٧٠ .

هند : ١٩٢ .

هنرى كوربان : ١٨٣ .

(و)

الوائق : ٣٥٤ .

ورث : ٣٦٠ .

٢٧٧ ، ٣٠٧ ، ٣١٣ ، ٣١٦ ، ٣٢٠ ،

٣٣٨ .

مسلمة بن قاسم : ٣٦٨ .

مسلمة الكذاب : ١٠٣ ، ١١٥ .

معاذ بن جبل : ٢٥٢ ، ٣٠٩ .

معاوية بن أبى سفيان : ٢٨٠ ، ٢٨٤ ،

٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٩٢ ، ٣٠١ ،

٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣٠٩ ،

٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ،

٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ،

٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢ ،

٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٣٣٧ ، ٣٤١ ،

٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٩ .

معاوية بن عمرو : ٤١٢ .

معاوية بن قرّة : ١١٢ .

معمر القدرى : ٨٨ .

المغيرة بن شعبة : ٣٤٢ ، ٣٤٤ .

المقتدى بالله (أبو القاسم عبد الله الخليفة

العباسى) : ٣٧٢ .

المقرئى : ٩٢ .

الملك العادل (ملكشاه جلال الدولة) :

٥٧ ، ٣٧٢ .

الموبدان : ٦٤ .

الموت الأسود (رجل من بنى سدوس) :

٢٩٦ .

موسى بن عمران (عليه السلام) : ١١٥ ،

١٧٠ ، ١٧١ ، ٢١٧ ، ٢٣٥ ،

ورقة : ١٦٦ .

وشمكير الأمير : ٥٠ .

الوليد بن عقية : ٢٨٩ ، ٢٨٧ ، ٢٨١ ،

٢٢٧ ، ٢٩٠ .

وهب بن جريو : ٣٢٧ ، ٣٢٩ .

(ي)

يحيى (عليه السلام) : ٢٣٨ .

يحيى بن بكير : ٣٣٦ .

يحيى بن خالد : ٦٢ ، ٦٣ .

يحيى بن مفرج : ٣٧٢ ، ٣٧٣ .

يحيى بن يحيى : ٣٦٦ .

يزيد (ابن معاوية) : ٢٨٦ ، ٢٢٧ ،

٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ .

٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٨ .

يعقوب (ابن إسحاق الحضرمي)

٢٥٩ ، ٢٦٠ .

يعلى بن أمية : ٣٠٠ ، ٣٠١ .

يوسف بن تغرى بردى : ٣٧٢ .

يوسف (عليه السلام) : ٢٣٥ ، ٢٢٠ .

يونس بن محمد : ٣٧٦ .

يونس (عليه السلام) : ٢٤٠ .

* * *

٦ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	تصدير
٧	خطبة الكتاب
١١	الموقف الأول: في بيان قول من أنكروا الحقائق المحسوسة
١٢	عاصمة أن هذا ليس مذهباً لأحد
١٢	قاصمة بيان قول إن الإشكالات لا تتضح بالأدلة
١٥	صفة الجنة
١٥	تمثيل من دليل أن الخلق جروا مع الرسل في النظر والدلالات
١٦	توجيه في قول أبي حامد من أصحاب الرأي المتقدم
١٨	مزيد تحقيق استنكار أن صفاء القلب يوجب تجلي العالم
١٨	تكملة فيها إبطال قول السوفسطائية
٢١	تحليل عدم الوثوق بالمعنى لأن الحس خائن
٣٣	الموقف الثاني: ما يفاض على العبد من عرفان يستغرق الأدلة والبيان
٢٤	قاصمة لقاء المؤلف مع أبي حامد الغزالي
٢٦	عاصمة بحث المؤلف في كلام الغزالي عن البدن والروح
٣٩	الموقف الثالث: في قول طائفة لا معلوم إلا المحسوس
٤٤	الموقف الرابع: في قول إن العلم لا يؤخذ إلا من المعصوم
٤٥	عاصمة في الرد على هذه الطائفة
٥٣	تكملة في العصمة للمبعوث
٥٩	جواب آخر في الرد على أهل الوحدة
٦٠	قرطاس رأيهم في النظر مع وجود المعصوم والرد عليهم
٦١	قاصمة في بيان منشأ الباطنية بين المسلمين

٦٤	عاصمة في الرد على أهل المجلس بطريق المعارضة
٧١	عاصمة في أن الله حمى الدين بأئمة السنة
٧٣	المدرک الأول: معرفة الموجودات كالسما وما اشتملت
٧٤	المدرک الثاني: النظر في الصانع
٧٤	المدرک الثالث: النظر في المصالح العامة التي تقوم بالقانون الإنساني
٧٥	قاصمة لم تبق لهم قائمة في زعمهم بلحم الخنزير
٧٥	عاصمة في عليهم في لحم الخنزير
٧٦	مزيد بيان في تباین المخلوقات
٨٣	الطريق الأول: القواعد الشرعية في إثبات الصانع للمصنوع
٨٥	الطريقة الثانية: في القواعد الشرعية في إثبات الصانع
٨٧	تنزيل في الرد على القدرية في التولد
٩٠	الثقات الثقات في ذكر المتألهين من الفلاسفة والرد عليهم
٩٣	وهلة في تفسير الغزالي لحديث العنقود
٩٣	تذكرة في الرد عليه
٩٤	عاصمة في الرد على الفلاسفة بثمانية أوجه
٩٧	عاصمة في إثبات العلم على التفصيل
١٠٩	قاصمة في طائفة أرادت التلقيق بين الدين والملة
١١٠	عاصمة في أن القرآن فيه الرد على الضالين
١١٢	متزلة الشرع من العقل
١١٢	عاصمة ليس في نصوص الشرع ما يصادم العقل
١١٦	استدراج بأن طريق الفلاسفة لا توصل إلى الله
١٢٢	عاصمة مناقشة الفلاسفة في ذات الله تعالى
١٣١	قاصمة في ترتيب صدور الموجودات عند الفلاسفة
١٣١	قاصمة ترتيب صدور الموجودات عن الله
١٣٢	عاصمة في الرد على الفلاسفة
١٣٣	قاصمة قولهم صدر عن الأول عقل مجرد
١٣٣	عاصمة في الرد عليهم
١٣٥	قاصمة ترتيب منازل الموجودات

- عاصمة في الرد عليهم ١٣٦
- نكتة القضاء والقدر ١٣٧
- عارضة فيها كتاب حكمة الإسكندر ١٤٠
- قاصمة كلام الفلاسفة في الصورة والهيولي والحركة ١٤٤
- عاصمة في الرد عليهم ١٤٤
- قاصمة قولهم في تكوين المعادن ١٤٥
- عاصمة في مناقشتهم ١٤٦
- قاصمة الإمتزاج والتكوين والفساد ١٥٠
- عاصمتها في الرد عليهم ١٥١
- عاصمة تكون المعادن في باطن الأرض ١٥٣
- قاصمة في مناقشتهم ١٥٤
- عاصمة قولهم في البخار إذا احتقن في الأرض ١٥٦
- تكملة في الرد عليهم ١٥٧
- قاصمة قالوا لا يفتقر وجوب معرفة الله على كل أحد ١٥٨
- عاصمة في الرد عليهم ١٥٩
- قاصمة قالت طائفة إن المعول هو قول الله وحكمه ١٦٧
- عاصمة في الرد عليهم ١٦٩
- قاصمة أصحاب الإشارات جعلوا للألفاظ معان خفية ١٩٣
- عاصمة في بيان منزلة الإشارة ١٩٦
- المثال الأول: ضرب الله مثلاً رجلاً ١٩٧
- المثال الثاني: فاخلع نعليك ١٩٨
- المثال الثالث: لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب أو صورة ١٩٩
- قاصمة في عقائد الظاهرية ٢٠٨
- عاصمة في الرد عليهم ٢١٣
- عاصمة فيما يعارض ظاهره العقل ٢٣٠
- خبر من رآني في المنام فقد رآني في اليقظة ٢٣١
- خبر أول ما خلق الله القلم ٢٣٢
- خبر يؤق يوم القيامة بالموت ٢٣٥

- ٢٤٠ خبر ثبت أن النبي رأى الأنبياء ليلة الإسراء
- ٢٤١ خبر حديث الكسوف ورؤيته ﷺ الجنة والنار
- ٢٤٧ خبر حديث آخر أهل النار خروجاً
- ٢٤٨ قاصمة البعض جعل لكلام الله باطناً والبعض جعله ظاهراً
- ٢٥٠ عاصمة الله أرشد إلى طريق العلم ويسر أسبابه
- ٢٥٩ مسألة: لو أن رجلاً بال في ماء
- ٢٥٧ مسألة: قول ابن حزم أن الله قادر أن يتخذ ولداً
- ٢٦٦ الحديث الأول: من نام عن صلاة
- ٢٦٦ الحديث الثاني: إن فريضة الله في الحج أدركت أبي شيخاً
- ٢٦٧ الحديث الثالث: شغلونا عن الصلاة الوسطى
- ٢٦٧ الحديث الرابع: سيروا إلى قريظة
- ٢٦٧ الحديث الخامس: سيكون بعدي أمراء
- ٢٦٨ مسألة كلام ابن حزم في القرآن
- ٢٧١ مسألة غريبة الظهار والعودة بعده
- ٢٧٦ عاصمة وفاة رسول الله ﷺ
- ٢٨٠ قاصمة في المظالم المكذوبة على عثمان
- ٢٨١ عاصمة في الرد على إبطال المظالم
- ٣٠٠ قاصمة بعد أن تمت البيعة للإمام علي استأذن في الخروج إلى مكة
- ٣٠٢ عاصمة الرد على الغرض من الخروج
- ٣٠٥ قاصمة ودارت الحرب بين أهل الشام وأهل العراق
- ٣٠٦ عاصمة في الرد على ملابس الحرب
- ٣٠٨ قاصمة التحكيم
- ٣١٠ عاصمة في الرد على قاصمة التحكيم
- ٣١٣ قاصمة في النص على استخلاف علي
- ٣١٤ عاصمة في الرد على فكرة الاستخلاف
- ٣٢٤ قاصمة قول الرافضة بعد مقتل علي
- ٣٢٤ عاصمة الرد على قولهم

٣٤٨	نكتة في الولايات والعزلات
٣٥٠	قاصمة كيف افترقت الفرق في صدر الإسلام
٣٥٢	عاصمة فيها تحذيرات ووصيات جليلة
٣٥٦	قاصمة وعاصمتها حول حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف
٣٦١	كيفية القراءة اليوم: وفيه أقوال
٣٦٣	سبب الاختلاف في القراءات بعد خط المصحف
٣٦٤	قاصمة مصائب نزلت بالعلماء عن طريق الفتوى
٣٦٥	قاصمة في حكاية سبب هذا الاختبال
٣٦٩	قاصمة فيما كان يلقاه العالم المستدل من كبد
٣٧٧	عاصمة ما على المرء أن يجتهد فيه
٣٧٧	ملحق من كتاب أبي بكر بن العربي «سراج المريدين»
٣٧٧	المؤلفات التي أقربها ابن العربي من المشرق
٣٨٠	فهرست مراجع الدراسة والتحقيق
٣٨٧	فهرس الموضوعات

استدراك

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦٣	ع ١٥ س ٥	السعودى	المسعودى
٧١	ع ٢٤ س ٧	تبيين كذب المفتى	تبيين كذب المفتري
٨٦	١٣	وأرده بجميع	وأدره بجميع
١٠٨	ع ١٤ س ١٢	متلكم	متكلم
١٥١	ع ٢٤ س ٢	المقصاد	المقاصد
١٦٢	١٠	البقرة ١٦٤	الرعد ٤
١٨٣	١٣	تتلكم	تتكلم
١٩٤	١١	كت	كنت
١٩٨	١٤	﴿ ألق عصاك ﴾	﴿ وألق عصاك ﴾
١٩٩	١٤	المثل الثالث	المثال الثالث
٢١٤	١	ينظور	ينظرون
٢١٨	١٦	لا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن	لا تنفع الشفاعة إلا لمن
٢٣٤	١٤	[الرحمن ٣]	[الرحمن ١ - ٤]
٢٥٨	٩	يقولن	يقولون
٢٦٧	١٧	وقته «	وقتها «
٢٦٨	١٢	[عيس : ١٦]	[عيس : ١٢ - ١٦]
٢٧٣	١٨	ما أمرك به	ما أمرك الله به
٢٩٢	٨	بإشخاهم عليه	بإشخاصهم عليه
٣٠٤	١٢	يقنله ثبت	ينقله ثبت
٣٢٣	١١	(لا نرث)	(لا نورث)
٣٣٣	١٩	« ما تركنا صدقة »	« ما تركناه صدقة »
		وهمت أن	وهممت أن